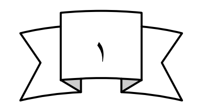
الجامع لخطب الجمع

(خطب مناسبات)

المجلد الأول

إبراهيم يسري العزازى



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

فصلت: ٣٣

المقدمة،،،،

إن الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ آل عمران: ١٠٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ النساء: ١ .

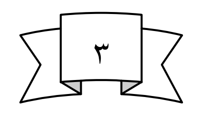
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١ .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد ..

إنَّ خطبة الجمعة تعتبر من أخطر الأمور التي تحتاجها الأمة كل أسبوع ، فهي بمثابة محطة وقود لشحن إيمانهم ، وتقوي إرادتهم ، وتذكرهم بالله ، وتأمرهم بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، بل هي أهم وسيلة إعلامية في الإسلام لا توجد في أمة من الأمم بتاتا ، فإذا كان الخطيب على مستوى المسئولية علما وعملا وسلوكا وأسلوباً آتت أكلها ، وأينعت ثمارها ، وظهر أثرها جليًّا ، وكانت عامل دفعٍ نحو خيري الدنيا والآخرة .



والخطيب الناجح هو الذي ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه ، ويخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويتحرَّى في جميع ما يقوله أن يكون حقًّا وصحيحاً ،وموافقا لعقيدة أهل السنة والجماعة ، وأن يكون عمدته بالدرجة الأولى القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ، وأقوال السلف الصالح الهداة المهديين ، والعلماء الربانيين ، وأن يكون بعيدا عن التهويل ، والخرافات والأوهام ، والأحاديث المنكرة ، وأقدم لك أيها الخطيب بعض الوصايا .

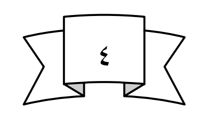
وصايا للخطيب

١- الإخلاص سر النجاح.

أخي الخطيب قبل أي شيء أوصيك أن تجدد نيتك وتتفقد إخلاصك حتى تكون لكلماتك وخطبك أثراً في قلوب الناس إذ النائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، ثم تأمل معي كم لك من الأجور والحسنات وأن تقوم في مسجدك خطيباً كل جمعة، وكم هو النفع الذي ينتشر بين الناس بسبب كلماتك ونصائحك عبر الخطبة، إن استشعارك أخي لهذه الفضائل يدفعك إن شاء الله إلى السعي الجاد للرقي بخطبتك قالباً ومضمونا.

فلا بد أخي أن توقظ في نفسك حس الدعوة إلى الله وتتلمس حاجة مجتمعك وأمتك إلى نصحك ووعظك وتغييرك .

واعلم أن الإخلاص لله روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى الله وهو في حقيقته قوة إيمانية ، وصراع نفسي ، يدفع صاحبه إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية ، وأن يترفع عن الغايات الذاتية ، وأن يقصد من عمله وجه الله لا يبغي من ورائه جزاءً ولا شكوراً ، فالمخلصون أعمالهم كلها لله ، وأقوالهم لله ، وعطاؤهم لله ،ومنعهم لله ، وحبهم لله ، وبغضهم لله ، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده .



وأعلم أخي الخطيب أنه لا يشرح الصدر مثل الكلام الصادق، والبيان الناطق، واللفظ الدافق، وإذا كان الإخلاص فريضة على كل عابد؛ فهو في حق العامل والداعي أفرض وأوجب، وغني عن الذكر ما ورد في القرآن من آيات وفي السنة من أحاديث تحض على الإخلاص في العمل والعبادة، وتحذر من الشرك بالله وابتغاء غير وجهه تعالى بالعمل.

٢ – الشعور بالمسؤلية

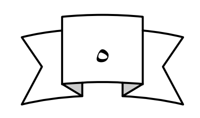
يجب أن يشعر الخطيب بأنه صاحب رسالة يؤديها، ويقصد من خلالها وجه الله، حتى ولو كانت تلك وظيفته التي يقتات منها، وذلك لأن صاحب الرسالة يستفرغ كل طاقته في محاولة إيصالها إلى الناس، لا يكل ولا يمل.

والحقيقة إذا ما توفر هذا الشعور في نفس الخطيب فإن النجاح سيكون حليفه، وسيكون من أحسن الناس قولاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت: ٣٣ ، ثم اعلم أخي الخطيب أن الله قد اصطفاك لحمل دعوته، ورعاية أمانته، وصيانة عهده قال تعالي : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فاطر: ٣٢ ، وقال تعالي : ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩ ، فيا أيها الخطيب أري الله من نفسك خيرًا، واعلم أنك من ورثة الأنبياء.

٣ – كم رصيدك من العلم والثقافة .

وهذا أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الخطيب إجابة التساؤلات ، وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدَّة التي بها يعلِّم الخطيب الداعية الناس أحكام



الشرع ، ويبصرهم بحقائق الواقع ، وبه أيضاً يكون الخطيب قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات ، ومتقناً في العرض ، ومبدعاً في التوعية والتوجيه .

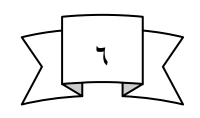
.وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلاَّ بالعلم الذي يدعو به وإليه ،ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم على حد يصل إليه السعي.

قال ابن القيم عن الفقهاء: إنهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء ، بهم يُهتدى في الظلماء ، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء.

وعندما يتحرك الداعية ناشراً علمه ساعياً بين الناس بالإصلاح ناعياً عليهم الغفلة والفساد فإنه يحظى بشرف الوصف الذي ذكره الإمام أحمد حين قال : الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هَدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم وأهل العلم والبصيرة من الدعاة شهد التاريخ أنهم هم من اهتدى بهم الحائر ، وسار بهم الواقف ، وأقبل بهم المعرض ، وكمُل بهم الناقص ، ورجع بهم الناكص ، وتقوى بهم الضعيف.

فالمقصود بثقافة الخطيب :

أولاً: حفظ كتاب الله حفظًا مكينًا بحيث تصير الآيات له كما لو كان يقرؤها وينظر فيها ، أو على الأقل قدر كبير منه فلاشك أن حافظ القرآن عن ظهر قلب أقدر على استحضار الآيات والاستشهاد بها وأن هذه الصفة من صفات الكمال للخطيب، ولكن لاشك أن هناك قدراً ضرورياً لا غنى للخطيب عنه، هذا القدر يتعلق أولاً بالقدرة على التلاوة الصحيحة السليمة لكتاب الله عز وجل بغير لحن، ثم القدرة



على استحضار الآيات المتعلقة بموضوع خطبته ومعرفة أقوال أهل العلم في تفسيرها والتمييز بين الصحيح والسقيم، والإسرائيليات والموضوعات وغيرها.

وليحذر الخطيب في أن يقحم الآيات في غير محلها أو يصرفها عن غير وجهها أو يخضعها للنظريات العلمية والاكتشافات العصرية أو يخضعها لواقعه الزمني أو المكاني إذا كان مخالفاً لدين الله .

ثانيًا: حفظ قدر كبير من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: النظر في القصص القرآني الكريم؛ إذ فيه مادة لطيفة لاستخلاص العبرة وربط الفكرة، خاصة أن الناس يحبون هذا اللون من الأداء.

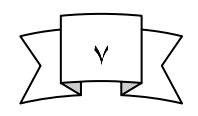
رابعًا: شحن الذهن بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وربطها بالواقع.

خامسًا: النظر في حياة الصحابة أولئك الصفوة والفئة المنتقاة، وأخذ الأسوة عنهم وربطها بحياة الناس.

سادسًا: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالإمامة والصلاة وأن يكون عالماً بأحكام الخطبة والصلاة وشرائطهما ومصححاتهما ومبطلاتهما وجوابرهما وكيفياتهما وتكميلاتهما.

ولا يشترط أن يكون عالماً مجتهداً مطلقاً ولا مقيداً، ولا أن يكون مفتياً في جميع الأحكام ولا حبراً لجميع الأنام، فإن ذلك من صفات الكمال، لا من صفات الصحة والإبطال .

سابعًا: علم التاريخ ، فالتاريخ ودراسته يوسع آفاق الخطيب ويطلعه على أحوال الأمم وسير الرجال وتقلب الأيام بها وبهم، وفيه يرى سنن الله الكونية وعاقبة الأمم والمجتمعات والحضارات، وانتصار أو انهزام الدعوات.



فالتاريخ مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ونهاية الكفر والفجور، فهو أصدق شاهد على دعوة الرسل وأتباعهم، وقد لفت الله عز وجل في كتابه إلى أهمية القصص والاتعاظ بأحوال السابقين فقال سبحانه : ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ الروم: ٤٢ ، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ ق: ٣٦ ، وقال جل شأنه : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۗ﴾ يوسف: ١١١ .

والخطيب والداعية إذا أحسن دراسة التاريخ والإفادة منه كان أعون له في تثبيت المعاني والقيم التي يدعو إليها لا سيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع.

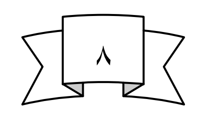
ثامنًا : قرأة بعض الكتب الأدبية والفكرية لطلاقة اللسان، وسلاسة وسلامة العبارة وجزالة اللفظ.

تاسعًا: واقع العالم الإسلامي ، فما أقبح الخطيب أن يجهل أحوال أمته وواقع عالمه، وإلا فأين الجسد الواحد، ومن أين تستقي الجماهير أخبار إخوانهم وكيف يمكنهم مد العون لهم أو على الأقل المشاركة بالدعاء والدعم المعنوي لقضاياهم وأزماتهم؟!

٥ – صلة الخطيب بالله

تذكر أنك إنما تخطب وتتكلم بحول الله تعالى وقوته، فإن شاء الله تعالى أطلق لسانك، وإن شاء عقده، ولو وكلك الله إلى نفسك لعييت وعجزت.

إن حنجرتك التي هي وعاء خروج الأصوات، ولسانك وشفتيك وأسنانك التي تصيغ الحروف والنغمات، إنما هي خلق من خلق الله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فصلت: ٢١.



واعلم أن الله معك.. شاهد ومطلع عليك.. نظره أسبق من نظر المخاطبين إليك.

فاعتصم بالله، وليكن لك في نبي الله موسى عليه السلام أسوة حسنة حيث : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ طه ٢٥ - ٢٨، وأنبه إلى ضرورة تجنب الخطيب الغرور والإعجاب بالنفس، فإن ذلك محبط للعمل والأجر والثواب.

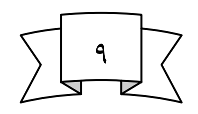
والصلة بالله : هي الصلة التي إليها يفيء الداعية ويرجع، وعليها يعتمد ويعوِّل، ومنها يستمد ويقتبس، ولها يدعو ويبتهل، وعندها تجد نفسه راحتها وعزاءها.

وإذا كان حسن الصلة بالله مطلبا ضروريًّا لكل مسلم، فكيف يكون حكمها في شأن الداعية؟

٦ . القدوة : فالناس ينظرون إلى سلوك الخطيب، ويدققون النظر فيه، ولذا ينبغي أن تتطابق أفعاله مع أقواله، فالتزام الخطيب بأحكام الإسلام بوجه عام، وتطبيق ما يدعو إليه في خطبته، يجعل كلامه مقبولاً عند المستمعين، أما مخالفة العمل للقول، فإنه يجعل المستمعين لا يثقون به ولا بكلامه.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ البقرة: ٤٤ ، ويقول أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الصف: ٢ – ٣.

٧- الشجاعة : أن يكون الخطيب شجاعًا في قول الحق، مع التحلي بالحكمة وحسن التقدير للموقف، بعيدًا عن التهور والاندفاع غير المحسوب، فالشجاعة في قول الحق صفة أساسية لابد وأن يتحلَّى بها الخطيب؛ لأنه سيتعرض لأمور كثيرة فإن لم تكن عنده الشجاعة الكافية فلن يستطيع الوصول إلى الهدف والغاية المرجوة،



وكما نطالب الخطباء بالشجاعة، فعلى الحكومات والوزارات المعنية أن توفر جانبًا من الحرية للخطباء، كما توفر هامشًا – قل أو كثر – للصحافة وأجهزة الإعلام.

٨ – اللين والرفق : على الخطيب الناجح الاتصاف باللين والرفق والتلطف مع الناس لأن ذلك أدعى إلى استمالتهم وإقناعهم، أما أسلوب العنف والغلظة والشدة فقد أثبت الواقع فشله وعدم جدواه، لقد خاطب الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩، وقال جل وعلا أيضاً :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩.

وها هو الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول: " إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه ولا ينزع من شيء إلاّ شانه" رواه مسلم عن عائشة .

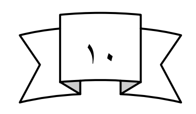
فالناس ينفرون بطبائعهم من الفظاظة والخشونة والعنف ويألفون الرقة واللين والرفق .

حكي عن الأحنف بن قيس أنه قال : ما عاداني أحد إلا أخذت في أمره ثلاث خصال :إن كان أعلى مني عرفت له قدره وإن كان دوني رفعت قدري عنه وإن كان نظيري تفضلت عليه .

وهذا من الرفق واللين فكن أخي الخطيب من أهل اللين والرفق تدم دعوتك وتقبل كلماتك إن شاء الله .

ولقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نُيسر ولا نُعسر ، وأن نُبشر ولا ننفِّر

فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : "يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا" رواه البخاري.



وأخيرا أقدم لك هذه المجموعة الطيبة من الخطب المنبرية وسميت الكتاب "الجامع لخطب الجمع " .

وذكرت في الكتاب أربع خطب لكل شهر ثم خطبتي العيد لكي يكون الكتاب عوناً لكل إخواننا من الخطباء وغيرهم.

نسأل الله أن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن تطهر قلوبنا من النفاق والغل والحقد والحسد، وأن يجعل هذا الكتاب حجةً لنا لا علينا، وأن يجعله سبباً لصلاح المسلمين، وأن يعم به النفع، وأن يجعل له القبول في الأرض، وأن يجعله خالصاً لوجهه، ولا يجعل فيه نصيباً لأحد اللهم آمين .

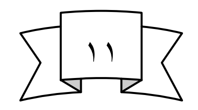
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

إبراهيم محمد يسرى العزازى

إمام وخطيب

أوقاف اسكندرية



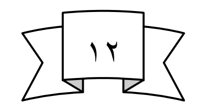
شهر اللّه المحرم

الخطبة الأولي : وقفات مع بداية العام

الخطبة الثانية :الهجرة

الخطبة الثالثة : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ووضع الخطة

الخطبة الرابعة : الهجرة دروس وعبر



الخطبة الأولي : وقفات مع بداية العام

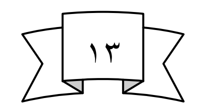
أما بعد:عباد الله ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ التوبة: ٣٦.

اليوم استقبلنا عاما إسلاميا هجريا جديدا، وابتداء مناسبة في الإسلام ألا وهي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم التي ابتدأ بها تكوين الأمة الإسلامية في بلد إسلامي يحكمه المسلمون.

ولم يكن التاريخ السنوي معمولا به في أول الإسلام حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ففي السنة الثالثة أو الرابعة من خلافته سنة ست عشرة أو سبع عشرة من الهجرة كتب إليه أبو موسى الأشعري : إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ.

فجمع عمر الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم ، فيقال إن بعضهم قال: أرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكها كلما هلك ملك أرخوا بولاية من بعده، فكره الصاحبة ذلك، فقال بعضهم: أرخوا بتاريخ الروم فكرهوا ذلك أيضا، فقال بعضهم: أرخوا من مولد النبي ؛ وقال آخرون: من مبعثه، وقال آخرون: من الهجرة ، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها فأرخوا من الهجرة واتفقوا على ذلك.

ثم تشاوروا، من أي شهر يبدئون السنة؟ فقال بعضهم: من ربيع الأول لأنه الشهر الذي قدم فيه النبي مهاجرا إلى المدينة وقال بعضهم: من رمضان لأنه الشهر الذي نزل فيه القرآن واتفق رأي عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على ترجيح البداءة بالمحرم لأنه شهر حرام ويلي ذي الحجة الذي فيه أداء الناس حجتهم الذي به تمام أركان الإسلام لأن الحج آخر ما فرض من الأركان الخمسة ثم أنه يلي الشهر

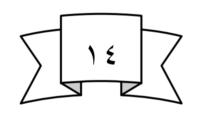


الذي بايع فيه النبي الأنصار على الهجرة وتلك المبايعة من مقدمات الهجرة فكان أولى الشهور بالأولية شهر المحرم.

أما بالنسبة لتسمية الشهور، فالمحرم سمى المحرم لأن العرب كان يحرمون القتال فيه، وصفر سمي صفراً لأن العرب كان يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفر المتاع ، وشهر ربيع الأول لأن العرب كانوا يرتبعون فيه أي لرعيهم فيه العشب فسمى ربيعاً، وجمادى لجمود الماء فيه، ورجب سمي رجباً لترجيبهم الرماح من الأسنة لأنها تنزع منها فلا يقاتلوا، وشعبان لأنه شعب بين رمضان ورجب، ورمضان لرموض الحر وشدة وقع الشمس فيه، وشوال لشولان النوق فيه بأذنابها إذا حملت، وذو القعدة سمي ذا القعدة لقعودهم في رحالهم عن الغزو لا يطلبون كلأً ولا ميرة، وذو الحجة سمي ذا الحجة لأنهم يحجون فيه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ﴾ التوبة: ٣٦ ، فمن هذه الأشهر التي ذكرها الله في كتابه أربعة حُرم، ثلاثة منها متوالية وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، والرابع منها مفرد وهو رجب بين جمادى وشعبان. قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: " أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان".

وسميت هذه الأشهر الأربعةُ حرماً لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها، روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : اختص الله تعالى أربعة أشهر جعلهن حرماً وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيها أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم، وخصّ الله تعالى الأربعة الأشهر الحُرُم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها بقوله سبحانه : ﴿ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ التوبة: ٣٦ تشريفاً لها، وإن كان الظلم منهيّاً

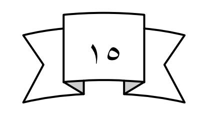


عنه في كل الزمان. والمقصود بقوله تعالى :﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ أي لا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتال، ولا تظلموا فيهنّ أنفسكم بارتكاب الذنوب والآثام.

شهور السنة الهجرية هي الشهور الهلالية التي هي عند الله تعالى في كتابه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ﴾ التوبة: ٣٦ الشهور التي جعلها الله تعالى مواقيت للعالم كلهم قال الله عز وجل: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ البقرة: ١٨٩ مواقيت للناس كلهم بدون تخصيص لا فرق بين عرب وعجم ذلك لأنها علامات محسوسة ظاهرة لكل أحد يعرف بها دخول الشهر وخروجه فمتى رؤي الهلال من أول الليل دخل الشهر الجديد وخرج الشهر السابق.

ومن أهمية اتخاذ كل مسلم السنة الهجرية تاريخا له هو تعلق العبادات من صيام (كصيام رمضان وست من شوال ويوم عرفة وعاشوراء) وحج بيت الله الحرام وغيرها من العبادات بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقِبط، فلا يليق بالمسلمين أن يقدموا الشهور العجمية والرومية والقبطية على الشهور العربية. قال تعالى ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾البقرة: ١٨٩ ، وعلينا أن نشكر الله على ما يسره لنا من هذا الحساب البسيط الميسر .

إن على الأمة الإسلامية أن تجعل لنفسها وجودا وكيانا مستقلّين مستمدَّين من روح الدين الإسلامي وأن تكون متميزة عن غيرها وفي كل ما ينبغي أن تميز به من الأخلاق والآداب والمعاملات لتبقى أمة بارزة مرموقة لا تابعة لغيرها هاوية في تقليد من سواها تقليدا أعمى لا يجر إليها نفعا ولا يدفع عنها ضررا، وإنما يظهرها بمظهر الضعف والتبعية وينسيها ما كان عليه أسلافها ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، فالتاريخ اليومي يبدأ من غروب الشمس، والشهري يبدأ من الهلال



والسنوي يبدأ من الهجرة. هذا ما جرى عليه المسلمون وعملوا به واعتبره الفقهاء في كتبهم في حلول آجال الديون وغيرها.

عاشوراء والهجرة النبوية من أيام الله تعالى

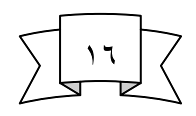
قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ إبراهيم: ٥ ـ ٦.

ربنا سبحانه يكلف موسى عليه السلام ، أن يخرج قومه من الظلمات إلى النور ؛ من ظلمات الذل والاستضعاف ، إلى نور العزة والكرامة والريادة بحمل راية التوحيد وإقامة الدين . وخلال ذلك ، ولأجل تحقيق ذلك ، يطلب منه أن يذكرهم بأيام الله .

والأيام كلها أيام الله لكن هذه الأيام لها خصوصية إذ تجلت فيها قدرة الله تعالى ، فنصر القلة المستضعفة ، وقصم الكثرة المتجبرة ، أو خذلها وردها بغيظها . إنها أيام ربما سبقها يأس وإحباط واستسلام لظن المستضعفين أنه لا قبل لهم بالفراعنة والطغاة

وسرعان ما يقوم موسى عليه السلام ، خطيباً في قومه يذكرهم بيوم من أيام الله عظيم ، يوم أنجاهم سبحانه من فرعون وجنوده ، وقد كان آل فرعون يسومونهم سوء العذاب ويذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم . كي يستنهض هممهم ويقوي عزائمهم للمهمة العظيمة التي ستناط بهم من بعد خروجهم من مصر.

ولا يكتفي موسى عليه السلام بهذا التذكير ، بل يجعل من ذلك اليوم العظيم مناسبة سنوية يحتفي بها والمؤمنون معه ليترسخ المعنى ويتعمق في القلوب ،



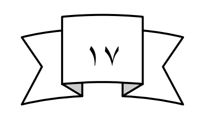
فيصومه عليه السلام ويصومه قومه ، ويستمر الاحتفاء بهذا اليوم وصيامه حتى زمان المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فيسألهم عن صومهم يوم عاشوراء فيقولون : هذا يوم صالح ؛ هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، فيقول النبي عليه السلام : " فأنا أحق بموسى منكم " ، فصامه وأمر بصيامه. والحديث في الصحيحين

والصيام خير معين للتفكر والتدبر والاستحضار فيما تعجز عن ذلك البطون المتخمة ، وانظر كيف قرن ربنا سبحانه بين صوم رمضان ونزول القرآن ، تأكيدا للتلازم بين النفوس الزكية والقلوب التقية والعقول المتفتحة لاستقبال النور الإلهي . فالقرآن الكريم مع أنه ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ البقرة: ١٨٥ مؤمنهم وكافرهم إلا أنه لا يفيد منه إلا المتقون ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ٢ .

وحين يقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصوم التاسع مع العاشر ، فليس ذلك مخالفة لأهل الكتاب وتميزاً عنهم فحسب ، بل لمزيد الاعتناء بهذا اليوم والاستعداد له روحياً وذهنياً .

إن النفوس المستبشرة بنصر الله تعالى وفرجه ، الموقنة بقدرته المنتظرة لرحمته ، هي التي يُرجى تحقق الإنجازات على أيديها ، أما النفوس اليائسة المنقبضة الكئيبة ، التي تبحث عن الحزن ومناسباته ، فليست بالتي يتوقع منها نصر ولا تقدم ولا إنجاز . ولقد أمر الله نبيه أن يدعو المؤمنين فيتجاوزوا عن الذين لا يرجون أيام الله : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ الجاثية: ١٤ ؛ فهم مساكين لا يزال يقعد بهم اليأس فيخشون التحرك للتغيير ، ويخافون الفراعنة بل وربما عاونوهم ضد من يعملون لإنقاذهم ، وأساءوا إليهم .

ولعل ذلك المعنى الكبير . التذكير بأيام الله . هو الذي حدا بالفاروق رضي الله عنه ، وكرام الصحابة في خلافته ، إلى اختيار حدث الهجرة منطلقاً للتأريخ الإسلامي



، رافضين اتباع الروم أو الفرس ، ومؤثرين الهجرة على سائر المناسبات النبوية الأخرى كالمولد والبعثة والوفاة .

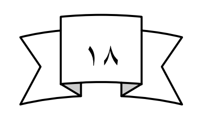
ويشرع صيام شهر محرم؛ لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: " أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" رواه مسلم .

وفي هذا الشهر يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر منه لحديث عَبْد اللّهِ بْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قال: حِينَ صَامَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم : " فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إِنْ شَاءَ اللّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ " قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ. رواه مسلم .

ولصيام هذا اليوم المبارك فضل عظيم كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يُكفّر السنة التي قبله" رواه أحمد ، ومسلم .

وصيام هذا اليوم سنة مؤكدة وليس واجباً؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه" رواه مسلم ، وعن عائشةَ رضيَ اللّهُ عنها قالت: «كان عاشوراءُ يوماً تَصومهُ قريش في الجاهلية، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصومه. فلما قدِمَ المدينةَ صَامَهُ وأمرَ بصيامه، فلما نزلَ رمضانُ كان مَن شاءَ صامه، ومن شاء لا يَصومُه» رواه البخاري .

ويستحب حث الصبيان على صيامه؛ كما في حديث الربيِّع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار :"مَن أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم" قالت: فكنا



نصومه بعد ونصوِّمه صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار. رواه البخاري ، ومسلم .

كما يسن صيام يوم قبله أو بعده؛ لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، وصوموا قبله يوماً أو بعده يوماً" رواه أحمد ، وابن خزيمة .

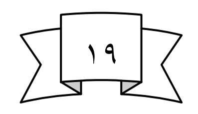
وصيام يوم قبله أو بعده مستحب لا واجب قال ابن القيم – رحمه الله تعالى–: (مراتب صومه ثلاث، أكملها أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر، وعليه أكثر الأحاديث، ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم) زاد المعاد .

وسبب صيام هذا اليوم المبارك ما جاء في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: قدم النبي – صلى الله عليه وسلم– المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: "ما هذا؟ " قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجا الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: " فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه" رواه البخاري .

وأختم بذكر بعض البدع التي أُحدثت في هذا اليوم :

فقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب قيام ليلة عاشوراء ولا أعلم لهم دليلا على ذلك بل هي ليلة كسائر الليالي فمن كانت عادته قيام الليل قامها وإلا فلا يخصها بصلاة.

ومن ذلك بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ، والبكاء، والعطش، وإنشاد المراثي، وما يُفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنهم ، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب بسبب قتل الحسين وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة ، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما



حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم روي البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منَّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية "

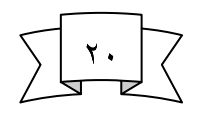
قال ابن رجب – رحمه الله تعالى–: (أما اتخاذه مأتماً كما تفعله الرافضة لأجل قتل الحسين رضي الله عنه، فهو من عمل من ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ولم يأمر الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم) لطائف المعارف .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن والطائفتان مبتدعتان خارجتان على السنة وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصوم ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع) .

وأحدث بعض الناس فيه أشياء مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها مثل فضل الاغتسال فيه أو التكحل أو المصافحة وهذه الأشياء ونحوها من الأمور المبتدعة كلها مكروهة ، وإنما المستحب صومه.

أما حديث "مَن وسَّع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته" فقد رواه البيهقي في الشعب والطبراني في المعجم الأوسط ، والكبير قال حرب: سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث؟ فقال: لا أصل له وليس له إسناد يثبت ، وقال شيخ الإسلام: حديث موضوع مكذوب ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: " ومنها أحاديث الاكتحال يوم عاشوراء والتزين والتوسعة والصلاة فيه وغير ذلك من فضائله لا يصح منها شيء ولا حديث واحد ولا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء غير أحاديث صيامه وما عداها فباطل .

وقفة مع النفس



الأعمار تُطوى، والأجيال تُفنى، والآجال تقضى، كم من الناس من عاش معنا بالأمس، عاجله أجله قبل اليوم، وكم من الناس من يعيش معنا اليوم لن يمهله أجله إلى الغد.

عباد الله: ها نحن هذا اليوم نستقبل عاماً هجرياً جديداً، بعد أن ودعنا عاماً مضى بالأمس، فماذا ادخرنا فيما مضى؟ وماذا أعددنا لما نستقبل؟ هل ادخرنا في صحفنا ما يسرنا أن نراه فيها غداً؟ أم ادخرنا غير ذلك؟!

في استقبال عام وتوديع آخر لابد أن يعلم كل إنسان ويستقر في قلبه أن الدنيا دول، يوم لك ويوم عليك، وأن الأعمار بيد الله عز وجل، وأن الإنسان لا يعلم ما في القدر، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ النمل: ٦٥ ولئن كان الكافر يعيش حياته كالبهيمة، يحيا لدنياه ويموت لها، لا يرجو جنة ولا ناراً، ولا جزاء ولا شكوراً، فإن المسلم يحيا لآخرته، ودنياه تبع لأخراه، وأمله متعلق بالله عز وجل: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ الإسراء: ١٨ – ٢١، وليعلم الإنسان أن الدنيا دار عمل، وأن الآخرة دار الجزاء ولا عمل فيها، فيخلص لله عز وجل، والعمر قصير والأيام تطوى، وعمله سيلاقيه عند لقاء ربه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ الانشقاق: ٦، أي إنك ساعٍ إلى ربك سعياً، وعامل عملاً فملاقيه، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، فيجازيك الله على عملك ويكافئك على سعيك، في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يامحمد عش ماشئت فإنك ميت واعمل ماشئت فإنك مجزى به وأحبب من شئت فإنك

مفارقه " رواه الطبراني و الحاكم في المستدرك وقال :صحيح الإسناد وافقه الذهبي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

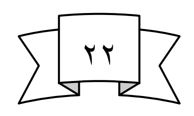
أيها المسلمون: إن السعيد من حاسب نفسه قبل الموت على أعماله في هذه الحياة، هل سلك بأعماله طريق الجنة أم زاغت به نفسه الأمارة بالسوء إلى طريق الجحيم، هل قدّم مراد الله على مراد النفس والهوى، أم قدم هوى نفسه على أوامر الله ورسوله، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر»، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ الحاقة: ١٨ ، وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه.

و قال وهب بن منبه : " مكتوب في حكمة آل داود عليه السلام : حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدق عن نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل ، فإن في هذه الساعة عونا على تلك الساعات وإجماما للقلوب "

عباد الله: ها أنتم الآن في دار المهلة، فماذا أعددتم لما بعدها؟ وهل حاسبتم أنفسكم على أعمالها؟ وهل وقفتم معها موقف الناقد المحاسب الذي يسأل عن كل ما أمامه؟ فإن رأى خيراً أمضاه، وإن رأى غير ذلك رجع إليه وأصلحه .

قاله لقمان الحكيم لولده : أى بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا قد استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة !!

فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها !!



وكان تَوْبةُ بن الصَّمَّة رحمه الله تعالى من أشد الناس محاسبة لنفسه فلما بلغ الستين من عمره تقريباً عد أيام سنواته التى مضت فوجدها تزيد على واحد وعشرين ألف يوم .

فصرخ وقال : يا ويلاه .. يا ويلاه !!

ألقى ربى بواحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفى كل يوم آلاف الذنوب؟!!

والناس صنفان :

صنف حاسب نفسه وانتصر عليها وقهرها وجعلها مطية إلى الجنة !!

وصنف ظفرت به نفسه وانتصرت عليه نفسه وآمرته بالشهوات والنزوات فامتثل أمرها فقادته إلى النار !!

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ النازعات: ٣٧ ــ ٤١.

وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠) ﴾ الشمس: ٧ - ١٠ ، عام مضى وانتهى ولن يعود إلى يوم القيامة فأبعدنا عن الدنيا عاماً .. وقربنا إلى الآخرة عاماً .

فضل المحاسبة قال الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ الحشر: ١٨، قال بعض أهل التفسير: (وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرّد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمدّ ببصره في سطورها كلّها يتأمّلها، وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته لينظر ماذا قدّم لغده في هذه الصفحة. وهذا التأمّل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف ومواضع نقص ومواضع تقصير مهما يكنْ قد أسلف من خير وبذل من جهد؛ فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلاً

ورصيده من البرّ ضئيلاً؟! إنها لمسةٌ لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكفّ عن النظر والتقليب)

ويقول الله . عزّ وجلّ . في وصف المؤمنين الذين يحاسبون أنفسهم عند الزلّة والتقصير ويرجعون عمّا كانوا عليه﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ الأعراف: ٢٠١ ويصف الحسن البصري المؤمن بقوله: (المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله، وإنّما خفّ الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنّما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة)

وقبل أن تحاسب نفسك اعلم ما هي نوع نفسك فأنواع النفس ثلاثة وهى النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء .

قال تعالى فى حق النفس المطمئنة : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ الفجر: ٢٧ - ٣٠ والنفس المطمئنة هي التي اطمأنت بالرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا .

هى النفس التى اطمأنت إلى أمر الله ونهيه .

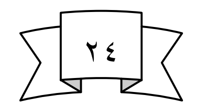
هى النفس التى اطمأنت إلى وعد الله وخافت من وعيده .

هى النفس التى اطمأنت بذكر الله وعبادته وعبوديته .

هى النفس التى اشتاقت لربها جلَّ وعلا .

والنفس اللوامة هى النفس التى قال الله فى حقها بل وأقسم بها فى قوله : ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ ﴾ القيامة: ١ – ٣.

والنفس اللوامة هى التى تلوم صاحبها على الخير والشر .



تلوم صاحبها على الخير لماذا لم تكثر منه ؟!

تلوم صاحبها على الشر لماذا وقعت فيه ؟!

قال الحسن : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه فى كل حالاته ، أما الفاجر فإنه يمضى قدماً لا يعاتب نفسه !!

فالمؤمن يحاسب نفسه ويعاتب نفسه ،و أما الفاجر فيرى نفسه فى أعلى عليين وفى أكمل درجات التمام والكمال .

أما النفس الأمارة بالسوء فهى التى قال فيها : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾يوسف: ٥٣.

وهذه النفس هى التى تأمر صاحبها بالشر والمعصية دوماً !! وتريد أن تخرجه من طريق الهداية إلى طريق الغواية والضلال !!

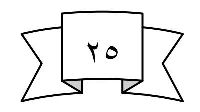
هذه النفس إن أهملها صاحبها وأهمل حسابها قادته إلى الهلاك والخسران فى الدنيا والآخرة .

وإن استعان بالله جل وعلا ووقف لها بالمرصاد وحاسبها محاسبة الشريك الشحيح قادته إلى الفلاح فى الدنيا والآخرة .

فالمسلم إذا حاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب خف فى يوم القيامة حسابه وحضر عند السؤال بين يدى الله جوابه .

والمحاسبة نوعان : محاسبة قبل العمل ومحاسبة بعد العمل .

محاسبة قبل العمل : لمن أعمل ؟ وكيف أعمل ؟!



لماذا عملت ؟! لماذا تكلمت ؟ لماذا صَمَتَّ ؟ لماذا أحببت ؟ لماذا أبغضت ؟ لماذا واليت ؟ لماذا عاديت ؟ لماذا أعطيت ؟ لماذا منعت ؟ لماذا أتيت ؟ لماذا دخلت ؟ لماذا خرجت ؟

هل تبتغى بعملك وجه الله ؟ ثم هل كان عملك هذا موافقا هدى رسول الله r ؟

فالسؤال الأول عن الإخلاص والسؤال الثاني عن المتابعة .

فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص هو ما ابتغيت به وجه الله والصواب هو ما وافقت به هدى الحبيب رسول الله r .

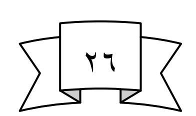
ومحاسبة بعد العمل : إن المؤمن يشمر عن ساعد الجد والطاعة فإن رأى نقصاً أتمه وإن رأى قدمه قد زلّت فى حُفَرِ المعاصي وبرك الذنوب تاب وأناب إلى علام الغيوب .

إن رأى أنه مع الغافلين ومن الغافلين تذكر رب العالمين وعاد إلى الله سبحانه وتعالى فهو يحاسب نفسه على كل شيء !! يحاسب نفسه على ما تكلم به لسانه ، أو مشت رجلاه أو سمعت أذناه .

مصــداقاً لقــول مــولاه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦.

فالمؤمن الصادق هو الذى يحاسب نفسه على كل شىء . المؤمن الصادق دائما يتهم نفسه بالتقصير ولا يرى للنفس فضلا ولا خيراً إلا برحمة الله له .

نماذج من محاسبة السلف لأنفسهم



عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعتُه يقول . وبيني وبينه جدار .:(عمر!! أمير المؤمنين!! بخٍ بخٍ، واللهِ بُنَيّ الخطاب لتتقينّ الله أو ليعذبنّك).

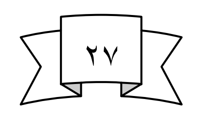
وجاء رجل يشكو إلى عمر وهو مشغول فقال له: (أَتَتْركون الخليفة حين يكون فارغاً حتى إذا شُغِل بأمر المسلمين أتيتموه؟) وضربه بالدرّة، فانصرف الرجل حزيناً، فتذكّر عمر أنه ظلمه، فدعا به وأعطاه الدرّة، وقال له: (اضربني كما ضربتُك) فأبى الرجل وقال: تركت حقي لله ولك. فقال عمر: إما أن تتركه لله فقط، وإما أن تأخذ حقّك) فقال الرجل: تركته لله. فانصرف عمر إلى منزله فصلّى ركعتين ثم جلس يقول لنفسه: (يا ابن الخطاب: كنتَ وضيعاً فرفعك الله، وضالاً فهداك الله، وضعيفاً فأعزّك الله وجعلك خليفةً، فأتى رجلٌ يستعين بك على دفع الظلم فظلمتَه؟!! ما تقول لربّك غداً إذا أتيتَه؟ وظلّ يحاسب نفسَه حتى أشفق الناس عليه).

وقال إبراهيم التيمي: (مثّلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثّلتُ نفسي في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: يا نفس أيّ شيء تريدين؟ فقالت: أريد أن أُردّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً! قلتُ: فأنتِ في الأمنية فاعملي).

وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال: كنتُ أصحبُه فكان عامةُ صلاته بالليل، وكان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحسّ بالنّار ثم يقول لنفسه: يا حنيف! ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعتَ يومَ كذا؟)

ويُحكى أن حسان بن أبي سنان مرّ بغرفة فقال: (متى بنيت هذه؟) ثم أقبل على نفسه، فقال: (تسألين عمّا لا يَعْنيكِ؟! لأعاقبنّك بصيام سنة)، فصامها

وقال عبد الله بن قيس: (كنّا في غزاةٍ لنا فحضر العدو، فَصِيحَ في الناس، فقاموا إلى المصافّ في يومٍ شديد الريح، وإذا رجلٌ أمامي وهو يخاطب نفسَه ويقول:



أيْ نفسي! ألم أشهد مشهد كذا فقلتِ لي: أهلَكَ وعيالك؟!! فأطعتُك ورجعت! ألم أشهد مشهد كذا فقلتِ لي: أهلَكَ وعيالك؟!! فأطعتُكِ ورجعت! واللهِ لأعرضنّكِ اليوم على الله أخَذَكِ أو تَرَكَكِ. فقلت: لأرمقنّكَ اليوم، فرمقته فحمل الناسُ على عدوّهم فكان في أوائلهم، ثم إنّ العدو حمل على الناس فانكشفوا (أي هربوا) فكان في موضعه، حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتِل؛ فواللهِ ما زال ذلك به حتى رأيتُه صريعاً، فعددتُ به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة.

الخطبة الثانية :الهجرة

أما بعد:عباد الله ،نحن في ذكرى الهجرة النبوية التي غيرت مجرى التاريخ وبدلت أحوال العالم، وكانت بارقة الأمل لنور عم بعد طول ظلام، وعدل ساد بعد طول ظلم، فعاد ذلك بالخير على الإنسان الذي انتقل من عبادة الأوثان إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأسياد إلى عدل الإسلام ورحمته؛ هجرة وحدت قلوبا كانت متنافرة، وجمعت أجسادا كانت متفرقة، وحررت رقابا كانت مملوكة، وبعثت للعالمين خير أمة أخرجت للناس.

معاني الهجرة

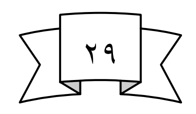
الهجرة لغة هي ترك الشيء إلى آخر أو الانتقال من حالة إلى أخرى أو التنقل من مكان إلى آخر، وهي بهذا تتخذ معنى حسيا وآخر معنويا. أما في الاصطلاح فقد وردت بهذه المعاني في العديد من الآيات والأحاديث مثل:

١- هجرة المعاصي والذنوب: لقوله عز وجل: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ المدثر: ٥، ولقوله صلى الله عليه وسلم "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه"، ولقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩﴾ الصافات: ٩٩.

٢- هجرة الكفار: لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ المزمل: ١٠.

٣- تغيير المكان: لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ النساء: ١٠٠.

وهذه المعاني كلها مازالت صالحة لكل زمان ومكان فما أحوج العبد المومن إلى هجر كل ما يغضب الله عز وجل من فتن وإغراءات وعادات ورعونات وهذه

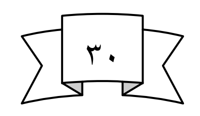


هجرة مفتوحة دائما فقد روى أبو داود بسند صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها"، وهجرة المكان الذي يتسلط فيه حكام ظلمة إن خاف على إيمانه ولم يجد معينا، مطلوبة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ النساء: ٩٧ ثم بين الله تعالى فائدة هذه الهجرة ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) ﴾ النساء: ١٠٠، ولا يعفي الإنسان من هجر الظلم والظالمين إلا نية الجهاد ولهذا قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية" رواه الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وما أحوج المومن إلى عفة اللسان وصون حواسه كلها بتعويدها على هجر ما يغضب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه" رواه البخاري ومسلم وغيرهما ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن معقل بن يسار: "العبادة في الهرج كهجرة إلي".

الهجرة من سنن الرسل الكرام: إن الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعا في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها، وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة.

وذلك أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم



نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات، يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدى على مروءته وكرامته.

أسباب الهجرة النبوية

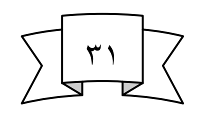
١ - عدم تقبُّل مكَّة للإسلام ابتداءً:

كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حَرِيصًا أشدَّ الحِرص على هِدايَة قومِه ودخولهم دين التوحيد، فاستَعمَل صلَّى الله عليه وسلَّم معهم كلَّ أساليب الرِّفق في الدَّعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ - بشتَّى صُوَرِها، وبالحكمة والموعظة الحسَنَة، وأكبر دليلٍ على ذلك قولُه تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

ولكنَّ قريشًا أَبَتْ إلاَّ أنْ تُحارِب الله ورسولَه، فبحَثَ النبيُّ عن مكانٍ آخَر يكون أكثر استِعدادًا لقبول دعوته، فكان هذا المكان هو يَثْرِب (المدينة المنوَّرة فيما بعدُ).

٢ - استعداد المدينة المنوَّرة لقبول دعوته - صلَّى الله عليه وسلَّم -:

لَقِيَ النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - عند العقَبَة في مَوسِم الحج ستَّة نَفَرٍ من الأنْصار، كلهم من الخَزرَج، فدَعاهُم رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى الإسلام، فكان من صُنْعِ الله لهم أنهم كانوا من جِيران اليهود، فكانوا يَسمَعُونهم يَذكُرون أنَّ الله - تعالى - يَبعَثُ نبيًّا قد أطَلَّ زمانُه، فقال بعضُهم لبعضٍ: هذا والله الذي تُهدِّدكم به يهود، فلا يَسبِقونا إليه، فآمَنُوا به وبايَعُوه، وقالوا: إنَّا قد تَرَكنا قومَنا بيننا وبينهم حروب، فننصَرِف ونَدعُوهم إلى ما دعَوْتَنا إليه؛ فعسى الله أنْ يجمَعَهُم بك، فإن اجتَمعَتْ كلمتُهم عليك واتَّبعوك، فلا أحد أعز منك، وانصَرَفُوا إلى المدينة،



فدعوا إلى الإسلام، حتى فشَا فيهم، ولم تبقَ دارٌ من دُورِ الأنصار إلاَّ وفيها ذِكْرٌ من رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

حتى إذا كان العام المُقبِل قدم مكَّة من الأنصار اثنا عشر رَجُلاً، منهم خمسةٌ من الستَّة السابِقين، وكلهم من الأوس والخزرج جميعًا، فبايَع هؤلاء رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عند العقَبَة بَيْعَةَ النِّساء.

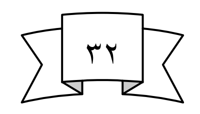
فلمَّا انصَرَفُوا بعَث رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – معهم ابن أمِّ مَكتُوم، ومُصعَب بن عُمَير يُعلِّم مَن أسلَمَ منهم القُرآنَ وشَرائعَ الإسلام، ويَدعُو مَن لم يُسلِم إلى الإسلام، فنَزَل مُصعَب بن عُمَير على أسعد بن زُرارَة.

وخرَج إلى المَوسِم جماعةٌ كبيرةٌ ممَّن أسلَمَ من الأنصار يُرِيدون لقاءَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في جملة قومٍ كفَّار منهم لم يُسلِموا بعدُ، فوافوا مكَّة، وكان في جُملتِهم البَراء بن مَعرُور، فرأى أنْ يستَقبِل الكَعبة في الصَّلاة، وكانت القِبلَة إلى بيت المَقدِس، فصلَّى كذلك طول طَريقِه، فلمَّا قَدِمَ مكَّة نَدِمَ، فاستَفتَى رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال له: " قد كُنتَ على قِبلةٍ لو صَبرتَ عليها"، مُنكِرًا لفعله.

فواعَدُوا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – العقَبةَ من أواسط أيَّام التَّشرِيق، فلَمَّا كانت تلك الليلة دعا كعبُ بن مالكٍ ورجالٌ من بني سلمة عبدَالله بن عَمرو بن حَرام – وكان سيِّدًا فيهم – إلى الإسلام، ولم يكن أسلم، فأسلم تلك الليلة وبايَع. وكان ذلك سِرًّا ممَّن حضَر من كفَّار قومهم، فخرَجُوا في ثُلُثِ الليل الأوَّل مُتَسلِّلين من رِحالهم إلى العقَبَة، فبايَعُوا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – عِندَها على أنْ يمنَعُوه ممَّا يمنَعُون منه أنفُسَهم ونِساءَهم وأبناءَهم، وأنْ يَرحَلَ إليهم هو وأصحابُه.

هكذا كانت المدينة أرضًا خصبة للدعوة والدَّولة الإسلاميَّة بما فيها من عَناصِر الدولة الثلاثة: "الشَّعب، السُّلطة، الدَّولة".

٣ – تعرُّضه – صلَّى الله عليه وسلَّم – لصُنُوفٍ من الإيذاء:

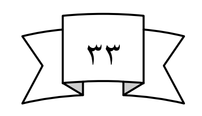


لقد تعرَّض – صلَّى الله عليه وسلَّم – للابتِلاء الشَّديد والمِحَن العَصِيبة؛ فقد آذاه قومُه بكُلِّ أنواع الإيذاء، واستَخدَمُوا معه كلَّ ما استَطاعُوا لإخماد نور وحيِه، والقَضاء على دعوَتِه في مَهدِها، وتمثَّل هذا الإيذاء بنوعَيْه: بالكلام والفعل.

فبالكلام قالوا عنه: "ساحر وشاعر ومجنون"، ومنه: "لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ الشعراء: ٢١٤، صَعِدَ النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – على الصَّفا، فجعَل يُنادِي: " يا بني فِهر، يا بني عَدِيٍّ" – لبطون قُرَيش – حتى اجتمَعُوا، فجعَل الرجل إذا لم يستَطِع أنْ يخرُج أرسَلَ رسولاً لينظُرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقريش، فقال: " أرأيتَكُم لو أخبرتُكم أنَّ خَيْلاً بالوادي تُرِيد أنْ تُغِيرَ عليكم، أكنتم مُصدِّقيَّ؟"، قالوا: نعم؛ ما جرَّبنا عليك إلاَّ صدقًا، قال: " فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ"، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك سائِرَ اليوم، ألهذا جمعتَنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾ المسد: ١ - ٢ " البخاري .

أمَّا بالفعل: فقد روى البخاري من حديث عُروَة بن الزُّبير، قال: "سألتُ ابنَ عمرو بنِ العاص: أخبِرني بأشد شيءٍ صنَعَه المشركون بالنبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: بينا النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُصلِّي في حِجرِ الكَعبة، إذ أقبلَ عُقبَةُ بن أبي مُعَيط، فوَضَع ثوبَه في عُنُقِه، فخَنَقَه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكرٍ حتى أخَذ بمنكبه، ودفَعَه عن النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ غافر: ٢٨ الآية".

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما أيضًا من حديث عمرو بن ميمون: "أنَّ عبدالله بن مسعود حدَّثَه أنَّ النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان يُصلِّي عند البيت، وأبو جهل وأصحابٌ له جُلُوسٌ، إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم يَجِيء بسَلَى جَزُورِ بني فلان، فيضعه على ظهْر محمدٍ إذا سجَد؟ فانبَعَث أشقى القومِ فجاءَ به، فنظَر حتى سجَد النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فوضَعَه على ظَهرِه بين كتفَيْه، وأنا أنظُر لا

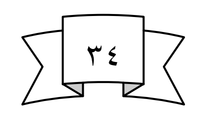


أُغنِي شيئًا، لو كان لي مَنعَة! قال: فجعَلُوا يَضحَكُون ويُحِيل بعضهم على بعض، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ساجدٌ لا يَرفَعُ رأسَه، حتى جاءَتْه فاطمة، فطرحَتْ عن ظهره، فرفَع رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – رأسَه ثم قال: " اللهمَّ عليكَ بقريش " ثلاثَ مرَّات، فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرَوْن أنَّ الدَّعوة في ذلك البلد مُستَجابة، ثم سَمَّى: " اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعُتبَةَ بن رَبِيعة، وشَيْبَةَ بن رَبِيعةَ، والوَلِيد بن عُتبَة، وأميَّة بن خلف، وعُقبَة بن أبي مُعَيط " وعَدَّ السابع فلم يُحفَظ، قال: فوالذي نفسي بيَدِه، لقد رأيتُ الذين عَدَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – صَرعَى، في القَلِيب قَلِيب بدرٍ".

ومن أواخِر المَكِيدات الفعليَّة في مكَّة اتِّفاقُهم على قَتلِه – صلَّى الله عليه وسلَّم – في فِراشِه وهو ما حَكاه أهل السِّيَر؛ حيث اجتَمَع رجالٌ من قريش ذاتَ يومٍ وتشاكَوْا وتشاوَرُوا في أمر النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – وانتَهَى بهم الأمرُ إلى قتْله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فاقتَرَح عليهم أشقى القوم أبو جَهل بن هِشام أنْ يَأخُذوا من كلِّ قبيلةٍ شابًّا فتيًّا جليدًا نسيبًا، ثم يعطوا كلَّ شابٍّ منهم سيفًا فيَضرِبوه – صلَّى الله عليه وسلَّم – ضَربةَ رجلٍ واحدٍ، فيتفرَّق دمُه – صلَّى الله عليه وسلَّم – بين القبائل فلا يقدر بنو عبدمَناف على حَربِهم جميعًا، فنَجَّاه الله منهم بمنِّه وكرَمِه.

٤ – النَّكال وإيقاع العَذاب بكُلِّ مَن آمَن به – صلَّى الله عليه وسلَّم –:

عاشَ المسلمون المؤمنون الفَترةَ التي قضَوْها في مكَّة مُعذَّبين مُضطهَدِين، والكافرون لا يَرقُبون فيهم إلاًّ ولا ذمَّة، وليس لهم من ظَهْرٍ يَحمِيهم، ولا جَيْشٌ يُدافِع عنهم، ولا مَن يَذُبُّ عن بيضَتِهم، فكان لا بُدَّ من خَلاصٍ لهذا الاضطهاد المستمرِّ، وهذا النَّكال المُفظِع، فكانت الهِجرَة إلى المدينة لإقامة المجتَمَع الآمِن لهؤلاء المؤمنين تُمثِّل لهم ضَرُورةً مُلِحَّةً حتى يَعبُدوا ربَّهم في مَأمَنٍ من الكُفرِ وأهلِه.

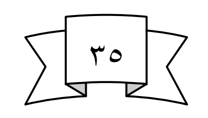


فهذه عائلة "آل ياسر" قد سامَهم الكُفَّار سُوءَ العَذاب من الضَّرب والإهانة وشدَّة التَّعذِيب، حتى إنَّ النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مرَّ عليهم مرَّةً وهم يُعذَّبون فقال لهم – صلَّى الله عليه وسلَّم –: " صَبرًا آل ياسِر؛ فإنَّ مَوعِدَكم الجنَّة".

بل كانت سميَّة أمُّ عمَّار – رضِي الله عنهما – أوَّل شهيدةٍ في سبيل الله في الإسلام.

وبلال الذي أُوذِي إيذاءً شديدًا عندما كانوا يكبُّوه – رضِي الله عنه – على الرَّمضاء في نَهار صيف مكَّة ويضَعُون الحجر على ظَهرِه حتى يَرجِع عن دينه، فلا يزيد إلاَّ أن يقول: أحَدٌ أحَدٌ، حتى مَرَّ به أبو بكرٍ الصِّدِّيق يومًا وهم يصنَعُون به ذلك، وكانت دار أبي بكرٍ في بني جُمَح، فقال لأميَّة: ألاَ تتَّقِي الله في هذا المِسكِين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسَدته فأنقِذه ممَّا تَرَى، قال أبو بكرٍ: أفعَلُ، عندي غلامٌ أسوَدُ أجلَدُ منه وأقوى على دِينِك، أعطيكه به، قال: قد قبلتُ، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكرٍ غُلامَه ذلك، وأخَذ بلالاً فأعتَقَه، ثم أعتَقَ معه على الإسلام قبل أنْ يُهاجِر من مكَّة ستَّ رِقابٍ، بلالٌ – رضِي الله عنه – سابعهم.

وكذا كان من كَيْدِهم أمرُ الصَّحيفة الظالمة والشِّعب؛ وذلك أنَّ كفَّار قريش أجمَعُوا أمرَهم واتَّفَقَ رأيُهم على قتْل رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقالوا: قد أفسَدَ أبناءَنا ونساءَنا، فقالوا لقومه: خُذُوا مِنَّا ديَةً مُضاعَفة ويقتُلُه رجلٌ من غير قُرَيش وتُرِيحوننا وتُرِيحون أنفُسَكم، فأبى قومُه بنو هاشم من ذلك، فظاهرَهُم بنو المطَّلب بن عبد مَناف، فأجمَعَ المشركون من قريش على مُنابَذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعب، فلمَّا دخَلُوا إلى الشِّعب أمَر رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مَن كان بمكَّة من المؤمنين أنْ يَخرُجوا إلى أرض الحبشة، وكان متجرًا لقريش، فكان يُثنِي على النجاشي بأنَّه لا يُظلَم عنده أحدٌ، فانطَلَق إليها عامَّة مَن آمَن بالله ورسوله، ودخَل بنو هاشم وبنو المطَّلِب شِعبَهم، مؤمنهم وكافرهم؛ فالمؤمن دينًا والكافر حميَّة، فلمَّا عرفَتْ قريش أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قد منَعَه قومُه أجمَعُوا على

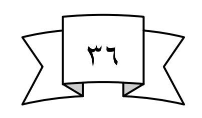


ألاَّ يُبايِعوهم، ولا يَدخُلوا إليهم شيئًا من الرِّفق، وقطَعُوا عنهم الأسواق، ولم يَترُكوا طَعامًا ولا إدامًا ولا بَيْعًا إلاَّ بادَرُوا إليه واشتروه دُونَهم، ولا يُناكِحوهم ولا يقبَلُوا منهم صُلحًا أبَدًا، ولا تأخُذُهم بهم رأفةٌ حتى يُسلِموا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – للقَتْل، وكتَبُوا بذلك صحيفةً وعلَّقُوها في الكعبة، وتمادَوْا على العمل بما فيها من ذلك ثَلاث سِنين، فاشتدَّ البَلاءُ على بني هاشم في شِعبِهم وعلى كلِّ مَن معهم، فلمَّا كان رأس ثلاث سِنين تَلاوَم قومٌ من قُصيٍّ ممَّن ولدَتْهم بنو هاشم ومن سواهم، فأجمَعُوا أمرَهم على نقْض ما تعاهَدُوا عليه من الغدر والبَراءة، وبعَث الله على صَحِيفتهم الأرَضَة فأكَلتْ ولحسَتْ ما في الصَّحيفة من مِيثاق وعَهد".

٥ – الهجرة وضَرُورة إقامة الدَّولة الإسلاميَّة:

"رأي النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّه مكلَّفٌ برسالةٍ عالميَّة وليست محليَّة أو قوميَّة، وأنَّ هذه العالميَّة لرسالته لم تكن طُموحًا خاصًّا، يتطلَّع النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى تَحقِيقه وهو يعلَمُ أنَّ السبيل إلى ذلك شاقٌّ وعسير قِياسًا بما لقيه من مُحاوَلات نشر الدَّعوة داخل المحيط الضيِّق الذي لم يتعدَّ قبيلتَه أو القبائل المُجاوِرة في مكَّة وما يُحِيط بها، بيد أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – استَشعَر مسؤوليَّة قولِ الله – تعالى –: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ المائدة: ٦٧، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨.

من أجْل هذا أحسَّ النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنَّ تحقيق عالميَّة رسالته لا تَأتِي إلاَّ من خِلال نِظامٍ سياسيٍّ وكيانٍ اجتماعيٍّ يَحمِيها نظامٌ عسكري في مَوطِنٍ أمين، أو بالأَحرَى من خِلال دولةٍ تكفُل لهذه الدَّعوة حَقَّ الانتشار والذُّيوع، وتَحمِي أتباعها وتُؤمِّنهم؛ ومن ثَمَّ تطلَّعَ النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلى تَحقِيق ذلك؛ إذ "سرعان ما نَجِدُه – صلَّى الله عليه وسلَّم – يتحرَّك صَوْبَ الخروج إلى مكانٍ جديد



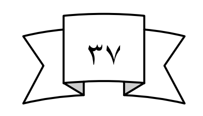
يَصلُح لصياغة الطاقات الإسلاميَّة في إطار دَولةٍ تأخُذ على عاتِقِها الاستمرارَ في المهمَّة بِخُطًى أوسَع، وإمكانات أعظم بكثيرٍ من إمكانات أفراد تَتْتابُهم شُرور الوثنيَّة من الداخِل، وتضغَطُ عليهم قِيَمُ الوثنية من الخارج، ويَصرِفُ طاقتهم البنَّاءة اضطِهاد قُرَيش بدَلاً من أنْ تَمضِي هذه الطاقات في طَرِيقِها المرسوم؛ لذلك استمرَّ على بذْل الجهد البشري الكامل في البَحث والتَّخطِيط للهِجرة التي ستعقبُ دَولةً، وللدَّولة التي ستعقب أنصارًا...".

٦ - الهجرة من سُنَنِ الأنبياء:

"لَمَّا كانت الهجرة أمرًا مهمًّا لإعلان شأن الدِّين، وللحصول على الحريَّة الكاملة لعِبادة الله وطاعَتِه، ولأنها لا تحدُث إلاَّ عن حربٍ ومُضايقَةٍ من أعداء الله لأوليائه - لذلك أطلَعَ الله نبيَّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - على بعضِ هِجرات الأنبياء من قبلُ؛ لأنَّ الهجرة مَطلَبٌ دعوي تقتَضِيه طَبِيعَة النبوَّة والرِّسالة ونشر الدَّعوة، وربما هذا الأمر هو الذي حمَل بعضَ الأنبياء على الهجرة، فلم يكن محمدٌ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أوَّل مَن هاجَر من وطَنِه ومَسقَط رأسه مكَّة من أجل الدَّعوة الإسلاميَّة، وإيجادًا لبيئةٍ خصبةٍ تتقبَّلها وتستَجِيب لها، بل تَذُود عَنها، فإنَّ بعضَ إخوانه الأنبياء - عليهم جميعًا أفضلُ الصَّلوات وأزكى التَّسليمات - قد هاجَرُوا قبلَه من أوطانهم لينشُرَ كُلٌّ منهم دَعوتَه".

فهذا نوحٌ - عليه السلام - قال الله - تعالى - عنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠.

وباستِواء السَّفِينة على الجُودِيِّ انتَهَتْ مَرحَلَةٌ من مَراحِل مُهمَّة من الصِّراع بين الحق والباطل، وجاءَ الأمر الرَّباني: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود: ٤٨.



وإبراهيم – عليه السلام – كانت دعوته أصلاً بأرض العِراق، إلاَّ أنَّه كانت له هِجراتٌ إلى الشام ومصر وأرض الحِجاز؛ قال – تعالى – حاكيًا عن هِجرَة إبراهيم إلى الشام بعد نَجاته من مُحاوَلة تحريقه بالنار: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ الأنبياء: ٦٨ - ٧١، وهذه الأرض هي الأرض المقدَّسة بفلسطين.

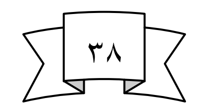
وهذا كَلِيمُ الرحمن موسى – عليه السلام – كانت له كذلك هِجراتٌ قبل بعثته وبعدَها، فقد هاجر قبل بعثته عندما قتل القبطي خَطَئًا؛ فخرج منها خائفًا يترقَّب، وهاجر بعد بعثته بعد أنْ كذَّبَه فرعون وقومه؛ فأمَرَه ربُّه – سبحانه وتعالى – بالهجرة قائلاً له: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ طه: ٧٧ - ٧٩.

هكذا رأينا أنَّ هذه الأسباب كلَّها مجتمعةً كانت دافِعًا قويًّا وأكيدًا لهجرة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابه من مكَّة إلى المدينة المنوَّرة، فخَرَج منها – صلَّى الله عليه وسلَّم – مُهاجِرًا، وكان قيامُ دولة الإسلام.

تحالف المشركون على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ولا يخاطبوهم ولا يكون بينهم وبينهم شيء حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المقاطعة الظالمة

ثم تقاسموا على الكفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فشلهم في كل العروض التي عرضوها على عم الرسول أبي طالب من أن يصرف ابن أخيه عن دعوته أو أن يعطوه فتى من أجمل فتيان قرش ويسلم لهم محمدا وكلما اشتد

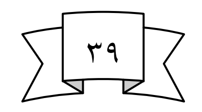


الإيذاء على رسول الله واشتدت عداوتهم له كلما كشف الله عنهم الكرب الشداد ها هو سيدنا حمزة بن عبد المطلب في ظل هذه الظروف يدخل في الإسلام وبعده بثلاثة أيام يدخل عمر بن الخطاب بعد دعوة الرسول له، ففكروا في هذه المقاطعة الظالمة قطعوا عنهم الطعام، والمادة فلم يكونوا يتمكنوا من ذلك إلا من الموسم إلى الموسم، وهكذا جنَّد الله من المشركين مَن يدخلوا ليلاً بالطعام والحنطة عليهم، ومنهم هشام بن عمرو بن ربيعة، وظل عمه أبو طالب في حمايته يضطجع رسول الله على فراشه ويضطجع هو أحد أبنائه مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نقضت الصحيفة الظالمة لما أذن الله ومحَّص قلوب المؤمنين ثم مات أبو طالب عم النبي وحاميه، وماتت خديجة بنت خويلد المرأة التي أحبها رسول الله ودافعت عن الدين وضحت بكل ما تملك .

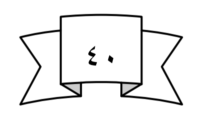
وعند ذلك أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة

والهجرة هجرتان: هجرة من مكة إلى الحبشة وكانت مرتين المرة الأولى كانت سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما اشتد إيذاء أهل قريش للنبي وصحابته ولم يشأ الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله عليهم وكان صلى الله عليه وسلم يواسي أصحابه ويأمرهم بالصبر حتى ضاقت عليهم مكة واشتد أذي الكفار لهم وهنالك أذن النبي لأصحابه " بالهجرة إلى أرض الحبشة وقال لهم: إن بها ملكا لا يظلم الناس عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه وهاجر اثني عشر رجلاً وأربع نسوة وكانت هذه أول هجرة في الإسلام وأقاموا عند النجاشي بخير دار في أحسن جوار. امنوا فيه على دينهم وأنفسهم.

فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وهما عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ودار حوار طويل وكان من جملة ما قاله جعفر بن عبد الله للملك قال " أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة



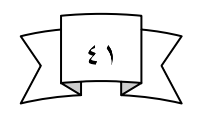
ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة........ فعدَّد عليه أمور الإسلام ثم قال فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فغدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على مَن سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء قالت فقال له جعفر نعم قالت فقال له النجاشي فاقرأه فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تتلى عليهم ثم قال: النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فو الله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد قالت أم سلمة فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لأتينه غدا أعيبهم عنده بما استأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبد قالت ثم غدا عليه فقال أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم ما يقولون فيه قالت فأرسل إليهم يسألهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها واجتمع القوم فقال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى بن مريم فقال له جعفر بن أبي طالب " نقول فيه الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم . هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها



إلى مريم العذراء البتول " قال فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا. رواه أحمد

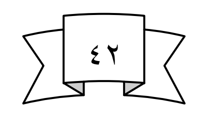
ولما سمع الصحابة المهاجرون في الحبشة . من أمر سورة النجم وأن النبي قارب قومه ودنا منهم ودنو منه وكفوا آذاهم عنه . وكان قد صاحب نزول سورة النجم فتنة عظيمة . أحدثها الشيطان فألقى في مسامع قريش كلمات في مدح آلهتهم كقوله " وإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " وأظهر الشيطان تلك الكلمات حتى بلغت أرض الحبشة وبلغهم أن المشركين سجدوا مع المسلمين فقال المهاجرون إذا كانوا قد آمنوا فلنرجع إلى عشائرنا أحب إلينا فخرجوا حتى كان بينهم وبين مكة ساعة من نهار فلقوا ركبانا من الناس فسألوهم فعلموا أنها فتنة؛ فدخل بعضهم مكة مستخفيا وبعضهم بجوار. غير ابن مسعود مكث يسيرا ولم يدخل مكة ثم رجع إلى أرض الحبشة. واشتد البلاء على المسلمين وعظمت المواجهه فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الخروج إلى أرض الحبشة، فقال عثمان ابن عفان: نهاجر ولست معنا ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام أنتم مهاجرون إلى الله وإلي. لكم هاتان الهجرتان جميعا، فقال عثمان حسبنا يا رسول الله؛ فهاجروا إلى الحبشة ثانيا راضين بحكم الله فرحين بإقبالهم عليه، وفقرهم إليه، وسياحتهم في سبيله، مستبشرين خيراً بنصره لهم وتأييده لنبيهم مؤمنين أنهم على الحق . ولا بد للحق أن يعلو وينتصر . وكان جملة مَن هاجر ثلاث وثمانون رجلا.

الخروج إلي الطائف لما مات أبو طالب عم النبي وخديجة زوج الرسول اشتد الأذى على رسول الله وصحابته ففكر النبي في الخروج من مكة عساه أن يجد مَن يستمع لدعوته ويؤويه فخرج إلى الطائف ومكث بها شهرا وقيل عشرة أيام . يدعوهم إلى الإسلام . لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه فلم يستجيبوا له ولم يجد منهم خيرا وخافوا على أبنائهم وقالوا له يا محمد اخرج من بلدنا والحق ببلدك و لما مر الرسول جعلوا يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى أدمو كعبه وألجاؤه إلى حائط لعتبة ابن



ربيعة وشيبة ابن ربيعة وهما فيه فعمد إلى ظل فرع من عنب فجلس إليه وهو مكروب متوجع تسيل رجلاه دما وابنا ربيعة ينظران إليه فلما راءاهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهم لله ورسوله فلما اطمأن قال " اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس !! يا أرحم الراحمين ! أنت رب المستضعفين وأنت ربي ! إلي من تكلني ؟؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي. ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

فلما رآه ابنا ربيعة ، عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عداس ، فقالا له : خذ قطفا (من هذا) العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال له : كل ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس ، قالا له : ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي



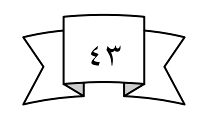
لما رجع الرسول إلى مكة وهو حزين فلما كان بنخلة وهي على قرب من مكة قام يصلي من الليل فصرف الله إليه سبعة من الجن فاستمعوا إليه ولم يشعر بهم وآمنوا به وأنزل الله فيهم قرآنا يتلى قال الله تعالي : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩)﴾ الأحقاف: ٢٩.

ويلي ذلك بيعة العقبة الأولى حيث عرض النبي نفسه ودعوته على القبائل وفي المواسم على الأفراد والجماعات وتمت بيعة العقبة الأولى في منى وكان ذلك في السنة الثانية عشر من النبوة وكان عدد المبايعين اثنا عشر رجلا

وفي العام التالي كانت بيعة العقبة الثانية وكان عدد المبايعين للرسول ولدعوته سبعون رجلا وكان ذلك أعظم تمهيد لهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام

ثم فكر في الخروج وخطط له بخطط ناجحة وممكنة فذهب إلى أبي بكر كما في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريت دار هجرتكم رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر مَن هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى المدينة بعض مَن كان هاجر إلى أرض الحبشة .

أما قريش فإنها كانت ترقب الموقف على وجل، فإنها تفاجئ كل يوم بهجرة رجل أو رجلين أو عائلة، بل إن بعض الفروع من القبائل قد هاجرت بكاملها، وخلت كثير من ديار مكة من سكانها، وقد أثر ذلك في قريش وزعمائها ،فما منهم من أحد إلا وله قريب أو ابن مهاجر مما مزقهم بين الحب الفطري لأبنائهم وأقاربهم وبين كراهيتهم وتغيظهم على هذا الدين الذي تسبب في هذا الفراق – من وجهة نظرهم،



وإلا فإن جهلهم وعنادهم هو السبب في كل ما يحدث – كما أن انتشار الإسلام في الجزيرة سيسلب قريشا زعامتها التي تكتسبها من رعايتها للكعبة؛ لأن الإسلام أيضا يدعو لتعظيم البيت الحرام، كما سيقضي على تجارة بيع الأصنام والخمور وعلى الربا والبغاء .

ولم يكن يخفى على قريش أن الهجرة تمت إلى المدينة المنورة، بدليل ذهاب أبي جهل لإرجاع أخيه عياش بن أبي ربيعة من هناك، ولم تكن هجرة المؤمنين راحةً لأهل مكة المشركين، أبدًا، كان المشركون يدركون أن المسلمين يهاجرون لبناء أمة مسلمة في المدينة المنورة، ولو تمَّ ذلك فلا شك أنهم سيعودون إلى مكة، لا لمجرد السكن فيها، ولكن لحكمها، ووقت يحكمونها فلن يقبلوا أن يظل العرب وغيرهم يتحاكمون إلى(هُبَل) وسدنته، بل سيُحكِّمون رب العالمين كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال ثلاثة عشر عاما قضاها في مكة لهذا الغرض؛ ولذلك كان المشركون في أشد حالات اضطرابهم وقلقهم، أضف إلى ذلك علم أهل قريش ببأس الأوس والخزرج، وأنهم من أهل القتال وأن المدينة حصينة جدًا، وأن المدينة تقع على طريق القوافل التجارية لأهل قريش والمتجهة من وإلى الشام، ومن ثمَ فإن المدينة تستطيع أن تخنق مكة اقتصاديًا، وكانت مكة تتاجر بربع مليون دينار من الذهب سنويًا مع الشام في رحلة الشتاء، وفوق كل ذلك فالطامَّة الكبرى لو آمنَ اليهود، وانضمت قوتهم إلى قوة المسلمين، وقد كان اليهود ذوي قوة كبيرة عسكريا وماديا، والعقل كان يرجح إسلام اليهود؛ لأنهم أهل كتاب ويؤمنون بالأنبياء، غير أن اليهود لا عقل لهم.

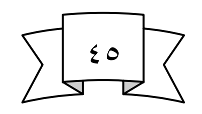
كل هذه الأمور جعلت أهل قريش في حيرة من أمرهم، وقد علموا أنه كلما مرَّ الوقت اقتربت ساعة الصفر التي سيغزو فيها المؤمنون مكة، لكن زعماء قريش كانوا يدركون أيضًا أن ساعة الصفر هذه لن تكون إلا بعد أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، ويوحد صفوفه، ويجهز جيوشه، ثم يأتي من جديد إلى

مكة، إذن فحجر الزاوية في الموضوع هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والوسيلة الوحيدة لوقف خطر المؤمنين الداهم هو السيطرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن كيف؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم القبيلة العزيزة الشريفة؟!

مجلس شورى قريش يقرر اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم.

احتار القرشيون المشركون، فقرروا عقد اجتماع عاجل لكبار الزعماء في مكة لتدارس هذا الأمر، وذلك في دار الندوة، المقر الرئيس لاجتماعات قريش .

وفي صباح يوم الخميس ٢٦ صفر من السنة الرابعة عشر للبعثة تم عقد أخطر اجتماع في تاريخ دار الندوة، و كان اجتماعًا طارئًا حضره ممثلون عن كل القبائل القرشية عدا بني هاشم، لأنه لم يكن مسموحًا لأحد من غير قريش أن يدخل دار الندوة، ولم أجد دليلًا صحيحًا يؤكد القصة التي جاء فيها أن إبليس قد حضر معهم الاجتماع في صورة الشيخ النجدي، وإن كان– في رأيي– أنه أحيانًا تسبق شياطين الإنس بأفعالها شياطين الجن، ألم تروا أن الله عز وجل قد قدم ذكر شياطين الإنس في عداوتهم للأنبياء على شياطين الجن فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١١٢ ، تم الاجتماع الآثم، وبدأت الأفكار الإجرامية تخرج من زعماء قريش، وتطرح للمداولة، منهم من اقترح أن يقيدوه في بيته بالحبال، فلا يستطيع هجرة ولا حراكًا، ومنهم من اقترح نفيه خارج مكة إلى مكان بعيد، وكانت هذه الأفكار الإجرامية تخرج من الطائفة التي يسمونها بالمعتدلين من زعماء قريش، لكن كانت هناك طائفة أشد إجرامًا وهي ما يسمونها بالطائفة المتشددة، قال رجل من هذه الطائفة– لعله أبو جهل– لا بد من قتل هذا الرجل، يقصدون محمدًا صلى الله عليه وسلم، ووافقت هذه الفكرة هوى عند المعظم، فقلوبهم السوداء كانت تحترق غيظًا



وحسدًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن لم يكن عندهم الشجاعة للنطق بمثل هذا الرأي، وفوق ذلك فهم يخشون من بني هاشم، غير أن أبا جهل خرج عليهم بفكرة شيطانية، وهي أن يختاروا من كل قبيلة في مكة شابًا قويًا، فيحاصرون بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا تجد بنو هاشم أمامها حلًا إلا قبول الدية في قتيلها؛ فليست لهم طاقة بحرب كل القبائل.

صوَّت الحاضرون على القرار، وسألهم أبو جهل: موافقون؟ قالوا: موافقون.

وخرج زعماء قريش ينتقون من قبائلهم العناصر التي ستقوم بتنفيذ العملية الإرهابية لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه الكريم فقال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠.

الخطبة الثالثة : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ووضع الخطة

أما بعد:عباد الله ،نزل جبريل عليه السلام فورًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بأمر الجريمة التي تدبر له، وقال له: لا تبت في فراشك الليلة، وأمره بالهجرة، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل: من يهاجر معي؟ قال :أبو بكر الصديق. وذلك كما جاء في مستدرك الحاكم بسند صحيح.

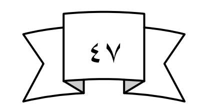
علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخطة قريش، وعلم أن موعد التنفيذ سيكون في فجر اليوم الثاني، ولذلك لا بد من الإسراع في أخذ الخطوات اللازمة للهجرة.

تعالوا نَعِشْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه اللحظات النادرة، وهو يدبر ويخطط ويرتب لعملية من أخطر العمليات في التاريخ الإسلامي، إنه يريد أن يخرج من مكة هو والصديق رضي الله عنه دون أن يشعر بهما أحد، بل بدون أن يشعر أحد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم بأمر الجريمة التي تدبر له حتى لا يعجل الكفار بجريمتهم، لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إني رسول الله وسوف يرعاني الله ويحفظني، بل أخذ بكل الأسباب الممكنة لإنجاح عملية الهجرة الخطرة، كانت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة مشاكل أراد أن يدبر لها حلًا:

أولًا: إنه يريد أن يذهب للصديق رضي الله عنه ليخبره بأمر الهجرة، ولكن دون أن يراه أحد.

ثانيًا: هل يا ترى سيكون الصديق جاهزًا لهذه الهجرة المفاجئة، والتي ستكون بعد ساعات فقط؟

ثالثًا: لا شك أن الكفار سيأتون لحصار بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو اكتشفوا هجرته فسيتبعونه خارج مكة، ولو خرجوا خلف الرسول صلى الله عليه وسلم



مباشرة فسيكون احتمال اللحاق به كبيرًا، فكيف يؤجل رسول الله عليه وسلم حركة المطاردة المشركة له؟

رابعًا: في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانات كان القوم يحفظونها عنده، وسبحان الله كان أهل مكة المشركون لا يجدون من هو أكثر أمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحفظوا عنده أماناتهم، وذلك مع شدة عدائهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم على درجة هائلة من الأمانة بحيث إنه في هذا الموقف الخطير مازال مشغولًا برد الأمانات، ولم يقل إنها أموال الأعداء، يجوز الاستيلاء عليها، بل ظل محافظًا على العهد الذي بينه وبينهم.

على الفور بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر في حل هذه المشاكل فقرر أولًا أن يذهب إلى الصديق ليخبره بأمر الهجرة ولكن في تكتم شديد، فخرج في وقت الظهيرة، وهو وقت لم يعتد فيه أن يذهب إلى الصديق، وفي ذات الوقت هو وقت تخلو فيه شوارع مكة من المارة لشدة الحر، والأمر الثاني الذي قرره صلى الله عليه وسلم هو جَعْل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقوم بمهمة مزدوجة، هذه المهمة هي أن ينام في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الليلة، وقد تغطى ببردة رسول الله عليه وسلم، فإذا جاء المشركون ونظروا من ثقب الباب وجدوا عليًا نائمًا في غطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه الرسول صلى الله عليه وسلم، أي إنها عملية تمويه وإخفاء، وبهذا يعطي الرسول صلى الله عليه وسلم الوقت الكافي للابتعاد عن مكة، وإلى جانب هذه المهمة الخطرة فإنه على عليٍّ رضي الله عنه أن يعيد الأمانات إلى أصحابها في اليوم التالي. فلا تضيع حقوق أحدٍ من المشركين.

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنفيذ خطته بسرعة، فخرج من الظهيرة متجهًا إلى بيت الصديق رضي الله عنه، وزيادة في التخفي فإن الرسول صلى الله عليه وسلم غطى رأسه ببعض الثياب، فلو رآه أحد من بعيد ما أدرك بسهولة أنه رسول الله عليه وسلم، ثم دخل الرسول صلى الله عليه وسلم على الصديق في هذه

الساعة التي ما جاء فيها إلى الصديق من قبل طيلة الأعوام السابقة حتى إن ذلك لفت نظر الصديق رضي الله عنه، فقال كما تحكي السيدة عائشة رضي الله عنها وكما جاء في صحيح البخاري : فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ.

وحتى هذه اللحظات والصديق لا يعلم أنه سيهاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ:"أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ. زيادة في الحذر"

فقال الصديق في اطمئنان:إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ " فقال أبو بكر، وقلبه يكاد ينخلع من اللهفة: الصُّحْبَةُ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

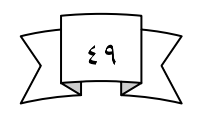
يعني هل سأصحبك في هذه الرحلة؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " نَعَمْ"

هنا لم يستطع أبو بكر رضي الله عنه أن يتمالك نفسه من شدة الفرح، فبكى!!...

سبحان الله، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فَلَمْ أَكُنْ أَدْرِي أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي.

فبكى من شدة الفرح؛ لأنه سيخرج في هذه الهجرة الخطرة، بل شديدة الخطورة، لا شك أن الصديق رضي الله عنه كان يقدر خطورة هذه الرحلة، ولا شك أنه كان يعلم أنه سيكون من المطلوبين بعد ذلك، وقد يقتل، لكن كل ذلك لم يؤثر فيه مطلقًا، إنه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا لا يوصف، يحبه أكثر من حب الأم



لولدها، هل لو تعرض الابن لخطر ما، أتتركه أمه دون رعاية خوفًا على نفسها من الخطر؟ مستحيل، الصديق كان أكثر من ذلك، كان هذا حبًا حقيقيًا غير مصطنع، لازمه في كل لحظة من لحظات حياته، منذ آمن وإلى أن مات رضي الله عنه، حتى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما تغير حبه في قلب الصديق أبدًا، وبهذا الحب وصل الصديق رضي الله عنه إلى ما وصل إليه، وقبل أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وسيلة الانتقال إلى المدينة، إذا بالصديق رضي الله عنه يقول: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هاَتَيْنِ.

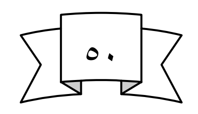
كان الصديق رضي الله عنه يتوقع أن يكون صاحبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فاشترى راحلة أخرى غير راحلته، وبدأ يعلف الراحلتين استعدادًا للسفر الطويل، فلما جاء موعد السفر كان الصديق جاهزًا تمامًا لم يجهز نفسه فقط، بل جهز راحلتين، له ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض أن يأخذ الراحلة إلا بثمنها، فَقَالَ: بِالثَّمَنِ.

نعم الصديق أنفق معظم ماله على الدعوة، ولكن كان ذلك لإعتاق العبيد وللإنفاق على الفقراء، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يريد من أحد أن ينفق عليه هو شخصيًا، فأصر أن تكون الراحلة مملوكة له بماله.

فما عناصر هذه الخطة؟

أولًا: سيخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته في أول الليل، ويأتي إلى الصديق في بيته؛ وذلك لتجنب الحصار الذي سيفرض حتمًا على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: سيبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت الصديق رضي الله عنه جزءًا من الليل، حتى تهدأ الحركة في مكة تمامًا، وهنا سيأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق الراحلتين وينطلقان في الرحلة.



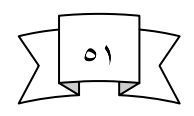
ثالثًا: سيكون الخروج من بيت الصديق من خلال خوخة (فتحة) في خلف البيت؛ لأنه من المحتمل أن تكون هناك مراقبة لباب البيت، فقد يتوقع المشركون أن يخرج الصِّدِّيق الصاحب الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم معه إلى الهجرة.

رابعًا: ستتم الهجرة إلى المدينة عن طريق ساحل البحر الأحمر وهو طريق وعر غير مألوف لا يعرفه كثير من الناس، وليس هو الطريق المعتاد للذهاب إلى المدينة، وذلك حتى يضمنوا الاختفاء عن أعين المشركين.

خامسًا: سيتم استئجار دليل يصحبهم في هذه الرحلة؛ لأن الطريق غير معروف، والضياع في الصحراء أمر خطير، ولا بد أن يكون هذا الدليل ماهرًا في حرفته، أمينًا على السر، وفي ذات الوقت لا يشك المشركون في أمره، وقد اتفق الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصديق على أن يكون هذا الرجل هو عبد الله بن أريقط، وهو من المشركين وهذا في منتهى الذكاء، فالمشركون لن يشكوا مطلقًا في أمره إذا رأوه سائرًا في خارج مكة، وهو في ذات الوقت رجل أمين يكتم السر، وهو رجل في النهاية صاحب مصلحة، فقد اسْتُؤجر بالمال، ولا شك أن أجرته كانت مجزية.

سادسًا: سيتجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في أول الهجرة إلى الجنوب في اتجاه اليمن لمسافة خمسة أميال كاملة أي حوالي ثمانية كيلو مترات، وهى مسافة كبيرة، مع أن المدينة في شمال مكة وليست في جنوبها، ولكن ذلك إمعانًا في التمويه؛ لأن المشركين إذا افتقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنهم سيطلبونه في اتجاه المدينة وليس في اتجاه اليمن.

سابعًا: سيتم الذهاب إلى غار ثور في جنوب مكة، وهو غار غير مأهول في جبل شامخ وعر الطريق، صعب المرتقى، وسيبقيان في هذا الغار مدة ثلاثة أيام كاملة، ولن يتحركا في اتجاه المدينة إلا بعد انقضاء هذه الأيام الثلاثة، حين يفقد أهل



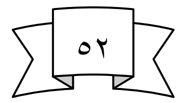
قريش الأمل في العثور عليهم، فيكون ذلك أدعى لأمانهم، وسوف يتركان الراحلتين مع عبد الله بن أريقط الدليل، على أن يقابلهما عند الغار بعد الأيام الثلاثة.

ثامنًا: سيقوم عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بدور المخابرات الإسلامية في هذه العملية الخطيرة، فهو سيذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه كل يوم بأخبار مكة، وتحركات القرشيين، وردود الأفعال لخروج الرسول صلى الله عليه وسلم، وسوف يأتي في أول الليل، وسيبقى مع الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق طوال الليل ثم يعود إلى مكة قبل الفجر، ويبيت هناك، ثم يظهر نفسه للناس، فلا يشك أحد في أنه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه.

تاسعًا: سيقوم عامر بن فهيرة رضي الله عنه مولى الصديق رضي الله عنه بدور التغطية الأمنية لهذه العملية، وذلك برعي الأغنام فوق آثار أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه، ثم فوق آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بعد ذلك، حتى يضيع على المشركين فرصة تتبع آثار الأقدام.

عاشرًا: ستقوم السيدة الفاضلة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها بدور الإمداد والتموين لهذه العملية الصعبة، فهي ستحمل الطعام والماء، وتتجه به كل يوم إلى غار ثور إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيها الصديق رضي الله عنه، وستقوم السيدة أسماء بهذا الدور؛ لأنه لن يشك أحد في أمر امرأة تسير في الصحراء، وخاصة أنها كانت في الشهور الأخيرة من حملها، وتخيل معي كيف لامرأة حامل في شهورها الأخيرة أن تحمل الطعام والشراب، وتسير به مسافة ثمانية كيلو مترات في الصحراء، ثم تصعد الجبل الصعب الذي به غار ثور، وتفعل ذلك ثلاثة أيام متواصلة!!...

قد تظن هذا الأمر عجيبًا، لكن يزول العجب عندما تعلم أنها قد تربت في بيت الصديق رضي الله عنه.



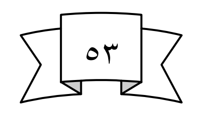
وبذلك استنفد الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه وسعهما في إنجاح الخطة، ورفعا أيديهما إلى الله عز وجل أن يكتب لهما النجاة.

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته بعد وضع الخطة المحكمة، وجهز نفسه، واستقدم عليا رضي الله عنه لينام مكانه، وأعطاه برده الأخضر ليتغطى به، وعرفه بالأمانات وأصحابها، ثم جاء وقت الرحيل، والذهاب إلى بيت الصديق رضي الله عنه، ولكن اكتشف رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاجأة، أحاط المشركون ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إحاطة كاملة، وجاءوا قبل الموعد الذي ظن رسول الله صلى الله عليه سلم أنهم يجيئون فيه.

لقد استنفد الرسول صلى الله عليه وسلم الوسع في الخطة هو والصديق رضي الله عنه، ولكن الطابع المميز لخطط البشر أنها لا تصل إلى الكمال، لا بد من ثغرات في الخطط البشرية، لكن إذا كنت مستنفدًا وسعك الحقيقي فإن الله عز وجل يسدُّ هذه الثغرات بمعرفته، ويكمل العجز البشري بقدرته، لكن دون أخذٍ بالأسباب بكل الأسباب الممكنة لا يسد الله هذه الثغرات، ولا يكمل هذا العجز، هذا لا يكون توكلًا على الله، بل تواكلا، وشتَّانَ بين التوكل والتواكل.

ماذا يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف الحرج، عشرات السيوف تحيط بالبيت، والقرار ليس الحبس والمحاكمة، بل لقد صدر الحكم فعلًا بالقتل، وهم قد جاءوا للتنفيذ، ماذا يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

لقد نزل الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمئنه، ويأمره بالخروج وسط المشركين دون خوف ولا وجل، فسوف يأخذ الله عز وجل بأبصارهم، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة المباركة، ليلة ٢٧ من صفر سنة ١٤ من النبوة، وهو يقرأ صدر سورة يس، من أولها إلى قوله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ يس: ٩ ، وإمعانًا في السخرية من

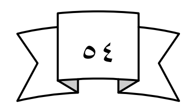


المشركين، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب، ووضع جزءًا منها على رأس كل مشرك يحاصر بيته، وهم لا يشعرون، ثم انطلق إلى بيت الصديق رضي الله عنه لاستكمال تنفيذ الخطة، فهي بحمد الله إلى الآن تسير على ما يرام.

كان من الممكن أن يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم من البيت قبل قدوم المشركين، لكن الله عز وجل أراد ذلك لإثبات أن الأمر كله بيد الله عز وجل، وأنه دون توفيق الله عز وجل لا يتم أمر من الأمور، وأيضا ظهرت المعجزة الظاهرة في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى الناحية الأخرى كان من الممكن أن يأخذ الله عز وجل أبصار المشركين فلا يقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أذى طيلة حياته، ولكن هذا لم يحدث، لقد أُلقي على ظهره سلا الجزور، ورحم الشاه، وسب بأفظع الألفاظ، ورجم بالحجارة في الطائف، وأصيب في أحد أكثر من إصابة، لم يأخذ الله عز وجل بأبصار المشركين في كل هذه المواقف، ليُعلّم المسلمين طبيعة الطريق، فطريق المسلم فيه كثير من الإيذاء، وكذلك فيه كثير من الأخذ بعيون المشركين، وعيون أعداء الله عز وجل، يحدث ذلك مع كل المؤمنين، نعم يكون الأمر واضحًا كمعجزة مع الأنبياء، لكن قد يفعله الله عز وجل مع المؤمنين دون أن يطلع الناس عليه، فيأخذ عنهم أبصار أعدائهم، ويكفينا في ذلك قول الله عز وجل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج: ٣٨ .

ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يحاصرون البيت، وفيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانطلق إلى الصديق رضي الله عنه، ومكث عنده إلى منتصف الليل، ثم خرجا من الخوخة الخلفية في البيت، واتجها جنوبًا إلى غار ثور، ووصلا إليه بالفعل، واستكشف أبو بكر رضي الله عنه الغار أولًا ليرى إن كان به أي شيء يضر، فلما وجده آمنًا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار، وتم الجزء الأول من الخطة بنجاح.



نعود إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمشركون يحاصرونه، وعلي رضي الله عنه نائم بداخله، وبينما هم على هذه الحالة، مر عليهم رجل من المشركين لم يكن معهم؛ فقال لهم قولًا خطيرًا، لقد قال لهم: ماذا تنتظرون هنا؟ قالوا: محمدًا. قال: خيَّبَكم الله، قد والله خرج عليكم محمد. إذن الرجل شاهد محمدًا صلى الله عليه وسلم في مكان آخر، فمع كل الاحتياط والحذر إلا أن هناك رجلًا لمح محمدًا صلى الله عليه وسلم وهو في طريق الهجرة، ولكن يبدو أنه لم يكن يعلم بتخطيط قريش فلم يأبه لرؤيته، فلما سمع القوم ذلك انزعجوا، وزاد من انزعاجهم التراب الذي وجدوه على رءوسهم، في إشارة واضحة إلى أنه مر عليهم فلم يشاهدوه، وفي هذا معجزة ظاهرة، ولكنهم كانوا قد عميت أبصارهم وبصائرهم، قام المشركون بسرعة ينظرون من ثقب الباب فوجدوا عليًا ينام في الفراش وهو يتغطى ببردة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: والله إن هذا محمدا نائم.

فتحير القوم، فقام فيهم من يقترح أن يقتحموا البيت على هذا النائم، ولكن اعترض معظمهم على ذلك، أتدرون لماذا؟

لقد قالوا: والله إنها لسُبة في العرب أن يتُحدثَ عنا أنْ تسورنا الحيطان على بنات العمِّ، وهتكنا سترَ حرمتنا.

سبحان الله، كفار مكة لا يهتكون ستر البيوت، لا يقتحمون حرمات الديار.

وانتظر المشركون إلى الصباح حتى قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فراشه، فرآه القوم، وأسقط في أيديهم، وأمسكوه يجرونه إلى البيت الحرام ويضربونه ، ثم أطلقوه، فمكث رضي الله عنه في مكة ثلاثة أيام يرد الأمانات إلى أهلها، ثم انطلق مهاجرًا إلى المدينة المنورة.

قريش تعلن حالة الطوارئ

أعلنت حالة الطوارئ القصوى في مكة، استنفار عام لكل العناصر المشركة، واتخذت السلطة في مكة القرارات الآتية:

القرار الأول: مداهمة منزل أبي بكر الصديق المتهم بصحبة زعيم المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي كان يتولى شئون الإنفاق على المسلمين فمن المحتمل أن يكون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مازال مختبئًا في بيته، أو لعل الرسول – صلى الله عليه وسلم – هاجر بمفرده، وأبو بكر يعرف طريقه، فلا بد من التأكد من ذلك، وقد قام بهذه المهمة أبو جهل بنفسه ومعه فرقة من المشركين، ذهب إلى بيت الصديق وطرق الباب بشدة، وفتحت السيدة أسماء رضي الله عنها، فقال لها في غلظة: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟

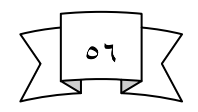
قالت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده ولطم خدها حتى أطار قرطها، فعلة شنيعة من سيد مكة، لكنه لم يفكر أن يدخل البيت ليقلب محتوياته رأسًا على عقب، ليفتش عن الصديق رضي الله عنه أو الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ليجد أي دليل يشير إلى مكانهما، لماذا لم يفعل ذلك؟ كفار مكة لا يهتكون حرمات البيوت.

كان هذا هو القرار الأول الذي اتخذه زعماء قريش، وهو البحث عن الصديق.

القرار الثاني: هو إحكام المراقبة المسلحة على كل مداخل ومخارج مكة، فلعل الرسول صلى الله عليه وسلم مازال مختبئًا في أحد البيوت في مكة.

القرار الثالث: إعلان جائزة كبرى لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم أو صاحبه الصديق رضي الله عنه، تعطى الجائزة لمن يأتي بأحدهما حيًا أو ميتًا، والجائزة هي مائة ناقة، وهذا رقم مهول في ذلك الزمن.

القرار الرابع: استخدام قصاصي الأثر لمحاولة تتبع آثار الأقدام في كل الطرق الخارجة من مكة.



وسبحان الله، مع كل طرق التأمين التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه، ومع كون الخطة بارعة جدًا ومحكمة جدًا، إلا أنه كما ذكرنا من قبل: ليس طابع الخطط البشرية أن تصل إلى حد الكمال، لا بد من ثغرات، اكتشف القصاصون الطريق الذي سار فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، ووصلوا إلى الجبل الصعب الذي به غار ثور، وصعدوا الجبل، ووصلوا إلى باب غار ثور.

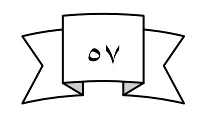
لم يبق إلا أن ينظروا فقط إلى داخل الغار، والغار صغير جدًّا.

الرسول يجلس في داخل الغار في سكينه تامة، وكأنه يجلس في بيته، والصديق رضي الله عنه في أشد حالات قلقه واضطرابه، يقول الصديق رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم في يقين: " مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا : ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ التوبة: ٤٠ .

روى الإمام أحمد والطبراني وعبد الرازق والخطيب أن عنكبوتا قد نسج خيطًا كثيفًا حول الباب، وهذه معجزة ظاهرة، فقال الكفار: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه.

وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا من كل طرقه إلا أن كثرة طرقه يقوى بعضها بعضًا فترفعه إلى درجة الحديث الحسن، أما قصة الحمامتين وقصة الشجرة التي نبتت على باب الغار فهي قصص ضعيفة جدًا لا تصح، وأنا أرى أنه حتى لو لم تصح قصة نسج العنكبوت فهذا إعجاز أيضًا من رب العالمين، إذ كيف لا ينظر الناس في داخل الغار مع كونه مفتوحًا، فسواء نسجت العنكبوت خيوطها أو لم تنسج فهذا دفاع من رب العالمين، والنتيجة واحدة: نجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه من هذه المطاردة المكثفة.



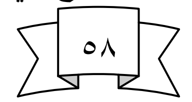
مكث الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثة أيام كما كان مقررًا في الخطة المرسومة، وقام كل من عبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة، وأسماء بنت أبي بكر بدوره، وحان وقت الرحيل إلى المدينة، وجاء عبد الله بن أريقط الدليل بالناقتين في الوقت المتفق عليه، وجاء بناقة ثالثة له، وجاء معه أيضًا عامر بن فهيرة ليرافق الراكب المهاجر إلى المدينة، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من الغار ليلة غرة ربيع الأول من سنة ١٤ من النبوة، والصديق رضي الله عنه يسير أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ثم يسير خلفه تارة، وهكذا طوال الطريق، ولما تنبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك سأله عن ذلك فقال الصديق رضي الله عنه في حب عميق: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْكُرُ الطَّلَبَ (المطاردة) فَأَمْشِي خَلْفَكَ، ثُمَّ أَذْكُرُ الرَّصَدَ (الكمائن) فَأَمْشِي بَيْنَ يَدَيْكَ.

يتمنى أن لو جاء سهم أن يدخل في ظهره أو في صدره، ولا يمس رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء.

سراقة بن مالك وسواري كسرى

وهكذا سارت القافلة المباركة من مكة إلى المدينة، وعلى الجانب الآخر نشط الكفار في تحفيز أهل مكة جميعًا للقبض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه، ونشط الوصوليون، و أصحاب المصالح، والراغبون في الثراء السريع، وبحثوا في كل مكان، ولم يوفقوا جميعًا إلا واحدًا...إنه سراقة بن مالك

بعض الناس رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو هكذا ظنوا، فذكروا ذلك أمام سراقة فضللهم عنه ليفوز هو بمائة الناقة، ثم أمر بفرسه وسلاحه وخرج في إثر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى رآهم من بعيد، واقترب منهم حتى كان يسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلتفت كما يقول سراقة وكما جاء في البخاري، وأبو بكر يكثر الالتفات، ثم حدثت المعجزة بأن بدأت أقدام الفرس تسوخ في الأرض، مرة والثانية والثالثة، حتى



أدرك سراقة أن القوم ممنوعون، فاقترب منهم وقد سألهم الأمان، وأخبرهم أن القوم قد جعلوا فيهم الدية، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَخْفِ عَنَّا". ثم قال له قولًا عجيبًا، قال: "كَأَنِّي بِكَ يَا سُرَاقَةُ تَلْبَسُ سُوَارَيْ كِسْرَى"

فطلب سراقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتابًا بذلك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة أن يكتب له كتابًا ؛ فكتب له على رقعة من جلد، وعاد سراقة يبعد الناس عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول لهم: قد كفيتكم هذا الطريق، فكان في أول اليوم جاهدًا في مطاردة الرسول صلى الله عليه وسلم، و في آخر اليوم مدافعًا عنه، وسبحان الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١ ، وسبحان الله، مرت الأيام، وأسلم سراقة بعد فتح مكة وحنين، وفتحت بلاد فارس وجاءت الغنائم في عهد عمر بن الخطاب، وفيها سوارا كسرى، فأخرج سراقة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه لعمر رضي الله عنه، فأعطاه عمر رضي الله عنه سواري كسرى تنفيذا لوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ النجم: ٤ - ٥ .

الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة

وما أن وصل النبي المدينة في ضحى يوم الإثنين، الموافق (١٢ من ربيع الأول للسنة الأولى من الهجرة الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م) حتى بدأ العمل الجاد، والسعي الدءوب، حتى أكمل رسالته على نحو لا مثيل له في تاريخ الإنسانية.

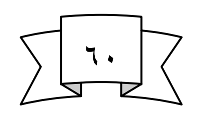
ولم تكن يثرب عندما نزلها النبي صلى الله عليه وسلم مدينة بالمعنى المعروف، وإنما كانت واحات متفرقة في سهل فسيح تسكنها قبائل الأوس والخزرج والجماعات اليهودية، فنظّم العمران بالمدينة، وشق بها طرقا معبّدة، وكان المسجد هو الأساس في هذا التنظيم، انتظم حوله عمران المدينة الجديدة، واتسقت شوارعها.

وكان هذا المسجد هو مقر الرئاسة الذي تقام فيه الصلاة، وتُبرم فيه كل الأمور، وتُعقد به مجالس التشاور للحرب والسلم واستقبال الوفود، وبجوار المسجد اتخذ النبي مساكنه، وكانت متصلة بالمسجد، بحيث يخرج منها إلى صلاته مباشرة، وأصبح من السُنّة أن تُبْنى المساجد وبجوارها بيوت الولاة ودواوين الحكم.

ثم أصلح النبي ما بين الأوس والخزرج وأزال ما بينهما من عداوة، وجمعهما في اسم واحد هو الأنصار، ثم آخى بينهم وبين المهاجرين على أساس أن المؤمنين إخوة، وكانت المرة الأولى التي يعرف فيها العرب شيئا يسمى الأخوة، دون قرابة أو صلة رحم، حيث جعل كل رجل من المهاجرين يؤاخي رجلا من الأنصار، فيصير الرجلان أخوين، بينهما من الروابط ما بين الأخوين من قرابة الدم.

وبعد المؤاخاة كانت الصحيفة، وهي الدستور الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم لتنظيم الحياة في المدينة، وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانها، هذه الوثيقة لم يُمْلِها النبي صلى الله عليه وسلم إملاء، وإنما كانت ثمرة مناقشات ومشاورات بينه وبين أصحابه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وكلما استقروا على مبدأ قام الرسول بإملاء نصه على علي بن أبي طالب، وشيئا فشيئا اكتملت الوثيقة، وأصبحت دستورا للجماعة الجديدة، ولا يكاد يُعرف من قبل دولة قامت منذ إنشائها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فإنما تقام الدول أولا، ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور.

وأدت هذه السياسة الحكيمة إلى قيام جماعة متآلفة متحابة، وإلى ازدياد عدد سكان المدينة حتى زاد عدد سكانها عما كانوا عليه أكثر من خمس مرات، بعد أن أقبل الناس على سكناها؛ طلبا للأمن والعدل في ظل الإسلام، والتماسًا لبركة مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم واستجابة لما دعا إليه القرآن من الهجرة إلى الله وإلى رسوله.

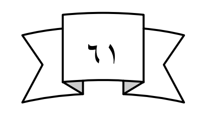


الخطبة الرابعة : الهجرة دروس وعبر

أما بعد:عباد الله ،ما أروع ان نقف لحظات ننظر في دروس الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وننظر بعمق في فصول الهجرة ودروسها، ونتعلم منها جوانب مضيئة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. هذا النبي الكريم، والرسول العظيم الذي لم يخرج من مكة مهاجرا الى المدينة المنورة إلا بعد أن أذن له الله عز وجل بذلك، وبعد أن صبر وتحمل واحتسب وعانى ماعاناه من البلايا والرزايا والأذى من أهله وذويه، ثم ممن حوله من الذين كرهوا ان تظهر كلمة الله عز وجل، وان تكون كلمته سبحانه وتعالى هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

والعقلاء من الناس هم الذين يحرصون على اغتنام فرص المناسبات الاسلامية ليقفوا عندها ويتدبروا في اسرارها ومعانيها، ثم ليستفيدوا من كل تلك الجوانب العطرة في السيرة النبوية الشريفة في هذا المجال، وذلك لأن هذه الدروس تساعد على تتبع جوانب السيرة النبوية العطرة، وأخذ الدروس منها والتعرف عليها وتعلمها ومتابعة احداثها وبالتالي تعليم أولادنا وتلاميذنا ومن حولنا جوانب من تلك الاسرار في مثل هذه المناسبات العظيمة.

ومن ينظر في قضية الهجرة النبوية الشريفة يلاحظ ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان متعلقا بمكة المكرمة، هذه المدينة الطيبة الطاهرة، وقد احبها وولد فيها، وعاش ونشأ وترعرع فيها، وتنزل عليه الوحي من الله عز وجل في غار حراء بهذه المدينة الطيبة، فقد قال صلى الله عليه وسلم وهو يخرج منها مهاجرا قولته المشهورة: "اللهم وقد اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في أحب البقاع اليك" وهذا ابن عمر رضي الله عنه يقول حدثني الضحاك بن عثمان، أخبرني عبد الله بن عبيد عن عمير قال سمعت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته وهو واقف على راحلته وهو يقول: "والله انك لخير الأرض،



وأحب الأرض الى الله، ولولا اني أخرجت منك ما خرجت". قال فقلت ياليتنا نفعل فأرجع اليها فانها منبتك ومولدك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت ربي عز وجل فقلت: اللهم انك اخرجتني من احب أرضك الي، فانزلني أحب الأرض اليك، فأنزلني المدينة".

فكانت الهجرة الى المدينة بأمر الله وباختيار الله، وهو سبحانه الذي أكرمه وحماه وحفظه من المكاره التي احاطت به، والمؤامرات التي حاكها أعداء الله له وأخذوا يتربصون به.

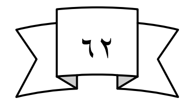
ولا شك ان الحبيب صلى الله عليه وسلم قد أكرمه الله بالهجرة من حرم الى حرم، وكلا المدينتين ذات فضل وبركة وهما احب المدن الى الله تعالى، ثم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ففي الأولى كانت نشأته، والثانية كانت اليها الهجرة وفيها مضجعه الأخير.

لا يمكن حصر الدروس المستفادة والعبر المستقاة من حدث الهجرة النبوية لأنها تتنوع من وقت لآخر، من شخص لآخر، ومن مكان لآخر، ولكن لا بأس من التذكير ببعضها فقط.

فوائد ودروس وعبر من الهجرة :

١- درس في البذل والتضحية: حيث ترك الصحابة أغلى ما يملكون، وأعز ذكرياتهم ليهاجروا إلى مكان جديد لا علم لهم به، ولا فكرة مسبقة عنه، والجانب الثاني من الدرس المهاجر إليهم الذين تقاسموا معهم ما يملكون وفي هذا قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩ .

٢- معية الله عز وجل: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠، فالله عز



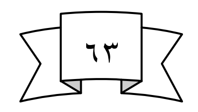
وجل لا ينسى نبيه صلى الله عليه وسلم كما لا ينسى عباده المومنين : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾ الحـج: ٣٨، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ النحل: ١٢٨، وهذا ما انطبق على حادث الهجرة، حيث يقول الله عز وجل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة: ٤٠.

وهذا ما وقع لموسى عليه السلام حيث قال قومه : ﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ ، فقال موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ الشعراء: ٦٢.

فهذا اليقين هو الذي يورث الثبات والنبات، ولا يتصور فلاح بدون يقين في الله وموعوده : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤.

٣- عدم تعلق القلب بشيء آخر غير الله عز وجل: في حادث الهجرة درس بليغ حيث قال صلى الله عليه وسلم "إنك من أحب بلاد الله إلى قلبي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت"، وهذا طبيعي فيها نشأ صلى الله عليه وسلم وترعرع، وفيها نزل عليه صلى الله عليه وسلم الوحي، ولكن رغم ذلك لم يستكين إلى حبها وفضل حب الله عز وجل ورضاه ودعا ربه" اللهم وقد أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكني في أحب البقاع إليك". وهذا درس بليغ.

روى الإمام أحمد عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيرا فأقم"، بل



إن الله عز وجل توعد من لم يفعل ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء: ٩٧.

٤- إن مع العسر يسرا: العبرة بالخواتيم، والدنيا دار ابتلاء، والمومن معرض دائما للاختبار، ولكن الله عز وجل يختار للمومن خير الدنيا والآخرة، ويختم له بالحسنى وزيادة، فمهما أصابه من قرح فإن بعده فرح، وإن مع العسر يسرا، وفي الهجرة النبوية درس بليغ لذلك حيث بدل الصحابة أهلا خيرا من أهلهم، وبارك لهم في مكان جعله طاهرا لهم، وفي هذا درس بليغ.

٥- الإيمان بالمعجزات الحسية: وفي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك –على ما روي– نسيج العنكبوت على فم الغار، ومنها ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى، فعلى الدعاة ألا يتنصلوا من هذه الخوارق، بل يذكروها ما دامت ثابتة بالسنة النبوية على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته عليه السلام.

٦- جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم، ما داموا يثقون بهم ويأتمنونهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ودفعا إليه راحلتيهما وواعده عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وثقا به وأمناه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة، قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة

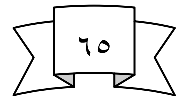
القديمة أو الجوار، أو عمل معروف، كان قد قدمه الداعية لهم، أو لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية، مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص.

٧- دور المرأة في الهجرة:

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماء كثيرة كان لها فضل كبير ونصيب وافر من الجهاد: منها عائشة بنت أبي بكر الصديق التي حفظت لنا القصة ووعتها وبلغتها للأمة، وأم سلمة المهاجرة الصبور، وأسماء ذات النطاقين التي ساهمت في تموين الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله؟ فقد حدثتنا عن ذلك فقالت: «لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر – رضي الله عنه – أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا...».

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم! وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: «والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه»، قالت: «كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: «فوضع يده عليه»، فقال: «لا بأس، إذا كان ترك الكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم»، «قالت:ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك».

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكنت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقًّا هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ، إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف



الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت إلى سفافها فضرب بهم للبيت المسلم مثالاً عز أن يتكرر، وقل أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلا، هُن في أمس الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله.

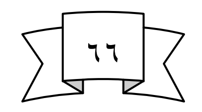
وظلت أسماء مع أخواتها في مكة لا تشكو ضيقاً، ولا تظهر حاجة، حتى بعث

النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسوده بنت زمعة زوجه، وأسامة بن زيد، وأمه بركة، المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان.

٨- أمانات المشركين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب، الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم، وصدق الله العظيم: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣.

وفي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي – رضي الله عنه – بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن



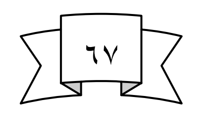
يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلا عن غيره.

٩- الراحلة بالثمن: لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر - رضي الله عنه -، واستقر الثمن ديناً بذمته، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء. إن يدهم إن لم تكن العليا، فلن تكون السفلى، وهكذا يصر عليه السلام أن يأخذها بالثمن، وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٩.

إن الذين يحملون العقيدة والإيمان، ويبشرون بهما ما ينبغي أن تمتد أيديهم إلى أحد إلا الله؛ لأن هذا يتناقض مع ما يدعون إليه، وقد توعد الناس أن يعوا لغة الحال لأنها أبلغ من لغة المقال، وما تأخر المسلمون، وأصابهم ما أصابهم من الهوان إلا يوم أصبحت وسائل الدعوة والعاملين بها خاضعة للغة المادة، ينتظر الواحد منهم مرتبه، ويومها تحول العمل إلى عمل مادي فقد الروح والحيوية، وأصبح الأئمة موظفين.

إن الصوت الذي ينبعث من حنجرة وراءها الخوف من الله والأمل في رضاه، غير الصوت الذي ينبعث ليتلقى دراهم معدودة، فإذا توقفت توقف الصوت، وقديما قالوا: ليست النائحة كالثكلى، ولهذا قل التأثير، وبعد الناس عن جادة الصواب.

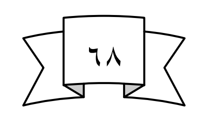
١٠- الداعية يعف عن أموال الناس: لما عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن سراقة عرض عليه سراقة المساعدة فقال: وهذه كنانتيفخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حاجة لي فيها".



فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس عنهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى.

١١- الجندية الرفيعة والبكاء من الفرح: تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأبو بكر – رضي الله عنه – عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة «فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، وفي رواية البخاري، «وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر- وهو الخبط- أربعة أشهر»، لقد كان يدرك بثاقب بصره – رضي الله عنه –، وهو الذي تربى ليكون قائدا، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة؛ ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح، وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: «فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ»، إنها قمة الفرح البشري أن يتحول الفرح إلى بكاء.

فالصديق – رضي الله عنه – يعلم أن معنى هذه الصحبة، أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض، ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق، مع قائده الأمين، حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الهجرة الخطيرة، وهو



يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبضة المشركين، ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض، فرارا من الحرج أو الكذب،؛ لأن الهجرة كانت سراً وقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، وفي موقف علي بن أبي طالب مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي – رضي الله عنه – ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي – رضي الله عنه –، ولكن علياً – رضي الله عنه – لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الأمة وقائد الدعوة.

١٢– فن قيادة الأرواح، وفن التعامل مع النفوس: يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. وهذا الحب الرباني كان نابعاً من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق، أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع، ومن أسباب هذا الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهرليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في

أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه شيء من هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسؤولين في أمة الإسلام.

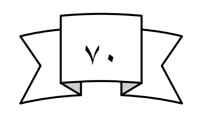
إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان صلى الله عليه وسلم رحيماً وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبقَ إلا المستضعفون والمفتونون ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة.

١٣- الصراع بين الحق والباطل: صراع قديم وممتد، وهو سنة إلهية نافذة قال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠.

ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾ المجادلة: ٢١.

مكر خصوم الدعوة بالداعية: أمر مستمر متكرر، سواء عن طريق الحبس أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، وعلى الداعية أن يلجأ إلى ربه وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، كما قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠.

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حيًّا أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة



الخاسرة ماديًّا بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمَّي الطريق عن الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة قال تعــــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال: ٣٦.

١٤- إن من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائمًا، وأن التخطيط جزء من السنّة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم وأن الذين يميلون إلى العفوية، بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنّة أمثال هؤلاء مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين.

فعندما حان وقت الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم وشرع النبي صلى الله عليه وسلم في التنفيذ نلاحظ الآتي:

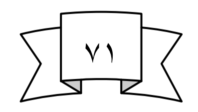
*وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت، رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة وافية، فمثلا:

أ- جاء صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر في وقت شديد الحر- الوقت الذي لا يخرج فيه أحد- بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

ب- إخفاء شخصيته صلى الله عليه وسلم أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم.

ج- أمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يُخرِج مَنْ عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

د - وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر.



هـ- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، ولو كان ذلك الخبير مشركاً ما دام على خلق ورزانة، وفيه دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها.

* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تترابط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

* وضع كل فرد من أفراد هذه الأسرة في عمله المناسب، الذي يجيد القيام به على أحسن وجه ليكون أقدر على أدائه والنهوض بتبعاته.

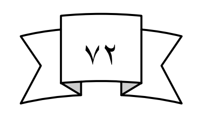
* فكرة نوم علي بن أبي طالب مكان الرسول، فكرة ناجحة، قد ضللت القوم وخدعتهم، وصرفتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى خرج في جنح الليل تحرسه عناية الله وهم نائمون، ولقد ظلت أبصارهم معلقة بعد اليقظة بمضجع الرسول صلى الله عليه وسلم فما كانوا يشكون في أنه ما يزال نائماً، مسجى في بردته في حين النائم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيرا محكما:

أ- علي :- رضي الله عنه - ينام في فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليخدع القوم، ويُسلِّم الودائع ويلحق بالرسول.

ب- وعبد الله بن أبي بكر: صاحب المخابرات الصادق، وكاشف تحركات العدو.

جـ- وأسماء ذات النطاقين: حاملة التموين من مكة إلى الغار، وسط جنون المشركين بحثاً عن محمد صلى الله عليه وسلم ليقتلوه.



د- وعامر بن فهيرة: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم، لقد كان هذا الراعي يقوم بدور الإمداد والتموين.

هـ- وعبد الله بن أريقط: دليل الهجرة الأمين، وخبير الصحراء البصير، ينتظر في يقظة إشارة البدء من الرسول، ليأخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب.

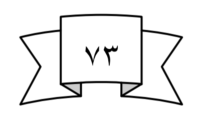
فهذا تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف.

لقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسباب المعقولة أخذًا قويًّا حسب استطاعته وقدرته.. ومن ثم باتت عناية الله متوقعة.

إن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائماً حصول النتيجة، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيئته ومن هنا كان التوكل أمراً ضرورياًّ وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعد كل الأسباب، واتخذ كل الوسائل ولكنه في الوقت نفسه مع الله، يدعوه ويستنصره أن يكلل سعيه بالنجاح، وهنا يستجاب الدعاء، وينصرف القوم بعد أن وقفوا على باب الغار، وتسيخ فرس سراقة في الأرض ويكلل العمل بالنجاح.

١٥- من وقائع الهجرة إلى المدينة تبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم ما أقام بمكان إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها أربعة أيام، وبنى مسجدا في منتصف الطريق بين قباء والمدينة لما



أدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن الوادي « وادي رانوناء». ولما وصل إلى المدينة، كان أول عمل عمله بناء مسجد فيها.

وهذا يدلنا على أهمية المسجد في الإسلام، وعبادات الإسلام كلها تطهير للنفس، وتزكية للأخلاق، وتقوية لأواصر التعاون بين المسلمين، وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، مظهر قوي من مظاهر اجتماع المسلمين، ووحدة كلمتهم، وأهدافهم، وتعاونهم على البر والتقوى، لا جرم أن كان للمسجد رسالة اجتماعية وروحية عظيمة الشأن في حياة المسلمين، فهو الذي يوحد صفوفهم، ويهذب نفوسهم، ويوقظ قلوبهم وعقولهم، ويحل مشاكلهم، وتظهر فيه قوتهم وتماسكهم.

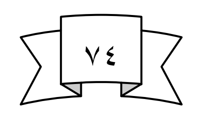
ولقد أثبت تاريخ المسجد في الإسلام أن منه انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية لغمر الأرض بهداية الله، ومنه انبعثت أشعة النور والهداية للمسلمين وغيرهم، وفيه ترعرعت بذور الحضارة الإسلامية ونمت، وهل كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخالد، وسعد، وأبو عبيدة وأمثالهم من عظماء التاريخ الإسلامي إلا تلامذة المدرسة المحمدية التي كان مقرها المسجد النبوي.

وميزة أخرى للمسجد في الإسلام أنه تنبعث منه في كل أسبوع كلمة الحق مدوية مجلجلة على لسان خطيبه، في إنكار منكر أو أمر بمعروف، أو دعوة إلى خير أو إيقاظ من غفلة، أو دعوة إلى تجمع، أو احتجاج على ظالم، أو تحذير لطاغية.

١٦- أن من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه:

فلما ترك المهاجرون ديارهم، وأهليهم، وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم، لما تركوا ذلك كله لله، أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا، وملّكهم شرقها وغربها.

١٧- في مؤخاة الرسول بين المهاجرين والأنصار أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية الأخلاقية البناءة، فالمهاجرون قوم تركوا في سبيل الله أموالهم



وأراضيهم، فجاءوا المدينة لا يملكون من حطام الدنيا شيئا، والأنصار قوم أغنياء بزرعهم وأموالهم وصناعتهم، فليحمل الأخ أخاه، وليقتسم معه سراء الحياة وضراءها، ولينزله في بيته مادام فيه متسع لهما، وليعطه نصف ماله ما دام غنيا عنه، موفرا له، فأية عدالة اجتماعية في الدنيا تعدل هذه الأخوة؟.

١٨- وضوح سنة التدرج:

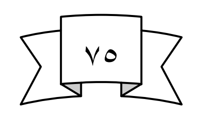
حيث نلاحظ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تقابل مع طلائع الأنصار الأولى لم يفعل سوى ترغيبهم في الإسلام وتلاوة القرآن عليهم، فلما جاءوا في العام التالي بايعهم بيعة النساء على العبادات والأخلاق والفضائل، فلما جاءوا في العام التالي كانت بيعة العقبة الثانية على الجهاد والنصر والإيواء.

وجدير بالملاحظة أن بيعة الحرب لم تتم إلا بعد عامين كاملين، أي بعد تأهيل وإعداد استمر عامين كاملين، وهكذا تم الأمر على تدرج، ينسجم مع المنهج التربوي الذي نهجت عليه الدعوة من أول يوم.

إنه المنهج الذي هدى الله نبيه إلى التزامه، ففي البيعة الأولى بايعه هؤلاء الأنصار الجدد على الإسلام عقيدة ومنهاجًا وتربية، وفي البيعة الثانية بايعه الأنصار على حماية الدعوة واحتضان المجتمع الإسلامي الذي نضجت ثماره واشتدت قواعده قوة وصلابة.

إن هاتين البيعتين أمران متكاملان ضمن المنهج التربوي للدعوة الإسلامية، وإن الأمر الأول هو المضمون، والأمر الثاني، وهو بيعة الحرب، هو السياج الذي يحمي ذلك المضمون، نعم كانت بيعة الحرب بعد عامين من إعلان القوم الإسلام وليس فور إعلانهم.

بعد عامين إذ تم إعدادهم، حتى غدوا موضع ثقة، وأهلاً لهذه البيعة، ويلاحظ أن بيعة الحرب لم يسبق أن تمت قبل اليوم مع أي مسلم، إنما حصلت عندما وجدت



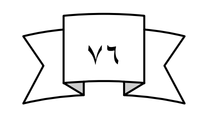
الدعوة في هؤلاء الأنصار وفي الأرض التي يقيمون فيها، المعقل الملائم الذي ينطلق منه المحاربون، لأن مكة لوضعها عندئذ لم تكن تصلح للحرب.

وقد اقتضت رحمة الله بعباده «أن لا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار إسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ويلوذون به، وقد كانت المدينة المنورة أول دار إسلام».

لقد كانت البيعة الأولى قائمة على الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والبيعة الثانية على الهجرة والجهاد، وبهذه العناصر الثلاثة: الإيمان بالله، والهجرة، والجهاد، يتحقق وجود الإسلام في واقع جماعي ممكن، والهجرة لم تكن لتتم لولا وجود الفئة المستعدة للإيواء ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ ﴾ الأنفال: ٧٢. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ الأنفال: ٧٥.

وقد كانت بيعة الحرب هي التمهيد الأخير، لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وبذلك وجد الإسلام موطنه الذي ينطلق منه دعاة الحق بالحكمة والموعظة، وتنطلق منه جحافل الحق المجاهدة أول مرة، وقامت الدولة الإسلامية المحكمة لشرع الله.

١٩- في موقف عبد الله بن أبي بكر ما يثبت أثر الشباب في نجاح الدعوات، فهم عماد كل دعوة إصلاحية، وباندفاعهم للتضحية الفداء، تتقدم الدعوات سريعا نحو النصر والغلبة. ونحن نرى في المؤمنين السابقين إلى الإسلام كلهم شبابا، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عمره أربعين سنة عند البعثة، وأبو بكر رضي الله عنه كان



أصغر منه بثلاث سنين، وعمر رضي الله عنه أصغر منهما، وعلي رضي الله عنه أصغر الجميع، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كان عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، وسعيد بن زيد، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، رضي الله عنهم، وغيرهم، كل هؤلاء كانوا شبابا، حملوا أعباء الدعوة على كواهلهم، فتحملوا في سبيلها التضحيات، واستعذبوا من أجلها العذاب والألم والموت، وبهؤلاء انتصر الإسلام، وعلى جهودهم وجهود إخوانهم قامت دولة الخلفاء الراشدين، وتمت الفتوحات الإسلامية الرائعة، وبفضلهم وصل إلينا الإسلام الذي حررنا الله به من الجهالة والضلالة والوثنية والكفر والفسوق.

٢٠- وفي عمى أبصار المشركين عن رؤية رسول الله وصاحبه في «غار ثور» وهم عنده مثل تخشع له القلوب من أمثلة العناية الإلهية برسله ودعاته وأحبابه، فما كان الله في رحمته لعباده ليسمح أن يقع الرسول صلى الله عليه وسلم في قبضة المشركين فيقضوا عليه وعلى دعوته وهو الذي أرسله رحمة للعالمين، وكذلك يعود الله عباده الدعاة المخلصين أن يلطف بهم في ساعات الشدة، وينقذهم من المآزق الحرجة، ويعمي عنهم – في كثير من الأحيان- أبصار المتربصين لهم بالشر والغدر، وليس في نجاة الرسول وصاحبه بعد أن أحاط بهما المشركون في «غار ثور» إلا تصديق قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١) ﴾ غافر: ٥١، وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ (٣٨) ﴾ الحج: ٣٨ ﴾ الحج: ٣٨.

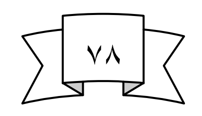
٢١- بين القدوة في الهجرة والتشريف في المعراج :

كانت الهجرة النبوية الشريفة على النحو الذي كانت عليه ، وسارت على الوضع الذي يسلكه كل مهاجر ، حتى توجد القدوة ، وتتحقق الأسوة ، ويسير المسلمون على نهج مألوف ، وسبيل معروف ، ولذلك ، فلم يرسل الله . عز وجل . له صلى الله عليه وسلم البراق ليهاجر عليه كما حدث في ليلة الإسراء ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم هجرته أحوج إلى البراق منه في أي وقت آخر ؛ لأن القوم يتربصون به هنا ولم يكن هناك تربص في ليلة الإسراء ، ولو ظفروا به في هجرته لشفوا نفوسهم منه بقتله ، والحكمة في ذلك . والله أعلم . أن الهجرة كانت مرحلة طبيعية من مراحل تطور الدعوة ووسيلة من أهم وسائل نشرها وتبليغها ، ولم تكن خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان غيره من المؤمنين مكلفين بها ، حين قطع الإسلام الولاية ، بين المهاجرين وغير المهاجرين القادرين على الهجرة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾ الأنفال: ٧٢.

أما رحلة الإسراء والمعراج فقد كانت رحلة تشريف وتقدير ، كما كانت إكراماً من الله . عز وجل . لنبيه ليطلعه على علم الغيب ويريه من آياته الكبرى ، فالرحلة من أولها إلى آخرها خوارق ومعجزات ومشاهد للغيبيات، فناسب أن تكون وسيلتها مشابهة لغايتها .

زد على ذلك أن رحلة الإسراء خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد من الناس أن يتطلع لمثلها ، ولسنا مطالبين بالاقتداء به فيها ، ولذا فإن حصولها على النحو الذي كانت عليه هو أنسب الأوضاع لحدوثها.

٢٢- أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن:

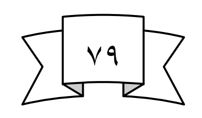


إن العقيدة الصحيحة السليمة والدين الإسلامي العظيم لهما أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن، وفي التأليف بين القلوب والأرواح، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقوم به، وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن، وأغلقت ملف ثارات كثيرة في مدة قصيرة، بمجرد التمسك بها والمبايعة عليها، وقد رأينا ما فعلته العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة، وتآخوا معهم في مثالية نادرة، لا تزال مثار الدهشة ومضرب المثل، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر، فعل مثلما فعلت عقيدة الإسلام الصافية في النفوس.

ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة، وتقليل تأثيرها في نفوس المسلمين، واندفاعهم المستمر نحو تزكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة.

٢٣- فرحة المهاجرين والأنصار بوصول النبي صلى الله عليه وسلم:

كانت فرحة المؤمنين من سكان يثرب من أنصار ومهاجرين بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصوله إليهم سالمًا، فرحة أخرجت النساء من بيوتهن والولائد، وحملت الرجال على ترك أعمالهم، وكان موقف يهود المدينة موقف المشارك لسكانها في الفرحة ظاهراً، والمتألم من منافسة الزعامة الجديدة باطناً، أما فرحة المؤمنين بلقاء رسولهم فلا عجب فيها، وهو الذي أنقذهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وأما موقف اليهود فلا غرابة فيه، وهم الذين عرفوا بالملق والنفاق للمجتمع الذي فقدوا السيطرة عليه، وبالغيظ والحقد الأسود ممن يسلبهم زعامتهم على الشعوب، ويحول بينهم وبين سلب أموالها باسم القروض، وسفك دمائها باسم النصح والمشورة، وما زال اليهود يحقدون على كل من يخلص الشعوب من سيطرتهم، وينتهون من الحقد إلى الدس والمؤامرات ثم إلى الاغتيال إن استطاعوا، ذلك دينهم، وتلك جبلتهم.

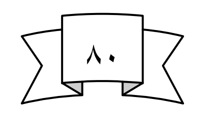


ويستفاد من استقبال المهاجرين والأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشروعية استقبال الأمراء والعلماء عند مقدمهم بالحفاوة والإكرام، فقد حدث ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الإكرام وهذه الحفاوة نابعين من حب للرسول، بخلاف ما نراه من استقبال الزعماء والحكام في عالمنا المعاصر، ويستفاد كذلك التنافس في الخير وإكرام ذوي العلم والشرف، فقد كانت كل قبيلة تحرص أن تستضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعرض أن يكون رجاله حُراسًا له، ويؤخذ من هذا إكرام العلماء والصالحين، واحترامهم وخدمتهم.

٢٤ . استمرار الدعوة في أحلك الظروف :

أ . في الطريق أسلم بريدة الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه :

إن المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى ، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة ، والأمن مفقود ، بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى ، هذا نبي الله تعالى يوسف عليه السلام حينما زج به في السجن ظلماً ، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه ، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٣٧ - ٤٠.



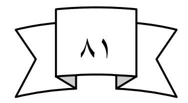
وسورة يوسف عليه السلام مكية ، وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله ولذلك نجده صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً ، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته ، فقد لقي صلى الله عليه وسلم في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه ، فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا.

ب . وفي طريق الهجرة أسلم لصان على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان في طريقه صلى الله عليه وسلم بالقرب من المدينة لصان من أسلم يقال لهما المهانان ، فقصدهم صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان ، فقال : بل المكرمان ، وأمرهما أن يقدما عليه المدينة ، وفي هذا الخبر يظهر اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله حيث اغتنم فرصة في طريقه ودعا اللصين إلى الإسلام ، فأسلما ، وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش والسلب والنهب دليل على سرعة إقبال النفوس على اتباع الحق إذا وجد من يمثله بصدق وإخلاص ، وتجردت نفس السامع من الهوى المنحرف ، وفي اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير اسمي هذين اللصين من المهانين إلى المكرمين دليل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بسمعة المسلمين ومراعاته مشاعرهم إكراماً لهم ورفعاً لمعنوياتهم .

وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلى الأمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح.

هذه بعض الفوائد والعبر والدروس، وأترك للقارئ الكريم أن يستخرج غيرها ويستنبط سواها من الدروس والعبر والفوائد الكثيرة النافعة من هذا الحدث العظيم.



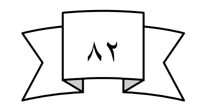
شهر صفر

الخطبة الأولي : الرجولة

الخطبة الثانية :حق الجار

الخطبة الثالثة : حقيقة الدنيا

الخطبة الرابعة : اليتيم



الخطبة الأولي : الرجولة

أما بعد:عباد الله ، في دار من دور المدينة المباركة جلس عمر إلى جماعة من أصحابه فقال لهم: تمنوا؛ فقال أحدهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهبًا أنفقه في سبيل الله. ثم قال عمر: تمنوا، فقال رجل آخر: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا وجوهرًا أنفقه في سبيل الله وأتصدق به. ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين؟! فقال عمر: ولكني أتمنى رجالاً مثلَ أبي عبيدة بنِ الجراح، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، فأستعين بهم على إعلاء كلمة الله.

رحم الله عمر الملهم، لقد كان خبيرًا بما تقوم به الحضارات الحقة، وتنهض به الرسالات الكبيرة، وتحيا به الأمم الهامدة.

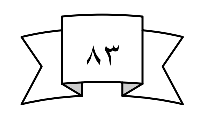
أيها المسلمون: لرجل أعزّ من كل معدن نفيس، وأغلى من كل جوهر ثمين، ولذلك كان وجودُه عزيزًا في دنيا الناس، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إنما الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة" رواه البخاري.

الرجل الكفء الصالح هو عماد الرسالات، وروح النهضات، ومحور الإصلاح.

أعدَّ ما شئت من معامل السلاح والذخيرة، فلن تقتل الأسلحةُ إلا بالرجل المحارب، وضع ما شئت من مناهج للتعليم والتربية، فلن يقوم المنهج إلا بالرجل الذي يقوم بتدريسه، وأنشئ ما شئت من لجان فلن تنجز مشروعًا إذا حُرمتَ الرجل الغيور !!

ذلك ما يقوله الواقع الذي لا ريب فيه.

إن القوة ليست بحد السلاح بقدر ما هي في قلب الجندي، والتربية ليست في صفحات الكتاب بقدر ما هي في روح المعلم، وإنجاز المشروعات ليس في تكوين اللجان بقدر ما هو في حماسة القائمين عليها.



فلله ما أحكم عمر حين لم يتمنَّ فضة ولا ذهبًا، ولا لؤلؤًا ولا جوهرًا، ولكنه تمنى رجالاً من الطراز الممتاز الذين تتفتح على أيديهم كنوز الأرض، وأبواب السماء.

معاشر المسلمين: إن رجلاً واحدًا قد يساوي مائة، ورجلاً قد يوازي ألفًا، ورجلاً قد يزن شعبًا بأسره، وقد قيل: رجل ذو همة يحيي أمة.

حاصر خالد بن الوليد الحيرة، فطلب من أبي بكر مددًا، فما أمده إلا برجل واحد هو القعقاع بن عمرو التميمي، وقال :لا يهزم جيش فيه مثله، وكان يقول : لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف مقاتل.

ولما طلب عمرو بن العاص –رضي الله عنه– المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في فتح مصر كتب إليه:

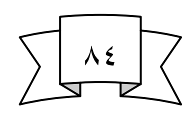
أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد.

معاشر المسلمين: ولكن ما الرجل الذي نريد؟!

هل هو كل من طَرَّ شاربه، ونبتت لحيته من بني الإنسان؟! إذن فما أكثر الرجال!

إن الرجولة ليست بالسن المتقدمة، فكم من شيخ في سن السبعين وقلبه في سن السابعة، يفرح بالتافه، ويبكي على الحقير، ويتطلع إلى ما ليس له، ويقبض على ما في يده قبض الشحيح حتى لا يشركه غيره، فهو طفل صغير، ولكنه ذو لحية وشارب.

وكم من غلام في مقتبل العمر، ولكنك ترى الرجولة المبكرة في قوله وعمله وتفكيره وخلقه.



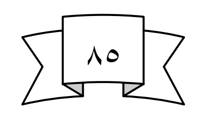
مر عمر -رضي الله عنه- على ثلة من الصبيان يلعبون فهرولوا، وبقي صبي مفرد في مكانه -هو عبد الله بن الزبير- فسأله عمر: لِمَ لَمْ تعدُ مع أصحابك؟! فقال" :يا أمير المؤمنين: لم أقترف ذنبًا فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقةً فأوسعها لك."!

ودخل غلام عربي على الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز يتحدث باسم قومه، فقال له: ليتقدم من هو أسن منك، فقال : يا أمير المؤمنين لو كان التقدم بالسن لكان في الأمة من هو أولى منك بالخلافة.

أولئك لعمري هم الصغار الكبار، وفي دنيانا ما أكثر الكبار الصغار؟! وليست الرجولة ببسطة الجسم، وطولِ القامة، وقوةِ البنية، فقد قال الله عن طائفة من المنافقين : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ومع هذا فهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ المنافقون: ٤، وفي الحديث الصحيح " يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة" ، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى :﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ الكهف: ١٠٥. متفق عليه.

كان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- نحيفًا نحيلاً، فانكشفت ساقاه يوماً -وهما دقيقتان هزيلتان- فضحك بعض الصحابة: فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم :"أتضحكون من دقة ساقيه؟! والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد"

ليست الرجولة بالسن ولا بالجسم ولا بالمال ولا بالجاه، وإنما الرجولة قوة نفسية تحمل صاحبها على معالي الأمور، وتبعده عن سفسافها، قوةٌ تجعله كبيرًا في صغره، غنيًا في فقره، قويًا في ضعفه، قوةٌ تحمله على أن يعطي قبل أن يأخذ، وأن يؤدي واجبه قبل أن يطلب حقه: يعرف واجبه نحو نفسه، ونحو ربه، ونحو بيته، ودينه، وأمته.



الرجولة بإيجاز هي قوة الخُلُق وخُلُق القوة.

إن خير ما تقوم به دولة لشعبها، وأعظم ما يقوم عليه منهج تعليمي، وأفضل ما تتعاون عليه أدوات التوجيه كلها من صحافة وإذاعة، ومسجد ومدرسة، هو صناعة هذه الرجولة، وتربية هذا الطراز من الرجال.

ولن تترعرع الرجولة الفارعة، ويتربى الرجال الصالحون، إلا في ظلال العقائد الراسخة، والفضائل الثابتة، والمعايير الأصيلة، والتقاليد المرعية، والحقوق المكفولة. أما في ظلام الشك المحطم، والإلحاد الكافر والانحلال السافر، والحرمان القاتل، فلن توجد رجولة صحيحة، كما لا ينمو الغرس إذا حُرِم الماء والهواء والضياء.

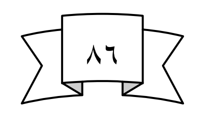
ولم تر الدنيا الرجولة في أجلى صورها وأكمل معانيها كما رأتها في تلك النماذج الكريمة التي صنعها الإسلام على يد رسوله العظيم، من رجال يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، لا يغريهم الوعد، ولا يلينهم الوعيد، لا يغرهم النصر، ولا تحطمهم الهزيمة.

أما اليوم، وقد أفسد الاستعمار جو المسلمين بغازاته السامة الخانقة من إلحاد وإباحية، فقلما ترى إلا أشباه الرجال، ولا رجال.

تعجبنا وتؤلمنا كلمة لرجل درس تعاليم الإسلام السمحة الشاملة فقال في إعجاب مرير : يا له من دين لو كان له رجال.

وهذا الدين الذي يشكو قلة الرجال يضم ما يزيد على ألف مليار مسلم، ينتسبون إليه، ويحسبون عليه، ولكنهم كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم :"غثاء كغثاء السيل"، أو كما قال الشاعر

يثقلون الأرض من كثرتهم ثم لا يغنون في أمر جلل



أيها المسلمون: وماذا يغني عن الإسلام رجال أهمتهم أنفسهم، وحكمتهم شهواتهم، وسيرتهم مصالحهم، فلا وثقوا بأنفسهم، ولا اعتمدوا على ربهم، رجال يجمعهم الطمع، ويفرقهم الخوف، أو كما قيل: يجمعهم مزمار وتفرقهم عصا!

أما والله لو ظفر الإسلام في كل ألف من أبنائه برجل واحد فيه خصائص الرجولة، لكان ذلك خيرًا له وأجدى عليه من هذه الجماهير المكدسة التي لا يهابها عدو، ولا ينتصر بها صديق:

فليت لي بهمُ قومًا إذا ركبوا   شنوا الإغارة فرسانًا وركبانًا

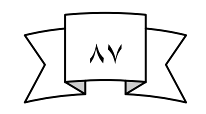
لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانًا

أيها المسلمون: إن الرجل الواحد قد ينقذ الموقف بمفرده بما حباه الله من الخصائص الإيمانية والمواقف الرجولية التي ربما عملها بمفرده، وفي القرآن الكريم في قصة موسى حين قتل القبطي، تجد قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ القصص: ٢٠، وفي سورة يس في قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون تجد قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ﴾ يس: ٢٠.

وفي سياق هاتين القصتين تجد أن النص يبرز كلمة "رجل"، وهي تعني شخصًا مفردًا، فهو رجل واحد ينقذ الموقف بخصائصه الذاتية والإيمانية، ولا يستوحش من غربته بين أهله أو تفرده في طبقته، فيحيط موسى علمًا بالمؤامرة الدنيئة التي يحيكها القصر الفرعوني للقضاء عليه وعلى دعوته، ويقترح عليه الحل، وهو الخروج من قريته والفرار بنفسه.

وفي قصة "يس" يعلن أمام الملأ نصرة المرسلين ويدعو إلى اتباعهم، متحديًا بذلك رؤوس الضلالة، صارخًا به في وجه الجمهور التابع.

وسائل تنمية الرّجولة في شخصية الطّفل، ومن ذلك ما يلي:

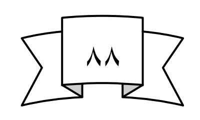


التكنيـة: أي: منـاداة الصـغير بـأبي فـلان أو الصـغيرةِ بـأمّ فـلان، فهـذا ينمّـي الإحسـاس بالمسـؤولية، ويُشـعر الطّفـل بأنّـه أكبـر مـن سـنّه فيـزداد نضـجه، ويرتقـي بشعوره عن مستوى الطفولة المعتاد، ويحسّ بمشابهته للكبار، وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يكنّي الصّغار؛ فعَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَال:"كَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ –رضي الله عنه– قَالَ: أَحسبُهُ فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: "يَا أَبَا عُمَيْرٍ: مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟، وهو طائر صغير كان يلعب به. رواه البخاري.

وعَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قالت: أُتِيَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– بثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ –الخميصة ثوب من حرير– فَقَالَ: مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟! فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: "ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ " فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ –وفيه إشارة إلى صغر سنّها–، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا وَقَالَ:"أَبْلِي وَأَخْلِقِي"، وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ" يَا أُمَّ خَالِدٍ: هَذَا سَنَاه" وَسَنَاه بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ. رواه البخاري.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: أخذه للمجامع العامة وإجلاسُه مع الكبار؛ وهذا مما يلقّح فهمه ويزيد في عقله، ويحمله على محاكاة الكبار، ويرفعه عن الاستغراق في اللهو واللعب، وكذا كان الصحابة –رضي الله عنهم– يصحبون أولادهم إلى مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومن القصص في ذلك: ما جاء عن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّة عَنْ أَبِيهِ قَالَ:" كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ"الحديث. رواه النسائي، وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الأطفال: تحديثهم عن بطولات السابقين واللاحقين والمعارك الإسلامية وانتصارات المسلمين؛ لتعظم الشجاعة في نفوسهم، وهي من أهم صفات الرجولة، وكان للزبير بن العوام طفلان أشهد أحدهما بعضَ



المعارك، وكان الآخر يلعب بآثار الجروح القديمة في كتف أبيه كما جاءت الرواية عن عروة بن الزبير.

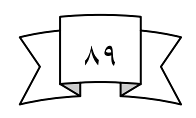
وروى ابن المبارك في الجهاد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير:أنه كان مع أبيه يوم اليرموك، فلما انهزم المشركون حمل فجعل يجهز على جرحاهم . وقوله :يُجهز، أي يُكمل قتل من وجده مجروحًا، وهذا مما يدل على قوة قلبه وشجاعته من صغره.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تعليمه الأدب مع الكبار، ومن جملة ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :"يُسلِّمُ الصَّغِيرُ على الكبِير، والمارُّ على القاعِدِ، والقليلُ على الكثِير "رواه البخاري.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: إعطاء الصغير قدره وقيمته في المجالس، ومما يوضّح ذلك الحديث التالي: عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم– بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ :"يَا غُلامُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأشْيَاخَ؟، قَال: مَا كُنْتُ لأوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. رواه البخاري.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الأطفال: تعليمهم الرياضات الرجولية؛ كالرماية والسباحة وركوب الخيل، وجاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ قَالَ:"كَتَبَ عُمَر – رضي الله عنه– إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ أَنْ عَلِّمُوا غِلْمَانَكُمْ الْعَوْم" رواه الإمام أحمد في أول مسند عمر بن الخطاب.

ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل: تجنيبه أسباب الميوعة والتخنث؛ فيمنعه وليّه من رقص كرقص النساء، وتمايل كتمايلهن، ومشطة كمشطتهن، ويمنعه من لبس الحرير والذّهب ونحو ذلك مما يخص النساء.



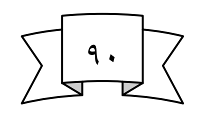
ومما ينمي الرجولة في شخصية الطفل:تجنب إهانته خاصة أمام الآخرين، وعدم احتقار أفكاره، وتشجيعه على المشاركة، وإعطاؤه قدره وإشعاره بأهميته، وذلك يكون بأمور مثل: إلقاء السّلام عليه، وقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِم "رواه مسلم.

ومثل استشارته وأخذ رأيه، وأيضًا توليته مسؤوليات تناسب سنّه وقدراته، وكذلك استكتامه الأسرار، ويصلح مثالاً لذلك حديث أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَالَ:"أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟! قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّه لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟! قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَحَدًا"واه مسلم. وفي رواية عن أَنَس قال :انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَأَنَا غُلامٌ فِي الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَار –أَوْ قَالَ إِلَى جِدَار– حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ"رواه أبو داود.

وعن ابْن عَبَّاسٍ –رضي الله عنه– قال:" كُنْتُ غُلامًا أَسْعَى مَعَ الْغِلْمَانِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِنَبِيِّ اللَّه صلى الله عليه وسلم خَلْفِي مُقْبِلاً، فَقُلْتُ: مَا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلا إِلَيَّ، قَالَ: فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِئَ وَرَاءَ بَابِ دَار، قَالَ: فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى تَنَاوَلَنِي فَأَخَذَ بِقَفَايَ فَحَطَأَنِي حَطْأَةً –ضربه بكفّه ضربة ملاطفة ومداعبة–، فَقَالَ:"اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ". قَالَ: وَكَانَ كَاتِبَهُ، فَسَعَيْتُ فَأَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ " رواه الإمام أحمد في مسند بني هاشم.

وهناك وسائل أخرى لتنمية الرجولة لدى الأطفال، منها:

تعليمه الجرأة في مواضعها، ويدخل في ذلك تدريبه على الخطابة.



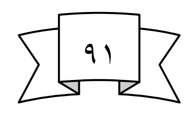
الاهتمام بالحشمة في ملابسه، وتجنيبه الميوعة في الأزياء وقصّات الشّعر والحركات والمشي، وتجنيبه لبس الحرير الذي هو من طبائع النساء.

إبعاده عن التّرف وحياة الدّعة والكسل والرّاحة والبطالة، وقد قال عمر –رضي الله عنه:اخشوشنوا؛ فإنّ النِّعَم لا تدوم ،وتجنيبه مجالس اللهو والباطل والغناء والموسيقى؛ فإنها منافية للرّجولة ومناقضة لصفة الجِدّ.

صفات الرجال

الصفة الأولى: مكانهم المفضل المساجد قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ ﴾ النور: ٣٦ - ٣٧، وكأني بالرجل هو ذلك المحافظ على الصلوات؛ حيث ينادي بهن في الجماعات في المساجد، بل دعني أصارحك- أخي الحبيب- أن هجر المساجد وترك الجماعات؛ لا يفقد المرء صفةً من صفات الرجولة فحسب، بل يُدخله في باب من أبواب النفاق، واسمع إلى ابن مسعود رضي الله عنه وهو يصف حال السلف: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها- يقصد الجماعة- إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي الرجلين؛ حتى يقام في الصف" رواه مسلم.والمساجد التي يوجد فيها الرجال، وصفها رب الأرض والسماء فقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة: ١٠٨.

ومن الوضوح بمكان أن تلاحظ وصف هذه المساجد بأنها أُسست على التقوى، فليست هي مساجد الضرار التي يحارب منها الإسلام ببثِّ قيم لا دينية، والتي تستعمل منابرها في نشر الأفكار الهدامة.



فمساجد الرجال لا أغراض من ورائها إلا رضا الله جلَّ وعلا، فلا حزبية ولا طائفية ولا مغانم دنيوية: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ورجل قلبه معلق بالمساجد.." أليس هذا الرجل أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. من حديث أبي هريرة عند الشيخين.ولا يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زادًا للطريق، وريًّا في الهجير، ومددًا حين ينقطع المدد، ورصيدًا حين ينفد الرصيد.

ورسولكم صلى الله عليه وسلم كان إذا حزَّبه أمر فزع إلى الصلاة، رغم أنه الوثيق الصلة بربه.

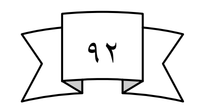
وحتى في ساعاته الأخيرة لما وجد في نفسه خفةً؛ خرج إلى المسجد يهادي بين رجلين يقول الراوي: كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع".. يقول قائلهم: "فاتتني الصلاة في الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف؛ لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا"

الصفة الثانية: التعلق بالآخرة

قال تعالى: ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾

النور: ٣٦ - ٣٧.

فأولويات الرجال هي الدار الآخرة والإعداد لها؛ فهم يصلحون دنياهم وقلوبهم.. وأشواقهم هناك في الدار الآخرة.. ألسنتهم ذاكرة ونياتهم خالصة.. الرجال يعملون.. يجتهدون.. يربحون.. ليسوا عالةً على غيرهم.. فنعم المال الصالح للعبد الصالح.. ولكن قلوبهم لا تتعلق إلا بما عند الله.لاحظ أخي تسبيح الرجال.. بالغدو والآصال.. إنها أذكار الصباح والمساء.. والمحافظة عليها من صفات الرجال.



الصفة الثالثة: التطهر من الأدران المادية والمعنوية

بل وجب ذلك والمواظبة عليه، وهناك ملاحظة مهمة هي قوله تعالى:

﴿فِيهِ﴾أي في المساجد.. ففيها نتعلم الطهارة؛ لأنها شرطٌ في صحة الصلاة، وفي المساجد يتعلم الرجال طهارة القلوب؛ ففي الصلوات، وفي حِلق الذكر، وفي دروس العلم فرصة سانحة لعلاج أمراض القلوب.. فالرجل إذن يتعهد قلبه بالمتابعة، ولا يرضى بأدناس الأبدان ولا بنجاسات الثياب كذلك.

فالرجال أطهار القلوب.. أطهار الأبدان.. أطهار الثياب.. هذه صفتهم وهذه هيئتهم.

الرجال إذن قد يذنبون.. فهم بشر يخطئون كمثل البشر ولكن.. هم يستغفرون.. هم يرجعون.. هم يتوبون بل هم يحبون التطهر من الذنوب كلما أذنبوا.. وهم- يا لبشراهم- يحبهم مولاهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ التوبة: ١٠٨.

الصفة الرابعة: الصدق

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ الأحزاب: ٢٣.

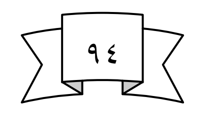
فصدق الرجال هو صدق العهد مع الله؛ فإن الآية نزلت كما ورد في الصحيح في أنس بن النضر الذي غاب عن غزوة بدر، فقال: "لئن أشهدني الله قتالاً مع رسول الله؛ ليرين الله ما أصنع"، وكان هذا عهدًا صادقًا مع الله عز وجل، فقُتل يوم أحد وبه بضع وثمانون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وما عرفته إلا أخته ببنانه.

ومثله ذلك الأعرابي الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم نصيبه من الغنائم في غزوة غزاها معه، فقال له: "ما على هذا بايعتك، إنما بايعتك على سهم يقذف هاهنا فألقى الله شهيدًا، فأدخل الجنة، وأشار بأصبعه إلى موضع في نحره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن تصدق الله يصدقك"، وصنع الله به ما أراد، فيا له من رجل أصابه السهم حيث أشار بإصبعه.

وقبله كان إسماعيل عليه السلام.. صادق الوعد وكان رسولاً نبيًّا.. ألم يقل لأبيه إبراهيم يومًا: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٠٢﴾ الصافات: ١٠٢؟!، وصدق إسماعيل، ومرت السكين على نحره، فما جبن وما نكص على عقبيه.. فأنعِم به من رجل، إنه صدق الرجال.!!

الصفة الخامسة: الإيجابية

إنه الرجل الذي كان يكتم إيمانه، ولما استشعر الخطر على موسى عليه السلام.. نطق بالحق الذي عرفه وكتمه سنوات طويلة، فهذا وقت الصدع بالحق بشجاعة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠﴾ غافر: ٢٠. إنه أيضًا مؤمن (يس) الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين.. خوفًا عليهم وحبًّا لهم.. فقتلوه؛ فما كان منه إلا أن قال بعد أن عاين نعيم الجنة ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَـٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ يس: ٢٠،واسمع إلى ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، والسعي يدل على السرعة والجدية؛ ليحذِّر قائده ورسوله موسى عليه السلام ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ٢٠﴾ القصص: ٢٠ .



فمن صفات الرجولة.. الإيجابية، واستشعار المسئولية، والجدية.. الرجل يحمل هموم أمته ودعوته، ولو ضحَّى بحياته، وبذل الغالي والرخيص من أجل نصرة الإسلام.. والرجل يعيش قضايا أمته.. وبنو قومه أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه. أخي الحبيب.. تُرى أتحتاج أمتنا في هذه الفترة الحرجة إلى رجال أم إلى ذكور؛ لتنهض من عثرتها؟.!

وختامًا.. فهذه كلمات قليلة أناشدك بعدها أن تراجع نفسك.. هل ترى نفسك في عداد الرجال؟.. إنْ كنت كذلك فهنيئًا لك بذلك.. وإن كنت فاقدًا لبعض الصفات فأسرع باستكمالها؛ فإن أمتك تحتاج إليك؛ فمن لها سواك؟

الخطبة الثانية :حق الجار

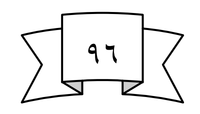
أما بعد:عباد الله ، ففي هذا الزمن تباعد الجيران بعضهم عن بعض فأصبحت تمر الشهور بل السنوات ولا يعرف الواحد منا جاره وأحواله بينما في بعض الأحياء كثرت شكاوى بعض الجيران ممن جاورهم لأمور متعددة كاطلاع على العورات أو روائح مؤذية أو مشاكل الأولاد أو رمي القمامة أمام منزل الجار أو إغلاق مدخل سيارته أو غير ذلك من صور الإيذاء لذا اتحدث اليوم عن حقوق الجار في الكتاب والسنة وأقوال العلماء في بيان حقوق الجار وحرمة إيذائه سائلا المولى جل جلاله أن ينفعنا بما علمنا.

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾النساء: ٣٦.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكل مَن ذكر في هذه الآية فحقه واجب وإن كان كافرا .

روى ابنُ حبَّان في صحيحه، والحاكمُ في المستدرك ، والطبراني في الكبير و الأوسط ، والبيهقيُّ في الشُّعَب ، وغيرُهم عن سعد بن أبي وقاص – رضِي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحة، والمسكنُ الواسِع، والجارُ الصالح، والمَرْكَب الهنيء، وأربعٌ من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيِّق".

وروى جابر بن عَبْدِ الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الجِيرانُ ثَلاثَةٌ: جَارٌ لهُ حَقٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَدْنَى الجيرانِ حقًّا، وجار له حقَّان،



وجَارٌ له ثلاثةُ حُقُوقٍ، وَهُوَ أفضلُ الجيرانِ حقا، فأما الذي له حق واحد فجار مُشْرِكٌ لا رَحِمَ لَهُ، لَهُ حق الجَوار. وأمَّا الَّذِي لَهُ حقانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ، له حق الإسلام وحق الْجِوارِ، وأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاثَةُ حُقُوقٍ، فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حق الجوار وحق الإسلام وحَقُّ الرحِمِ " رواه البزار والطبراني في مسند الشاميين وأبو نعيم في الحلية قال البزار : لا نعلم أحدا روى عن عبد الرحمن بن الْفُضَيْل إلا ابْنُ أَبِي فُدَيْك . وقال أبو نعيم : غريب من حديث عطاء عن الحسن لم نكتبه إلا من حديث ابن أبي فديك .وقال ابن رجب : وقد روي هذا الحديث من وجوه أخرى متصلة ومرسلة ولا تخلو كلها من مقال . جامع العلوم والحكم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطى كل حقه بحسب حاله وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي.

من السنة المطهرة

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ" . متفق عليه

علاقات الإرث هي علاقات القرابة فقط، والنبي صلى الله عليه وسلم يعطيه حقاً يقترب من حق القرابة، أغلبُ الظّن أنّ القريب تراه في الأسبوع مرّة ، وهناك قريب تراه في الشّهر مرّة، ومعظم الأقارب تراه في العام مرّة؛ في العيد فقط، لكنّ الجار تراه كلّ يومٍ عشر مرّات، خمسين مرّة، فالجار دائمًا أنت وإيّاه في مكان واحد.

لذلك لمّا جاء عمرَ بن الخطاب رجلٌ وسألهُ: هل يعرفُك أحد ؟ قال: نعم ، فلان يعرفني، فقال: ائتني به، فلما جاء به، قال له: هل تعرفهُ ؟ فقال: نعم، قال : هل جاورْتَهُ ؟ قال لا، قال: هل سافرتَ معه ؟ قال: لا ، قال: هل حاكَكْتَهُ بالدّرْهم والدِّينار؟ قال: لا ، فقال عمر : أنت لا تعرفهُ.

حد الجوار

يطلق وصف الجار على من تلاصق داره دارك، وعلى غير الملاصق إلى أربعين داراً، وقد سئل الحسن البصري عن الجار فقال: "أربعين دارا أمامه وأربعين خلفه وأربعين عن يمينه وأربعين عن يساره". الأدب المفرد.

قال علي رضي الله عنه أنّ من سمع النداء فهو جار.

وقيل: إنّ من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار.

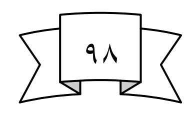
وقد جعل الله عز وجل الاجتماع في المدينة جواراً، قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ الأحزاب: ٦٠ ممّا يدل على أنّ حد الجوار أكبر من ذلك.

احبتي في الله ما هي حقوق الجار حتي نعرفها ؟

اولاً : الإحسان إلى الجار

الإحسان إلى الجار من الايمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم



الآخـر ، فليكـرم جـاره ، ومـن كـان يـؤمن بـالله واليـوم الآخـر ، فليكـرم ضـيفه " رواه البخاري ومسلم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحسنة، والمسلمون أولى بها؛ أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في بره، والثاني: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطيقها، ويمسكها مخافة أن تضيع، والثالث: إذا لحق بجارهم دين، أو أصابه شدة أو جهد؛ اجتهدوا حتى يقضوا دينه، وأخرجوه من تلك الشدة".

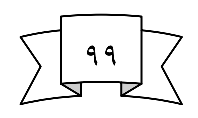
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإحسان إلى الجار؛ من علامات صدق الإسلام.

عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"مَنْ يَأْخُذُ مِنْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ ، فَيَعْمَلُ بِهِنَّ ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ " أخرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : غريب ، والبيهقي في شعب الإيمان.والألباني في السلسلة الصحيحة.

إكرامه والبشاشة في وجهه:

وإكرام الجار يكون بالاحتفال بلقياه، وإذا دخل منزلك؛ قمت بخدمته وأظهرت السرور، والبشاشة بزيارته..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الأصحاب عند الله تعالى؛ خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره"رواه الترمذي وأحمد وغيرهما/ السلسلة الصحيحة.



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ" رواه الترمذي.

تهادي الطعام بين الجيران يكثر المودة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ" رواه مسلم.

هذه سنّة؛ أنْ يتهادى الجيران بعض الطّعام، وهذه تَزيدُ المودّة مودَّةً، وتزيدُ العلاقة متانةً ، تزيدُ الأخوّة أخوَّةً ، تزيدُ الحبّ حبًّا.

"يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ".

قد تقَدِّمُ شيئًا لا يُذْكَر، لكن له معنى كبير.

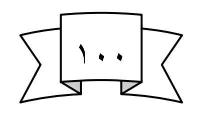
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :" يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ" رواه البخاري.

لا تحْقرنّ هديَّة تقدِّمها لجارتها ولو فرْسنَ شاة، وفرْسَن الشاة هو ظفرها أعليهِ لحْمٌ؟ لا، هذا إذا كنت أيّتها الجارة لا تمْلكينَ غيره، قدِّميهِ لجارتك طبعًا ليس المَقصود تقديم ظفْر شاة ، بل المقصود عدم الاسْتِحياء من إعطاء القليل، فإنّ الحِرْمان أقلّ منه.

وروت عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: " ليس المؤمن بالذي يشبع؛ وجاره جائع إلى جنبه "حسنه الألباني.

قال سفيان الثوري: "عشرة أشياء من الجفاء:

أولها: رجل – أو امرأة – يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه والمؤمنين.



والثاني: رجل قرأ القرآن، ولا يقرأ في كل يوم مائة آية.

والثالث: رجل دخل المسجد وخرج، ولم يصل ركعتين.

والرابع: رجل يمر على المقابر، ولم يسلم عليهم، ولم يدعُ لهم.

والخامس: رجل دخل مدينةً في يوم جمعة، ثم خرَج ولم يصل الجمعة.

والسادس: رجل – أو امرأة – نزل في محلتهما عالم، ولم يذهب إليه أحد؛ ليتعلم منه شيئًا من العلم.

والسابع: رجلان ترافَقا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه.

والثامن: رجل دعاه رجل إلى ضيافة، فلم يذهب إلى الضيافة.

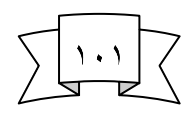
والتاسع: شاب يضيع شبابه وهو فارغ، ولم يطلب العلم والأدب.

والعاشر: رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه شيئًا من طعامه.

من حقوق الجار أن يسمح الرجل لجاره بغرز خشبه في جداره، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره. ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين؟! والله لأرمين بها بين أكتافكم" متفق عليه.

والنبي عليه الصلاة والسلام يأمرنا أن نـأْذَنَ لِجِيراننا أن يستخدموا بعض حِيطان بيوتنا، وليس المقصود الآن حائط البيت، فالبيوت فيما مضى كانت متراكبة، فقد يحتاجُ الجار أن يضعَ خشبةً على حائط جاره، لكن المقصود أن تبْذلَ له بعض المعونة، وتسْمَحَ له بِبَعض التّصرفّات إن كانت تنْفعُهُ، ولا تؤذيك

حفظ الجار في عرضه وماله:



يتهاون الكثيرون في ذلك؛ فيطلع على عورات جاره وحرمه، وإذا وجد فرصة في مال أو عرض انتهكه.

وهذا من أعظم الأذى للجار، ومنكر عظيم؛ وهو خلاف ما أرشدت إليه تعاليم الإسلام.

وقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك تشديدًا عظيمًا، فاسمع قوله في ذلك..

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الزنا. قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله. فقال: " لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره"! وسألهم عن السرقة، قالوا: حرام، حرمها الله عز وجل ورسوله. فقال: " لأن يسرق من عشرة أهل أبيات؛ أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره"! رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد/ السلسلة الصحيحة.

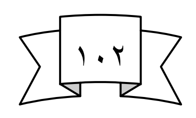
أخي المسلم: إن حفظ الجار في ماله وعرضه من المكارم؛ التي كان الأوائل يفتخرون بها، ويرونها من معالي الأمور.. واسمع إلى شاعرهم حين يقول:

والجار لا تذكر كريمة بيته	واغضب لكلب الجار إن هو
احفظ أمانته وكن عزًا له	أبدًا وعما ساءه متجنبا
كن لينا للجار واحفظ حقه	كرما ولا تك للمجاور عقربا

الصبر على أذى الجار:

قد يبتلى المسلم بجار غير صالح؛ تصل إليه منه عقاربه وأذاه، فماذا يجب على المسلم والحالة هذه؟!

الواجب على المسلم أن يصبر على أذى جاره، ويداريه بالإحسان مهما أمكن؛ حتى يفوز هو بالحمد دونه، ولا يجاريه في أذاه وسفهه، وهذا من الإحسان إليه..



جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه ، فقال له: إن لي جارًا يؤذيني، ويشتمني، ويضيق علي.

فقال ابن مسعود رضي الله عنه: " اذهب فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه".

وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس حسن الجوار كف الأذى؛ حسن الجوار الصبر على الأذى!.

الكف عن أذى الجار:

إن من الأمور القبيحة؛ أن يؤذي الجار جاره، وفي ذلك الإثم العظيم.. وأما من أمسك عن أذى جاره؛ فهو المحسن حقًا..

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن!" قيل: من يا رسول الله؟!

قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه"رواه البخاري.

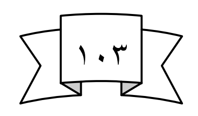
قال الحافظ ابن حجر في الفتح: زاد أحمد والإسماعيلي: قالوا: وما بوائقه؟ قال: «شره»!

والبوائق، مفردها بائقة: وهي الداهية والشيء المهلك.

وتأمل معي هذه القصة البديعة؛ والتي تدلك على علو الهمة في كف الأذى عن الجار..

شكا بعضهم كثرة الفئران في داره، فقيل له: لو اقتنيت هرًا؟

فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر، فيهرب إلى دور الجيران، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي!



إلى من آذى جاره!

إلى أولئك الذين تعرضوا لغضب الله ولعنته!

إلى هؤلاء أقول: هل تعلمون أن أذى الجار سبب في غضب الله تعالى؟!

هل تعلمون أن أذى الجار سبب في لعنة الله تعالى؟!

هل تعلمون أن أذى الجار سبب في عدم قبول العمل الصالح؟!

وأعظمها! هل تعلمون أن أذى الجار سبب في دخول النار؟!

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فأما أذى الجار فمحرم، فإن الأذى بغير حق محرم لكل أحد، ولكن في حق الجار هو أشد تحريمًا).

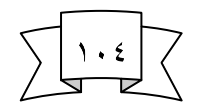
فيا من آذيت جارك.. وأغضبت ربك! تأمل متعظًا في هذه القصة؛ والتي تصور لك حال الذين يؤذون جيرانهم..

شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم جاره، فقال:"احمل متاعك، فضعه على الطريق، فمن مر به يلعنه"! فجعل كل من مر به يلعنه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما لقيت من الناس!

فقال: "إن لعنة الله فوق لعنتهم"! ثم قال للذي شكاه: (كفيت) أو نحوه. رواه البخاري في الأدب المفرد/ تصحيح الألباني.

فيا من آذيت جارك؛ هذه قصة أخرى؛ وهي أشد من ألأولى! وهي عظة لك.. ولن تجد أشد عظة منها!

عن أبي هريرة ﷺ قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا خير فيها هي من أهل النار"رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وغرهما/ السلسلة الصحيحة.



فيا من آذيت جارك أرأيت صاحبه النار؟!

فلتتق الله ربك أيها المؤذي لجاره! ولتعلم أنك غدًا؛ واقف بين يديه تعالى.. فماذا أنت قائل؟!

وبأبي عذر أنت معتذر؟!

أتظن نفسك ناجيًا من عذابه، وقد رأيت عاقبة تلك المرأة التي كانت تؤذي جيرانها؟!

فاسع اليوم لخلاص نفسك.. ولا تغفل! ومن يطيق عذاب الله تعالى؟!

فهلا كنت أيها المحروم كما قال الأول:

ناري ونار الجار واحدة	وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جارًا لي أجاوره	أن لا يكون لبابه ستر
أغضي إذا ما جارتي برزت	حتى يواري جارتي الخدر

فيا أيها المؤذي لجاره! أتدري ماذا يعني ذلك؟!

اعلم أن من آذى جاره؛ إنما هو متخلق بشر الخصال:

أولاً: إن ذلك تخلق بأخلاق اللئام!

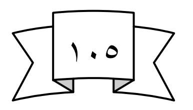
ثانيًا: لا حظ له في أخلاق أهل المكارم ومعالي الأمور.

ثالثًا: اختياره رذائل الأخلاق على فاضلها!

رابعًا: سعيه إلى هلاك نفسه بنفسه!

فأفق أيها المؤذي لجاره.. واعلم أنك لن تجني إلا سيئ الفعال.. ورذائل الأخلاق!

فضائل الإحسان إلى الجار



اعلم أيها الموفق؛ أن المحسن لجاره؛ فائز بخير غنيمة.. وحائز على أغلى جائزة!

وإليكم يا طالب الفضائل هذه الفضائل يتلو بعضها بعضًا؛ كدر نظمه خيط!

المحسن إلى جاره فائز برضا الله تعالى..

المحسن إلى جاره فائز بدخول الجنة..

المحسن إلى جاره متخلق بأخلاق الكرام وأهل الفضائل..

المحسن إلى جاره اختار محاسن الأخلاق ونبذ رذائلها..

الإحسان إلى الجار دليل على صدق الإيمان بالله تعالى..

الإحسان إلى الجار دليل على كمال العقل ورجاحته..

المحسن إلى جاره محبوب لجيرانه وإخواته..

المحسن إلى جاره فائز بالذكر الحسن في حياته وبعد موته.

وأخيرًا أخي المسلم ألخص لك ذلك كله بعبارات مختصرة من كلام نصر بن محمد السمرقندي؛ حيث قال رحمه الله: تمام حسن الجوار في أربعة أشياء:

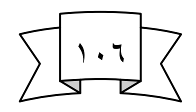
أولها: أن يواسيه بما عنده. والثاني: أن لا يطمع فيما عنده.

والثالث: أن يمنع أذاه عنه. والرابع: أن يصبر على أذاه.

أخي المسلم: تلك بعض الأمور؛ التي بها تكون من المحسنين إلى جيرانهم؛ فاجعل ذلك نصب عينيك..

وكن: (فلانا المحسن إلى جاره).

ولا تكن: (فلانا المسيء لجارهَ).



الخطبة الثالثة : حقيقة الدنيا

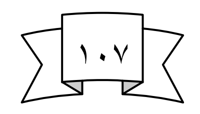
أما بعد:عباد الله ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك " رواه البخاري.

كن في الدنيا: هذا إرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم يبين لك الحال التي ينبغي أن تكون عليها في الدنيا: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" .

هذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ولا مسكناً، ولا يطمئن إليها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كمن كان على جناح سفر، يهيئ جهازه للرحيل: "ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة –قيلولة– ثم راح وتركها" رواه الترمذي وأحمد .هكذا أوصانا صلى الله عليه وسلم.

هذا ما ينبغي أن يكون عليه حالنا في هذه الدنيا، ينبغي أن يعتبر بهذا الحديث التاجر الذي تعلق قلبه بتجارته، وصاحب المال الذي تعلق قلبه بماله، وصاحب المنصب الذي تعلق قلبه بمنصبه، وصاحب القصر الذي عمره وزخرفه ونقشه، هكذا ينبغي أن يكون حال كل واحد منا ممن أوتي شيئاً من الدنيا ألا يغتر به، وأن يعلم أن الرحيل حاصل حاصل –يا عباد الله– ولكننا غافلون لا تذكرنا إلا أخبار موت فلان أو موت فلان ممن حولنا من الناس أو من الأقرباء، اعتبروها ولا تعمروها، اعمروها بطاعة الله ولكن لا تعمروا بطول الأمل والزخارف والزينات

من الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً.



حقيقة الدنيا

دخل رجل على أبي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر! أين متاعكم؟ لا أرى أثاثاً في البيت ولا متاعاً! أين متاعكم؟ قال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا وليس هذا.

قال: لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا.

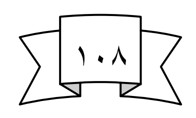
قال أبو ذر: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه، لا بد أن يأخذه منا ويأخذنا منه يوماً من الأيام .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل .

قال بعض الحكماء: عجبت ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة إليه، يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة!

وإذا لم تكن الدنيا أحبتي دار إقامة للمؤمن ولا وطناً له فينبغي أن يكون حال المؤمن فيها أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب، مقيم في بلاد غربة همه التزود للرجوع إلى وطنه، كن في الدنيا كأنك غريب لا تحس بالتعلق في هذه البلد التي أنت فيها، وإنما همك رجوعك إلى بلدك الأصلي، وإنما تأخذ من هذه البلد ما تتزود به لبلدك الأصلي كأنك غريب، أو عابر سبيل مسافر غير مقيم البتة لا في بلد غربة ولا في البلد الأصلي.

ولذلك فالمسافر إحساسه بأنه مسافر في الدنيا أعلى من إحساسه بأنه غريب فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" وعابر السبيل المسافر يسير باستمرار ليصل إلى المكان، لو وقف وجلس انقطع هدفه في الوصول إلى مكانه



الذي يريد، وكذلك الذين يركنون إلى الدنيا ينقطع هدفهم في الوصول إلى الآخرة بسلام؛ لأنه يتيهون في أوديتها.

نزل نفسك -يا عبد الله- منزلة الغريب غير المتعلق قلبه ببلد الغربة، بل قلبه متعلق بوطنه الأصلي الذي يريد أن يرجع إليه، المؤمن في الدنيا مهموم محزون؛ همه أن يصل إلى المكان الذي يريد، ولذلك من كانت هذه حاله فإنه لا ينافس أهل البلد الذي هو متغرب فيه، لا ينافسهم في عزهم، ولا يجزع من الذل عندهم، قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، لها شأن وللناس شأن .

ما هو وطننا الأصلي أيها المسلمون؟ أين موطننا الأصلي نحن؟ أسكن آدم وزوجه الجنة ثم أهبطا منها إلى الأرض، ووعدا بالرجوع إليها مع صالح ذريتهما، فالمؤمن أبداً يحن إلى موطنه الأصلي، إلى وطنه الأول.

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

موطننا الأصلي إذاً هو جنات عدن، هذا هو موطننا الأصلي، وما نحن فيه الآن كله غربة في غربة، وشيء مؤقت وإنما المصير النهائي في دار الكرامة أو دار الهوان.

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه فهو مغرم

وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكم

كان بعض السلف يقول: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غداً بين يديك.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها لم يفق إلا في عسكر الموت نادماً مع الخاسرين.

قيل لـ محمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى مرحلة من مراحل الآخرة؟

وقال الحسن: يا بن آدم! إنما أنت أيام مجموعة كلما مضى يوم مضى بعضك.

وقال: ابن آدم! إنما أنت بين مطيتين يوضعانك (يوضعك النهار إلى الليل والليل إلى النهار) حتى يسلمانك إلى الآخرة، فمن أعظم منك يا بن آدم خطراً؟ وقال: الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم.

كل يوم يمضي من حياتنا يقربنا إلى الموت

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر

ولا بد للإنسان من حمل عدة ولا سيما إن خاف صولة قاهر

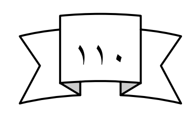
كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته؟ كل يوم يهدم شهرك، اليوم يجعل الثلاثين تسعة وعشرين، والتسعة والعشرين ثمانية وعشرين.

وهكذا، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته؟

قال الفضيل بن عياض لرجل: كم عمرك؟ قال: ستون سنة.

قال: فأنت من ستين سنة تسير إلى ربك، يوشك أن تبلغ.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون! فقال الفضيل: أتعرف تفسير ما تقول؟ أنا لله وأنا إليه راجع، أنا لله عبد وإليه راجع، إنا لله وإنا إليه راجعون فمن علم أنه لله عبد



وأنه لا بد إليه راجع فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة.

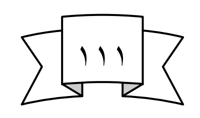
قال: وما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وبما بقي.

قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه سارت به وإن لم يسر.

أحبتي في الله العادة أن المسافر يمضي، يحس أنه يمشي ويذهب، لكن هذه الأيام تذهب والمسافر قاعد حتى يفاجأ بأنه قد وصل، لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار وتقريب الآجال، هيهات قد صحب نوح وعاد وثمود وقرون بين ذلك كثيراً، وقدموا على ربهم ووردوا على أعمالهم، وأصبح الليل والنهار غضين جديدين، بليت الأجساد والليل والنهار يعودان: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الفرقان: ٦٢ ففي الليل والنهار تقع الأعمال والعبادات.

وقال الأوزاعي لأخ له: أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.

واعلم ان ملاذ الدنيا سبعة:المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب والمشموم والمسموع ، فألذ المأكولات العسل وهو بصق من ذبابة ، وأحلى المشروبات الماء ، وكفى بإباحته وسباحته على وجه الأرض ، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة ، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال ، وأعلى المركوبات الخيل وعلي ظهره يقتل الرجال ، وأجل المشمومات المسك وهو دم من سرة دابة، وأجل المسموعات الغناء وهو إثم، فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل.



قصر الأمل عند السلف الصالح

أيها المسلمون: ينبغي علينا ألا نظن لحظة واحدة أننا مقيمون في هذه الدنيا، ينبغي أن يلازمنا هذا الشعور باستمرار، فإن الذي يلازمه هذا الشعور لا يقع في المعاصي، ولا يتعلق بالفاني وإنما يسارع إلى الله بالعبادة.

قال ثلاثة من العلماء لبعضهم، كل اثنين يقولان للآخر: ما أملك؟ فقال أحدهم: ما أتى علي شهر إلا ظننت أني سأموت فيه.

فقال صاحباه: إن هذا لأمل.

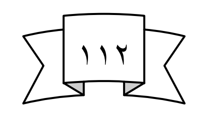
فقالا للآخر: ما أملك؟ قال: ما أتت علي جمعة إلا ظننت أنني سأموت فيها.

فقال له صاحباه: إن هذا لأمل.

فقالا للأخير: ما أملك؟ قال: ما أمل من نفسه بيد غيره؟

قال داود الطائي: سألت عطوان بن عمر التميمي قلت: ما قصر الأمل؟ قال: ما بين تردد النفس.

فحدث بذلك الفضيل بن عياض فبكى، وقال –يقول في معنى كلامه–: يتنفس فيخاف أن يموت قبل أن ينقطع نفسه، يأخذ الزفير يخاف أن يموت بعده فلا يرد الشهيق هذا حال الصالحين؛ لأننا فعلاً لو تأملنا في الميت يموت إما بعد أخذ النفس أو بعد رده، واحدة منهما فيحدث الموت فيها، فتأمل الآن وتفكر في نفسك أنك ستموت بعد هذا أو بعد هذا، فماذا يكون حالك وشعورك؟ قال بعض السلف: ما نمت نوماً قط فحدثت نفسي أني سأستيقظ، وإنما أوطن نفسي أني ربما لا أقوم: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر: ٤٢ ، وكان حبيب أبو محمد يوصي كل يوم بما يوصي به المحتضر عند موته من تغسيله ونحو



ذلك، وكان يبكي فكلما أصبح وأمسى أوصى، فسألت امرأته عن بكائه فقال: يخاف الله إذا أمسى ألا يصبح، وإذا أصبح ألا يمسي.

وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله فلعلها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها.

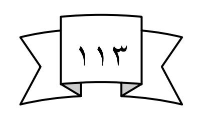
وقال بكر المزني: إن استطاع أحدكم ألا يبيت إلا وعهده -وصيته- عند رأسه مكتوب فليفعل، فإنه لا يدري لعله يبيت في أهل الدنيا فيصبح في أهل الآخرة.

وكانت امرأة متعبدة بـ مكة كلما أمست قالت لنفسها: يا نفس! الليلة ليلتك، لا ليلة لك غيرها فاجتهدت في العبادة، فإذا أصبحت قالت: يا نفس! اليوم يومك ستقبضين فيه، لعلك تؤخذين فيه، اليوم يومك لا يوم لك غيره، فاجتهدت، وهكذا سارت من اجتهاد إلى اجتهاد.

إذا أردت أن تنفعك صلاتك يا عبد الله فقل: لعلي لا أصلي غيرها، صل صلاة مودع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك عندما اجتمع بعض السلف للصلاة فقدم، كل منهم صاحبه، حتى قدموا رجلاً منهم، فقال هذا الرجل وهو يتقدم بحرج: إن صليت بكم الظهر لا أصلي بكم العصر، يصلي غيري.

فقال له بعض الحاضرين من السلف: نعوذ بالله من طول الأمل، أو تأمل أن تصلي الصلاة الأخرى؟ عندك يقين بأنك ستصلي الصلاة الأخرى؟ تشترط تقول: إن صليت بكم الظهر لا أصلي العصر؟ وهكذا كل يوم يمضي يذهب فيه من عمرنا جزء، فماذا قدمنا في هذه الأيام التي تمضي؟ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيذنا وإياكم من طول الأمل، وأن يجعلنا متصلين بحبله المتين، قائلين بالركن الركين، متعبين لسنة سيد المرسلين.

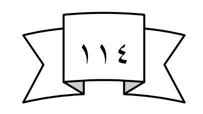


أيها الناس: خذوا من الصحة للمرض، ومن الحياة للموت، فإن الاعتراضات التي تعترضنا كثيرة، فربما يمرض الإنسان ولا يستطيع العمل، وربما يقع له ظرف يؤدي به إلى الأجل ويكون الخسران هو العاقبة لقلة العمل وضعفه، فأنيبوا إلى ربكم كما قال الله: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزمر: ٥٤ قبل أن تتحسر النفس وتقول: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الزمر: ٥٦ - ٥٨ ماذا ننتظر؟ ننتظر هرماً أو مرضاً أو فقراً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر، ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "بادروا بالأعمال – اعملوا قبل أن تأتي أشياء– بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة"رواه مسلم .

بادروا بالأعمال فاستبقوا بها قبل أن يحين الأجل، وقبل أن يأتي ما يقطع عن العمل، والناس مغبونون في الصحة والفراغ، فعندهم الصحة لا يفكرون في المرض، وعندهم المال لا يفكرون في الفقر، عندهم الفراغ لا يفكرون في الشغل فإن الله يشغل بعض الناس بنفسه.

ماذا قال الله في كتابه عن الدنيا؟

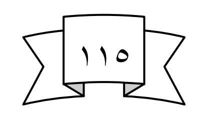
إن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا حقيقة هذه الدنيا في كتابه، وذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه ذكراً كثيراً جداً حتى لا ينطلي أمرها على المسلمين، وحتى يعرفوا حقيقتها وفناءها وزوالها وهوانها على الله، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الكهف: ٤٥ نزل الماء فاختلط بنبات الأرض فأصبح مورقاً أخضر يانعاً، ونضجت الفواكه والثمار وطابت واصفرت واحمرت، ولكن ماذا بعد هذا؟ قال الله تعالى: ﴿



فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ الكهف: ٤٥ أصبح يابساً متكسراً متفتتاً، تفرقه الرياح وتنسفه لخفته: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ الكهف: ٤٥.

وقال الله عز وجل: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ﴾ الحديد: ٢٠ في النهاية، هشيماً متكسراً يابساً: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ الحديد: ٢٠ فهي تغر بفتنتها وزينتها ولكنها هينة، ولكنها عند الله لا تساوي شيئاً، هذه الحياة الدنيا وصفها ربنا بأنها لهو ولعب، وعقد المقارنة بينها وبين الآخرة وقال الله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الأنعام: ٣٢ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ العنكبوت: ٦٤ هي الحياة الحقيقية، هي الحيوان: يعني الحياة الدائمة المستقرة الباقية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ القصص: ٦٠ - ٦١ في الآخرة: ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ القصص: ٦١ أي: للجزاء والحساب.

هذه الحياة الدنيا سميت دنيا لدنوها وسفولها، الحياة الدنيا، هي القليلة الصغرى، هذه الحياة الدنيا مليئة بالشهوات والفتن ولكنها شهوات زائلة، وأمور تفتن ولكن لحظات عابرة لا يستمتع بها حق الاستمتاع أحد: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ آل عمران: ١٤ الأشياء المتشهاة: ﴿وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ آل عمران: ١٤ المضاعفة بعضها فوق بعض: ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ آل عمران: ١٤ المعلمة المطهمة: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ ﴾ آل عمران: ١٤ يعني: الزرع والثمار والشجار والنبات: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ آل عمران: ١٤ هذه



أنواع البهجات الدنيوية هذا متاع الحياة الدنيا: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ آل عمران: ١٤.

الدنيا بالنسبة للآخرة

إن الدنيا بطبيعتها خضرة حلوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، لها بهجة وجاذبية، والله سبحانه وتعالى قد استخلفنا فيها لينظر كيف نعمل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فاتقوا الدنيا واتقوا النساء" رواه مسلم.

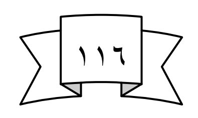
هذه الدنيا مقارنتها بالآخرة ونسبتها إلى الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل إصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا" صححه الالباني.

هذه الدنيا بالنسبة للآخرة، رجل أدخل إصبعه في اليم ثم أخرجها فما علق في الإصبع من ماء البحر هو نسبة الدنيا إلى الآخرة.

وهذه الدنيا التي احتقرها ربنا وذكر فناءها وزوالها لأنها فانية وزائلة، وما فيها من الفتن والشهوات التي تفتن وتجذب لا تساوي عند الله شيئاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلماً" رواه الترمذي.

لأنها هينة على الله لا تساوي شيئاً عند الله، متاعها يغر أصحاب الاغترار.

يكفيك يا طالب الدنيا أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه إلا ما ابتغي به وجه الله مما في الدنيا، إذا ابتغيت وجه الله خرجت من هذه الأشياء الملعونة في الزوجة والولد والمال والعلم –قبل ذلك– والعبادة هذا الذي ليس بملعون، والباقي كله ملعون بنص الحديث.

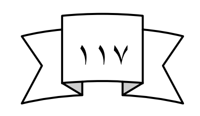


وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على تهوين شأن الدنيا في نظر الصحابة، وانتهاز الفرص لعرض هذا المفهوم، وهو مفهوم حقارة الدنيا لما ينبني على إيضاح هذا المفهوم من الفوائد العظيمة والتربية الجسيمة في نفوس الصحابة.

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى العالية –ناحية في المدينة – فمر بالسوق، فمر بجدي أسك – صغير الأذن– ميت فتناوله، فرفعه، فقال: بكم تحبون أن هذا لكم؟ قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، ولا نشتريه بفلس، وما نصنع به؟ قال: بكم تحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً فيه أنه أسك –صغير الأذن– فكيف وهو ميت؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" .

وعاقبة الدنيا إلى فناء وزوال، عاقبة الدنيا إلى شيء كريه بغيض، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن مطعم ابن آدم –الطعام الذي نأكله– قد ضرب مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه، فانظر إلام يصير" أشهى أكلة في الدنيا خذها، قزح وملح، وضع والتوابل، وزين الأكلة واجعلها أشهى ما تكون، ثم كلها والتهمها فماذا تكون في البطن وكيف تخرج في النهاية؟ كيف تخرج أشهى أكلة في الدنيا؟ كيف تخرج من دبر الإنسان في النهاية؟ "إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا، وإن قزحه وملحه فانظر إلام يصير" .

ولذلك حث النبي صلى الله عليه وسلم على التقلل منها، وكان صلى الله عليه وسلم يتقلل منها أيضاً، وأوصى بوصايا في هذا المجال، من ذلك قوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" والغريب وعابر السبيل لا يثقل بدنه وكاهله وظهره بالمتاع؛ لأن عابر السبيل يريد أن يتحرك ويتنقل، وكثرة المتاع على ظهره تثقله وتعيق حركته، ولذلك عندما أوصانا بقوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" يعني: تخففوا من المتاع، قللوا من زينة الدنيا، لا تأخذوا منها وتعبوا عباً، وإنما كلما كان أخذك أيسر كلما كان حسابك أخف.



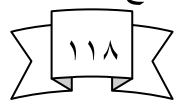
وضرب عليه الصلاة والسلام المثل بذلك فقال: "ما لي وللدنيا؟ وما للدنيا ومالي؟ والذي نفسي بيده، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها" فارقها وذهب عنها، ساعة من النهار، ظل، والظل من طبيعته أنه يزول.

والله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً حماه من الدنيا، وباعد بينه وبين زخرفها وزينتها، والانغماس فيها والانشغال فيها؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء" وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه" رواه أحمد وهو حديث صحيح.

عدم الاغترار بما عليه الكفار من نعيم الدنيا

وكان صلى الله عليه وسلم متقللاً متخففاً، لا يكاد يُرى في بيته شيء، دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم –في قصة مع نسائه مشهورة– قال: فرآه وإنه على حصير ما بينه وبينه شيء، ليس بين جلده وجسده الشريف وهذا الحصير حائل، وتحت رأسه وسادة من أدم –من جلد– حشوها ليف وإن عند رجليه قرضاً مضبوراً مجموعاً، وعند رأسه أُهباً معلقة –والإهاب: هو الجلد الذي لم يدبغ– فرأيت أثر الحصير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: يا رسول الله! كسرى وقيصر فيما هما فيه –يعني: من الملك والنعيم والرياش والقصور والحرير، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير؟ هذا متاعك من الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ –وفي رواية– ولك الآخرة" وقال لـ عمر أيضاً: "أوفي شك أنت يا بن الخطاب! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا" .

ولذلك إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج، حديث صحيح.



إذا رأيت -أيها المؤمن- الدول الكافرة ومجتمعات الكفر والكفرة والفسقة والمجرمين، إذا رأيت عندهم متاع الدنيا: سيارات فارهة، وقصور مرتفعة، وثمار ناضجة، وصحة وأجساد، وإذا رأيت عندهم الرياش والنعيم، ورأيت عندهم بهجة الدنيا وزينتها وزخرفها؛ فاعلم أنما هذه طيباتهم عجلت لهم في الحياة الدنيا لأنه ليس لهم في الآخرة من نصيب.

وإذا رأيت الفسقة يتطاولون ويتفاخرون بالأموال، ويتكاثرون في الأرصدة، إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج لهذا الفاسق حتى يزداد ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ آل عمران: ١٧٨ ولأن هذه الدنيا وضيعة عند الله لا تساوي شيئاً جعل الله في حكمته أنه لا يدوم فيها شيء، متاع زائل، أعمار منقضية، وأجساد للتراب، دول تنقرض ومجتمعات تزول، والثمار نراها تتعففن أمامنا، وهؤلاء المتفوقون في الدنيا حتى في الرياضات انظر إليهم هل يحتفظ أحدهم بقوة عنده في رياضته وتدوم له؟

عن أنس رضي الله عنه قال :كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق، أو لا تكادُ تسبقُ، فجاء أعرابي على قعود له، فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعهُ"رواه البخاري .

فكر في هذا السر وهذه الحكمة: " حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعهُ" فترى صاحب الحافظة في النهاية ينسى ويخرف، وصاحب القوة في النهاية أمره إلى ضعف: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ الروم: ٥٤ وصاحب المال قد يفتقر ويزول ماله أو يموت وهو غني فلا يستفيد من ماله في قبره بشيء، وصاحب الملك يزول ملكه.

وهكذا، أو يموت فلا يستفيد من ملكه شيء: " حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعهُ"رواه البخاري .

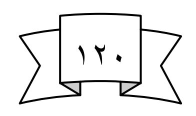
أعمالٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها

أما الذين يعملون للآخرة فإن الله يبقي لهم ذكراً جميلاً وأجراً عظيماً، وأعمالهم تنمو وتزداد، وهذه العبادات بالنسبة للدنيا لا شيء؛ لأن الدنيا زائلة والعبادة أجرها باق؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة –في الصباح أو في المساء في سبيل الله– خير من الدنيا وما عليها" رواه البخاري .

لماذا؟ لأن العبادة أثرها وأجرها باق، خير من الدنيا وما عليها، حسنة واحدة يوم القيامة أجرك عليها خير من الدنيا وما عليها، وموضع السوط في الجنة، المكان الذي يأخذه السوط من الجنة، المكان هذا القليل خير من الدنيا وما عليها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما –ما بين السماوات والأرض– ريحاً، ولأضاءت ما بينهما بالنور والضياء، ولنصيفها على رأسها –خمارها على رأسها– خير من الدنيا وما فيها" رواه البخاري .

"ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها" رواه مسلم ، هاتان ركعتان خير من الدنيا وما فيها! واعقلوا –يا عباد الله– كيف أن النعيم في الدنيا حساب في الآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حلوة الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حلوة الآخرة" رواه احمد، قد يكون مرضاً، مصاباً، كموت حبيب أو قريب يصبر عليه حلو في



الآخرة، هو مر في الدنيا، كفقر، أو شيء مؤلم، لكنه حلو في الآخرة، وحلوة الدنيا من المناصب والأموال والرياش مُرة في الآخرة.

والله سبحانه وتعالى جعل الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر كما ورد في الحديث الصحيح، كثير من المؤمنين لا يرون فيها زينة وبهجة، بل يمكن أن يكون ابتلاء متوالياً، سلب أموال وسجن وتقييد حرية، مرض وموت قريب، قلة الملابس وما يستر به جسده، يجد الطعام يوماً ولا يجده يوماً آخر، الدنيا سجن المؤمن، نفسه تضيق بالدنيا لأنه يتطلع إلى العالم الفسيح، وجنة الكافر لأن هذا منتهى أملهم وهذا هو كل ما يعيشون لأجله: الدنيا، ولذلك تراهم حريصين كل الحرص على الاستمتاع بها، ما عندهم إيمان بالآخرة ولا تطلع للآخرة، ولا أمل أن يكون لهم شيء في الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً.

ولذلك ترى عند الكفرة انتشار قضية الترفيه، قضايا الترفيه والألعاب؛ لأن هذا هو عيشهم وأملهم الوحيد، فهم يريدون أن يستمتعوا من هذه الدنيا بكل لحظة، فترى انتشار قضية الاستمتاعات ولو كانت محرمة، وانتشار قضية الترفيه، ونحن مقبلون على إجازة، والناس سيسيحون سياحة يطلبون ملذات الدنيا، والله أعلم بما هم صانعون، لكن الدنيا هذه ولو ساحوا فيها فهي سجن للمؤمن وجنة للكافر.

إزالة النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء يذكره بالدنيا

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يزيل كل شيء يذكره بمتاع الدنيا من الأشياء المحرمة المنهي عنها، والتي تشغل ولو بالصلاة، كان لنا ستر فيه تماثيل طير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة! حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا"رواه مسلم .

وماذا نحتاج من الدنيا أيها الإخوة؟ أمور قليلة يسيرة هي التي تبلغنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم موضحاً هذه الضروريات الثلاث: "من أصبح منكم آمناً في

سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" حديث حسن، من أصبح منكم آمناً في سربه: آمناً في بيته، لا يخاف على نفسه ولا على ماله ولا على أهله وعرضه، معافى في جسده: صحيح ما فيه مرض، عنده قوت يومه فهو شبعان، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، هذا كل ما هو موجود مما نحتاجه في الدنيا، أما البقية فهي استكثارات مشغلة ملهية.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر بمثل الدنيا في الآخرة، وبمثل الدنيا في نعيم الجنة، ولذلك قال في الحديث: "سأل موسى ربه فقال: يا رب! ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة.

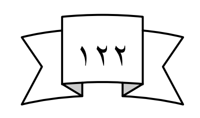
فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي.

فيقول: هو لك ومثله ومثله ومثله ومثله -لك الأولى وأربعة وخمسة- فقال في الخمسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك -الذي ذكرنا لك قبل- هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك.

فيقول: رضيت ربي، -هذا أدنى أهل الجنة منزلة، خمسة في عشرة بخمسين، ضعف ملك من ملوك الدنيا، خمسين ضعفاً! هذا أدنى أهل الجنة منزلة، بالإضافة إلى ذلك لك ما اشتهت نفسك ولذت عينك- قال ربي: فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر" رواه أحمد وهو حديث صحيح.

نعيم الدنيا وبؤسها بالنسبة للآخرة

وهذه الدنيا نعيمها في الآخرة أيضاً لا يساوي شيئاً، كما أن نعيم الآخرة بالمقارنة بالدنيا لا يمكن أن يقارن، ضرب النبي عليه الصلاة والسلام المثل فقال:

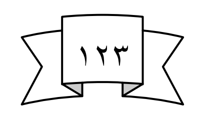


"يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار -أنعم واحد من أهل الدنيا، أكثرهم مالاً وأكثرهم لذات في الدنيا لكنه من أهل جهنم، يؤتى به في يوم القيامة- فيصبغ في جهنم صبغة ويرفع، ثم يقال له: يا بن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة -مؤمن فقير، كان عارياً، مريضاً، مصاباً، مضطهداً- يؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة واحدة فيقال له بعد ما صبغ بهذه الصبغة: يا بن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط" رواه مسلم.

هذا على غمسة فكيف وهم سيعيشون فيها خالدين ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ الشورى: ٧ .

ولا تنس نصيبك من الدنيا

إن الآيات والأحاديث -أيها الإخوة- تركز على هذا المفهوم تركيزاً عظيماً، يجب أن يستقر هذا المفهوم في أنفسنا، وينبغي أن يكون حياً في أذهاننا ومشاعرنا لأن الأحوال لا تستقيم، حال المؤمن لا يستقيم إلا وهذه جزء منه وركيزة من ركائزه، لا يصلح أن يكون من انعكاسات هذا الموضوع في أنفسنا ترك الأخذ بالأسباب التي أمرنا بالأخذ بها شرعاً، لا يصلح ولا يعني عرض هذا الموضوع ترك السعي لتحصيل القوة التي نهزم بها الكفار، وليس معنى هذا أن نترك السعي لطلب الرزق الذي نعيش به الأنفس التي نحن مسئولون عنها، وليس الموضوع لترك العلاج والتداوي أو ترك الدراسة والجد والتحصيل، أو ترك الغرس والبناء وعمارة الأرض كما أمر الله؛ بل إن القضية بعدم التعلق بالدنيا مع الأخذ بنصيبنا منها فإن الإسلام وسط، وهذه الأمة التي اصطفاها الله وأخرجها لعمارة هذه الأرض والجهاد في سبيل الله لا بد أن تأخذ



بالأسباب، قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ القصص: ٧٧ ،أولاً ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ القصص: ٧٧.

إذاً لا تنس نصيبك من الدنيا، فخذ ما تحتاج إليه، واعمل ما تقتات به، واكسب عيشك، الله سبحانه وتعالى جعل في الدنيا معايش وأخبرنا بأنه جعل لنا فيها معايش، لا بد من الطعام والشراب، لا بد من الغذاء والسكن واللبس.

ولكن -أيها المسلمون- الانشغال الحاصل الآن في هذا التنوع والتوسع والكماليات -مع الأسف- التي غرق فيها الناس وأدخلوها بيوتهم، وأنفقوا فيها الأموال الطائلة، الكماليات والتعلق بالزينة، إذا مرت سيارة فارهة قال: آخ لو أن عندي مالاً.

وإذا رأى قصراً مشيداً ضرب كفاً بكف وقال: لو أن لي مثله.

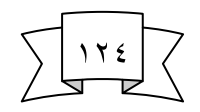
اعلم أن الذين رأوا أموال قارون التي تنوء بمفاتحها الرجال أولو القوة قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ القصص: ٧٩ ، لكن ماذا قال أهل العلم؟ ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ القصص: ٨٠.

فإذاً -أيها الإخوة- لا بد من أخذ الأسباب التي نرفع بها شأن الدين، وإن نحن ابتعدنا بأنفسنا عن هذه المهالك في الدنيا، وكذلك الدنيا هذه هي الفرصة للعمل، فلا يعني هم الدنيا أن نقعد عن العبادة وننتظر الأجل لا.

لأن الدنيا هي الفرصة للعمل للتزود للآخرة والعبادة، الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

يا بن آدم! الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

فوائد معرفة حقارة الدنيا



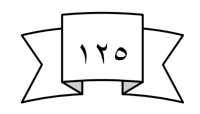
يستفاد من عرض هذا المفهوم ألا نتعلق بزينة الدنيا فنهلك، ألا نمد أعيننا إلى ما متع الله به أقواماً من الكفرة والفسقة : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣١ قال بعض السلف: بيننا وبين الأغنياء والملوك يوم واحد، أما أمس فقد مضى علينا وعليهم، وذهبت لذتهم وذهب بؤسنا في الأمس، فنحن وإياهم سواء، وفي الغد هم على وجل وخوف أن يذهب ملكهم أو غناهم، ونحن ما جاءنا بؤس الغد بعد، فنحن وإياهم في الغد سواء، وإنما هو اليوم هذا الذي نعيشه، فما عسى أن يكون ساعات وينقضي.

هذا يستفاد منه -أيها الإخوة- الاستعداد ليوم الرحيل بالعمل، قال سليمان بن عبد الملك لـ أبي حاتم الواعظ: ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب.

كل جهده وضعه في هذه الدنيا، بناء بيوت وتحصيل أموال؛ فيكره الانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ما عمل للآخرة شيئاً، عمله للآخرة قليل، لكن هذه الدنيا التي وضع فيها حيله وحاله.

وكذلك فإن الآخرة تقدم في العمل على الدنيا، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الجمعة: ٩ وابتدأ بالآخرة بالأمر بالعمل ثم الدنيا، قال في الدنيا: تمشي، وقال في الآخرة: تسعى، والسعي أسرع من المشي، إذا اشتغلت بالدنيا أضررت بالآخرة والعكس بالعكس كما قال بعض السلف: مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

هذا الموضوع -يا أيها المسلمون- حتى إذا رأينا صاحب متاع لا نتأسف ولا نتحسر، وإنما نقول: هذه زينة، إن كان إنساناً تقياً فهو يطيع الله في هذا المال، وإن كان فاسقاً فهو استدراجٌ له، وإن كان كافراً فهذا غاية مناه وقصارى ما يأمل في هذه الحياة.



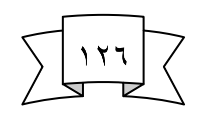
الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها، الدنيا إما نقمة نازلة أو نعمة زائدة، لا بد إذاً أن توطن النفس على الذهاب من هذه الدنيا والرحيل، الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقى لصاحب، ولا تخلو من فتنة ولا من محنة، فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإن نعيمها يتنقل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وآثارها تبقى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾ يس: ١٢ خطوات المشي إلى المساجد تبقى عند الله، والصدقات تبقى للآخرة، الآثار هذه الآثار وليست الآثار التي يتفرج عليها الناس في السياحة.

وهذا المفهوم أيضاً يجعل الإنسان سخياً بما في يده في سبيل الله، يضع ما عنده في سبيل الله؛ لأنه يعلم أن هذا الذي ينفق هو الذي يبقى، والذي يدخره عنده هو الذي يزول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لـ عائشة، ما بقي منها إلا كتفه، أنفقت وبقي جزء، فأخبرها أن الباقي هو الفاني وأن ما أنفقته هو الباقي.

روى ابن المبارك في كتابه الزهد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حوائجك.

فقال أبو عبيدة: وصله الله ورحمه كما وصلني، ثم قال: تعالي يا جارية! اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان.

حتى أنفذها وانتهت كلها! فرجع الغلام إلى عمر بن الخطاب فأخبره، ووجده قد أعد مثلها لـ معاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، ثم تلهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذا في حاجتك.



فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية! اذهبي إلى فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا، وإلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأة معاذ، فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، هذه زوجته تقول: اجعلنا في عداد المساكين، نحن محتاجون، فلم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا بهما إليها.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

فحقارة الدنيا إذاً وزوالها يدفع الإنسان للإنفاق والبذل والعطاء؛ لأن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، ولو أنفقتها فقد جعلتها في كف الرحمن، وما عند الله باق، فهي في كفه سبحانه وتعالى يربيها لصاحبها حتى تكون كالجبل العظيم.

الخطبة الرابعة : اليتيم

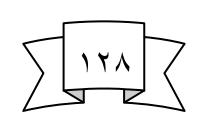
أما بعد:عباد الله ، من هو اليتيم؟ قال ابن منظور في لسان العرب: اليتيم في الناس من فقد أباه، واليتيم في الحيوانات والطيور من فقد أمه، قلت: وهذه لطيفة لغوية دقيقة لها مغزى قل من ينتبه إليها، قال ابن منظور: وأصل اليتم في اللغة هو الغفلة، وبه سمي اليتيم يتيماً، أي: لأنه يتغافل عن بره بعد موت أبيه، وقال: وأصل اليتم في اللغة أيضاً هو: الانفراد، يقال: درة يتيمة، أي فريدة، ويقال: بيت يتيم، أي: بيت منفرد أو وحيد.

مكانة اليتيم في القرآن والسنة

لقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بأمر اليتيم وشأن اليتيم، اهتم القرآن بتربية اليتيم وبأمره من الناحية النفسية ومن الناحية المادية على السواء مراعاة لظروف اليتيم النفسية بعد فقد أبيه، فقد يحس بشيء من الذل أو القهر أو الانكسار، وراعى القرآن هذه الحالة النفسية مراعاة دقيقة؛ لأن الذي يشرع هو الذي خلق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك: ١٤.

ستعجبون –أيها الأحباب الكرام– إذا علمتم أن اهتمام القرآن بأمر اليتيم كان منذ الفترة الأولى لتنزل الوحي على قلب الحبيب المصطفى الذي نشأ يتيماً، فكان يتمه تشريفاً لكل يتيم.

منذ الفترة الأولى اهتم القرآن بأمر اليتيم، بل امتن الله جل وعلا بذلك على حبيبه المصطفى الذي ولد يتيماً ونشأ يتيماً، فكان يتمه كما ذكرت تشريفاً وتكريماً لكل مسلم يتيم، قال الله تعالى ممتناً على حبيبه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ الضحى: ٦ - ٨ أي: لقد كنت يتيماً يا محمد –بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم– فآواك الله وأيدك وأحاطك بعنايته ورعايته وحفظه وفضله، وكنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة والرضا، ثم أفاض عليك بعد



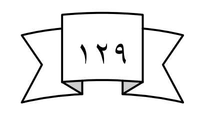
ذلك بالمال الوفير الحلال الطيب، وكنت شارداً تائهاً تبحث عن الحق في شعاب مكة وربوعها، في بيئة جاحدة، وبين نفوس شاردة، وفي هاجرة قاتلة محرقة، فهداك الله جل وعلا للحق، وطمأن قلبك، وشرح صدرك، ورفع ذكرك، ووضع وزرك، ومنَّ الله جل وعلا عليك بكل هذه الأفضال والنعم، ومن ثمَّ جاء هذا التوجيه الرباني الكريم: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ الضحى: ٨ - ١١ .

بل تعجبون إذا علمتم أن الله جل وعلا قد أمر بالإحسان إلى اليتيم، ولم يكن هذا الأمر خاصاً بأمة الحبيب فحسب، بل لقد أمر الله بذلك الأمم من قبل أمة النبي صلى الله عليه وسلم، بل لقد أخذ الله هذا الأمر ميثاقاً جامعاً من بين المواثيق الجامعة التي أخذها على بني إسرائيل، فقال جل وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة: ٨٣.

ومن هذا المنطلق الكريم بالاهتمام بأمر اليتيم، أمر الله جل وعلا ولي اليتيم والوصي على ماله بالمحافظة على هذا المال محافظة تامةً كاملة.

وأمر الله ولي اليتيم بعدم تبديد أمواله، أو تبديلها بالخبيث من الأموال، أو المتاجرة بها فيما حرم الله جل وعلا، وأمر الله جل وعلا ولي اليتيم أيضاً بألا يسرف بالإنفاق من أموال اليتامى، وبألا يسرع في تبديدها قبل أن يكبر أصحابها اليتامى ليأخذوا حقهم.

وأمر الله ولي اليتيم أيضاً بأنه إذا ما أحس النضج والرشد عند هؤلاء اليتامى، ورأى أنهم أصبحوا قادرين على تصريف شئونهم، وتدبير أحوالهم، والمحافظة على أموالهم، أمره الله أن يسارع برد لهذه الأموال كاملة وافرة غير منقوصة.



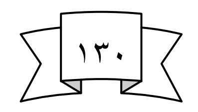
وإن كان هذا الولي غنياً فليستعفف عن الأكل من أموال اليتامى، وإن كان فقيراً فله أن يأكل من هذه الأموال مع اليتامى بالمعروف من غير سرفٍ ولا تبذير، وفي أضيق نطاق، وأقل الحدود.

ثم أمر الله وصي اليتيم بعد ذلك إذا ما كبر اليتامى أن يدفع إليهم أموالهم، وأن يُشهد على ذلك تبرئة للذمة، ودرأً للشبهة.

وإليكم هذه الآيات الكريمة التي تؤكد هذه المعاني التي ذكرتها آنفاً، يقول الله جل وعلا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الإسراء: ٣٤.

وقال الله عز وجل في سورة النساء: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ النساء: ٢ أمر للوجوب؛ إذ لم تأت قرينة تصرف هذه الأوامر من الوجوب إلى الندب :﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ النساء: ٢ ، أي: إثماً وذنباً عظيماً، وقال عز وجل في سورة النساء أيضاً: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦ قالت الشافعية والمالكية: إن الأمر بالإشهاد للوجوب أيضاً إلا أن الحنفية قالوا: إنه للندب وليس للوجوب، ولكن ظاهر الآيات يدل على أن الأمر بالإشهاد عند دفع المال للوجوب كذلك ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦.

ويا لها والله من خاتمة جليلة تفزع القلوب الحية! ألا وهي قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦ فهو الحسيب والرقيب والشهيد على أحوالكم وأقوالكم وأعمالكم، هو الذي يعلم منكم السر وأخفى، وهو الذي سيحاسبكم على ما قدمتم وما

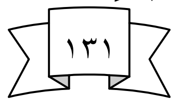


أخرتم في يوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧ .

وتأتي هذه الآية الجليلة -أيها الأحباب- التي تقرن أمر الإحسان إلى اليتيم بأمر عبادة الله وحده لا شريك له، ويا لها من مكانةٍ عظيمة لليتامى! قال الله جل وعـــــلا: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ النساء: ٣٦ إنه تكريم وتشريف أن يقرن الأمر بالإحسان إلى اليتامى بالأمر بعبادة الله جل وعلا وحده لا شريك له.

ومع أن كل هذه الآيات تشمل أمر اليتيم واليتيمة -أي: الذكر والأنثى- إلا أن ربنا جل وتعالى قد خص اليتيمة بآيتين للتأكيد على حقها، ولزيادة التوضيح والبيان؛ فقال ربنا جل وعلا في سورة النساء: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ ﴾ النساء: ٣ وقال عز وجل: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ النساء: ١٢٧.

ورد في صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سأل خالته عائشة رضي الله عنها عن الآية الأولى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ النساء: ٣ قالت: يا بن أخي: هي اليتيمة في حجر وليها، فيرغب وليها في جمالها ومالها، ويريد أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا إليهن في صداقهن، وأُمروا بنكاح سواهن مثنى وثلاث ورباع أي: أن الله جل وعلا يأمر ولي اليتيمة إن رغب في الزواج منها فقد أوجب الله عليه أن يكمل لها الصداق، وأن لا ينتقص حقاً من حقوقها، قال عروة: قالت عائشة: إلا أن الناس قد استفتوا رسول الله بعد ذلك فأنزل الله جل وعلا: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ



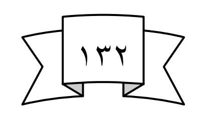
ٱلَّتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾النساء: ١٢٧ هذه هي مكانة اليتيم واليتيمة -أيها الأحبة- في القرآن، والآيات كثيرة جداً لا أستطيع أن أقف معها كلها، وأكتفي بهذا القدر لأعرج على مكانة اليتيم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مكانة اليتيم في السنة

لقد كرم النبي صلى الله عليه وسلم الذي نشأ يتيماً اليتامى على الأرض من المسلمين تكريماً عجيباً، ووالله لو لم يأت في السنة إلا هذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة لكفى، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" أسمعت يا عبد الله؟ يقول حبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار النبي بالسبابة والوسطى" الله أكبر! أي فضلٍ وأي شرف، ولفظ رواية مسلم: قال صلى الله عليه وسلم: "كافل اليتيم له أو لغيره -أي إذا كان اليتيم من قرابته أو كان اليتيم أجنبياً عنه لا يعرفه- معي في الجنة كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى" أي فضل وأي شرف لمن يكفل اليتيم أن يكون مرافقاً في الجنة للنبي صلى الله عليه وسلم.

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح مقولة عن ابن بطال إذ يقول: حق على كل من سمع بهذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة فهي أفضل منزلة في الآخرة.

من منا لا يريد أن يرافق الحبيب في الجنة؟ بل لقد ورد في الحديث الذي رواه أبو يعلى وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الأدب معلقاً على هذا الحديث الذي استشهد به: وإسناده لا بأس به من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا أول من يفتح باب الجنة، فأرى امرأة تبادرني -أي تسرع خلفي لتدخل معي إلى الجنة- فأقول لها: مالكِ؟ من أنتِ؟ فتقول المرأة: أنا امرأة قعدت على أيتام لي" امرأة جلست تربي أيتامها بعد موت زوجها تسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم



لتدخل معه الجنة، قال الحافظ ابن حجر: وقد يشتمل هذا الحديث على الأمرين، أي: على أمر السرعة والمنزلة معاً، تسرع لتكون مع رسول الله ولتكون في منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، يقول لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "مالكِ؟ من أنتِ؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي" جلست على أيتام لها لتربيهم تربية طيبة بالحلال الطيب، بعيداً عن أجواء المعصية العفنة عياذاً بالله جل وعلا.

بل وفي الحديث الذي رواه النسائي بسندٍ جيد من حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "اللهم إني أحرج -والحرج هو: الإثم الشديد والذنب العظيم- اللهم إني أحرج على حق الضعيفين اليتيم والمرأة".

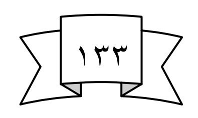
وأختم بهذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الساعي على الأرملة والمسكين -والأرملة هي التي مات زوجها وترك لها أولاده- كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل" .

أسمعت يا عبد الله إلى هذا الفيض وإلى هذه النعم؟! "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل" أي فضلٍ هذا؟! والله الذي لا إله غيره إن من تخلى عن هذا الفضل لمحروم في الدنيا والآخرة.

الساعي على من مات عنها زوجها وترك لها أفراخها الصغار أجره عند العزيز الغفار كأجر المجاهد في سبيل الله الذي حمل نفسه وروحه على أسنة السيوف والرماح وطلب الشهادة من الله جل وعلا، أو كالذي يتعب نفسه ويصوم النهار ويقوم الليل لله العزيز الغفار جل وعلا.

عاقبة آكل مال اليتيم

إذا كان هذا هو قدر اليتيم عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء القرآن يحذر وينذر بصورة تحذير رهيب وإنذار شديد لمن يتطاول ويتجرأ على



أكل مال اليتامى ظلماً بغير حق، فلقد قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾ النساء: ١٠ الله أكبر! أي رعبٍ هذا؟! أي إنذار شديد هذا؟! والله إنه إنذار يخلع القلوب الحية، وينذر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ النساء: ١٠ فكم من أموالٍ لليتامى قد أكلت ظلماً، بل ومن الذي سلم إلا من سلمه الله جل وعلا، ووالله إن شربة ماء من أموال اليتامى بغير حق إنما هي نار تغلي في البطون، وإن لقمة خبز من أموال اليتامى بغير حق إنما هي نار تتأجج في البطون ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴿١٠﴾﴾

النساء: ١٠.

ولما نزلت هذه الآيات نزلت على قلوبٍ حية، نزلت على قلوبٍ تستمع إلى القرآن لتنطلق على الفور لتحول القرآن إلى وقع وإلى منهج حياة، كان حالهم عجيباً وعجباً، ليس كحالنا اليوم، فإننا نستمع إلى أوامر الله أمراً أمراً، وإلى نواهي الله نهياً نهياً، وإلى حدود الله حداً حداً، ولا يستجيب إلا من رحم ربك، وينطلق البعض أو الأكثرون وكأنهم لم يسمعوا شيئاً، كأن الله لم يأمر، وكأن الله لم ينهَ، وكأن الله لم يحد حداً، واجب على الناس أن لا يتعدوا حدود الله جل وعلا، لما نزلت هذه الآيات في مجتمع الصحابة الذي رباه من رباه الله ليربي به الدنيا صلى الله عليه وسلم، لما نزلت هذه الآيات فزع الصحابة فزعاً شديداً، وتزلزلت قلوبهم زلزلة عظيمة، وذهب كل صحابي في بيته يتيم ففصل ماله عن مال اليتيم كله، وشرابه عن شراب اليتيم كله، حتى أن الأكل كان يوضع بين يدي اليتيم -كما قال ابن عباس - فيأكل اليتيم فإذا ما تبقى شيء من الطعام لا تمتد إليه الأيدي مطلقاً حتى يفضل هذا الطعام، فإن أكله اليتيم مرة ثانية وإلا خرب وفسد، وشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتكوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله جل وعلا الذي لا

يغيب ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي يربيهم بمنهجه وقرآنه أنزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ البقرة: ٢٢٠ وقد ظن بعض المفسرين أن هذه الآية الأولى منسوخة بآية البقرة وهذا وهم وخطأ، فإن آية البقرة آية محكمة لم تنسخ ولكن هذا من باب التخفيف عن هؤلاء الخيار الكرام الذين وقعوا في مثل هذا الحرج الشديد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾ البقرة: ٢٢٠ يعلم من الذي يفسد أموال اليتامى، ويعلم من الذي يريد أن يصلح أموالهم وأن ينميها ويربيها لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ البقرة: ٢٢٠ وهكذا –أيها الأحبة– يأتي هذا الوعيد الشديد من الله تبارك وتعالى لآكل مال اليتيم.

يتمٌ رغم وجود الوالدين!!!

أما العنصر الرابع فهو عنصرٌ قد يراه بعض الإخوة غريباً ألا وهو: يتمٌ رغم وجود الوالدين! كيف يكون ذلك؟ ألم أقل في أول الخطبة بأن ابن منظور قال في لسان العرب: بأن اليتم في اللغة أصله الانفراد، فإذا عاش الطفل منفرداً فريداً وحيداً أحس باليتم وبالغربة؛ فهو بين والد قد انشغل بتجارته وأمواله ولم يعط لولده قليلاً من الوقت، وبين أم قد انشغلت عن ولدها بالعمل تارة، أو بالضرب في الأسواق تارة أخرى، أو بالجري وراء أحدث الموضات مرة ثالثة، وتركت ولدها ووليدها ونعمة ربها التي يريدها كثير من النساء غيرها، تركت هذه النعمة في أحضان المربية، أو في أحضان الخادمة، أو في أحضان المدارس، ووالله قد يُترك هذا الطفل بين أحضان مدارس أهل الكفر، هذه المدارس التي تركز على الظاهر لإبهار الكثير من المسلمين بتعليم اللغات، وأشهد الله على منبر رسول الله لقد دخل عليَّ أحد الإخوة الكرام وهو

يبكي فقال لي: أدركني وقل لي ما الحل؟ قلت: ما الذي جرى ما الذي حدث؟ قال: دخلت زوجتي على ولدي في غرفته الخاصة، فوجدت الولد يصلي كصلاة النصارى ويقول: بسم الأب والابن والروح القدس وهو مسلم، قلت: سبحان الله! وأين رأى الولد هذه الصلاة؟ هل يدخل ولدك الكنائس؟ قال: لا.

قلت: عجيب، فما الذي جعله يصلي هكذا؟ فقال: إن ولدي في مدرسة تسمى بـ (الفرنسسكان) قلت: سبحان الله! وهل يريد من زرع الشوك أن يجني الورود، محال لمن زرع الشوك أن يجني إلا الجراح، ولدك على مائدة اللئام، وتريد أن يتربى على التوحيد والإسلام!! إنه وهم، ولدك يربى على موائد اللئام وتريد أن يعود إليك موحداً وعلى علم بتوحيده وبدين الإسلام!! هذا مستحيل! الولد جوهرة غالية، ونعمة كبيرة، ودرة صافية تقبل كل شيء ينقش عليها، فإن ربي على الإسلام وعلى الخير خرج عضواً صالحاً لنفسه ولمجتمعه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن نقشت على هذه الدرة الشر أشربت الشر، وقبلت الشر وخرج عضواً فاسداً في مجتمعه، وشقي في الدنيا والآخرة والوزر والذنب على رأس والديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ التحريم: ٦.

فقد ينشأ الطفل بين والديه إلا أنه يحس باليتم، وبالوحشة، وبالغربة، لا يجد أباً يجلس إليه، ولا يجد أماً تأخذه في أحضانها لترضعه حنانها ورحمتها، كلا.

ورحم الله من قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا

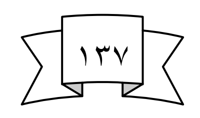
إن اليتيم هو الذي ترى له أماً تخلت أو أباً مشغولا

كيف تؤمّن مستقبل ولدك بعد موتك؟

وأخيراً: أيها الأحبة! يبقى لنا هذا العنصر الأخير في هيئة سؤال ألا وهو: كيف تؤمِّن مستقبل ولدك بعد موتك؟

والجواب مباشرة من الله جل وعلا: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩ جوابٌ محكمٌ من الذي خلق، ويعلم ما خلق ومن خلق :﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩ يقول سيد التابعين لولده: إني سأكثر من الطاعات براً بك، براً بولده ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ الكهف: ٨٠ وفي الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا ﴾ الكهف: ٨٢ طاعة الوالد، وتقوى الوالد لا تضيع أبداً لا في حياته ولا بعد مماته، كيف لا وقد دخل مسلمة بن عبد الملك ابن عم عمر بن عبد العزيز عليه وهو على فراش الموت، فقال له: يا أمير المؤمنين! ألا توصي لأولادك بشيء؟ فهم كثير وقد أفقرتهم ولم تترك لهم شيئاً فقال عمر بن عبد العزيز: أتريد مني أن أوصي لهم بما ليس لي، وهل أملك شيئاً لأوصي لهم به؟ أم تريد أن أوصي لهم بحقٍ لغيرهم، فوالله لا أفعل، فإنهم أحد رجلين: إما أن يكونوا صالحين والله يتولى الصالحين، وإما أن يكونوا غير صالحين فوالله لا أترك لهم ما يستعينون به على معصية الله عز وجل، أدخلوا أولادي عليَّ! فأدخلوا أولاده عليه كالفراخ الصغيرة، وهو على فراش الموت، فودعهم عمر بهذه الكلمات التي تذيب الحجارة، وتفتت الصخور، نظر عمر إلى أولاده وقال: يا بني! إن أباكم قد خير بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل النار، وبين أن تفتقروا ويدخل الجنة، وقد اختار أبوكم الجنة، انصرفوا فأنتم وديعة عند الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ النساء: ٩ وأحب ألا يفهم كلامي فهماً خاطئاً، ويقال: بأن الشيخ

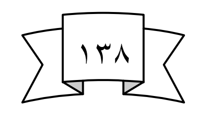


يدعو إلى الدروشة، ويريد أن ينقطع الآباء إلى العبادة وينشغلوا عن الدخول في الأسباب لتوفير المال الحلال الطيب لورثتهم، كلا.

فإن الأمر بالتقوى لا يعارض ألبتة الدخول في الأسباب، فإن الدخول في الأسباب كما قال الشاطبي في الموافقات: أمر واجب شرعاً.

يجب علي وعليك أن ندخل في الأسباب، فلا مانع أن تدبر المال الحلال الطيب لولدك، ولا مانع من أن تسعى ومن أن تكدح، شريطة أن لا تضيع حق الله أو حق ولد من أولادك، فإن كثيراً من الناس قد يظن أن الكدح والسعي على الأولاد لا حرج فيه أن يضيع الصلوات، وإذا ما قلت له يرد عليك ويقول: أليس العمل عبادة؟ أنا في عبادة، فلماذا أترك هذه العبادة لآتي للصلاة، فنقول لمن هذا حاله: لا حرج أن تسعى على رزقك من الحلال لتيسر لأولادك السعة والرخاء في الدنيا وبعد موتك، شريطة ألا يشغلك هذا الكدح عن حق الله جل وعلا أو عن حقوق أولادك، فإننا نرى كثيراً ونقرأ كثيراً عن آباء قد تركوا أولادهم وانصرفوا عنهم، واهتموا بأن يدبروا لهم الطعام والشراب فقط، وظنوا أن الأمر متوقف عند المال، وعند الطعام والشراب، ثم عاد هذا الرجل وهذا الوالد المسكين بعد فترة ليرى ولده -عياذاً بالله وحفظنا الله وإياكم- مدمناً للمخدرات، أو مدمناً للهروين، أو شارباً للخمر، أو زانياً أو مسك في بيت من بيوت الدعارة؛ لأن الوالد المسكين قد ظن أن كل ما عليه تجاه ولده أن يدبر له الطعام والشراب فقط.

وهذا خطأ كبير أحذر نفسي وأحبابي منه، فإن الولد في حاجة إلى أبيه، لا إلى مال أبيه فقط، فإن وفرت له المال ويسرت له السعة والرخاء مع كل ما تملك من فكر ورحمة، وعطاء وحنان وبذل ونصح وإرشاد، وتربية على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو الخير بل هو قمة الخير، بل وجزاك الله عن ذلك كل الخير، والأصل في ذلك حديث مسلم "أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبي وقاص وهو مريض فقال سعد: يا رسول الله! هل أتصدق بنصف مالي؟



قال الرسول: لا، ثم قال: بالثلث والثلث كثير، وقال عليه الصلاة والسلام: إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" أي: يسألون الناس.

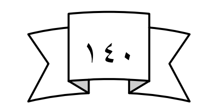
شهر ربيع الأول

الخطبة الأولي : قدر النبي صلى الله عليه وسلم

الخطبة الثانية : وفاة النبي صلي الله عليه وسلم

الخطبة الثالثة : الصبر

الخطبة الرابعة : جولة في بستان الصابرين



الخطبة الأولي : قدر النبي صلى الله عليه وسلم

أما بعد:عباد الله ، لقد كرم الله النبي صلى الله عليه وسلم تكريماً ما أكرم به نبياً من الأنبياء، ولا رسولاً من الرسل.فقد ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة، وابن كثير في تفسيره وفي البداية والنهاية: أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لربنا: يا رب! ما من نبي إلا وقد كرمته، فقد اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وسبحت الجبال مع داود، وسخرت الجن والطير والريح لسليمان، وخلقت عيسى من روحك، ففيم فضلتني بين هؤلاء وبم كرمتني بين هؤلاء؟ فقال له ربنا: يا محمد! إن كنت كرمت هؤلاء فقد كرمتك تكريماً ما كرمته لنبي من قبلك، فقال: ما هو يارب؟ فقال ربنا سبحانه وتعالى: يا محمد! لقد رفعت ذكرك، وأعليت شأنك، فلا أذكر حتى تذكر معي، يا محمد! المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، ويقول: وأشهد أن محمداً رسول الله.

هل هناك تكريم أعظم من هذا التكريم؟! يذكر اسم الله فيذكر بعده اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أذكر حتى تذكر معي يا محمد! لقد قرنت اسمك باسمي فلا أذكر حتى تذكر.

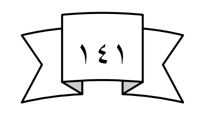
إن شأن رسول الله عند الله لعظيم .. وإن قدره لكريم.. فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين وشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وأعلى له قدره وزكاه في كل شيء.

زكاه الله في عقله فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ النجم: ٢ .

وزكاه في بصره فقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ النجم: ١٧ .

وزكاه في لسانه فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ النجم: ٣ .

وزكاه في فؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾ النجم: ١١ .



وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ الشرح: ١.

وزكاه في ذكره فقال جل وعلا: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ الشرح: ٤.

وزكاه في طهره فقال جل وعلا: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ الشرح: ٢.

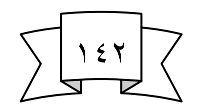
وزكاه في حلمه فقال جل وعلا: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨.

وزكاه في معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ النجم: ٥ .

وزكاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ القلم: ٤.

و في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع يوماً إلى بعض الناس، وقد جلسوا يتذاكرون في تفاضل الأنبياء فقال أولهم: أتعجبون، لقد اصطفى الله آدم على البشرية، وقال الآخر: لقد اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وقال الثالث: لقد كلم الله موسى تكليماً، وقال الرابع: لقد خلق الله عيسى من روحه، فخرج عليهم رسول الله وقال لهم: "لقد استمعت إلى كلامكم وإلى عجبكم، إن آدم اصطفاه الله على البشرية وهو كذلك" فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينقص ولا يبخس أحداً حقه "وإن إبراهيم خليل الرحمن وهو كذلك، وإن موسى كليم الله وهو كذلك، وإن عيسى روح الله وهو كذلك، ألا وإني حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر، وأنا سيد الأولين والآخرين ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر" صلى الله عليه وسلم.

فهو إمام الأنبياء، هو حبيب الله، وهو خليل الله، وهو أكرم الخلق على الله جل وعلا، فما أحلى أن يكون اللقاء معه، وما أجمل أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فوالله الذي لا إله غيره ما خلق الله من خلقه رجلاً أحب إليه



من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من نبي بعثه الله –أيها المسلمون– إلا وقد أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بعث في وجود هذا النبي كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ آل عمران: ٨١.

أغر عليـــه للـــــنبوة خـــاتم من نـــور يلـــوح ويشـهد

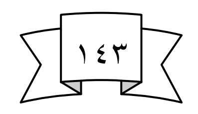
وضم الإله أســم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق لـه من اســـمه ليـــجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ويتجلى تكريم الرب العلى لحبيبنا النبي في قسم الله جل وعلا بعمر المصطفى ، بحياة المصطفى ، قال ابن عباس رضى الله عنهما: والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد فقال جل وعلا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الحجر: ٧٢ أقسم الله بحياة حبيبه المصطفى فيقول ربه له: وحياتك يا محمد.

معنى الآية وحياتك يا محمد إن أهل الشرك إن أهل الكفر فلا ضلالهم يترددون ويتخطفون ويتحيرون: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ الحجر: ٧٢.

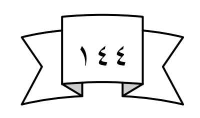
بل لم يقسم الله جل وعلا لنبى من أنبيائه بصفة الرسالة إلا لحبيبنا المصطفى فقال جل وعلا: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يس: ١ - ٤ يقسم الله لنبينا فقط بأنه رسول من عنده فيقول: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يس: ١ - ٤.



بل وأقسم الله بالضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ الضحى: ١ - ٢ أنه ما أهمل محمداً وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه وأن ما أعده له فى الآخرة خير له من كل ما أعطاه فى دنياه، وقد جمع الله له الكرامة والسعادة فى الدارين مع الزيادة فقال جل فى علاه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ الضحى: ١ - ١١.

تدبر معى أيها المحب للحبيب محمد لتقف على قدر حبيبك عند ربه جل وعلا فوالله لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا المصطفى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥، ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ هود: ٤٨ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٥، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ طه: ١١ - ١٢، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ آل عمران: ٥٥، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ص: ٢٦، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ مريم: ٧، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ مريم: ١٢، ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ هود: ٨١.

أما المصطفى فنادى عليه ربه بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ الأحزاب: ١، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦، وداعياً إلى الله وداعياً إلى الله: ﴿بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ الأحزاب: ٤٦، وقال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ المائدة: ٤١، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾

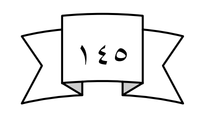


المزمل: ١ - ٢ ، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧)﴾ المدثر: ١ - ٧، يا أيها النبى، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، وما ذكر الله اسم النبى إلا مقروناً بالرسالة فقال سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤)﴾ آل عمران: ١٤٤.

وتدبر معى هذه الكرامة فإن الله جل وعلا قد خاطب حبيبة فأخبره بالعفو عنه قبل الفعل الذى فعله قال سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٤٣)﴾ التوبة: ٤٣. عفا الله عنك فقدم الله العفو عن حبيبه ثم أخبره بفعلته بعد ذلك: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٤٣)﴾ التوبة: ٤٣، وخصه تبارك وتعالى بالشفاعة العظمى في الآخرة وهى المقام المحمود الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا (٧٩)﴾ الإسراء: ٧٩.

وخصه الله جل وعلا بالوسيلة، والوسيلة هي أعلى منزلة في الجنة كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي قال: "إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تتبغى إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى".

وخصه الله بالكوثر هل تعلمون ما الكوثر؟ حوض أو نهر في الجنة ماءه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى مذاقا من اللبن بالعسل، وطينه- أو طيبه، كالمسك الأذفر وعدد آنيته بعدد نجوم السماء من شرب منه شربة بيد الحبيب



المصطفى، لا يقى بعد هذه الشربة أبداً حتى يسعد بالنظر إلى وجه الله فى الجنة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: ١ - ٣.

ففى الصحيحين من حديث أنس واللفظ للبخارى أن الحبيب النبى قال: " بينما أنا أسير فى الجنة" دخل النبى الجنة- نعم رأى النبى الجنة فى الدنيا وهو يصلى صلاة الاستسقاء، ودخل النبى الجنة ليلة المعراج والإسراء يقول الحبيب:" بينما أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه= شاطئاه- قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك عز وجل" يقول الحبيب : فإذا طيبه- أو طينه- مسك أذفر".

وفى رواية مسلم من حديث أنس قال المصطفى "حوضي أشد بياضاً من الثلج وأحلى من اللبن بالعسل عدد آنيته أكثر من نجوم السماء وإني لأرد الناس عنه يوم القيامة- أي: من غير المؤمنين، أي من غير الموحدين-كما يرد الرجل إبله عن حوضه" كما يرد الرجل إبل الناس عن حوضه فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة فى أرض المحشر هل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ فقال المصطفى :" نعم إن لكم يومئذ سيما" أى: علامة تختلفون بها عن كل الأمم " تأتونى أو تردون على غراً محجلين من أثر الوضوء".

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم والإمام الترمذي وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فضلت على الأنبياء بستٍ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب -وفي رواية البخاري: ونصرت بالرعب مسيرة

شهر- وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون" صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة" .

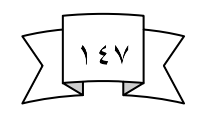
أي: لو وضعت هذه اللبنة لتم لهذا البنيان كماله وجماله وجلاله، يقول صلى الله عليه وسلم: (فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين) .

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم، والإمام أبو داود، والإمام أحمد من حديث أبي هريرة -أيضاً- رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر، وأنا أول شافع ومشفع يوم القيامة" .

ففي يومٍ يا عباد الله! يزداد همه وكربه على جميع الناس حتى على أنبياء الله ورسله جل وعلا تدنو الشمس من الرءوس فتغلي رءوس لحرارتها -والعياذ بالله- ويؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود.

فإذا ما رأت جهنم الخلائق زفرت وزمجرت غضباً منها لغضب الله جل وعلا، فحين يراها الخلائق بهذه الكيفية وهذا الحال لا يقوى مخلوق على أن يقف على قدميه فيخر كل مخلوق جاثياً على ركبه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الجاثية: ٢٨ في هذا اليوم العصيب الرهيب يزداد الهم والكرب على خلق الله، وعلى عباد الله، فيقول بعض الناس لبعض -كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد وهذا لفظ أحمد من حديث أبي هريرة - يقول بعض الناس لبعض: "ألا ترون ما نحن فيه، ألا ترون ما قد بلغنا، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيأتون آدم عليه السلام،



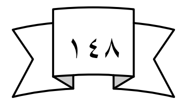
فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيديه، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد عصيت الله عز وجل وطردت من الجنة بمعصيتي، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً عليه السلام ويقولون: يا نوح! أنت أول رسل الله إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح عليه السلام: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كان لي دعوة فدعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم الخليل.

فيأتون إبراهيم عليه السلام، فيقولون: يا إبراهيم! أنت خليل الله، وأنت رسول الله، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول إبراهيم عليه السلام: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله، ثم يذكر كذباته الثلاث -التي شرحناها في اللقاء الماضي كما صح بها الحديث في البخاري ومسلم - ثم يذكر كذباته الثلاث ويقول: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام ويقولون: يا موسى! أنت رسول الله، اصطفاك الله على الناس برسالاته وبكلامه، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول موسى عليه السلام: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى عليه السلام ويقولون: يا عيسى! أنت روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك، فيقول



عيسى عليه السلام: نفسي نفسي نفسي -ولم يذكر عيسى شيئاً- اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم" .

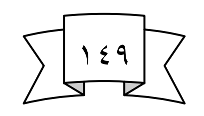
يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "فيأتوني في أرض المحشر، فيأتوني يوم أن قال كل رسول: نفسي، ويوم أن قال كل نبي: نفسي، -يقول صلى الله عليه وسلم-: فيأتوني ويقولون: يا رسول الله! أنت خاتم الأنبياء، وأنت رسول الله، خلقك الله عز وجل وفضلك على جميع الأنبياء، فغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى ما نحن فيه يا رسول الله! ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك" .

يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: "فأقوم وأقول: نعم، أنا لها أنا لها، فآتي تحت عرش الرحمن وأخر ساجداً لله جل وعلا، فيفتح الله عليَّ بمحامد ويلهمني من الثناء ما لم يفتح به على أحد قبلي، فينادي عليه الحق جل وعلا ويقول: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فيقول الحبيب: يا رب! وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك، فيقول الله تعالى: قد شفعتك يا محمد، ارجع فإني آتيكم لأقضي بينكم" .

وصدق الله جل وعلا إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ .

"يا ربي لقد وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك" وهذه هي أعظم شفاعات المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيشفع الحبيب لجميع الخلق في أرض المحشر ليقضي الله جل وعلا بين خلقه وعباده، فهو حبيب الله، وهو خليل الله، وهو أكرم الخلق على الله جل وعلا.

كل القلوب إلى الحبيب تميل	ومعي بهذا شاهد ودليل
أما الدليل إذا ذكرت محمدا	صارت دموع العاشقين تسيل
هذا رسول الله هذا المصطفى	هذا لرب العالمين رسول



يا سيد الكونين يا علم الهدى	هذا المتيم في حماك نزيل

ماذا أقول عنك يا رسول الله إن مثلي ومثلك يا رسول الله كمثل أعرابي ضل الطريق في الصحراء، فلما طلع عليه القمر اهتدى بنوره، فقال: ماذا أقول لك أيها القمر؟ أأقول رفعك الله؟ لقد رفعك الله. أأقول لك نوَّرك الله؟ لقد نورك الله. أأقول جملك الله؟ لقد جملك الله. وانا ماذا اقول لك يا سيدي يا رسول الله؟ أأقول رفعك الله؟ لقد رفعك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ الشرح: ٤ أأقول نورك الله؟ لقد نورك ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ المائدة: ١٥ أأقول جملك الله؟ لقد جملك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٦ .

يا سيدي يا رسول الله معذرة	إذا كبا فيك تبياني وتعبيري
ماذا أوفيك من حق وتكرمة	وأنت تعلو على ظني وتقديري
أقبلت كالفجر وضاح الأسارير	تدعو إلى الله في يسر وتبشيري
على جبينك نور الحق منبلج	وفي يديك لواء العدل والنور

لقد أتم الله التكريم للنبي صلى الله عليه وسلم في خَلقه وفي خُلقه، وقد اخترت أن أتكلم معكم عن رسول الله وعن كيفية خُلقه صلى الله عليه وسلم؛ كيف كان شعره؟ وكيف كانت عيناه؟ وكيف كان أنفه؟ وكيف كان فمه؟ وكيف كانت أسنانه؟ وكيف كان صدره؟ وكيف كان ذراعه؟ وكيف كانت بطنه؟ وكيف كانت قدمه؟ عن صفة خلق النبي صلى الله عليه وسلم.

وبداية أطلب منكم أن تعيشوا معي بأرواحكم، حتى تتخيلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا، استمعوا جيداً واستحضروا الحواس والأرواح والقلوب، حتى نصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه يقف الآن بين أيدينا وأمام أعيينا؛ لننظر إليه

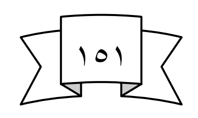
من ناصية رأسه وحتى أخمص قدميه، فنصفه للمسلمين الموحدين الذين يحبونه صلى الله عليه وسلم، والذين يضرعون إلى الله ليلاً ونهاراً أن يجمعهم به في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلى من أتى الله بقلب موحد سليم.

أولاً: وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ورد في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خلقا –فالخلق غير الخُلق– ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير) .

وورد في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام الدارمي والإمام البيهقي عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الأضحيان –يعني: ليلة مقمرة– فأخذت أنظر إلى القمر وأنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في عيني أحسن من القمر) ، اللهم صلِّ عليك يا حبيبي يا رسول الله.

وفي الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام الدارمي والإمام البيهقي والإمام الطبراني وهو عند الإمام أبي نعيم في دلائل النبوة من حديث الربيع بنت معوذ قيل لها: صفي لنا رسول الله فقالت سيدتنا الربيع بنت معوذ: (لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لقلت: إن الشمس طالعة) اللهم صل وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، هذا حديث صحيح، لو نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى وضاءة وجهه، وإلى أنوار وجهه، لقلت: إن الشمس طالعة.

وورد في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كان وجه النبي صلى الله عليه وسلم كالشمس والقمر مستديراً) فأكثر من الصلاة والسلام على سيدي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث خرجه مسلم عن جابر بن سمرة، كله نور، وكله جمال.



فوالله الذي لا إله غيره، إن كان الله قد أعطى ليوسف بن يعقوب شطر الحسن –أي: نصف الحسن– فقد أعطى الحسن كله لمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقد يقال: إذا كان الله قد أعطى محمداً صلى الله عليه وسلم الحسن كله فلماذا لم تتعرض له امرأة قط؟! بينما يوسف عليه السلام الذي أعطى نصف الحسن قد تعرضت له النساء، بل وقطعن أيديهن انبهاراً بجماله، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾ يوسف: ٣٠ - ٣١.

فامرأة العزيز لما سمعت الكلام كثر في وسط المدينة، عملت وليمة للنساء وجمعتهن –من المعلوم أن كيد الشيطان ضعيف، أما كيد المرأة فعظيم: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)﴾ يوسف: ٢٨ أعظم من كيد الشيطان! إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم –ودبرت خطة: بأن أعطتهن ثمرة الأترج والسكاكين ليقطعن الأترج، ثم أمرت سيدنا يوسف بالخروج عليهن، فلما رأينه انبهرن بجماله وقطعن أيديهن ولم يشعرن؛ لشدة ما رأينه من جمال يوسف عليه السلام.

فإذا كان هذا حال النساء مع يوسف عليه السلام لأنه أعطي نصف الحسن، فمحمد صلى الله عليه وسلم أعطي الحسن كله، فلماذا لم تتعرض له صلى الله عليه وسلم امرأة ولم تفتن به وقد أعطي الجمال كله؟ فالجواب: أن الله جل وعلا حينما كسا محمداً بالجمال كسا جمال محمد بالهيبة والجلال والوقار، فما كان أحد يجرؤ على أن يملأ عينيه من نور وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك دخل أعرابي والنبي صلى الله عليه وسلم يتعبد لله جل وعلا فارتعد الأعرابي واصفر لونه، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ويقول له: "هون عليك يا أخي! أنا لست ملكاً

من الملوك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد في مكة" وهذا هو التواضع، وهو من أعظم أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أعطى الحسن كله.

وكان سيدنا عمر إذا مشى في شعب سلك الشيطان شعباً آخر، فكان الشيطان يخاف منه، فما بالك بسيد الأساتذة صلى الله عليه وسلم؟! إذاً: كان النبي صلى الله عليه وسلم جميلاً ولكن جماله كساه الله بالجلال والوقار، فصلى الله عليه وسلم.

وورد في صحيح البخاري: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سُر – يعني: سعد وفرح فانظر إلى وجهه– فكأن وجهه قطعة من القمر) ، هذه صفة وجهه صلى الله عليه وسلم.

أما شعره صلى الله عليه وسلم فليس بالجعد القطط ولا بالسبط، يعني: شعر النبي صلى الله عليه وسلم بين النعومة والخشونة، فليس بناعم نعومه كاملة، وليس بخشن، فهو وسط بين هذا وذاك، ولقد توفاه الله عز وجل وليس في شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

روى الإمام مسلم والإمام الترمذي والإمام البيهقي والإمام الطبراني والبزار أنه (توفاه الله عز وجل وليس في شعر رأسه ولحيته أكثر من عشرين شعرة بيضاء) ، هذا هو شعر النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث: (شيبتني هود وأخواتها) بعض الناس يعتقد أن هناك اختلافاً؟! وليس كذلك فإن الشيب الذي ظهر في لحية ورأس النبي صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة أو سبع عشرة شعرة، وهي بسبب سورة هود والتكوير والزلزلة والمعارج والحاقة وق، فالنبي صلى الله عليه وسلم شاب من آيات القرآن؛ لأن قلبه صلى الله عليه وسلم كان يتحرك مع آيات القرآن، أما حالنا اليوم فنسأل الله السلامة.

أما عيناه صلى الله عليه وسلم: فقد كان صلى الله عليه وسلم أدعج العينين، يعني: شديدة السواد، وقد ورد في الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كنت أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأقول: إن النبي أكحل وهو ليس بأكحل، من شدة سواد عينيه صلى الله عليه وسلم) .

أما أنف النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان أقنى الأنف، يعني: طويل الأنف، دقيق الأرنبة، يعني: أرنبة الأنف وأقصى الأنف، ولم تكن ضخمة، ولكن بصورة رقيقة وجميلة وجذابة، يستحسنها كل من ينظر إليها.

أما فم النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان ضليع الفم، أي: كبير الفم، مفلج الأسنان، إذا تكلم رئي كالنور من بين ثناياه، فقد جاء في صحيح الإمام الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (كان صلى الله عليه وسلم ضليع الفم، مفلج الأسنان، إذا تكلم رئي كالنور من بين ثناياه) ، وأسنانه جميلة وليست متراكبة، وإنما بين كل سن وسن فلجة جميلة وظريفة، وهذا يدل على طيب رائحة الفم.

أما حاجب النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان طويلاً ومقوساً من غير التقاء بالحاجب الآخر، وبين حاجبيه عرق يدره الغضب، إذا غضب النبي صلى الله عليه وسلم احمر وجهه وانتفخ هذا العرق بين حاجبيه صلى الله عليه وسلم، وكان واسع الجبين.

أما عنقه صلى الله عليه وسلم فكأنه إبريق من الفضة، كما قال ذلك سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما يرويه عن ربيب رسول الله هند بن أبي هالة وكان ابن السيدة خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان خال سيدنا الحسن، فقال له الحسن صف لي رسول الله، فقال له: (كأن عنقه إبريق من الفضة) صلى الله عليه وسلم.

أما لحية النبي صلى الله عليه وسلم: فكان النبي صلى الله عليه وسلم كث اللحية، أي: وافر الشعر، وهذا أكبر دليل على أن اللحية سنة من سنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم فليتبعه ويتصف بصفاته وأعماله وسنته.

أما صدره صلى الله عليه وسلم فقد كان صدره صلى الله عليه وسلم عريضا، وكان عريض الكتفين، وله شعر في صدره، من صدره إلى سرته، كالقضيب من الشعر، صلى الله عليه وسلم، واتساع الصدر واتساع الكتفين يدل على القوة، وسواء الصدر مع البطن يعني: أنه ليست له بطن كبيرة خارجة عن حدها.

وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكفين، ضخم الذراعين، وضخم القدمين، مشدود العضلات.

أما عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول سيدنا علي: كان العرق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم كحبات اللؤلؤ، وكان عرقه أطيب من ريح المسك، وقد ورد في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دخل علينا رسول الله في يوم شديد الحرارة، فقال عندنا رسول الله) ، يعني: قضى عندنا القيلولة، (فعرق النبي عرقاً شديدا، فدخلت أم سليم تصلت العرق من رسول الله في زجاجة، فاستيقظ رسول الله، فقال لها: ماذا تصنعين يا أم سليم؟ قالت: يا رسول الله! نجمع عرقك فإنه أطيب من ريح المسك) ، هذا الحديث مخرج في صحيح مسلم.

وورد في صحيح الإمام مسلم أيضاً من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قال: (لقد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خدي فأحسست ليده برداً وريحاناً، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخرج يده من جونة عطار) ، وورد في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام مسلم أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله

عنه قال: (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

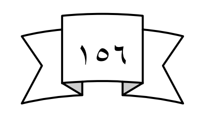
وفي الحديث الصحيح أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يقول: كان أهل المدينة يعرفون إذا مر النبي صلى الله عليه وسلم في طريق من الطرق برائحته صلى الله عليه وسلم.

وصف أم معبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن أدق مَنْ وصف النبي صلى الله عليه وسلم أم معبد، فقد مر عليها صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فمروا على خيمة أم معبد وكانوا جائعين، فأرادوا طعاماً، ولم يكن معها شيء، فاعتذرت إليهم وأن ليس إلا شاة عجفاء هزيلة ليس فيها لبن، فقال: أحضريها، فأحضرت له الشاة، وإذ بالنبي صلى الله عليه وسلم يمسح بيديه المباركة على ظهرها وعلى ضرعها فينزل اللبن بأمر الله، وبقدرة الله المباشرة التي لا دخل فيها لعالم القوانين وإنما فيها كن فكون.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يارب العالمين.

فالنبي صلى الله عليه وسلم حلب وسقى أصحابه وشرب وترك اللبن الكثير لـ أم معبد، فانبهرت أم معبد مما رأت من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فعاد زوجها فرأى اللبن! فاستنكره، وقال: من أين لك هذا اللبن؟! إن هذه الشاة لا لبن فيها، قالت: لقد مر عليّ رجل مبارك سألني طعاماً وشراباً فقلت له: ليس عندنا شيء، فقال لي: هاتِ الشاة، ومسح بيده على ظهرها وعلى ضرعها فجرى اللبن الكثير! فشرب وشرب أصحابه وبقي لنا هذا اللبن! فقال لها: صفيه لي لعله أن يكون محمداً! فقالت له سيدتنا أم معبد رضي الله عنها: (رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حسن الخلق، مليح الوجه، إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حسن



المنطق، أبهى الناس وأحسنهم من بعيد، وأحلى الناس وأحسنهم من قريب، غصنٌ بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تثابروا لأمره) ، اللهم صلاةً وسلاماً عليك يا سيدي يا رسول الله! صلاةً وسلاماً يليقان بمقامك يا أمير الأنبياء! ويا سيد المرسلين! أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المحبين لشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن المنفذين لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن حب النبي صلى الله عليه وسلم سلوك وعمل، وإن حب النبي صلى الله عليه وسلم التزام بسنته، والتزام بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم والتزام بشرعه، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بسنته صلى الله عليه وسلم.

الخطبة الثانية : وفاة النبي صلي الله عليه وسلم

أما بعد:عباد الله ، موضوع خطبتنا اليوم وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ، إنه موضوع انتقاله إلى الرفيق الأعلى عليه أفضل الصلاة والسلام، وإني لأتقاصر حقارة أن أتحدث في هذا الموضوع، ولكن لا جدوى إلا بحديث يذكرنا بذاك الحدث الجلل، وكل حدث بعد وفاته هين سهل بسيط يسير.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠ إطلاق لا تقييد فيه، وعموم لا خصوص فيه ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ فليبن أهل البغي والعدوان بروجاً من التحسين إن شاءوا، فو الله ليموتن ولو كانوا في بروج مشيدة، والموت وما أدراك ما الموت؟!

مذهل، سماه الله مصيبة فقال: ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ المائدة: ١٠٦ وكان السلف إذا آنسوا من قلوبهم قسوة تذكروا الموت والقدوم على الله وما بعد الموت، فمات كل عضو من أعضائهم مكانه، وأثر عن ابن سيرين رضي الله عنه وأرضاه أنه كان إذا ذكر الموت وسأله سائل قال: والله ما أدري ماذا تقول، طاش عقلي من ذكر الموت.

وقال الحسن البصري رحمه الله: فضح الموت الدنيا، فلم يدع لذي لب فرحاً .

فإذا كان الموت هو مصيبة، وإذا كان الانتقال إلى الله هو رزية؛ فما بالكم يا أجيال محمد صلى الله عليه وسلم، ويا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم بحادث وفاته عليه الصلاة والسلام؟!

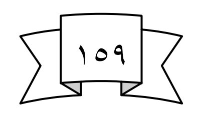
بلَّغ الرسالة، وجاهد في الله، وقام الليالي منذ قال الله له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ المزمل: ١ - ٢ فو الله ما ارتاح ثلاثاً وعشرين سنة، قام فما ارتاح، ووقف فما جلس، سهر وعانى الجلاد والجهاد وفي توصية العباد، ونصحهم إلى الله

عز وجل، ولما وقف بـ عرفة حوله أحبابه ومحبوه وأصحابه وأقربوه، كلهم يرى فيه القدوة والأسوة، وكلهم يرى فيه الأب الحاني، والأخ العاطف، والمشفق الناصح، والصادق الأمين الذي أنقذهم الله به من الوثنية، وقف وأنزل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى عليه قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: ٣ فتلاها على الناس، وعلم الناس أن فحوى الخطاب ولسان الحال يقول: إنك ميت فتأهب، وإنك مرتحل فتجهز، وإنك منتقل فودع أصحابك، فيقول عليه الصلاة والسلام بعدها: "يا أيها الناس: لعلي لا أراكم بعد هذا العام" ووالله ما رآهم بعد ذاك العام، فإذا البكاء وهم واقفون في هذا الصعيد، وإذا دموع الحزن تنهمر

إذا اشتبهت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

وعاد عليه الصلاة والسلام، قال ابن كثير رحمه الله: واستقر الركاب الشريف سنة إحدى عشرة في المدينة عائداً من من حجة الوداع، ومن موادعة الناس، ومن ذلك المؤتمر الذي استشهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واستشهد الناس على أنه بلغ الرسالة فما كتم شيئاً، وأدى الأمانة فما ضن بشيء، فنشهد بالله ونشهد لله ونشهد في يومنا هذا إلى أن نلقى الله أنه ما كتم شيئاً، ولا هضم شيئاً، ولا ضن بشيء، بل بلغها كالشمس في واضحة النهار.

عاد إلى المدينة صلى الله عليه وسلم، وأخبره الله الخبر، وعلم أن كل من عليها فان، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ آل عمران: ١٨٥ ويقول جل ذكره: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ آل عمران: ١٤٤.



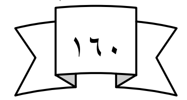
مرض النبي صلى الله عليه وسلم

ويوم الخميس، وما أدراك ما يوم الخميس؟!

يوم زار المرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي ، وليت ما أصابه أصابنا، فإن مصابه رزية على كل مسلم، ولكن رفعاً لدرجاته وتعظيماً له عند مولاه.

وعاد عليه الصلاة والسلام وهو معصوب الرأس، فتقول عائشة وقد فجعت رضي الله عنها وأرضاها: وارأساه! قال عليه الصلاة والسلام: بل أنا وا رأساه وصدق صلى الله عليه وسلم، فإن صداع الموت قد وصل إلى رأسه الشريف ثم يلاحق، وهذه رواية البخاري فيقول: "والله لولا أن يتمنى متمن أو يدعي مدع لأرسلت إلى أبيك وإلى أخيك فأكتب لهم كتاباً" أي: أبا بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر يكتب لهم كتاب الوصاية، والله أعلم بذاك الكتاب، ثم لما أحس صلى الله عليه وسلم بدنو الأجل، وهذا عند أحمد في المسند بسند حسن عن أبي مويهبة قال: قال لي صلى الله عليه وسلم في الليل الدامس: "يا أبا مويهبة! أسرج لي دابتي، فأسرجت له دابته عليه الصلاة والسلام، فركبها فذهبت معه حتى أتى الشهداء في أحد، فسلَّم عليهم سلام المودع، وقال: أنا شهيد عليكم أنكم عند الله شهداء، ثم قال: يا أبا مويهبة! خيرت بين البقاء وأعطى مفاتيح خزائن الدنيا وبين لقاء الرفيق الأعلى، قال: أبو مويهبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله! خذ مفاتيح الدنيا، وأطل عمرك في الدنيا ما استطعت، ثم اختر الرفيق الأعلى، فقال عليه الصلاة والسلام: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى" .

وعند البخاري في الجنائز من حديث عقبة بن عامر قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما وصل الشهداء في أحد، فسلَّم عليهم سلام المودع، ثم قال: يا أيها الناس: والله ما أخاف عليكم الفقر، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم" وصدق عليه الصلاة والسلام، فوالله ما



قطعت أعناقنا إلا الدنيا، وما أفسد ديننا إلا الدنيا، وما ذهب بأخلاقنا وآدابنا إلا الدنيا.

على فراش الموت

ووقع صلى الله عليه وسلم على فراش الموت، وعصب رأسه، وأخذت الحمى تنفضه عليه الصلاة والسلام، لكن جاء عند الترمذي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط" وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا حزن ولا مرض، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" ويقول عليه الصلاة والسلام كما في كتاب الطب والمرض للبخاري: "إن المؤمن كالخامة من الزرع، لا تزال الريح تفيئها يمنة ويسرة، وأما المنافق كالأرزة، لا تزال قائمة منتصبة حتى يكون انجعافها مرة واحدة" .

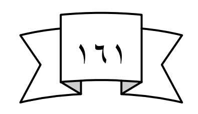
المؤمن يحم، المؤمن يصاب ويمرض ويجوع، لكن المنافق يسمن ويترك حتى تأتيه قاصمة الظهر مرة واحدة.

ولا ذنوب له صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكن رفعت درجاته عليه الصلاة والسلام، جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك -أي: في مرض موته- فمسسته بيدي- بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- فقلت: يا رسول الله! إنك توعك وعكاً شديداً.

قال: نعم.

إني أوعك كما يوعك رجلان منكم.

قلت: ذلك بأن لك الأجر مرتين يا رسول الله.



قال: نعم.

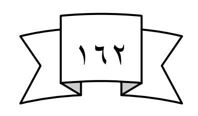
ثم قال: ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها" .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته

ثم خرج بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام على الناس، يقول ابن عباس كما جاء من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة في الصحيحين: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس، وهو عاصب على رأسه بعصابة دسمة، -وقيل: سوداء- وهو بين علي والعباس، على كتفيهما رضوان الله عليهما، وأقدامه من المرض تخط في الأرض، فأجلساه على المنبر، فلما رأى الناس قال: يا أيها الناس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته زاد البيهقي كما قال ابن كثير: يا أيها الناس: إني ملاقٍ ربي، وسوف أخبره بما أجبتموني به، يا أيها الناس: من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله فليقتص مني الآن قبل ألا يكون درهماً ولا ديناراً، قال أنس: فنظرت إلى الناس وكل واضع رأسه بين رجليه من البكاء، ثم قال عليه الصلاة والسلام: يا أيها الناس: اللهم من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله أو ضربته فاجعلها رحمة عندك" وعند أبي داود: "إني أخذت عند ربي عهداً أيما مسلم شتمته أو سببته أو ضربته، أن يجعلها كفارة له ورحمة" فاستبشر الناس بهذا، وأخذوا يقولون: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله! وعاد إلى فراشه، وكان يسمع الأذان طيلة تلك الأيام، من يوم الخميس إلى يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فكان صوت الأذان حبيباً إلى قلبه، أحب الأصوات إلى أذنه (الله أكبر) يوم يردده بلال صافياً صادقاً قوياً ينبعث إلى قلب من أتى بكلمة (الله أكبر) ويوم يردد لا إله إلا الله فتنبعث إلى قلب من أتى بلا إله إلا الله.

كان عليه الصلاة والسلام كما عند أبي داود يقول: "أرحنا بالصلاة يا بلال"

فقل لـ بلال العزم من قلب صادق أرحنا بها إن كنت حقاً مصليا



توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به ترقَ أبواب الجنان الثمانيا

أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أن يصلي بالناس

وفقد عليه الصلاة والسلام أنس الجماعة، وجمال الصفوف يوم تسجد وراءه، يوم يركع وراءه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، والسادة القادة الشهداء العلماء الأبرار، فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي، وآذنه بلال بالصلاة، فقام صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين فقال: "ضعوا لي ماءً في المخضب -وهو المغتسل- فاغتسل صلى الله عليه وسلم، فقام لينوء فما استطاع، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، فلما اغتسل قام لينوء فما استطاع، -كان يسقط على فراشه بأبي هو وأمي- فقال في آخر مرة، وهي الخامسة كما في الصحيحين: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

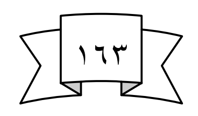
وانبعث الصوت إلى المسجد، وأتى بلال، فقالوا: يا بلال! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك: مر أبا بكر فليصل بالناس، فبكى بلال وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، يا أبا بكر صل بالناس" .

وعند ابن كثير في السيرة: قال أبو بكر متواضعاً محتقراً نفسه رضي الله عنه وأرضاه: يا عمر! صل بالناس.

قال: بل أنت صل بالناس.

وورد بسند جيد: "أن عمر صلى فريضة، والرسول صلى الله عليه وسلم مريض، فلما سمع صوته قال: لا.

يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" فأين دعاة البدعة الذين يقولون: إن أبا بكر ليس هو الموصى إليه، وأن الوصية كانت إلى غيره، فقد رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا وصلاتنا، أفلا يرضاه لمعاملاتنا ودنيانا؟!



كذب الأدعياء، وكذب الدجاجلة، إن هو إلا زور افتروه، وكذب دجلوا به على الأمة.

وتنشَّط عليه الصلاة والسلام ذات غداة في صلاة الظهر ووجد من نفسه خفة، فقام ليصلي مع الناس، وقام عليه الصلاة والسلام معتمداً على الفضل ورجل آخر، حتى أدخل المسجد صلى الله عليه وسلم، فوضع عن يسار أبي بكر، فجلس صلى الله عليه وسلم يُكبر وأبو بكر يكبر بتكبيره، ويسجد فيسجد أبو بكر لسجوده، والناس يسجدون بعد أبي بكر، فلما سلم عليه الصلاة والسلام رقى المنبر، فلما رقى المنبر كشف عن وجهه الشريف الذي ضمر بالحمى، واصفر بالمرض، ورق بالألم، فقال للناس: "يا أيها الناس: إني أنهاكم عن الشرك فلا تشركوا بالله" كما أوردها ابن كثير، ثم قال وهو على المنبر، بل كرر هذا الحديث ثلاث مرات: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر من الشرك، ثم قال: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد" ثم أوصاهم بالتوحيد، فكان حرصه على التوحيد في أول الطريق، وفي وسط الطريق، وفي آخر الطريق.

موته صلى الله عليه وسلم

ثم عاد عليه الصلاة والسلام، وفي آخر يوم -يوم الإثنين- وما أدراك ما يوم الإثنين! يوم قبض فيه رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، وهادي البرية، يوم توفاه الله إليه ليكرمه جزاء ما قدم للأمة، يوم قبضه الله، قال أنس: ظننا أن القيامة قامت يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أي مصيبة أكبر من مصيبة وفاته على الأمة؟! أي حدث وقع في تاريخ الإنسان يوم توفي خير إنسان وأفضل إنسان عليه الصلاة والسلام؟! ولكن نقول الآن

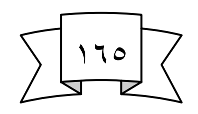
وبعد الآن ويوم نلقى الرحمن: إنا لله وإنا إليه راجعون! ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ البقرة: ١٥٦ - ١٥٧ .

قال أنس رضي الله عنه وأرضاه كما في الصحيح: "كشف صلى الله عليه وسلم لنا ونحن في الصلاة، فنظرنا إلى وجهه وهو في حجرة عائشة، وكأن وجهه ورقة مصحف، فلما رآنا صفوفاً كدنا نفتتن" قال أهل العلم: نفتتن، أي: استبشاراً وفرحاً، ظنوا أنه قد عاد إلى صحته، وظنوا أنه قد تشافى من مرضه، ولكنه يتبسم.

يتبسم لأنه ترك جيلاً مؤمناً، وكتيبة موحدة، وترك جيشاً يوالي لله ويعادي في الله، ويموت من أجل الله، ثم رد الستار، ولكنه تبسم أخير ومنظر أخير، ما بعده إلا الموت، ثم أتى عليه الصلاة والسلام فمرضته عائشة رضي الله عنها وأرضاها، جلس عليه الصلاة والسلام ووضع رأسه الشريف في حجرها، ويا لسعادة الزوجة بزوجها! ويا لسعادة الحبيبة بحبيبها! ويا لفرحتها بمؤنسها وبرجلها في آخر عمره وهو يلصق رأسه بحجرها رضي الله عنها وأرضاها! كانت تقول: "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري" وفي الصحيح قالت: "توفي بين حاقنتي وذاقنتي" فأخذت تتلو عليه القرآن، وتعوذه بالمعوذات؛ لأنه أصبح لا يستطيع أن يقرأ أو يتلو.

اشتد عليه الكرب عليه الصلاة والسلام، وفي تلك الفترة دخل عليه أسامة بن زيد حبه وابن حبه، كان مولى، ولكن الحب والود في الله، فما استطاع عليه الصلاة السلام أن يكلم أسامة، وقد جهز له جيشاً يرسله إلى البلقان، فرفع صلى الله عليه وسلم يديه، وما سمعوا له كلاماً كما في السيرة يرفعها ثم يردها، قال أسامة: فعلمت أنه يدعو لي صلى الله عليه وسلم.

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر، والرسول صلى الله عليه وسلم في سكرات الموت، ومع عبد الرحمن سواك من أراك يستاك به، وهو صهره ورحيمه، فنظر إلى



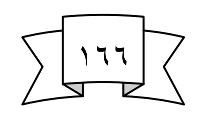
السواك؛ لأنه طيب، فمه طيب، ونفسه طيب، وكلامه طيب، وحياته طيبة، ومماته طيب، قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: فعلمت أنه يريد السواك، فأخذته فقضمته ثم غسلته ودفعته إليه صلى الله عليه وسلم، فاستاك كأشد ما يستاك في الحياة صلى الله عليه وسلم وأخذ يدير السواك بقوة، ليلقى الله طيباً، فإن حياته طيبة، ووفاته طيبة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩) وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ الفجر: ٢٧ - ٣٠ .

ثم أعاد صلى الله عليه وسلم قضية التوحيد ورسالة التوحيد -يا أهل التوحيد- وهو في سكرات الموت، كان يأخذ خميصة فيبلها بالماء، ويجعلها على وجهه ويقول: "لا إله إلا الله، اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت، لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، لا إله إلا الله، اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت" ثم قال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله اليهود والنصارى -مرة ثانية- اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" وعند مسلم: "قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا قبري مسجداً، فإني أنهاكم عن ذلك" فهو يوصي بالتوحيد صلى الله عليه وسلم.

ثم من كمال إشفاقه أوصى بالصلاة وهو في سكرات الموت أين الذين يوصون بالقصور والفلل؟

أين الذين يوصون بالأموال والمناصب؟ أين الذين يوزعون التركات؟

ها هو سيد البشر وخير البشر صلى الله عليه وسلم يوصي بالصلاة، ويقول وهو في الرمق الأخير: "الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم، الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم، الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم" ثم يشير بسبابته صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، فترتفع روحه إلى الحي القيوم، إنا لله وإنا إليه راجعون! صلى الله على محمد رسوله، نشهد بالله شهادة ندخرها ليوم العرض على



الله، أنه ما مات إلا وقد دلنا على كل خير، وحذرنا من كل شر، وبلغ الرسالة، ونشهد أنه أدى الأمانة.

وانصرع صلى الله عليه وسلم في ذاك المصرع، الذي لا بد أن يصرعه كل واحد منا، فجهز نفسك وقدم لها، وتهيأ لذاك المصرع، فو الله لتصرعَن يوماً ما، ووالله لتأخذن روحك خلسة، فتهيأ لذاك المصرع، أعاننا الله وإياك وكل مسلم عليه.

موقف الصحابة من موته صلى الله عليه وسلم

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت، وبقي جثمانه الشريف في غرفة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، ولكن ماهو حال الصحابة؟

فداً لك من يقصر عن فداك   فلا ملك إذاً إلا فداكا

أروح وقد ختمت على فؤادي   بحبك أن يحل به سواكا

إذا اشتبكت دموع في خدود   تبين من بكى ممن تباكى

وقف الصحابة في موقف لا يعلمه إلا الله، وفي دهشة لا يعلمها إلا الحي القيوم، كلهم يكذب الخبر، ولا يصدق إلا من أتاه اليقين ، وقفوا حول مسجده صلى الله عليه وسلم، وأغلق بابه الشريف على جثمانه، وبقيت عائشة رضي الله عنها وأرضاها تبكي مع النساء، أما السكك فقد امتلأت بالبكاء والعويل والنحيب، وأما عمر رضي الله عنه وأرضاه فوقف عند المنبر يسل سيف الإخلاص والصدق الذي نصر به دين الله، ويقول: يا أيها الناس: من كان يظن أن رسول الله قد مات، ضربت عنقه بهذا السيف.

ولكن البكاء غلب والنحيب والعويل زاد، أما أبو بكر فكان غائباً في ضاحية من ضواحي المدينة في مزرعته، ما يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى

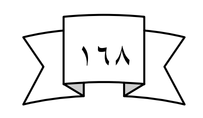
في ذلك اليوم، بأبي هو وأمي! فسمع الخبر فأتى على فرسه، وقد ثبته الله يوم أن يثبت أهل طاعته، وقد سدده الله يوم أن يسدد أهل التوحيد.

فأتى بسكينة ووقار، كان رجل المواقف، ورجل الساعة، وكان اختياره صلى الله عليه وسلم موفقاً في إمامة أبي بكر، فأتى وإذا الناس لا يزدادون من البكاء إلا بكاء، ولا من العويل إلا عويلاً، ولا من النحيب إلا نحيباً، فقال: ماذا حدث؟ قالوا: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات رسول الله، أتدرون ماذا قال؟

قال: الله المستعان! الله المستعان نلقى بها الله، والله المستعان نعيش بها لله، والله المستعان نتقبل بها أقدار الله، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! إنها كلمة الصابرين حين يصابون بصدمات في الحياة، إنها كلمة الأخيار حينما تحل بهم الكوارث من أقدار الله وقضاء الله.

ثم دخل وشق الصفوف في سكينة على فرس له، وبيده عصا، ويشق الصفوف بسكينة ووقار، حتى وصل إلى البيت ففتح الباب، ثم أتى إليه صلى الله عليه وسلم، فكشف الغطاء عن وجهه، ثم قبله وبكى ودمعت عيناه الشريفتان على وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما أطيبك حياً وما أطيبك ميتاً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها، ولكن والله لا تموت بعدها أبداً، والله لا تموت بعدها أبداً، والله لا تموت بعدها أبدا .

ثم خرج رضي الله عنه وأرضاه إلى الناس وعصاه بيده، فأسكتهم، وقال لـ عمر: يـ ابن الخطاب! اسكت، فلما سكت الناس، وهم ينظرون إلى القائد الجديد الملهم، إلى هذا الإمام الموفق، إلى هذا الخليفة الراشد، وهو يتخطى الصفوف حتى صعد المنبر، فيستفتح خطابه بحمد الله والثناء على الله، فالمنة لله والحمد لله، والأمر لله من قبل ومن بعد، ثم يقول: يا أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ



ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤ فكأن الناس سمعوها لأول مرة.

عاد الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، كلهم يتلمح مصلاه صلى الله عليه وسلم، كلهم ينظر إلى ممشاه وإلى مجلسه وإلى ذكريات كلامه، فما أصبح يرى ذاك الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أصبح يعيش تلك الأيام، يقول جابر كما صح عنه: ما دفنَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفضنا أيدينا من تراب قبره حتى أنكرنا قلوبنا.

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قال أبو بكر لـ عمر رضي الله عنه وأرضاه: يا عمر! اذهب بنا إلى أم أيمن -هذا بعد وفاة رسول الله، وهي مولاة كانت مرضعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عجوز مسنة كان يزورها صلى الله عليه وسلم في حياته- قال: اذهب بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان صلى الله عليه وسلم يزورها يا للتواضع! يا للتمسك بالسنة! يا للحرص على الأثر! فذهبا رضوان الله عليهما، فلما وصلا إلى أم أيمن بكت، فقالا: ما يبكيك يا أم أيمن؟

قالت: أبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا: أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم؟

قالت: والله إني أعلم ذلك، ولكن أبكي على أن الوحي انقطع من السماء.

فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان رضوان الله عليهما.

تغسيل النبي صلى الله عليه وسلم

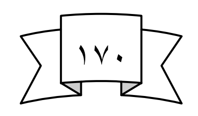
اختلفوا أين يدفنونه عليه الصلاة والسلام، وإن كان للبقع وللأراضي أن تتمنى جثماناً تساكنه، فلسان حال التراب أن يتمنى جثمانه الشريف صلى الله عليه وسلم، فلما اختلفوا قال أبو بكر: يا أيها الناس! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن النبي إذا مات أو قبض دفن في المكان الذي قبض فيه" ولكن قبل الدفن

أتى التغسيل، وأتت مراسيم الغسل، وكان للعباس وللفضل ولـ علي شرف تغسيله صلى الله عليه وسلم، قال علي رضي الله عنه: اختلفنا في كيفية تغسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقي علينا النعاس، ونحن بالماء حوله صلى الله عليه وسلم، حتى نمنا وإن لحية أحدنا إلى صدره، فسمعنا هاتفاً يقول: "اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوق ثيابه" وهذا سند صحيح، فغسلوه من فوق ثيابه، طيباً مباركاً مهدياً، عليه السلام يوم ولد، وعليه السلام يوم بعث، وعليه السلام يوم مات، وعليه السلام يوم يبعث حياً.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، فعند البيهقي بسند لا بأس به، قال عليه الصلاة والسلام: "إذا وضعتموني على شفير القبر فدعوني ساعة، فإن الملائكة سوف تصلي علي، ثم صلوا علي زرافات ووحداناً، ثم صلوا علي في أي مكان، فإن صلاتكم تبلغني" فصلى الله عليه وسلم ما دامت الأرض، وصلى الله عليه وسلم ما دام في الأرض إسلام ومسلمون، وصلى الله عليه وسلم ما تعاقب الليل والنهار، وما فاح شذا الأزهار، وما تدفقت مياه الأنهار، جزاء ما قدم للأمة، فإنه صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي".

قالوا: يا رسول الله! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ -أي: بليت- قال: " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" فجسده في قبره سليماً عليه الصلاة والسلام، وروحه عند الله، ولكنه لا يملك في قبره ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.



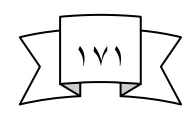
لا يطلب منه الدعاء، ولا يتوسل به وهو في قبره، ولا يستشفع به بعد موته في قبره، ولا ترفع إليه الحوائج ممن يأتي إلى قبره، بل هو في قبره عليه الصلاة والسلام، لم تأكل الأرض جسده الشريف عليه الصلاة والسلام دائماً وأبداً سرمداً.

نعم دفن عليه الصلاة والسلام بعدما صلى عليه الناس زرافات ووحداناً، وذكر الشوكاني في نيل الأوطار: أن من صلى عليه صلى الله عليه وسلم يبلغون سبعة وثلاثين ألفاً من الرجال والنساء، من المهاجرين والأنصار، ما كان لهم إمام يصلي بهم، بل صلى كل إنسان منهم على حدة، وكان في الصف الأول أبو بكر وعمر، حفظ من دعائهما رضي الله عنهما أنهما قالا: صلى الله وسلم عليك يا رسول الله، نشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حتى أتاك اليقين .

وضع في قبره عليه الصلاة والسلام، ورد عليه التراب، ودفن كما يدفن الإنسان، ما خلَّف عليه الصلاة والسلام درهماً ولا ديناراً، ولا عقاراً ولا قصوراً ولا مناصب، وإنما ذهب كما أتى، ذهب سليم اليد، أبيض الوجه، طاهر السريرة، ولكن خلَّف ديناً خالداً وخلَّف رسالة، مات الداعية ولكن ما ماتت الدعوة، مات الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ما ماتت الرسالة، مات البشير النذير، ولكن ما ماتت البشارة والنذارة، ترك لنا تراثاً أيما تراث، قرآناً حكيماً ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢ وسنة طاهرة للمعصوم فيها صلاح العبد في الدنيا والآخرة.

تركته صلى الله عليه وسلم

وعادوا إلى تركته ولا تركة له فيا من جمع الأموال ولم يقدم ما ينفعه عند الواحد القهار! هذا خيرة خلق الله، وهذا صفوة عباد الله، ذهب والله ما تلوث منها



بشيء، يمر عليه الشهر بعد الشهر ولا يوقد في بيته نار، ويمر عليه ثلاثة أيام وهو في جوعه صلى الله عليه وسلم، فالله المستعان

كفاك عن كل قصر شاهق عمد بيت من الطين أو كهف من العلم

تبني الفضائل أبراجاً مشيدة نصب الخيام التي من أروع الخيم

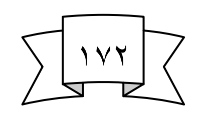
إذا ملوك الورى صفوا موائدهم على شهي من الأكلات والأدم

صففت مائدة للروح مطعمها عذب من الوحي أو عذب من الكلم

ذهب عليه الصلاة والسلام وبقي بيته من طين، وبقيت بعض الدراهم ليست له، أنفقت في الصدقات وفي سبيل الله، وأتى أبو بكر فقال لقرابته ولبناته صلى الله عليه وسلم لما طلبوه الميراث، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنا لا نورث، ما تركناه صدقة" وعند أحمد في المسند: "إنا لا نورث ما تركنا صدقة" فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولكن ترك هذا الدين، اجتماعنا بهذه الوجوه الطيبة النيرة حسنة من حسنات، وهذه المساجد والمنابر حسنة من حسنات رسالته، وهذه الدعوة الخالدة والرسالة القائمة فضل من فضل الله ثم من فضله صلى الله عليه وسلم.

إذا أتتك من الأمور بلية فاذكر مصابك بالنبي محمد

إذا مات ابنك فاعلم أن ابنك لا يكون أحب في قلبك إن كنت مؤمناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن مات أبوك أو أمك أو قريبك أو صفيك، فاعلم أنهم لا يعادلون ذرة في ميزان الحب مع حبه صلى الله عليه وسلم، تذكر أنه مات، وأنه صلى الله عليه وسلم عند ربه، يستشهده الله علينا هل بلغنا ما علينا؟ ويستشهده الله علينا هل سمعنا وأطعنا أم لا؟ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ النساء: ٤١ .



عبر من وفاته صلى الله عليه وسلم

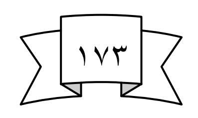
يا من أراد العبرة من وفاته صلى الله عليه وسلم! فأعظم عبرة أن تتجه وأن تستقيم على مبدأ لا إله إلا الله، وأعظم موعظة وأعظم نصيحة أن تأخذ ميراثك وحظك من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كانت تركته أموالاً، ولا سيارات، ولا قصوراً، ولكن قرآن وسنة، قال أبو هريرة لأهل السوق وهم في المدينة: يا أهل السوق! تتبايعون بالدرهم والدينار، وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد، فهرعوا إلى المسجد، وتسابقوا إلى المسجد؛ فرأوا حلقات الذكر، ورأوا القرآن والحديث -ومسائل تطرح، مجلس مثل هذا المجلس العامر- فقالوا: أين التركة يا أبا هريرة؟ أين الميراث يا أبا هريرة؟

قال: ثكلتكم أمهاتكم؛ وهل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً أو ديناراً، إنما ترك العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر .

فأكبر عبرة أن تنقذ نفسك من غضب الله، باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

والعبرة الأخرى: أن تعلم أن قضية التوحيد أخطر قضية في حياة الإنسان، كان ينادي بها صلى الله عليه وسلم قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وفي حياته وفي مماته، في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله، وفي سكرات الموت يقول: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" .

والعبرة: أن الرسالة باقية، وأن هذا الدين لا يموت، قد يمرض أهله، ولكنه لا يمرض، لا تصيبه حمى أبداً، لأنه دين محفوظ من عند الله، قال الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.



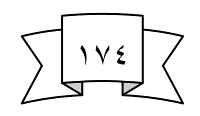
وعبرة أخرى: وهي أن الدنيا تافهة وحقيرة، فعجباً لعبادها! وعجباً للساجدين لها! وعجباً لمن يركع عند أبوابها! أما اتعظوا برسول الله صلى الله عليه وسلم؟! أما أخذوا درساً من رسالته؟ أما سمعوا ما فعل يوم ما ترك إلا الجميل والعمل الصالح؟

لا نقول للناس: اتركوا الأموال، واخرجوا من القصور، ولا تركبوا السيارات، ولكننا نقول: اسكنوا في القصور، واجمعوا الأموال، واركبوا السيارات، ولكن لا تنسوا نصيبكم من الحي القيوم، اذكروا حفرة ضيقة، اذكروا لقاءكم عند الله يوم تأتون حفاة عراة غرلاً بهماً، اذكروا يوم يقول الله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأنعام: ٩٤ ولدتك أمك يابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

وعبرة أخرى: أن المسلم لا يهمه ولا يشغله عن الله شاغل، ومن شغله عن الله شاغل شغله الله، وطبع الله على قلبه وأنساه ذكره، فالرسول صلى الله عليه وسلم على كثرة أعماله وأشغاله، وعلى كثرة ما ينوبه من أغراض وأعراض ما نسي الله لحظة واحدة، حتى في سكرات الموت يقول: لا إله إلا الله! ويوصي بحقوق الله ويقول: "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم" فالله الله في ذكره سُبحَانَهُ وَتَعَالى.

وعبرة أخرى تؤخذ من سياق وفاته صلى الله عليه وسلم: وهي أن الموحد حقاً لا يحتج بالأحداث، لأنه يعيش لله ويموت لله ويبعث إلى الله، فـ أبو بكر ما خارت قواه، وما انهد ولا انهزم ولا فشل في ذاك الموقف، بل علم أنه يعبد الله حياً لا يموت، وأنه يعبد باقياً سُبحَانَهُ وَتَعَالى ودائماً دواماً سرمدياً، فالتجأ إليه، وأخبر الناس أن كل إنسان يموت، فمن كان يعبد محمداً فإنه قد مات صلى الله عليه وسلم، ولكن الله لا يموت.



الخطبة الثالثة : الصبر

أما بعد:عباد الله ،فلما كانت الدنيا دار بلاء والآخرة دار جزاء لا يسلم المؤمن في الدنيا من المصائب والرزايا والبلايا، قال بعضهم: المرء رهن مصائب لا تنقضي حتى يوسد جسمه في رمسه فمؤجل يلقى الردى في غيره ومعجل يلقى الردى في نفسه ، فما أحوجنا إلى تعلم الصبر والعمل به، فإن الصبر ثلاثة أنواع: صبر على الطاعات حتى يؤديها.

وصبر على المعاصي حتى لا يقع فيها.

وصبر على الأقدار المؤلمة التي تخالف هوى النفس.

وهذه الأنواع الثلاثة حاجتنا إليها في هذا الليل الحالك أكثر من حاجتنا إلى الطعام والشراب.

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد.

تعريف الصبر وذكر مراتبه

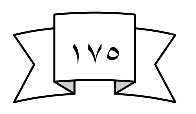
معنى الصبر: الصبر لغة: هو المنع والحبس.

وشرعاً هو: حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها.

وقال بضعهم: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال آخر: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.



وقال آخر: هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقال آخر: تجرع المرارة من غير تعبس.

والنفس لها قوتان: قوة إقدام وقوة إحجام.

فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره.

وقيل: الصبر شجاعة النفس.

ومن هنا أخذ القائل قوله: الشجاعة صبر ساعة.

الصبر هو حبس النفس عن الجزع أو حبس اللسان عن الشكوى أو حبس الجوارح عن المعاصي.

والصبر والجزع ضدان، كما أخبر تعالى عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ إبراهيم: ٢١.

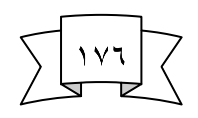
منزلة الرضا ومحلها من الصبر

أما الرضا فهو: انشراح الصدر وسعته بالقضاء.

يعني: أن الرضا درجة أعلى من درجة الصبر، فالصبر: المنع والحبس، منع النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب ونحو ذلك.

أما الرضا فهو: انشراح الصدر، وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم.

يعني: أن الإنسان لو أصيب ببلاء فهو لا يتمنى زوال هذا البلاء؛ لما يرجو من ثوابه عند الله عز وجل، فهو لو خير بين أن الذي ذهب منه يعود إليه وبين ألا يعود لاختار ألا يعود، فلو مات له ولد أو فقد ماله أو فقد سمعه أو بصره فإن طمعه



في ثواب الله، ومحبته لقضاء الله عز وجل وقدره تجعله لا يتمنى غير ما كان، فهو يرضى بقدر الله عز وجل، ويطمع في الثواب، وتطمئن نفسه إلى قضاء الله عز وجل وقدره.

فالرضا هو: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة.

وإذا وجد الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية، فللعبد فيما يكره درجات: درجة الرضا ودرجة الصبر.

فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب على المؤمن حتماً.

وأهل الرضا تارة يلاحظون المبتلي وخيره لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه.

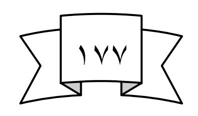
وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك؛ حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم؛ لملاحظتهم صدوره من حبيبهم.

والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود الألم وتمني زواله، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

والرضا يوافق الصبر في حبس النفس وكف الجوارح، ويزيد عليه عدم تمني زوال الألم.

ففرح العبد بالثواب وحبه لله عز وجل وانشراح صدره بقضائه يجعله لا يتمنى زوال الألم.

قال شيخ الإسلام: ولم يجئ الأمر به -أي الرضا- كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم.



قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد –صلى الله عليه وسلم– رسولاً"رواه مسلم والترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، غفرت ذنوبه " رواه مسلم.

فالرضا لم يوجبه الله عز وجل على خلقه، ولكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها، فمن رضي عن ربه رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عز وجل عنه؛ يعني: كما أن توبة العبد تكون نتيجة لتوبة سابقة من الله عز وجل –توبة إذن وتوفيق– ويعقبها توبة قبول وإثابة، فكذلك الرضا.

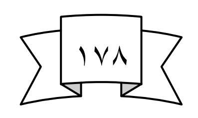
فالله عز وجل يرضى عنه فيرزقه الرضا، ثم يرضى عنه رضا قبول وإثابة، فالله عز وجل هو الأول والآخر.

فرضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه، فهو محفوف بنوعين من رضاه على عبده، رضا قبله أوجب له أن يرضى، ورضا بعده هو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين، نسأل الله أن يقسم لنا من رضاه ما يبلغنا به غاية المنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فضل الصبر

فضيلة الصبر: وردت آيات كثيرة وأحاديث نبوية شريفة تبين فضيلة هذه العبادة:

فضل الصبر في القرآن الكريم



من ذلك: قوله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

والمصيبة هي كل ما يؤذي الإنسان ويصيبه، وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين.

يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة، والعدلان: ما يوضعان فوق سنام البعير، والعلاوة: الزيادة على العدلين التي توضع فوق سنام البعير.

فالصابرون هنا يبشرون بثلاثة أمور: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.

وهما العدلان: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة: ١٥٧ وهذه العلاوة.

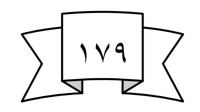
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾ الزمر: ١٠.

وفاز الصابرون بمعية الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الأنفال: ٤٦.

وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تعالى -وبقوله اهتدى المهتدون-: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ السجدة: ٢٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ النحل: ١٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾﴾ آل عمران: ١٢٠.



وعلق الفلاح بالصبر والتقوى، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

وأخبر عن محبته للصابرين فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦.

ولا يفوز بجنة الله عز وجل إلا الصابرون، قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المؤمنون: ١١١.

نسأل الله تعالى أن يفتح علينا في الدين، وأن يجعلنا من الصابرين الشاكرين.

فضل الصبر في السنة النبوية

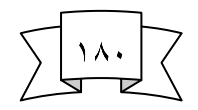
أما أدلة السنة على فضل الصبر والصابرين، فمنها: قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر" متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يرد الله به خيراً يصب منه" رواه البخاري.

وأنتم تجدون أصحاب الدنيا والشهوات والمال والجاه والسلطان عندهم الصحة والعافية والمال والجاه، فيستعينون بذلك على المعاصي فيزدادون غياً وتمادياً، وتجدون أهل الإيمان غالباً عندهم الأمراض والفقر والأوجاع، فليس إعطاء الدنيا دليلاً على محبة الله عز وجل، بل قال الله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ القلم: ٤٤.

قال بعض السلف: يعطيهم النعم ويمنعهم الشكر.

وقال بعضهم: كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة.



وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها" رواه البخاري.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً" رواه البخاري.

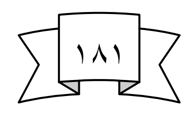
وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى.

قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي.

فقال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: أصبر، لكن ادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها.

فأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أن صبرها على هذا المرض يوجب لها الجنة، وأنها إذا صبرت عليه تدخل الجنة، وإن شاءت أن يدعو لها فسيدعو لها، فاختارت الصبر: ثم قالت: إني أتكشف، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة" رواه البخاري.



وقال أنس بن مالك رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه -يعني: عينيه- فصبر عوضته منهما الجنة" متفق عليه.

فبين أن جزاء الصبر على هذه المصيبة الجنة؛ لأنها مصيبة عظيمة، فمن ابتلي بهذا البلاء فجزاؤه الجنة إذا صبر.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها" رواه مسلم واحمد وغيرهم.

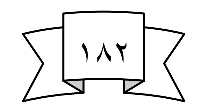
وهذا إنما يكون عند الصدمة الأولى، كما في الحديث: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" متفق عليه، يعني: محك الصبر الحقيقي عند الصدمة الأولى؛ لأن الإنسان يسلم بقضاء الله بعد ذلك، وإنما يفعل الصابر في بداية المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام.

فقدر الله عز وجل واقع مثل السيف، فالصبر الحقيقي أن الإنسان يصبر عند نزول البلاء.

والناس بعد ذلك يسلمون، فمن لم يصبر صبر الكرام كان كالبهائم، فكما أن البهائم تكون مستسلمة لقضاء الله عز وجل وقدره ولما هي فيه، فالناس بعد ذلك يستسلمون، ولكن الصبر الحقيقي الذي يثاب عليه المرء إنما يكون عند الصدمة الأولى.

قالت أم سلمة: (فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ ثم أني قلتها، فأخلف الله لي رسوله صلى الله عليه وسلم).

آثار عن السلف الصالح في الصبر والرضا



قال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ السجدة: ٢٤ قال: لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوساً.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه.

وقال يونس بن زيد سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن – ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك –: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم أن تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه.

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى:

﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ الرعد: ٢٤.

قال: صبروا على ما أمروا به، وصبروا عما نهوا عنه.

وقالوا: الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر.

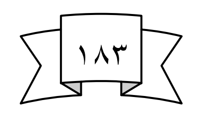
وقالوا: من لم يصبر على القضاء فليس لحمقه دواء.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن الله عز وجل إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضى به.

وقال أبو عبد الله البراثي: من وهب له الرضا فقد بلغ أقصى الدرجات.

وقالت رابعة: إن الله عز وجل إذا قضى لأوليائه قضاءً لم يتسخطوا.

وقتل لبعض الصالحين ولد في سبيل الله عز وجل فقيل له: أتبكي وقد استشهد؟ فقال: إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله عز وجل حين أخذته السيوف.



وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

وقال علقمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ التغابن: ١١: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وقال أبو معاوية الأسود في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧ قال: الرضا والقناعة، يعني: أن هذه الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة.

ونظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عدي بن حاتم كئيباً فقال: يا عدي! من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر.

وقيل له: ما تشتهي؟ قال ما يقضي الله عز وجل.

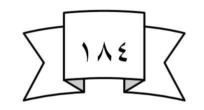
وقال الحسن: من رضي بما قسم له وسعه وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يسعه ولم يبارك له فيه.

وقال بعضهم: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء.

وأصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر كثيرة، فقال: لا والذي أنا عبد في عبادته لولا شماتة أعداء ذوي أحن ما سرني أن إبلي في مباركها وأن شيئاً قضاه الله لم يكن وقال حفص بن حميد: كنت عند عبد الله بن المبارك بالكوفة حين ماتت امرأته، فسألته: ما الرضا؟ قال: الرضا ألا يتمنى خلاف حاله.

يعني: أن الإنسان لا يأسف على شيء فاته أو يتمنى أن يكون على غير ما هو فيه، فقال: الرضا: ألا يتمنى خلاف حاله.

فجاء أبو بكر بن عياش فعزى ابن المبارك، قال حفص: ولم أعرفه.



فقال عبد الله: سله عما كنا فيه، فسألته فقال: من لم يتكلم بغير الرضا فهو راض.

يعني: أن الإنسان الذي كلامه كله فيه استسلام وقبول لقضاء الله عز وجل فهو راض.

قال حفص: وسألت الفضيل بن عياض فقال: ذاك للخواص.

قال قادم الديلمي العابد: قلت للفضيل بن عياض: من الراضي عن الله؟ قال الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جعل فيها.

ونحن عندما نذكر أمثلة في الصبر والرضا نذكر ذلك من أجل أن تعرفوا حقيقة الرضا، وكيف أن الإنسان لا يختار إلا ما اختاره الله عز وجل له وإن كان هو من المصائب.

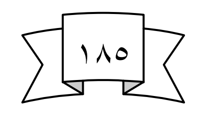
وقال أبو عبد الله البراثي: لم ير أرفع درجات من الراضين عن الله عز وجل على كل حال.

بعض الأسباب التي تعين على الصبر والرضا

أولاً: أن يتدبر العبد ما سبق من آيات كريمات، وأحاديث نبوية في فضل الصبر والرضا، فيعلم العبد فضل الصبر والرضا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ثانياً: أن يدرس المواقف الإيمانية، كالصبر على البلاء والرضا بأمور القضاء؛ فإنه مما يعينه على الصبر؛ لأنها رايات مرفوعة على طريق الإيمان، فيتأسى بأصحاب هذه المواقف المؤمنون الصادقون، وينسج على منوالهم العباد الصالحون.

ومن ذلك أن يعلم أن القدر سبق بذلك، قال عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ الحديد: ٢٢.



يعني: أن الله عز وجل جعل لنا ملائكة تحفظنا، قال الله عز وجل:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ الرعد: ١١.

وهذه الملائكة لا تحفظه من أن ينفذ فيه أمر الله، بل هذه الملائكة من أمر الله: ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ ﴾ الأنبياء: ٤٢.

فكل إنسان منا تعرض خلال حياته لمواطن كثيرة جدة كاد أن يهلك فيها، ولكن الله عز وجل يحفظه.

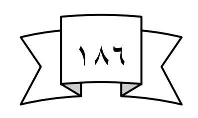
فالملائكة التي تحفظ العبد وتكلؤه بالليل والنهار تتخلى عنه إذا جاء أمر قدره الله عز وجل له، فإذا جاء القدر تخلوا عنه.

فالإنسان إذا أصيب ببلاء فليتذكر أن هذا البلاء مكتوب في اللوح المحفوظ، وأن الله عز وجل شاءه، وأنه لابد أن يكون؛ والمعنى: أن المصائب مقدرة، لا أنها وقعت على وجه الاتفاق كما يقول الطبائعيون، ولا أنها عبث، بل هي صادرة عمن صدرت عنه محكمات الأمور.

فالله عز وجل قدرها، فلابد أن فيها حكمة، يقول بعض السلف: إذا وقعت ذبابة على يدك فاعلم أنها وقعت بقدر ولحكمة.

فكل أمر لحكمة؛ لأن مدبر هذه الأمور هو الحكيم الخبير، فالله عز وجل يدبر أمر ملكه كيف يشاء، فالأمور لا تأتي كما يقول الطبائعيون اتفاقاً، ولكنها بقدر وبحكمة، بل هي صادرة عمن صدرت عنه محكمات الأمور، ومتقنات الأعمال، وإذا كانت صادرة عن الحكيم فهو لا يعبث، فهي إما لزجر عن فساد أو لتحصيل الأجر أو لعقوبة على ذنب.

رابعاً: العلم بأن الدنيا دار الابتلاء والكرب، لا يرجى منها راحة.



وما استغربت عيني فراقاً رأيته ولا أعلمتني غير ما القلب عالمه فالإنسان لا يستغرب أي بلاء؛ لأن الدنيا أصلاً دار كدر، لذلك جرى القدر، ويا عجباً ممن يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع! فالإنسان لا يستغرب أن يصاب ببلاء؛ لأن الدنيا دار امتحان ودار بلاء.

خامساً: أن يقدر وجود ما هو أكبر من تلك المصيبة، كمن له ولدان ذهب أحدهما؛ فقد كان يمكن أن يذهب الاثنان، فقد تذهب أسر بكاملها في حوادث، نسأل الله العافية، فالإنسان يقدر أن المصيبة كانت أكثر من ذلك.

سادساً: النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإن التأسي راحة عظيمة، قالت الخنساء: ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي وهذا المعنى قد حرم الله عز وجل منه أهل النار، كما قال عز وجل: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾الزخرف: ٣٩ يعني: يحرم أهل النار من التأسي.

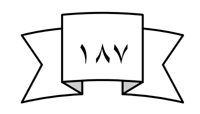
فيقولون: المصيبة إذا عمت هانت، يقال: فلان أصيب بكذا، وفلان بكذا، فيتسلى الناس بعضهم ببعض.

ولكن أهل النار يظن كل إنسان منهم أنه محبوس وحده، وأنه لم يبق في النار سواه.

سابعاً: أن يتذكر نعم الله عز وجل عليه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾إبراهيم: ٣٤.

يعني: أن الإنسان بدل ما يفكر في المصائب التي تصيبه يتذكر نعم الله عز وجل عليه.

ثامناً: أن العبد إذا صبر واحتسب فإن الله يعوضه ولا يخيبه.



من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعت من عوض

تاسعاً: أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها.

الخطبة الرابعة : جولة في بستان الصابرين

أما بعد:عباد الله ، جولة في بستان الصابرين

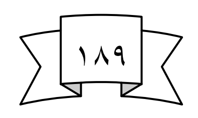
موقف أيوب عليه السلام في الصبر على البلاء والرضا بالقضاء

وأولى الناس بالذكر في هذا الباب هو أيوب عليه السلام؛ لأنه الذي يضرب به المثل في الصبر.

قال ابن كثير رحمه الله: قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة من أرض حوران، وحكى ابن عساكر أنها كانت كلها له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب منه ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في ليلة ونهاره وصبحه ومسائه.

وطال مرضه حتى عافه الجليس واستوحش منه الأنيس، وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته، وضعف حالها، وقل مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر وتطعمه، وتقوم بحاجته رضي الله عنها وأرضاها، وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد، وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، وقال: يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن



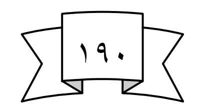
كان في دينه صلابة زيد في بلائه" رواه الترمذي و ابن ماجه و الدارمي و الطحاوي و ابن حبان و الحاكم و أحمد ، وصححه الالباني.

ولم يزد هذا أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً، وحمداً وشكراً، حتى أن المثل ليضرب بصبره عليه السلام.

ويضرب أيضاً بما حصل له من أنواع البلاء، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ ص: ٤١ - ٤٤.

قال السعدي رحمه الله: ولما تطاول به المرض العظيم ونسيه الصاحب والحميم نادى ربه: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣، فقيل له: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ ص: ٤٢، فركض، فنبعت بركضته عين ماء بارد، فقيل له: اشرب منها واغتسل، ففعل ذلك فذهب ما في ظاهره وباطنه من البلاء.

وقال الحافظ: أصح ما ورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس: أن أيوب ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنباً عظيماً وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، فحزن ودعا الله حينئذ، فخرج لحاجته،وأمسكت امرأته بيده، فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ ص: ٤٢، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها، فرجع صحيحاً، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو، وكان له أندران: أحدهما للقمح، والآخر للشعير، فبعث الله سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض.



وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه - يعني: يجمع في ثوبه من هذا الجراد الذي هو من ذهب- فناداه ربه: يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب! ولكن لا غنى لي عن بركتك).

ولا بأس أن يطلب الإنسان المال الحلال حتى ولو كان عنده مال كثير، فأيوب عليه السلام كان عنده ذهب وفضة، ومع ذلك كان يجمع جراد الذهب فقال الله عز وجل له: (يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب! ولكن لا غنى لي عن بركتك).

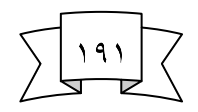
ففي قصة أيوب عليه والسلام عبرة للمعتبرين، فإنه صبر هذا الصبر الجميل على ذهاب ماله وأقاربه وصحته، وثبت على حبه لله عز وجل وصبره على قضائه وقدره، واقتصاره على الشكوى إلى الله عز وجل، وهي لا تنافي الصبر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ ص: ٤٤، مع أنه شكى إلى الله وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣)﴾ الأنبياء: ٨٣.

وزاده عز وجل من فضله، وهذه عاقبة المواقف الإيمانية دائماً رفعة الدنيا والآخرة، فكما كان يوسف عليه السلام مثلاً ل

موقف أم سليم الأنصارية في الصبر والرضا

من المواقف الإيمانية في الصبر: موقف أم سليم امرأة أبي طلحة رضي الله عنهما.

عن أنس رضي الله عنه قال: (اشتكى ابن لـ أبي طلحة فمات وأبوه أبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً -قيل: غسلته وكفنته، وقيل: تزينت له- وجعلت ابنها في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح).



فلم تستقبله عند دخوله بالمصائب والمشاكل، بل جعلت تهدئ من نفسه ثم تخبره في الوقت المناسب، مع أن النساء أقل صبراً بالنسبة لمرض الأولاد أو موت الأولاد، ولكن هذه المرأة تضرب هذا المثل العظيم جداً في الصبر والأدب، فقال أبو طلحة: (كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح).

وظن أبو طلحة أنها صادقة، وهي فعلاً صادقة، ولكنها عرضت بالكلام.

قال: (فباتا، فلما أصبح اغتسل -إشارة إلى أنه أصاب منها- فلما أراد أن يخرج أعلمته)، يعني: صبرت كل هذا الوقت، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات.

وفي بعض الروايات: أنها قالت له: (لو أن أحداً وضع عندك وديعة ثم أراد أن يستردها، أكان يحزنك ذلك؟ فقال: لا، فأخبرته بعد ذلك) فمهدت له الخبر بضرب هذا المثل.

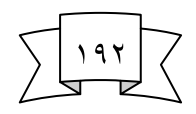
قال: (فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما، فقال رجل من الأنصار: فولد له ولد فرأيت له تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن).

فرزقت ولداً وسمي عبد الله، وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له، وكان من ذرية هذا الولد هؤلاء القراء التسعة.

وفي بعض الرويات: أنها جاءت بغلام حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه عبد الله، والذي كان من سلالته الإخوة القراء.

فالحاصل: أن المواقف الإيمانية ترفع العبد في الدنيا والآخرة.

قال الحافظ: وقوله: (هيأت شيئاً) قال الكرماني: أي: أعدت طعاماً لـ أبي طلحة وأصلحته، وقيل: هيأت حالها وتزينت.



وقال الحافظ: بل الصواب أنها هيأت أمر الصبي بأن غسلته وكفنته، كما روي في بعض الطرق صريحاً.

وقوله: (فلما أصبح اغتسل) كناية عن الجماع.

فهذا موقف إيماني من أم سليم رضي الله عنها، مع أن النساء أشد هلعاً وجزعاً في مثل هذه المواقف، ولكن الإيمان يغير طبائع النفوس، ويعلو بهمم العباد، ويرفعهم في الدنيا والآخرة.

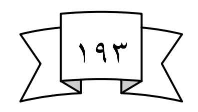
وعمت بركة هذا الموقف الإيماني ذرية أبي طلحة وأم سليم ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان في أولاد أولادها تسعة كلهم ختم القرآن، فليتأس الشخص وليتعلم أوصاف السابقين الأولين، وليعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع.

موقف رجل صالح مع ملك ظالم في الصبر والرضا

ومن هذه المواقف الإيمانية: قصة رجل من أفضل أهل زمانه، قال وهب بن منبه رحمه الله: أتي برجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يجبر الناس على أكل لحوم الخنازير، فلما أتي به أعظم الناس مكانه وهالهم أمره، فقال له صاحب شرطة الملك: ائتني بجدي تذكيه، يعني: تذبحه مما يحل لك أكله، فأعطنيه؛ فإن دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله، يعني: أن صاحب الشرطة قال لهذا الرجل الذي هو من أفضل أهل زمانه: ائتني بجدي تذكيه وتذبحه، ثم إذا أمر الملك أن يعطى من لحم الخنزير فيعطيه من هذا اللحم.

قال: فأعطنيه، فإن دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله.

فذبح جدياً فأعطاه إياه، ثم أتي به إلى الملك، فدعي بلحم الخنزير، فأتاه صاحب الشرطة بلحم الجدي الذي كان أعطاه إياه، فأمره الملك بأكله، فأبى، فجعل صاحب الشرطة يغمز له ويأمره أن يأكله، ويريه أنه هو اللحم الذي دفعه إليه، فأبى أن يأكله، فأمر الملك صاحب الشرطة أن يقتله، فلما ذهب به قال: ما منعك أن تأكل



وهو اللحم الذي دفعت إلي؟ أظننت أني أتيتك بغيره؟ قال: لا، قد علمت أنه هو، ولكني خفت أن يفتتن الناس بي، فإذا أريد أحدهم على أكل لحم الخنزير قال: قد أكله فلان، فيستنوا بي، فأكون فتنة لهم، فقتل رحمة الله عليه!

موقف أبي عبيدة بن الجراح في الصبر والرضا

ومن المواقف الإيمانية في الصبر على البلاء والرضا بالقضاء: موقف أبي عبيدة بن الجراح، وأبو عبيدة هو أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، شهد بدراً وقتل يومئذ أباه، وأبلى يوم أحد بلاءً حسناً، ونزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتى قيل: ما رئي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة.

فرضيه أبو بكر رضي الله عنه خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبا عبيدة.

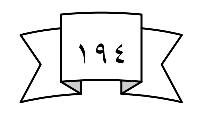
وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة شهيرة، ومواقفه الإيمانية عالية رفيعة في البذل والتضحية والزهد، وإنما قصدنا موقفه الإيماني عند نزول وباء الطاعون.

عن قيس بن مسلم عن طارق أن عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك.

كان أبو عبيدة في هذا الوقت على رأس جيش في الشام، فلما سمع عمر رضي الله عنه بوقوع طاعون عمواس أرسل إلى أبي عبيدة، وطاعون عمواس منسوب إلى قرية تسمى عمواس بين الرملة وبين بيت المقدس.

وقال الأصمعي: هو من قولهم: زمن الطاعون عم وآسى.



يعني: فاختصر وقيل له: عمواس، ولكن الصحيح الأول، والله أعلم.

فلما سمع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بنزول الطاعون أرسل إلى أبي عبيدة فقال له: إني قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي، فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين؛ إنه يريد أن يستبقي ما ليس بباق.

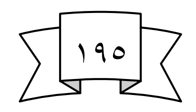
فكتب: إني قد عرفت حاجتك، فحللني من عزيمتك؛ فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد، قال: فتوفي أبو عبيدة، وانكشف الطاعون.

وروى ابن المبارك في الزهد عن شهر بن حوشب -وهو مختلف فيه- قال: حدثني عبد الرحمن بن غنم عن الحارث بن عميرة قال: أخذ بيدي معاذ بن جبل فأرسله إلى أبي عبيدة فسأله: كيف هو؟ وقد طعن، فأراه أبو عبيدة طعنة، يعني: إصابة الطاعون، وهو يظهر على شكل أورام يصيب الغدد اللمفاوية، ويظل ينتشر في أماكن متفرقة في الجسم، وينتقل إلى الرئتين وغير ذلك، يقول: وقد طعن، فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه، فتكاثر شأنها في نفس الحارث وفرق منها حين رآها، يعني: انزعج عندما رأى هذه الطعنة، فأقسم أبو عبيدة بالله إنه ما يحب أن له مكانها حمر النعم.

فصبره رضي الله عنه وعدم استجابته لاستدعاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ثم رضاه بما أصيب به من الطاعون وعدم تمنيه زوال البلاء هو عين الرضا.

فالإنسان لا يتمنى البلاء أبداً، لأن ساحة العافية هي أوسع، ولكن إذا نزل بلاء فيصير ميدان الصبر هو الميدان الواسع، وأعلى منه ميدان الرضا، وهو عدم تمني زوال ما هو فيه.

فصبره رضي الله عنه وعدم استجابته لاستدعاء أمير المؤمنين عمر ثم رضاه بما أصيب به من الطاعون وعدم تمنيه زوال البلاء هو عين الرضا، وهو أعلى



الدرجات، ومن أولى بذلك من الصحابة الكرام، ثم من أولى بكل فضيلة من العشرة المبشرين رضي الله عنهم أجمعين.

موقف عروة بن الزبير في الصبر والرضا

عروة بن الزبير

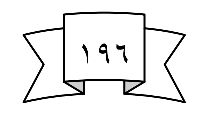
وهذا فارس آخر من فرسان الصبر وهو عروة بن الزبير: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: وقعت الأكلة في رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: إن شئتم، والأكلة الظاهر أنها مرض يصيب الأطراف وينتقل.

فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول به عقلك، وطبعاً يجوز أخذ البنج أو شيء يذهب العقل؛ لأن هذه الآلام قد تذهب بحياة الإنسان، فقد يدخل في صدمة عصبية، وقد يموت من ذلك، فالعلماء رخصوا في العمليات الجراحية، وعمليات البتر بتعاطي البنج ونحوه، ولكن عروة بن الزبير اختار المقام الذي لا يصبر عليه إلا من هو إمام في الصبر.

فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول به عقلك؟ فقال: امض لشأنك، ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه! قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت.

وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة.

وقال عامر بن صالح عن هشام بن عروة: إن أباه خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئاً، فظهرت به قرحة، ثم زاد به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله! اقطعها، قال: دونك، فدعا له الطبيب، وقال له: اشرب المرقد، فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حسي حسي، فقال الوليد: ما رأيت شيخاً أصبر من هذا.



وأصيب عروة رحمه الله في هذا السفر بابنه محمد؛ ركضته بغلة في إصطبل، فلم نسمع منه كلمة في ذلك، فلما كان بوادي القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ الكهف: ٦٢، اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت طرفاً وأبقيت ثلاثة، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت.

فهذا موقف إيماني في الصبر على البلاء والرضا بمر القضاء، فكم من إنسان يدعي الإيمان، فإذا نزل به البلاء أو المصيبة تزلزل إيمانه، وأساء الظن بربه عز وجل! والمواقف الإيمانية كما ذكرنا غير مرة ثمرة من ثمرات الإيمان، فالدافع لها قوة الإيمان ومحبة الرحمان، ولا يصبر هذا الصبر الجميل إلا إذا اكتمل إيمانه، وعلا يقينه، وقد كان على هذا أئمة العلم والعمل والعبادة والجهاد.

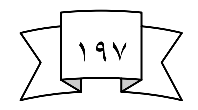
فقد كان عروة يسرد الصيام، ويقوم بربع القرآن كل ليلة، ويحكم ما عند خالته عائشة رضي الله عنها من مرويات قبل وفاتها بثلاث سنوات.

وقد ورد أنه نظر إلى ساقه التي قطعت فقال: الله يعلم أني ما مشيت بها إلى معصية قط وأنا أعلم.

فرحم الله أئمتنا وجزاهم عنا خير الجزاء، فقد أسندوا لنا الأحاديث النبوية، وضربوا لنا أروع الأمثلة في العبادة والصبر والجهاد، ولا شك في أن هذه النماذج وهذه الهمم في العلم والعمل كلها تدل على بركة رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن أن توجد في أمة من الأمم مثل هذه الثمرات الطيبة، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، ورحم الله علماء المسلمين وأعظم مثوبتهم.

موقف الخنساء رضي الله عنها في الصبر والرضا

ومن تلك المواقف: موقف الخنساء رضي الله عنها وأبنائها الأربعة: حضرت الخنساء رضي الله عنها حرب القادسية، وكان معها بنوها أربعة رجال، فوعظتهم،



وحرضتهم على القتال وعدم الفرار، وقالت: إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لأب واحد، وأم واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت أخوالكم، فلما أصبحوا باشروا القتال، حتى قتلوا، فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وهذا الدعاء بعض العلماء يقول: فيه نظر؛ لأن بعضهم يقول: مستقر الرحمة هي ذات الله عز وجل، وعلى كل حال، الأولى أن يقال: في فردوسه الأعلى.

قال: وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض.

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وقد كانت تقول في أول أمرها البيتين والثلاثة، حتى قتل شقيقها معاوية بن عمرو وقتل أخوها لأبيها صخر وكان أحبهما إليها؛ لأنه كان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة.

ومما قالت فيه:

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويشق رمسي!

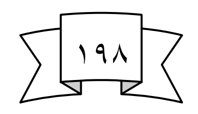
ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عجولا ... تساعدن نائحا في يوم نحس

تفجع والها تبكي أخاها . . . صبيحة رزئه أو غب أمس

يذكرني طلوع الشمس صخراً ... و أبكيه لكل غروب شمس

فانظر -رحمك الله- كيف جزعت على أخيها صخر وأنشدت ما تتقطع له القلوب، وعندما تشرفت بالإسلام حضت أبناءها على الجهاد، ورغبتهم في الاستشهاد، فلما قتلوا قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.



فهذا يبين قيمة الإيمان، حيث إنه يغير الطبائع ويغير الأحوال، ويغير الأعمال، ويغير القلوب والتصرفات.

إنه الإيمان الذي يغير القلوب، ويرفع الهمم، وينتج المواقف الإيمانية التي وفق لها سادات المؤمنين، والتي يرتفعون بها في الدنيا وعند الله رب العالمين.

موقف سعد بن أبي وقاص في الصبر والرضا

ومن تلك المواقف أيضاً موقف سعد بن أبي وقاص: لما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة.

قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام، فتعرفت إليه فعرفني، وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم فذكر قصة قال في آخرها: فقلت له: يا عم! أنت تدعو للناس، فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك، فتبسم وقال: يا بني! قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري.

فهذا حال الرضا من الإنسان يرضى بالحال التي هو فيها، ويطمع في ثوابها، ولا يتمنى زوالها.

فالعبد لا يصل إلى درجة إجابة الدعاء إلا بعد مجاهدة عظيمة وتحبب وتقرب إلى الله عز وجل، فترتفع رتبة العبد بالطاعة وكثرة النوافل فيصير في درجة تؤهله إن سأل الله عز وجل أعطاه، وإن استعاذ بالله عز وجل أعاذه.

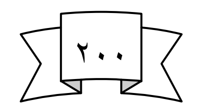
والعبد يصل مع ذلك إلى درجات عالية من المحبة والرضا والتعظيم لأمر الله عز وجل، كما قال بعضهم: أحبه إليه أحبه إلي.

موقف رجل أنصاري في الصبر والرضا

وهذا موقف رجل من الأنصار، والأنصار أصحاب مواقف إيمانية مدحهم الله عز وجل بالإيمان ووصفهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩.

تبوءوا دار الهجرة فسبقوا، وكانوا من سكان دار الهجرة، وسبقوا أيضاً إلى الإيمان.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فغشينا داراً من دور المشركين، فأصبنا امرأة رجل منهم، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً وجاء صاحبها –وكان غائباً– فذكر له مصابه، ثم حلف لا يرجع حتى يهريق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دماً، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق نزل في شعب من الشعاب وقال: من رجلان يكلأاننا في ليلتنا هذه من عدونا؟ قال: فقال رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار: نحن نكلؤك يا رسول الله! قال: فخرجا إلى فم الشعب دون العسكر، ثم قال الأنصاري للمهاجري: أتكفيني أول الليل وأكفيك آخره، أو تكفيني آخره وأكفيك أوله؟ قال: فقال له المهاجر: بل اكفني أوله، وأكفيك آخره، فنام المهاجري وقام الأنصاري يصلي، فافتتح سورة من القرآن فبينما هو فيها يقرؤها جاء زوج المرأة، فلما رأى الرجل قائماً عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه، ثم وضعه وهو قائم يقرأ في السورة التي هو فيها –يعني: سحب السهم ورماه واستمر في الصلاة ولم يتحرك كراهية أن يقطعها– قال: ثم عاد له زوج المرأة فرماه بسهم آخر، فوضعه فيه، قال: فانتزعه وهو قائم يصلي في السورة التي هو فيها، ولم يتحرك؛ كراهية أن يقطعها، ثم عاد له زوج المرأة المرة الثالثة فرماه بسهم



فوضعه فيه، قال: فانتزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه: اقعد فقد أتيت، قال: فجلس المهاجري، فلما رآهما صاحب المرأة هرب وعرف أنه قد نذر به.

قال: وإذا الأنصاري يفوح دماً من رميات صاحب المرأة، قال: فقال له أخوه المهاجري: يغفر الله لك، ألا كنت آذنتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة من القرآن قد افتتحتها أصلي بها، فكرهت أن أقطعها، وايم الله! لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها).

فلله در الأنصار أصحاب المواقف الإيمانية، وهم الذين تبوءوا الدار والإيمان، وأي صبر مثل هذا الصبر الجميل؟ وأي مواقف تداني تلك المواقف الإيمانية؟ فرضي الله عن أصحابها، ورفعهم بها، وأعلاهم، وقد فعل، فله الحمد والمنة.

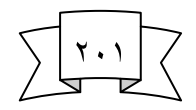
موقف عمر بن عبد العزيز في الصبر والرضا

وهذا موقف صبر لـ عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عن الربيع بن سبرة قال: لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وكان صنو أبيه، يعني: كان شبيهاً بأبيه في الزهد، بل كان بعض الناس يقول: إنه أفضل من أبيه، ثم هلك أخوه سهل بن عبد العزيز ومولاه مزاحم.

وسهل بن عبد العزيز هو أخو عمر بن عبد العزيز، هلكوا في أيام متتابعة، فدخل الربيع بن سبرة عليه فقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة، والله! ما رأيت مثل ابنك ابناً، ولا مثل أخيك أخاً، ولا مثل مولاك مولى قط.

قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت على أمير المؤمنين.

قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟! فأعدت عليه ما قلت أولاً، فقال: والذي قضى عليهم بالموت ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن.



وأعاد الحديث وزاد فيه: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن؛ لما أرجو من الله تعالى فيهم.

إنه الرضا عن الله عز وجل، ومن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

والرضا أكبر من جنة الله عز وجل، وعمر بن عبد العزيز إمام عادل صاحب زهد وورع وعلم وعبادة وشرف وسيادة، وكل أخباره عجيبة.

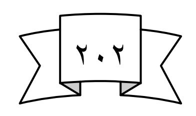
وقد أشار الإمام أحمد رحمه الله إلى أن نشر فضائله فيه خير كثير.

فنسأل الله عز وجل أن يجمعنا مع هؤلاء الأعلام بحبنا لهم ونشرنا لأخبارهم، ولله الحمد والمنة على كل نعمة.

موقف صفية بنت عبد المطلب

وهذا موقف لـ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عند مقتل أخيها أسد الله حمزة.

لما انهزم المسلمون بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات، وانفض أكثر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق حوله سوى القلائل من أصحابه، قامت صفية رضي الله عنها وبيدها رمح تضرب به وجوه الناس الفارين المنهزمين والأعداء المشركين، وتقول لهم: انهزمتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم أشفق عليها أن ترى أخاها حمزة وقد مثل به، فقال لابنها الزبير: القها فأرجعها؛ لا ترى ما بشقيقها -أي: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه- فلقيها الزبير فقال: يا أماه! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت صفية: فقد بلغني أنه مثل بأخي، وذلك في الله عز وجل قليل، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى، وعاد الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: خل سبيلها، فأتت



صفية إلى حمزة فنظرت إليه وصلت عليه واسترجعت واستغفرت، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن.

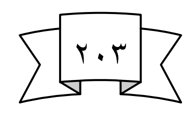
فهذا موقف إيماني من عمة النبي صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبد المطلب، وقد رأت أخاها وقد مثل به المشركون، ومع ذلك صبرت واحتسبت، فلله درها! وعلى الله تعالى أجرها، والمواقف العظيمة يوفق لها العظماء، وقريش هي قريش، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وصفية هي أم الأسد المغوار حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وفارس الإسلام الزبير بن العوام رضي الله عنه، وسوف يأتي موقف آخر لـ أسماء شبيه بهذا الموقف.

والقصة طويلة معروفة، وهي قصة أسماء بنت أبي بكر حين قتل ولدها عبد الله بن الزبير.

موقف أسماء بنت أبي بكر في الصبر والرضا

عن يعلى التيمي قال: دخلت مكة بعد قتل ابن الزبير بثلاث وهو مصلوب، فجاءت أمه وهي عجوز طويلة عمياء فقالت للحجاج: أما آن للراكب أن ينزل؟ فقال: المنافق؟ قالت: والله ما كان منافقاً؛ كان صواماً قواماً براً، قال: انصرفي يا عجوز! فقد خرفت! قالت: والله! ما خرفت منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يبعث في ثقيف كذاب ومبير) الحديث.

تشير إلى أن المبير هو الحجاج، فهذا موقف إيماني في الصبر على البلاء والرضا بمر القضاء من ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، وما أكثر مواقفها الإيمانية! عن أسماء قالت: صنعت سفرة النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي حين أراد أن يهاجر فلم أجد لسفرته ولا لسقائه ما أربطها فقلت لأبي: ما أجد إلا نطاقي، فقال: شقيه اثنين فاربطي بهما، قالت: فلذلك سميت ذات النطاقين.



وقد طال عمرها رضي الله عنها، فهي أكبر من عائشة الصديقة ببضع عشرة سنة، وهي آخر المهاجرات وفاة.

قال ابن سعد: ماتت بعد ابنها بليال، وكان قتله لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين.

وعن ابن أبي مليكة قال: دخلت على أسماء بعدما أصيب ابن الزبير فقالت: بلغني أن هذا صلب عبد الله، اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه.

فأتيت به بعد فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه بعدما ذهب بصرها.

وجاء من وجه آخر عن ابن أبي مليكة: وصلت عليه، وما أتت عليها جمعة إلا ماتت.

موقف معاذة العدوية في الصبر والرضا

وهذا موقف معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم: روى ابن أبي شيبة بإسناده عن ثابت البناني أن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له فقال له: أي بني! تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، ثم تقدم أبوه فقتل، فاجتمعت النساء فقامت امرأته معاذة العدوية فقالت للنساء: إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

ومعاذة العدوية عابدة من العابدات الشهيرات، وأيضاً صله بن أشيم من العباد والزهاد المشهورين، وإنما تليق المواقف الإيمانية بأرباب العبادة والعلم؛ لأن المواقف الإيمانية ثمرة الإيمان، فهم أحق بها وأهلها.

فـ صلة بن أشيم كان يدفع ابنه للجهاد، ويرغبه في الاستشهاد، فهو أراد أن يأخذ ثواب الصبر على ابنه، ثم يبذل نفسه بعد ذلك.

فهذا موقف من مواقف البذل والتضحية، يبين كيف أن الواجب على المسلم أن يكون حبه لله عز وجل، ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللجهاد في سبيل الله أكثر من حبه لأولاده.

وفي هذا واعظ لكثير من الآباء الذين يمنعون أولادهم من الالتزام بالشرع المتين، وصحبة الدعاة المخلصين؛ خوفاً عليهم من السجون والمعتقلات، مع أن ما قدره الله عز وجل للعبد لابد له منه، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه كم قاتل ونافح وجاهد، وما في جسده موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ومع ذلك مات على فراشه، فلا نامت أعين الجبناء.

وفي هذا عظيم موقف الولد وطاعته لأبيه وبذله نفسه وتقدمه للقتال قبل أبيه حتى قتل رحمه الله.

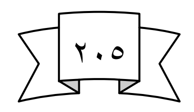
وهكذا موقف معاذة رحمها الله في الصبر على البلاء، فرحم الله سلف الأمة، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

موقف امرأة عربية في الصبر والرضا

وهذا موقف لعربية ذهب البرد بزرعها فصبرت واحتسبت فعوضت خيراً.

قال التنوخي: أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي بالبصرة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قراءة عليه وأنا أسمع عن البرقي قال: رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف وبيدك التعويض عما تلف، تفعل بنا ما أنت أهله، فإن أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك.

قال فلم أبرح حتى جاء رجل من الأجلاء فحدث بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار.



فثواب الصبر والرضا يكون كاملاً في الآخرة، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، ومع ذلك فإن الله عز وجل يعوض المؤمن في الدنيا ولا يخيبه، فهذه من البركات المعجلة للمؤمنين، وتوفية حسابهم يوم القيامة.

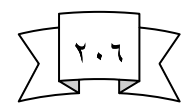
عن ابن عباس قال: إن للحسنة لنوراً في الوجه، وضياء في القلب، وسعة في الرزق، ومودة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلاماً في الوجه، وسواداً في القلب، وضيقاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

موقف إبراهيم الحربي

وهذا موقف لـ إبراهيم الحربي رحمه الله: عن محمد بن خلف قال: كان لـ إبراهيم الحربي ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقنه من الفقه جانباً كبيراً، قال: فمات، فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهي موت ابني هذا، قال: فقلت له: يا أبا إسحاق! أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟! قال: نعم، رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديد الحر، قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إلي، وقال: لست أنت أبي، قلت: فأي شيء أنتم؟ قال لي: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباءنا فنستقبلهم نسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

فهذا موقف إيماني من إبراهيم الحربي رحمه الله في الرضا بقضاء الله عز وجل.

وفي هذا تسلية لمن مات له ولد، وقد وردت الأخبار الصحيحة الصريحة بكثير من المبشرات لمن مات له ولد فصبر واحتسب، وما ذاك إلا لصعوبة الصبر والرضا في هذا المقام؛ لأن الأولاد فلذات الأكباد، والعبد لا يحب لأحد من الخير مثل ما يحب لنفسه إلا لولده.



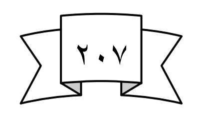
بل الإنسان قد يضحي بنفسه ولكن يشق عليه أن يضحي بابنه.

ولذلك كان ابتلاء إبراهيم عليه السلام من أشد البلاء، فالعبد يسهل عليه أن تهون نفسه، وأن يضحي بنفسه، أما أن يضحي بولده وأن يتولى هو ذبح الولد بنفسه فهذا شيء شاق، فلله هذه النفوس التي تبتلى بمثل هذا البلاء.

موقف أم عقيل الأعرابية

وآخر موقف من هذه المواقف الإيمانية موقف أم عقيل رحمها الله: قال الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي في البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدناها فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام، قالت: ما أنتم؟ قلنا: قوم ضلوا عن الطريق، أتيناكم فأنسنا بكم.

فقالت: يا هؤلاء ولوا وجوهكم عني، حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل، ففعلنا، فألقت لنا مسح، فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني، ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابني وأما الراكب فليس بابني، فوقف الراكب عليها فقال: يا أم عقيل! أعظم الله أجرك في عقيل، قالت: ويحك! مات ابني؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر، فقالت: انزل فاقض ذمام القوم، يعني: حقهم وحق الضيافة، ودفعت إليه كبشاً فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء! هل فيكم من يحسن من كتاب الله شيئاً؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ علي من كتاب الله آيات أتعزى بها، قلت: يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٧.



قالت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا؟! قلت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا، قالت: السلام عليكم، ثم صفت قدميها وصلت ركعات، ثم قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسب عقيلاً، تقول ذلك ثلاثاً، اللهم إني فعلت ما أمرتني به، فأنجز لي ما وعدتني.

فهذا الموقف تعجز عنه الكلمات في كرم الضيافة والصبر والرضا والاحتساب، وبعض هذه الصفات كانت متوفرة عند العرب في جاهليتهم، فلما تشرفوا بالإسلام ازدادت رسوخاً بالإسلام، وتهذبت بآدابه وأخلاقه، وقد عزت هذه الصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة في المتأخرين، والله ولي الصابرين.

شهر ربيع الآخر

الخطبة الأولي : الصلاة

الخطبة الثانية : الخشوع في الصلاة

الخطبة الثالثة : صلاة الجماعة

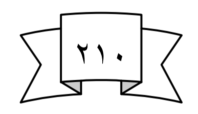
الخطبة الرابعة : يوم الجمعة و فضل النوافل

الخطبة الاولي : الصلاة

أمّا بعد:عِبادَ الله ، إنكم محتاجون إلى ربكم، ومضطرون إليه ليس بكم غنى عنه طرفة عين، فاعبدوه، واشكروه، وأديموا ذكره وشكره، ولقد شرع الله لكم من العبادات ما يقربكم إليه، ويستوجب الأجر والثواب شرع لكم هذه الصلوات الخمس التي تطهر القلوب من الذنوب، وتوصل العبد إلى غاية المطلوب الصلوات التي هي صلة بين العبد وبين خالقه سبحانه وتعالي والصلاة فريضة على كل مسلم بالغ عاقل ، لقول اللَّه تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ البينة: ٥، وقوله تعالى: إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ النساء: ١٠٣ ، ولحديث معاذ – رضى الله عنه – حينما بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن وقال له: "وأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة" أخرجه البخاري، ومسلم، وعن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقول: "خمس صلوات كتبهن اللَّه على العباد، فمن جاء بهن لم يضيّع منهن شيئًا استخفافًا بحقّهنّ، كان له عند اللَّه عهدًا أن يدخله الجنة... " أخرجه أبو داود، وصححه الألباني ، وقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة.

والصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي حديث معاذ – رضى الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهاد " رواه الترمذي وحسنه الالباني و إذا سقط العمود سقط ما بني عليه .

وأول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فصلاح عمله وفساده بصلاح صلاته وفسادها، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة :الصلاة، فإن صلحت صلح سائرُ



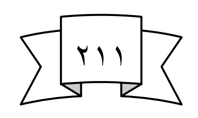
عملـه، وإن فسـدت فسـد سـائرُ عملـه". وفـي روايـة: "أول مـا يسـأل عنـه العبـد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن صلحت فقد أفلح، "وفي رواية" وأنجح"، "وإن فسدت فقد خاب وخسر" أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طرقه واللَّه أعلم.

وعن تميم الداري – رضى الله عنه – مرفوعًا: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتمها كتبت له تامة، وإن لم يكن أتمها قال الله – عز وجل – لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون بها فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تُؤخذ الأعمال على حسب ذلك " رواه أبو داود، ، وابن ماجه، وأحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع .

بل هي آخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه، فعن أبـي أمامـة مرفوعًـا: "لتُنقضـن عُـرَى الإسـلام عُـروة عُـروة، فكلمـا انتقضـت عـروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة" أحمد ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، وفي رواية من طريق آخر: "أول ما يُرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، وربّ مصلٍّ لا خير فيه" أخرجه الطبراني في الصغير ، وذكره الألباني في صحيح الجامع وحسنه ، وعن أنس – رضى الله عنه – مرفوعاً: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة " صحيح الجامع.

وهي آخر وصية أوصى بها النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:كان من آخر وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:"الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم"،حتى جعل نبي اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه "أحمد، وصححه الألباني .

ومدح اللَّه القائمين بها ومن أمر بها أهله، فقال تعالي : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ

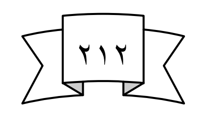


مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ مريم: ٥٤ - ٥٥، وذم اللَّه المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم: ٥٩، وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢.

وهي ايضاً أعظم أركان الإسلام ودعائمه العظام بعد الشهادتين، فعن عبد اللَّه بن عمر – رضي الله عنهما –، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت" متفق عليه ، ومما يدل على عظم شأنها أن اللَّه لم يفرضها في الأرض بواسطة جبريل، وإنما فرضها بدون واسطة ليلة الإسراء فوق سبع سموات ، وفُرضت خمسين صلاة، وهذا يدل على محبة اللَّه لها، ثم خفف اللَّه – عز وجل – عن عباده، ففرضها خمس صلوات في اليوم والليلة، فهي خمسون في الميزان، وخمس في العمل، وهذا يدل على عظم مكانتها .

وافتتح اللَّه أعمال المفلحين بالصلاة، واختتمها بها، وهذا يؤكد أهميتها، قال اللَّه تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المؤمنون: ١ - ٩.

بل وأمر اللَّه النبي محمدًا – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه أن يأمروا بها أهليهم، فقال اللَّه – عز وجل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢، وعن عبد اللَّه بن عمر – رضي الله عنهما



– عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع" رواه أبو داود ، وأحمد ، وصححه الألباني ، وأُمِرَ النائم والناسي بقضاء الصلاة، وهذا يؤكد أهميتها، فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من نسي صلاةً فليصلّها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك" ، وفي رواية لمسلم: "من نسي صلاةً أو نام عنها، فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها" متفق عليه ، وسمى اللّه الصلاة إيمانا بقوله تعالى :﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾ البقرة: ١٤٣ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس؛لأن الصلاة تصدّقُ عَمَلَهُ وقَوْلَهُ .

خصها بالذكر تمييزًا لها من بين شرائع الإسلام، قال اللّه تعالى :﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ العنكبوت: ٤٥، وتلاوته اتباعه والعمل بما فيه من جميع شرائع الدين، ثم قال :﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ ﴾ العنكبوت: ٤٥، فخصها بالذكر تمييزًا لها، وقوله تعالى :﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الأنبياء: ٧٣، خصها بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات ، وغير ذلك كثير وقُرِنَت في القرآن الكريم بكثير من العبادات، ومن ذلك قوله تعالى :﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، وقال :﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ، وقال :﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ الأنعام: ١٦٢، وغير ذلك كثير و أمر اللّه نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يصطبر عليها، فقال :﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ ﴾ طه: ١٣٢، مع أنه – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالاصطبار على جميع العبادات؛ لقوله تعالى :﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ ﴾ مريم: ٦٥ بل أوجبها اللّه على كل حال، ولم يعذر بها مريضًا، ولا خائفًا، ولا مسافرًا، ولا غير ذلك؛ بل وقع التخفيف تارة في شروطها، وتارة في عددها، وتارة في أفعالها، ولم تسقط مع

ثبات العقل واشترط اللَّه لها أكمل الأحوال: من الطهارة، والزينة باللباس، واستقبال القبلة مما لم يشترط في غيرها ، واستعمل فيها جميع أعضاء الإنسان :من القلب، واللسان، والجوارح، وليس ذلك لغيرها ، ونهى أن يشتغل فيها بغيرها، حتى بالخطرة، واللفظة، والفكرة ،وقُرنت بالتصديق بقوله :﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ القيامة: ٣١ - ٣٢ .

احبتي في الله الصلاة لها فضائل عظيمة وكثيرة، اجملها فيما يلي

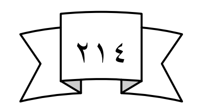
١ . تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ قال اللَّه تعالى :﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٥ .

٢ . أفضل الأعمال بعد الشهادتين؛ لحديث عبد اللَّه بن مسعود – رضى الله عنه – قال: سألت رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –: أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة لوقتها" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "برّ الوالدين" قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل اللَّه "متفق عليه .

٣ . تغسل الخطايا؛ لحديث جابر – رضى الله عنه – قال: قال رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات " رواه مسلم .

٤ . تكفّر السيئات؛ لحديث أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – قال: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر " رواه مسلم .

٥ . نور لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ لحديث عبداللَّه ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: "من حافظ

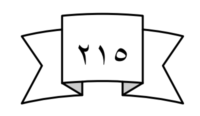


عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبيّ بن خلف " أخرجه الإمام أحمد في المسند ، والدارمي ، وفي حديث أبي مالك الأشعري – رضى الله عنه –: "الصلاة نور" مسلم، ولحديث بريدة – رضى الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "بشر المشَّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة" أبو داود ، والترمذي ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح.

٦ . يرفع اللَّه بها الدرجات، ويحط الخطايا؛ لحديث ثوبان مولى رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال له: "عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد للَّه سجدةً إلا رفعك اللَّه بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة. أخرجه مسلم

٧ . من أعظم أسباب دخول الجنة برفقة النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي – رضى الله عنه – قال: كنت أبيت مع رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: "سَلْ" فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: "أو غير ذلك؟" قلت: هو ذاك، قال: "فأعني على نفسك بكثرة السجود" رواه مسلم .

٨ . المشي إليها تكتب به الحسنات وترفع الدرجات وتحط الخطايا؛ لحديث أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –: "من تطهَّر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت اللَّه؛ ليقضي فريضة من فرائض اللَّه، كانت خَطْوَتاه إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة" أخرجه مسلم ، وفي الحديث الآخر: "إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب اللَّه له حسنة، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط اللَّه عنه سيئة" أبو داود.



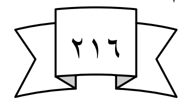
٩ . تُعدُّ الضيافة في الجنة بها كلما غدا إليها المسلم أو راح؛ لحديث أبي هريرة – رضى الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد اللَّه له في الجنة نُزُلاً كُلَّما غدا أو راح " متفق عليه ، والنزل هو ما يهيأ للضيف عند قدومه .

١٠ . يغفر اللَّه بها الذنوب فيما بينها وبين الصلاة التي تليها؛ لحديث عثمان – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة إلا غفر اللَّه له ما بينه وبين الصلاة التي تليها " رواه مسلم .

١١ . تكفر ما قبلها من الذنوب؛ لحديث عثمان – رضى الله عنه – قال: سمعت رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – يقول: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم يأتِ كبيرةِ، وذلك الدهر كلّه" رواه مسلم .

١٢ . تُصلّي الملائكة على صاحبها ما دام في مُصلاّه، وهو في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه؛ لحديث أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم –: "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجةً. وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد، لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخطُ خطْوَة إلا رُفِعَ له بها درجةً، وحُطَّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة تحبسه، والملائكة يُصلُّون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللَّهم ارحمه، اللَّهم اغفر له، اللَّهم تب عليه، ما لم يؤذِ فيه، ما لم يحدث فيه " متفق عليه .

١٣ . انتظارها رباط في سبيل اللَّه؛ لحديث أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول اللَّه – صلى الله عليه وسلم – قال: "ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا

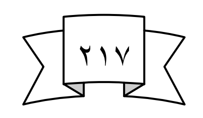


ويرفع به الدرجات؟ " قالوا: بلى يا رسول اللَّه، قال: " إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط " رواه مسلم.

حكم تارك الصلاة

احبتي في الله ، إن من عدل الله سبحانه أن لا يساوي بين المحسن والمسيء وبين المطيع والعاصي، بل اقتضت حكمته سبحانه أن يميز بين فريق الخير وفريق الشر، فهو القائل سبحانه﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦، لهذا وحتى يتجلى العدل في أسمى وأجلى معانيه جعل الله سبحانه للطائع رفعة وثوابا وتكريما يناله في الدنيا والآخرة، وجعل للعاصي عقوبة وعذابا ونكالا يلقاه في الدنيا والآخرة،﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩.

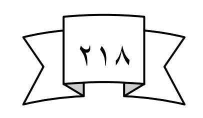
عقوبة تارك الصلاة في كتاب الله وفي كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نقصد من كلامنا هذا إرهابا ولا تقنيطا من رحمة الله سبحانه، ولكن إبلاغا للمسلمين وإعذارا إلى الله؛ لأن المسلمين اليوم اتكلوا على رحمة الله وعلى أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وظنوا أن هذا الانتساب بدون عمل يكفي للنجاة من عذاب الله، فأصبحوا يرتكبون كل الموبقات وقلوبهم مطمئنة إلى أنهم مرحومون، حتى صار الذي يسب الله في اليوم مرات ومرات يعتبر نفسه من أمة محمد وأن مآله إلى الجنة في نهاية الأمر، وهذا لأن الأمة اتبعت سنن من كان قبلها من اليهود والنصارى في كل ما فعلوه من موبقات وارتكبوه من معاصي واعتقدوه من عقائد، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو القائل في الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لسلكتموه"، فقد قالت اليهود والنصارى: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ المائدة: ١٨، وقالت اليهود: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ البقرة:



٨٠، فأصبح المسلمون يرددون كلاما شبيها بهذا الكلام، ويتكلون على الأماني، ويمنون أنفسهم برحمة الله وفضله وإنعامه رغم أنهم مفرطون في أهم أركان الدين وأهم دعائم العقيدة، لهذا نتكلم عن هذا الأمر في هذه الخطبة ليحذر كل منا، وليبلغ من وراءه من أهل وولد، ولنعلم أن الله لم يخلقنا عبثا، ولم يفرض علينا فريضة الصلاة لنكون مخيَّرين بين فعلها أو تركها، بل إنها أمانة عظيمة، من ضيّعها عرّض نفسه لعقوبة عظيمة، بل إن من ضيّع صلاة منها أو بضع صلوات عمدا أحبط الله عمله والعياذ بالله، يقول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أبو داود عن أبي الجعد: "من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه"، ويقول أيضا: "من ترك صلاة العصر متعمدا حبط عمل" أخرجه أحمد عن أبي الدرداء.

إن الله كما جعل الصلاة راحة وسكينة وبركة لمؤديها والحريص عليها وقرة عين لنبيه صلى الله عليه وسلم وللصالحين من عباده فإنه جعل تاركها والمفرط فيها في غم وفي تعب وضنك في دنياه وأخراه.

تبدأ عقوبة تارك الصلاة من دنياه؛ فإن حياة المعرض عن الصلاة حياة نكد واضطراب وإن كان من أغنى الناس، يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٦، ويقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٤، فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآيات أن الناس في حال الخير وفي حال الشر ضائعون، ففي حال الشر جزع وخور وتذمر، وفي حال الخير منع وغفلة وطغيان، فهي حياة لا طمأنينة فيها ولا بركة، ثم استثنى من ذلك المصلين الذين من أهم صفاتهم المحافظة على الصلاة والمداومة عليها، إلى جانب الصفات الحميدة الأخرى

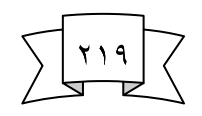


المذكورة في الآيات، وهذا أمر طبيعي يا عباد الله؛ لأن البركة والتوفيق وغيرها من أمور الخير والعطايا الإلهية لا تباع في الأسواق، ولا تجلبها الأموال مهما كثرت، وإنما يمنحها الله لمن يشاء من عباده، وتارك الصلاة والمتهاون فيها حباله غير موصولة بالله، فأنَّى له أن يتمتع بهذه العطايا والمنح الإلهية؟!

ومن عقوبات تارك الصلاة أنه يُعذَّب بعد موته في البرزخ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول صلى الله عليه وسلم: "وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر، فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت سبحان الله ما هذان؟ "، فقيل له: "إنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة". فانظروا إلى هذا العذاب الشديد الذي يلقاه المفرط في الصلاة، وقد ذكر السيوطي رواية لهذا الحديث في صحيح الجامع أن هذا العذاب يُفعل به إلى يوم القيامة.

ومن عقوبات تارك الصلاة يوم القيامة أنه يمنع من السجود عندما يدعى الناس إلى السجود لله سبحانه، يقول تعالى:﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢﴾ القلم: ٤٢، يسجد الصالحون الذين صلوا لله في هذه الحياة الدنيا، فيحاول تارك الصلاة أن يسجد معهم لعله بهذه السجدة يغطي على جرائمه ومعاصيه ومخازيه في الدنيا، ولكن هيهات، فإن ظهره يصبح قطعة واحدة كاللوح، يرى الناس سجودا وهو لا يستطيع، فالجزاء من جنس العمل، كما رفض السجود بين يدي الله في الدنيا يمنع من السجود بين يديه سبحانه يوم القيامة.

ومن عقوبات تارك الصلاة دخوله النار، يقول سبحانه وتعالى﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ



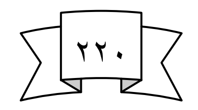
نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ المدثر: ٣٩ - ٤٧، هذا سؤال يوجه إلى أهل النار عن سبب دخولهم إليها، فيكون أول أمر يذكرونه الصلاة، يجيبون بكل يسر: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ المدثر: ٤٣، لقد عرف أصحاب النار سبب دخولهم إليها، ولكن هذه المعرفة جاءت متأخرة، جاءت بعد أن ألقوا في الهاوية، فما فائدة هذه المعرفة؟!

ومن العذاب الذي يلقاه تارك الصلاة ما ورد في قوله تعالى ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ مريم: ٥٩، والغي هو الخسران المبين، كما أنه اسم لواد في جهنم أعاذنا الله منه ومنها، يقول القرطبي في جامع أحكام القرآن: "والأظهر أن الغي اسم للوادي، سمي به لأن الغاوين يصيرون إليه"، وعن كعب قال: "غي واد في جهنم، أبعدها قعرا وأشدها حرا، فيه بئر يسمى البهيم، كلما خبت جهنم فتح الله تعالى تلك البئر تتسعر بها جهنم"، وقال ابن عباس: (الغي واد في جهنم، وإن أودية جهنم لتستعيذ من حره).

هذا هو الغي يا عباد الله، موعد ينتظر تارك الصلاة ومضيعها، فكيف يهنأ عيش من هذا موعده؟! وكيف يغتر بهذه الحياة القصيرة من هذا مصيره؟! وكيف يضحك من هذا مسكنه في الآخرة؟! إنه ـ والله ـ وعيد عظيم وتهديد شديد لمن كان له عقل يعقل أو قلب يفقه.

ومما توعد الله به المتهاون في الصلاة الويل، يقول سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ الماعون: ٤ - ٥، والويل معناه المشقة في العذاب، وقيل: إنه واد في جهنم بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفا، وقيل: إنه واد يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار، وقيل غير ذلك.

فاحذر ـ يا عبد الله ـ أن تترك فريضة الصلاة أو تتهاون فيها، فيمسّك هذا العذاب الذي توعد الله به تاركي الصلاة والمفرطين فيها.

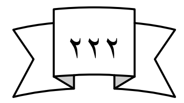


ومن عقوبات تارك الصلاة في النار مرافقته للظالمين والمفسدين في الأرض من كل الأمم، ذكر صلى الله عليه وسلم الصلاة يوما فقال: "من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" أخرجه أحمد وابن حبان عن عمرو بن العاص. وكل مسلم يعلم ما توعد الله به هؤلاء المفسدين من عذاب شديد، فهل ترضى . يا عبد الله . أن يكون هؤلاء الكفرة رفقاءك؟! يقول ابن قيم الجوزية: "تارك الصلاة يحشر مع مثيله في الصد والامتناع، فهو إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته ووزارته أو تجارته، فمن شغله ماله فهو مع قارون، ومن شغله ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله رياسته ووزارته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف". أعاذني الله وإياكم من هذا المصير.

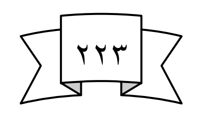
فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على هذه الفريضة، ولا تفرّطوا فيها مهما كانت الظروف، فقد سمعتم ما أعد الله للمفرط في هذه الفريضة من عذاب وإهانة، ويكفي تارك الصلاة عقوبة . لو تَفكّر . أنه بتركه للصلاة محروم من الوقوف بين يدي مولاه، محروم من الدخول عليه ومناجاته، محروم من الانطراح بين يديه وتسليم أمره إليه، فهذه العقوبة تكفي لمن تدبر واعتبر.

الخطبة الثانية : الخشوع في الصلاة

أمّا بعد:عِبادَ الله ، الخشوع في الصلاة، وهو أمر أثنى الله عليه وعلى المتصفين به في كتابه العزيز، يقول سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ المؤمنون: ١ - ٢، ويقول سبحانه في الثناء على بعض أنبيائه:﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ الأنبياء: ٩٠ ، فمن الأمور المهمة في باب الصلاة أداؤها كما يريد الله، فلا بد أن نؤديها كما يريد الله سبحانه لا كما نريد نحن، وأن لا نمتنَّ على الله بها، بل هو الذي يمتن علينا أن هدانا للإسلام وجعلنا من المصلين،﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ الحجرات: ١٧ يمتنّ عليك . أيها العبد . بأن أعطاك شرف مقابلته متى شئت، فأنت في هذه الحياة الدنيا من المستحيل أن تقابل سلطانا أو وزيرا أو حتى رئيس بلدية، وإن قابلته فبعد جهد جهيد وترتيبات ومواعيد قد تدوم أشهرا، فإذا كان هذا مع المخلوق فكيف ستكون مقابلة خالق المخلوق، خالق السماوات والأرض، خالق الشمس والقمر والبحار والجبال الجبار المتكبر؟! لا شك أن المنطق يقول بأن مقابلته أصعب وأشد استحالة، ولكن جبار السماوات والأرض منحك هذا الشرف، متى شئت أنت قابلته وكلّمته، فما عليك إن أردت ذلك إلا أن تتطهر وتتوجه إلى القبلة بخشوع وتقول: الله أكبر، عندها يقبل عليك الرب وتكون في حضرته وبين يديه، فعليك أن تؤدي هذه الصلاة كما يريدها هو، وكما شرعها لك في كتابه وعلى لسان نبيه ، لا كما تريدها أنت فتنقرها سريعة كما يحلو لك ودون خشوع وتؤخرها عن وقتها، فهل هكذا أرادها الله منك؟! وهل تفعل مع المخلوق مثل هذا الأمر؟! إن طلب منك رئيسك في العمل تقريرا أو أمرا ما هل تؤديه كما يحلو لك وتقول له: هذا هو العمل، أم أنك تؤديه كما طلب منك وبناء على تعليماته الدقيقة؟! فلماذا تفعل هذا مع تعليمات المدير ولا تفعله مع تعليمات رب المدير مع تعليمات السميع البصير القوي القدير؟! اعلم . يا عبد الله . أنك إن أديت عملا لله على غير ما



يريد الله فكأنك لم تؤده. فاحذر، واعلم أن الله تعالى يقول: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣، والصلاة من ضمن الأعمال، والخشوع من أهم شروطها، يقول :"خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه" أخرجه أبو داود عن عبادة بن الصامت ، الخشوع في الصلاة من أهم الأمور، فما هو الخشوع؟ تذكر كتب اللغة في معنى الخشوع أنه الخضوع والسكون والتذلل، ويقول قتادة: "الخشوع هو الخوف وغض البصر في الصلاة"، وقال ابن زيد: "الخشوع الخوف والخشية لله" وقرأ قول الله تعالى:﴿ خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ الشورى: ٤٥ ، قال: " قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له". إذًا فالخشوع أمر جميل محبوب؛ لهذا أثنى الله على المصلين المتصفين به، وإذا نظرنا إلى أنفسنا: هل يحقق كل منا هذا الأمر الأساسي من أمور الصلاة؟ لوجدنا أن أكثر المصلين . إلا من رحم الله . لا يحقق هذا الأمر، بل بالعكس تجدنا نقف أمام المخلوق برهبة أكثر من رهبتنا أمام الخالق، فعندما يقف المرء منا أمام مدير المؤسسة التي يشتغل بها أو أمام أمير المعسكر أو غيره من أصحاب المكانة والجاه، فإن حواسه كلها تكون منتبهة وحركاته محسوبة، القلب يدق بسرعة، وأنفاسه يسمعها تتردد، وعقله متيقظ، فلا تفوته كلمة أو لفتة من لفتات هذا المسؤول الذي أمامه، فما بالنا إذا وقفنا بين يدي الله لا نقف باحترام ولا نعطي هذه الوقفة حقها؟! فالهندام غير مرتب، والقلب هائم لا يدري عن شيء، والأعضاء والجوارح تتحرك في كل اتجاه، فتجد الواحد منا يتململ ثم يحك رأسه ثم يضع إصبعه في أنفه، وتراه يقلب بصره في سقف وحوائط المسجد، فماذا وعى هذا المصلي من الصلاة؟! أكثرنا . يا عباد الله . إلا من رحم الله لا نعي من الصلاة إلا أمرين نعلم أننا فعلناهما في أكثر الصلوات هما: تكبيرة الإحرام والتسليم، أما ما بينهما فلا تسألني: ماذا فعلت؟ أو ماذا قرأت؟ أو ماذا قرأ الإمام؟ أو غير ذلك، فالجسد في المسجد



والقلب يحوم في هذه الدنيا طولا وعرضا، والله المستعان. الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها أمر ضروري يا عبد الله، لأنك عندما تقف في الصلاة فأنت تناجي الله، والله أمامك يراك، فكيف تغفل عنه وأنت بين يديه ولا تعطي لهذا المقام احترامه؟! يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي ذر:"لا يزال الله مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا التفت انصرف عنه"، فما دمت تقف بين يدي خالق الخلق ومدبر الرزق الإله الحق فحاول قدر استطاعتك أن تنضبط في هذه الصلاة وتعقل ما تفعل فيها، ولا يكن همك أن تنهي صلاتك بأي كيفية، فتؤديها ناقصة الاطمئنان وناقصة الأركان ومبتورة الحركات والسكنات، فإن هذا من السرقة، والسرقة في الصلاة من أسوأ السرقات، يقول صلى الله عليه وسلم : "أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته"، قالوا: يا رسول الله، كيف يسرق من صلاته؟! قال:"لا يتم ركوعها ولا سجودها، ولا يقيم صلبه في الركوع والسجود" أخرجه أحمد عن أبي قتادة.

فهل نمتنع عن السرقة من أموال الناس ثم نسرق من صلاتنا التي تقدمها لخالقنا، والتي إن أنقصنا منها اليوم فسنجدها ناقصة يوم القيامة؟! هذا إن قبلت منا. وللخشوع أمور تعين عليه إخوة الإيمان، نذكرها لعل الله ينفعنا بمعرفتها ويعيننا على تحقيقها:

أول هذه الأمور: استحضار هيبة من نقدم هذه الصلاة له، فعندها سنؤدي هذه الأمانة كما ينبغي، فأنت تقدم هذه الصلاة إلى قيوم السموات والأرض من عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات وذل له الخلق أجمعون، فكيف لا تخشع لهذا الإله؟! ومن أحق بخشوعك من دونه؟! كان علي بن أبي طالب إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: (جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها)،

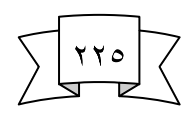
ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: "أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟!".

ومن الأمور المعينة على الخشوع إفراغ النفس من المشاغل عند الدخول في الصلاة، فحاول . أيها المسلم . أن لا تدخل إلى الصلاة وأنت مشغول البال مشتت الفكر، وعوِّد نفسك أن تؤجل التفكير في أمورك الدنيوية إلى ما بعد الصلاة؛ لأن هذه الأمور تشغلك عن الإقبال على الله بخشوع، والله سبحانه يريد منك . أيها العبد . أن تقبل عليه في كامل وعيك، لا أن يكون جسمك عنده والقلب في مكان آخر، فإن المخلوق لا يقبل منك هذا، فكيف يقبله الخالق؟! لذلك راعى الإسلام هذا وحرص على أن لا يدخل المسلم في العبادة وهو مشغول بغيرها، عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء" متفق عليه.

فانظر إلى هذا الدين السمح الذي راعى جوع الإنسان وانشغاله بالطعام فقدمه على الصلاة؛ حتى يؤدي المؤمن صلاته كما ينبغي ولا ينقرها نقر الغراب استعجالا للأكل.

ومن الأمور المعينة على الخشوع النظر إلى مكان السجود؛ لأنك بذلك تكون أكثر خشوعا، وتقيد عينيك عن الحركة والانشغال بما يحيط بك، وتبعدهما عن النظر إلى السماء أو السقف، لأنه أمر منهي عنه، يقول صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري وأحمد من حديث أنس:"لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم"

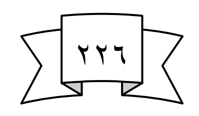
ومن الأمور المعينة على الخشوع والمطلوبة في الصلاة عدم تحريك الأعضاء ومنها اليدان، وهما أكثر الأعضاء حركة، رأى بعض السلف رجلا يعبث بيده في الصلاة فقال: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"، فالخشوع ليس للقلب وحده، ولكن



الجوارح أيضا تخشع، يقول سبحانه﴿ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨ ﴾ طـه: ١٠٨ ، ويقول في ركوعه:"خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي" أخرجه النسائي عن علي.

هذه من أهم الأمور المعينة على الخشوع وأداء الصلاة كما ينبغي، فاجتهدوا . يا عباد الله . في أن تحققوا هذه الأمور؛ لأن الصلاة بلا خشوع . كما يقول بعض أهل العلم . جثة هامدة بلا روح، علينا أن نخشع في صلاتنا وأن نعي ونعلم ما نقول فيها حتى تنفعنا هذه الصلاة. لما سمع بعض السلف قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء: ٤٣ قال :كم من مصلّ لم يشرب خمرا هو في صلاته لا يعلم ما يقول؛ أسكرته الدنيا بهمومها.

فاتقوا الله عباد الله، واستعينوا بكل ما يعينكم على أن تؤدوا صلاة مقبولة عند خالقكم. علينا أن نسعى قدر طاقتنا حتى نحققه لنشعر بلذة العبادة ولننال ثوابها كاملا بإذن الله، ولا يتحقق الخشوع كما قلنا إلا بمعرفة من نقف أمامه في صلاتنا، فإذا امتلأت قلوبنا بهيبته وخشيته تحقق لنا الخشوع شئنا أم أبينا. علينا أن نوقن ونعتقد اعتقادا جازما أن الرب الذي نقوم له ونقدم له صلواتنا وعباداتنا هو الله سبحانه المتفرد بالعبادة وحده، وهو المتصرف في الكون وحده، وإليه وحده لا لغيره تصرف الأعمال والعبادات والقربات والنذور، لا إله غيره ولا رب سواه، فإذا تأصلت هذه المعاني في النفس وتربعت على عرش القلب عندها سيعلم الإنسان وهو يتهيأ للصلاة أن الأمر جلل، وأن الخطب عظيم، وأن الموقف رهيب، فيخشع قلبه، وترق نفسه، ثم لا يلبث أن تصبح الصلاة عنده لذة لا يرتاح ولا تقر عينه إلا فيها، يقول صلى الله عليه وسلم كما في سنن أبي داود من حديث أبي الجعد:"يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها" ، هكذا كان حاله مع الصلاة، فيها راحته وبها يأنس، ولا عجب في ذلك فهو القائل صلى الله عليه وسلم أيضا فيما أخرجه النسائي عن أنس:"وجعلت قرة عيني في الصلاة"، كل ذلك لأنه أقرب الخلق إلى مولاه، وأعلم الخلق بالله، كان



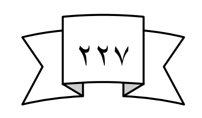
خاشعا لله، وجلا من الله، وهو أسوتنا ، فلا بد أن نحقق هذه المعاني العظيمة، وأن نعلم أنه لا إله إلا الله؛ لتعمر قلوبنا بحب الله ومخافته، يقول ابن القيم في كتاب الفوائد: "إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة". بمثل هذه المعاني الجميلة يتحقق الإيمان إخوة الإيمان، ويتحقق الخشوع الذي هو لب الصلاة وروحها، والذي هو أفضل ما عمرت به القلوب، لهذا تعوَّذ رسول الله من قلب لا خشوع فيه فقال)) :اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها ((أخرجه مسلم عن زيد بن أرقم .نسأل الله أن يرزقنا الخشوع، وأن يعيننا عليه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

أهم أسباب الخشوع

أخي الكريم–أعلم حفظك الله– أن الخشوع ما هو إلا ثمرة لصلاح القلب واستقامة الجوارح ولا يحصل ذلك إلا بمعرفة الله جل وعلا،والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره،ومعرفة أمره والعمل به ،ومعرفة نهيه واجتنابه ،والإيمان برسول الله صلى الله وسلم واتباعه.ثم اقتران ذلك كله بالإخلاص.

١ . معرفة الله :وهي أهم الأسباب وأعظمها ،وبها ينور القلب ويتقد الفكر وتستقيم الجوارح ،فمعرفة أسماء الله وصفاته تولد في النفس استحضار عظمة الله ودوام مراقبته ومعيته.ولذلك قال الله جل وعلا:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ محمد: ١٩.

فالعلم اليقين بلا إله إلا الله ،يثمر في القلب طاعة الله وتوقيره والذل والانكسار له في كل اللحظات،ويعلم المؤمن الحياء من الله لإيقانه بوجوده ومعيته وقربه وسمعه وبصره.قال تعالى:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: ٤ فاعلم–أخي الكريم– أنك متى ما عودت نفسك مراقبة الله في أحوالك كلها أورثك الله خشيته

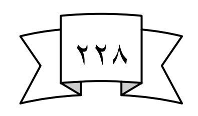


ووهبك الخشوع في الصلاة،وذلك لأنك حينما تستحضر معية الله في أقوالك وأفعالك فإنما تعبد الله بالإحسان،إذ الإحسان هو:"أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه براك"كما في حديث جبريل رواه مسلم.

٢ . تعظيم قدر الصلاة : وإنما يحصل تعظيم قدرها ،إذا عظم المسلم قدر ربه وجلال وجهه وعظيم سلطانه واستحضر في قلبه وفكره إقبال الله عليه وهو في الصلاة، فعلم بذلك أنه واقف بين يدي الله وأن وجه الله منصوب لوجهه ،ويا له من مشهد رهيب ، حق للجوارح فيه أن تخشع وللقلب فيه أن يخضع، وللعين فيه أن تدمع .قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا صليتم فلا تتلفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في الصلاة ما لم يلتفت" رواه مسلم، ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يتغير حالهم إذا أوشكوا على الدخول في الصلاة، فقد كان على بن الحسين ؒ إذا توضأ صفر لونه فيقول له أهله:ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء ؟فيقول : أتدرون بين يدي من أقوام؟ رواه الترمذي وأحمد ، وهذا مسلم بن يسار تسقط أسطوانة في ناحية المسجد ويجتمع الناس لذلك ،وهو قائم يصلي ولم يشعر بذلك كله حتى انصرف من الصلاة.

٣ . الاستعداد للصلاة :واعلم – أخي الكريم – أن استعدادك للصلاة هو علامة حبك لله جل وعلا ،وأن حرصك على أدائها في وقتها في وقتها مع الجماعة ، هو علامة على حب الله لك ،قال تعالى في الحديث القدسي:"وما تقرب إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " رواه البخاري.

ولذلك فإقامة الصلاة على الوجه المطلوب هو أول سبب يوجب محبه الله ورضوانه ،وإنما يكون استعدادك – أخي الكريم – بالتفرغ للصولة تفرغاً كاملا، بحيث لا يكون في بالك شاغل يشغلك عنها ،وها لا يتحقق إلا إذا عرفت حقيقة الدنيا،وعلمت أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة،وأنك فيها غريب عابر سبيل

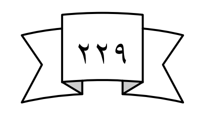


سوف ترحل عنها في الغد القريب.قال صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"

وكان عبدالله بن عمر يقول :"إذا أصبحت فلا تنتظر المساء . إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ،وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك " رواه البخاري.

فإذا تفرغ قلبك من شواغل الدنيا،فأصبع الوضوء كما أمرك الله متحرياً واجباته وشروطه سننه لتكون على أكمل طهارة،ثم انطلق إلى بيت الله سبحانه بخطى ملؤها السكينة والوقار واحرص على الصف الأول يمين الإمام.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟"قلنا:بلى يا رسول الله .قال :"إسباغ الوضوء على المكاره،وكثرة الخطى إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة،فذلكم الرباط.فذلكم الرباط"رواه مسلم والترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم :"لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ،ينتظر الصلاة ،والملائكة تقول:اللهم اغفر له.اللهم ارحمه.حتى ينصرف أو يحدث"قيل وما يحدث؟قال:"يفسو أو يضرط"رواه مسلم.

وقد كان السلف رحمهم الله يستعدون للصلاة أيما استعداد سواء كانت فرضاُ أم نفلاً .روي عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته،فقال:إذا حانت الصلاة،أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه،فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي،ثم أقوام ‘لي صلاتي ،وأجعل الكعبة بين حاجبي ،والصراط تحت قدمي ،والجنة عن يميني،والنار عن شمالي ،وملك الموت ورائي ،وأظنها آخر صلاتي ،ثم أقوم يسن يدي الرجاء والخوف ،أكبر تكبيراً بتحقيق ،وأقرأ بترتيل ،وأركع وكوعاً بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع..وأتبعها الإخلاص ،ثم لا أدري أقبلت أم لا؟ .
*ومن الاستعداد للصلاة أن تقول المؤذن غير أنه إذا قال:"حي على الصلاة حي على الفلاح"فقل:"لا حول ولا قوة إلا بالله "ثم ذلك بما صح عن رسول صلى الله عليه وسلم من الأدعية المأثورة ومن ذلك :"اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة



،آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته"[رواه البخاري] واعلم – أخي الكريم – أن أداء النوافل والرواتب تزيد من خشوع المؤمن في الصلاة ،لأنها السبب الثاني الموجب لمحبة الله .كما قال جل وعلا في الحديث القدسي :"ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه"رواه البخاري.

٤ . فقه الصلاة : وإنما جعل فقه الصلاة من أسباب الخشوع ،لأن الجهل بأحكامها ينافي أداءها كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ،ولأن خشوع المسيء صلاته ،لا يفيده شيئاً في إحسانها ولا يكون له كبير ثمرة حتى يقيم صلاته كما أمر الله .

ولقد صلى رجل أمام رسول الله عليه وسلم فأساء صلاته،فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "ارجع فصل فإنك لم تصل"رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

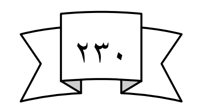
فيجب عليك – أخي الكريم – أن تعلم أركان الصلاة وواجباتها ، وسنن الصلاة ومبطلاتها ،حتى تعبد الله بكل حركة أو دعاء تقوم به في الصلاة.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلوا كما رأيتموني أصلي".

٥ . اتخاذ السترة : وذلك حتى لا يشغلك شاغل ولا يمر يديك مار سواء من الإنس أو الجن ،فيقطع عليك صلاتك ويكون سبباً في حرمانك من الخشوع .

عن سهل بن حثمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته"رواه النسائي وأبو داود.

وأعلم أخي الكريم أن اتخاذ السترة في الصلاة قد تهاون فيه كثير من الناس،وذلك لجهلهم بما يوقعه من السكينة والهدوء في قلب المصلي ولجهلهم بحكمه في الصلاة.

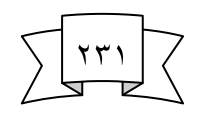
٦ . تكبيرة الإحرام :أخي الكريم – أما وقد عرفت ربك والتزمت بأمره واتبعت سبيله ،فلبيت نداءه وتركت ما سوى ذلك من حطام الدنيا وراء ظهرك وأقبلت على



مولاك أحسن إقبال بصدق وصفاء وإخلاص ،- أما وقد حصل لك ذلك الاستعداد كلـه – فـاعلم أن تكبيـرة الإحـرام هـي أول شـجرة تقطـف مهـا ثمـرة الخشـوع والـذل والانكسار ،تقطفها وتتذوق حلاوتها حينما تتصور وقوفك بين يدي الله ، وحينما تغرق تفكيرك في معاني "التكبير" فتتصور قدر عظمة الله في هذا الكون ،وتتأمل – و أنت تكبر – في قول الله جل وعلا : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ البقرة: ٢٥٥ ، ثم تتأمل قول ابن عباس رضي الله عنه أن الكرسي موضع القدم ، فحينئذ تدرك حقيقة " الله أكبر" تدركها وهي تلامس قلبك الغافل عن الله فتوقظه وتذكره بهول الموقف وعظم الأمانة التي تحملها الإنسان ولم يؤديها عرضت عليها .تدرك أخي الكريم – حقيقة التكبير وأسراره وتنظر إلى حالك مع الله وما فرطت في جنبه سبحانك ثم تتيقن أنه سبحانه قد نصب وجهه لوجهك في لحظه التكبير لتقيم الصلاة له راجياً رحمته وخائفاً من عذابه ،إنه لموقف ترتعش له الجوارح وتذهل فيه العقول .كان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان إذا صلى ضربت ابنته بالدف ،وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله .وقيل له ذات يوم:هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟قال:نعم ،بوقوفي بين يدي الله عز وجل ،و منصرفي إلى إحدى الدارين ،قيل فهل تجد شيئاً من أمور الدنيا؟ فقال:لأن تختلف الأسنة في أحب إلي من أن أجد في صلاتي ما تجدون.

فهكذا كان السلف إذا دخلوا في الصلاة فكأنما رحلت قلوبهم عن أجسادهم من حلاوة ما يجدون من الخشوع والخضوع.

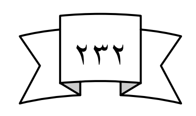
٧ . التأمل في دعاء الاستفتاح : وأدعيه الاستفتاح كثيرة ، وكلها تشمل معاني التوحيد والإنابة وعظم الله وقدرته وجلال وجهه ،لذلك فالتأمل فيها يورث أخي الحبيب هذه المعاني العظيمة التي تهز القلب وتحرك الشوق وتقوي الأنس بالله جل وعلا.ومن الأدعية المأثورة:"وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً



وما أنا من المشركين ،إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ،لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين "رواه مسلم.

قال القرطبي :"أي قصدت بعبادتي وتوحيدي له عز وجل وحده "تفسير القرطبي .

٨ . تدبر القرآن في الصلاة : وأعلم – أخي الكريم – أن تدبر القرآن من أعظم أسباب الخشوع في الصلاة وذلك لما تشتمل عليه الآيات من الوعد والوعيد وأحوال الموت ويوم القيامة وأحوال أهل الجنة والنار وأخبار الأنبياء الرسل وما ابتلوا به من قومهم من الطرد والتنكيل والتعذيب والقتل وأخبار المكذبين بالرسل وما أصابهم من العذاب والنكال،وكل هذه القضايا تسبح بخلدك أخي الكريم فتهيج في قلبك نور الإيمان وصدق التوكل وتزيدك خشوعاً على خشوع وكيف لا وقد قال الله جل وعلا: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١،ولذلك استنكر الله جل علا على الغافلين عن التدبر غفلتهم فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ ويتعين التدبر في سورة الفاتحة لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى :قسمت الصلاة بيني عبدي نصفين ولعبدي ما سأل ،فإذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الفاتحة: ٢ قال تعالى :حمدني عبدي .وإذا قال ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ الفاتحة: ٤ قال مجدني عبدي .وإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ الفاتحة: ٥ قال:هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل .فإذا قال﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ الفاتحة: ٦ - ٧ قال :هذا لعبدي ولعبد ما سأل "رواه مسلم.

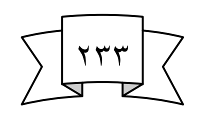


٩ . التذيل لله في الركوع : أما الركوع لله فهو حالة يظهر فيها التذلل لله جل وعلا بانحناء الظهر والجبهة لله سبحانه ،فينبغي لك أخي الكريم أن تحسن فيه التفكر في عظمة الله وكبريائه وسلطانه وملكوته،وأن تستحضر فيه ذنبك وتقصيرك وعيبك،وتتفكر في قدر الله وجلاله وغناه ،فتظهر حاجتك وفقرك وتذللك لله وحده قائلاً:"اللهم لك ركعت ،وبك آمنت ،ولك أسلمت ،خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي" رواه مسلم ، ثم عند قيامك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده،ومعناها:سمع الله حمد من حمده واستجاب له ،ثم احمد الله بعد ذلك بقولك :"ربنا لك الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينها وملء ما شئت من شيء بعد" وتذكر أنك مهما حمدت الله على نعمه فإنك لا تؤدي شكرها.قال تعالى:﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ النحل: ١٨.

وهذا التأمل يزيدك إيماناً بتقصيرها في جنب الله ويعمق في نفسك معاني الانكسار والذل وطلب الرحمة من الله وكل هذه الأشياء محفزات لخشوعك في الصلاة.

استحضار القرب من الله في السجود:لئن كان القيام والركوع والتشهد في الصلاة،من أسباب الخشوع و الاستكانة والتذلل لله ،فإن السجود هو أعلى درجات الاستكانة وأظهر حالات الخضوع لله لعلي القدير.

فاعلم أخي الكريم :أنك إذا سجدت تكون أقرب إلى الله ،ومتى استحضر قلبك معني القرب من خالق ومبدع الكون،متى تصور ذلك كذلك خضع وخشع.وتصور حالك وأنت أقرب إلى ملك عظيم من ملوك الدنيا تود الحديث إليه،ألا يصيبك من الارتباك والسكون ما يغير حالك ويخفق قلبك،فكيف وأنت أقرب في حالة سجودك إلى الله ذي الملك والملكوت والعز و الجبروت. ولله المثل الأعلى .



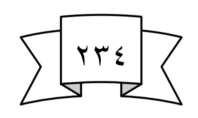
واعلـم أن السـجود أقـرب موضـع لإجابـة الـدعاء،ومغفرة الـذنوب ورفـع الدرجات.قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ العلـق: ١٩. وقال صلى الله عليه وسلم :"أقرب ما يكون العبد من ربه هو ساجد،فأكثروا الدعاء فيه" رواه مسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده:"سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة" رواه أبو داود والنسائي، ويقول أيضاً:"اللهم اغفر لي ذنبي كله ،دقه وجله ،وأوله وآخره،وعلانيته وسره" رواه مسلم، والأدعية الواردة في السجود كثيرة ليس هذا محل بسطها.

١٠ . استحضار معاني التشهد : وذلك لأن التشهد اشتمل على معاني عظيمة جليلة،فإذا تأملت فيها – أخي الكريم – أخذت بمجامع قلبك وألقت عليك من ظلال السكينة والرحمة ما يلبسك ثوب الخشوع الاستكانة.إذا أنك في التشهد تلقي التحيات لله سبحانه،وهذا – والله – مشهد يستعذبه القلب ويخفق له ،ثم تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرد عليك السلام كما صح ذلك في الحديث ،ثم تستشعر معاني الأخوة في المجتمع الإسلامي حينما تسلم على نفسك وعلى عباد اله الصالحين،ثم تستعيذ من عذاب النار والقبر ومن فتنة المسيح الدجال وفتنة المحيا والممات ، وكلها تغمر القلب بمعاني اللجوء والفرار إلى الله والتقرب إليه بما يحب.

خشوع السلف

هذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول : إن الرجل ليصلي ستين سنة ولا تقبل منه صلاة فقيل له : كيف ذلك؟ فقال: لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا قيامها ولا خشوعها.

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الرجل ليشيب في الإسلام ولم يكمل لله ركعة واحدة!! قيل : كيف يا أمير المؤمنين قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها.



ويقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : يأتي على الناس زمان يصلون وهم لا يصلون ، وإني لأتخوف أن يكون الزمان هو هذا الزمان !! فماذا لو أتيت إلينا يا إمام لتنظر أحوالنا ؟؟

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله : إن الرجل ليسجد السجدة يظن أنه تقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى ، ووالله لو وزع ذنب هذه السجدة على أهل بلدته لهلكوا ، سئل كيف ذلك ؟

فقال : يسجد برأسه بين يدي مولاه ، وهو منشغل باللهو والمعاصي والشهوات وحب الدنيا ... فأي سجدة هذه ؟ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " وجعلت قرة عيني في الصلاة "

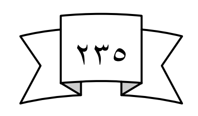
فبالله عليك هل صليت مرة ركعتين فكانتا قرة عينك؟وهل اشتقت مرة أن تعود سريعا إلى البيت كي تصلي ركعتين لله؟

هل اشتقت إلى الليل كي تخلو فيه مع الله ؟

وانظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم... كانت عائشة رضي الله عنها تجده طول الليل يصلي وطول النهار يدعو إلى الله تعالى فتسأله : يا رسول الله أنت لا تنام ؟ فيقول لها :" مضى زمن النوم " ويدخل معها الفراش ذات يوم حتى يمس جلده جلدها... ثم يستأذنها قائلا:" دعيني أتعبد لربي " فتقول : والله إني لأحب قربك ولكني أؤثر هواك

ويقول الصحابة : كنا نسمع لجوف النبي وهو يصلي أزيز كأزيز المرجل من البكاء ؟

وقيل : لو رأيت سفيان الثوري يصلي لقلت: يموت الآن (من كثرة خشوعه)؟



وهذا عروة بن الزبير – استمع لهذه – ابن السيدة أسماء أخت السيدة عائشة رضي الله عنهم ... أصاب رجله داء الأكلة [السرطان]

فقيل له : لا بد من قطع قدمك حتى لا ينتشر المرض في جسمك كله ولهذا لا بد أن تشرب بعض الخمر حتى يغيب وعيك .

فقال : أيغيب قلبي ولساني عن ذكر الله ؟؟ والله لا أستعين بمعصية الله على طاعته . قالوا : نسقيك المنقد (مخدر)

فقال : لا أحب أن يسلب جزء من أعضائي وأنا نائم ، فقالوا : نأتي بالرجال تمسكك ، فقال : أنا أعينكم على نفسي .

قالوا : لا تطيق .

قال : دعوني أصلي فإذا وجدتموني لا أتحرك وقد سكنت جوارحي واستقرت فانتظروني حتى أسجد فإذا سجدت فما عدت في الدنيا ، فافعلوا بي ما تشاؤون

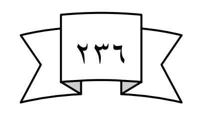
فجاء الطبيب وانتظر، فلما سجد أتى بالمنشار فقطع قدم الرجل ولم يصرخ بل كان يقول : لا إله إلا الله ... رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا ... حتى أغشي عليه ولم يصرخ صرخة ،، فلما أفاق أتوه بقدمه فنظر إليها

وقال : أقسم بالله إني لم أمش بك إلى حرام ، ويعلم الله ، كم وقفت عليك بالليل قائما لله .

فقال له أحد الصحابة : يا عروة ... أبشر ... جزء من جسدك سبقك إلى الجنة

فقال : والله ما عزاني أحد بأفضل من هذا العزاء

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا دخل في الصلاة ارتعش واصفر لونه ... فإذا سئل عن ذلك قال : أتدرون بين يدي من أقوم الآن ؟ وكان والده علي



رضي الله عنه إذا توضأ ارتجف فإذا سئل عن ذلك قال : الآن أحمل الأمانة التي عرضت على السماء والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها وحملتها أنا .

وسئل حاتم الأصم رحمه الله كيف تخشع في صلاتك ؟

قال : بأن أقوم فأكبر للصلاة وأتخيل الكعبة أمام عيني والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأن رسول الله يتأمل صلاتي وأظنها آخر صلاة ، فأكبر الله بتعظيم وأقرأ وأتدبر وأركع بخضوع وأسجد بخضوع وأجعل في صلاتي الخوف من الله والرجاء في رحمته ثم أسلم ولا أدري أقبلت أم لا ؟

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الحديد: ١٦ يقول ابن مسعود رضي الله عنه : لم يكن بين إسلامنا وبين نزول هذه الآية إلا أربع سنوات فعاتبنا الله تعالى فبكينا لقلة خشوعنا لمعاتبة الله لنا فكنا نخرج ونعاتب بعضنا بعضا نقول: ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ فيسقط الرجل منا يبكي على عتاب الله لنا .

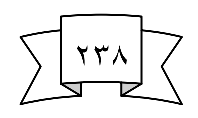
الخطبة الثالثة : صلاة الجماعة

أمّا بعد:عِبادَ الله ، خير كبير يفوت على كثير من المسلمين، وخطأ جسيم يرتكبه كثير من المسلمين، إنها صلاة الجماعة، النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة، أشار إلى صلاة الجماعة، وبين أنها تفضل صلاة الفذ، أي الفرد، مرةً بخمس وعشرين مرة، ومرة بسبع وعشرين، وقد يسأل سائل: الصلاة هي الصلاة، والاتصال بالله هو الاتصال، والله في كل مكان، وهو معكم أينما كنتم، فإذا أردنا أن نستشف حكمة صلاة الجماعة.

أحبتي في الله لابد من أن حكمة صلاة الجمعة أن تلتقي بأخيك، أن تلتقي بأخيك فتحدثه أو يحدثك، تأخذ بيده إلى الله أو يأخذ بيدك، يقوي عزيمتك أو تقوي عزيمته، تدله على الله أو على مزيد من معرفة الله، أو يدلك على الله أو على مزيد من معرفة الله، تعينه على تحمل الشدائد، ويعينك على تحمل الشدائد، تقتبس من نوره، ويقتبس من نورك، تتفقد حاله، ويتفقد حالك، يعينك على فعل الخير، أو تعينه على فعل الخير يأمرك بالمعروف وينهاك عن المنكر، أو تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، تستشيره، أو يستشيرك، تسأله أو يسألك، تجيبه أو يجيبك قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢ .

مكان التعاون هو المسجد، مكان اللقاء هو المسجد، الجماعة رحمة والفرقة عذاب، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

أيها الإخوة الكرام: لو أردنا أن نوسع موضوع صلة الرحم، وصلنا إلى مستوى صلاة الجماعة .



روى الشيخان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"

الإمام النووي يشرح معنى قلبه معلق بالمساجد أنه شديد الحب لها، شديد الملازمة لصلاة الجماعة، وليس معناه كما توهم بعضهم أنه يقعد في المسجد طويلاً، أو دائماً.. قلبه معلق بالمساجد أي أينما ذهب يتمنى أن يدخل إلى المسجد يلازم صلاة الجماعة.

أيها الإخوة: بنو سلمة قوم يسكنون في أطراف المدينة، أرادوا أن يتحولوا إلى قرب المسجد النبوي، والبقاع خالية، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَتَحَوَّلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ قَالَ وَالْبِقَاعُ خَالِيَةٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:" يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ فَقَالُوا مَا كَانَ يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا"أخرجه مسلم وأحمد.

أي الزموا دياركم تُكتب لكم خطواتكم إلى المسجد مهما كثرت، فقالوا ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا.

فيبدأ الأجر لمن يرتاد بيوت الله عز وجل من اللحظة التي يخرج فيها من بيته، إلى اللحظة التي يعود، وقد روى الإمام مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من الأنصار كانت لا تخطئه الصلاة مع الجماعة، وكان هذا الرجل لا يرغب أن يكون بيته بجوار المسجد، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ" أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.



النبي عليه الصلاة والسلام أرادنا أن نصلي الجماعة في المسجد من أجل أن نلتقي بإخوتنا، من أجل أن نكون مع الجماعة، والجماعة رحمة والفرقة عذاب. وفي حديث آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال :"أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ قالها ثلاثاً " أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد ومالك.

فالمؤمن في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالعصفور في القفص، أحب البلاد إلى الله مساجدها، فإذا كان قلبك معلقاً بالمساجد فهذه بشارة، إذا كنت وأنت في المسجد تشعر بالراحة فهذه بشارة، إذا كان مكانك المفضل هو المسجد فهذه بشارة، وهذه علامة الإيمان﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾التوبة: ١٨

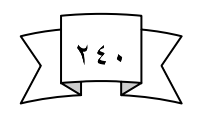
فضائل صلاة الجماعة :

الأجر المضاعَف

١- قال النبي صلى الله عليه وسلم : " صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " متفق عليه .

رفع الدرجات وحط الخطيئات

٢- قال صلى الله عليه وسلم : " صلاة الرجل في جماعة تَضْعفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد ، لا يُخْرِجُه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رُفِعَت له بها درجة ، وحُطّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلَّى لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه ، ما دام



في مُصَلاّه ما لم يُحْدِث : اللهم صلّ عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة " متفق عليه .

غُفران الذُّنوب

٣- وقال صلى الله عليه وسلم : " من توضّأ فأَسْبَغ الوضوء ، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاّها مع الإمام ، غُفِرَ له ذنبه " رواه ابن خزيمة وصحَّحه الألباني .

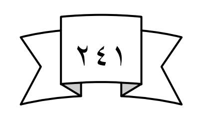
صلاة الجماعة من سنن الهدى

٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بِهِن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سُنن الهدى ، وإنهن من سُنن الهدى ، ولو أنكم صلَّيتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته ؛ لتركتم سُنَّة نبيّكم ، ولو تركتم سُنّة نبيّكم لضللتم .. ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النِّفاق ، ولقد كان الرَّجُل يُؤْتى به يُهَادَى بين الرَّجُلَين حتى يُقام في الصَّف " رواه مسلم.

من حافَظ على الجماعة عاش بخير ومات بخير

٥- وقال صلى الله عليه وسلم : " أتاني الليلة آتٍ من ربي . قال : يا محمد ! أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ؛ في الكفّارات والدرجات ، ونقل الأقدام للجماعات ، وإسباغ الوضوء في السَّبَرات ، وانتظار الصلاة ، ومَن حافظ عليهن عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه " رواه أحمد والترمذي وصحَّحه الألباني.

حتى الأعمى يصلي في الجماعة



٦- أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ أعمى فقال : يا رسول الله ! ليس لي قائد يقودني إلى المسجد ، فرخَّص له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي في بيته ، فلمَّا وَلَّى دعاه فقال : " هل تسمع النداء بالصلاة ؟ " قال : نعم . قال : " فأجب " رواه مسلم.

الترهيب من ترك الجماعة

٧- وقال صلى الله عليه وسلم : " إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْواً ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلِّي بالناس ، ثم أنطلِق معي برجال معهم حِزَمٌ من حَطَب ، إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأُحَرِّق عليهم بيوتهم بالنار" متفق عليه .

فضل صلاة العشاء والفجر جماعة

٨- وقال صلى الله عليه وسلم : " من صلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومَن صلّى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله " رواه مسلم .

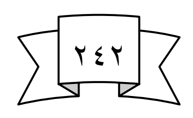
براءة من النار وبراءة من النفاق

٩- وقال صلى الله عليه وسلم : " مَن صلَّى لله أربعين يوماً في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى ، كُتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق " رواه الترمذي وحسَّنه الألباني.

فضال صلاة الفجر

صاحب صلاة الفجر محاط بالفضائل، ومبشر بعظيم البشائر..

فمنذ خروجه من بيته لأداء الصلاة والبشائر تنهال عليه من كل جانب..



قال عليه الصلاة والسلام : " بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة "رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

وإذا أدى سنة الفجر فهي خير من الدنيا وما فيها. فعن عائشة– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها "رواه مسلم.. يعني سنة الفجر.

وحين يجلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، " ومن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة، وصلاتهم اللهم اغفر له اللهم ارحمه "رواه احمد.

حتى إذا ما أقيمت الصلاة وشرع في أدائها فيا للفوز والأجر، ويا لعظيم الفضل وجليل البشر..

هاهو يقف بين يدي الله وتشهد له ملائكة الله، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ الإسراء: ٧٨.

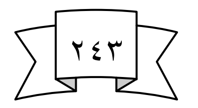
عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر " قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ ﴾ متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم : " لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "رواه مسلم .

يعني الفجر والعصر.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى البردين دخل الجنة "متفق عليه .

والبردان هما الفجر العصر.



ويرجى لمن حافظ عليها وعلى صلاة العصر الفوز برؤية الجبار جلا وعلا، فعن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نظر إلى القمر ليلة البدر ، فقال : " أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها "متفق عليه .

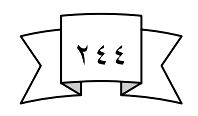
يعني العصر والفجر.

قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء: ووجه مناسبة ذكر هاتين الصلاتين عند الرؤية، أن الصلاة أفضل الطاعات، وقد ثبت لهاتين الصلاتين من الفضل على غيرهما ما ذكر من اجتماع الملائكة فيهما، ورفع الأعمال، وغير ذلك، فهما أفضل الصلوات، فناسب أن يجازي المحافظ علهما بأفضل العطايا، وهو النظر إلى الله تعالى..

وعن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله "رواه مسلم.

ولا ينقطع الفضل بانقضاء الصلاة، ولا ينتهي بانتهائها لكنه ما يزال في أجر عظيم وفضل كبير، تحيطه عناية الله، وتستغفر له ملائكة الله.. فعن علي- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صلى الفجر ثم جلس في مصلاه صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه "رواه أحمد .

فإذا ما قويت عزيمته، وغلب نفسه، وجلس حتى تشرق الشمس فقد فاز بأجر حجة وعمرة.. فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم



صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة"رواه الترمذي وصححه الألباني .

ولا تزال البشائر تتوالى عليه، ولا يزال حفظ الله تعالى مبذولا إليه..

فعن جندب بن عبد الله– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم "رواه مسلم .

الله أكبر..أرأيتم كم للمحافظ على هذه الصلاة من خير وفضل..

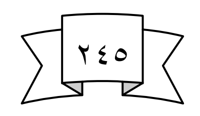
وكم يضيع المتخلف عن صلاة الفجر من عظيم الأجر..

نعم..إنه لا يحرم من هذا الفضل إلا محروم..

ويا ليت الأمر ينتهي عند التفريط في الفضل، والحرمان من الأجر، ولكن يترتب على التهاون في الصلاة مزالق عظيمة، وعواقب وخيمة..

فعن سمرة بن جندب– رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رؤياه التي رآها فقال: "إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتهدهد الحجر هاهنا فيتبع الحجر ويأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه يفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذا؟ قال: قالا لي انطلق، قال: فانطلقنا.. وفي آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم : " قالا لي: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة "رواه البخاري.

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم : " يفعل به ما رأيت إلى يوم القيامة "رواه أحمد .



نعوذ بالله من شديد غضبه، وأليم عقابه..

ثم إن التهاون في أداء الصلاة مع الجماعة من علامات النفاق..

صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر يوما ثم قال : " أشهد فلان الصلاة؟، قالوا: لا، قال: وفلان؟، قالوا: لا، قال: إن هاتين الصلاتين من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" رواه النسائي .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلا يؤم الناس ثم آخذ شعل من نار فأحرق من لا يخرج إلى الصلاة بعد" وفي حديث آخر: "والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء"متفق عليه .

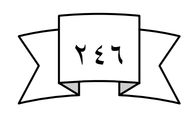
وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى الصبح ولم يصل فقال : " ذاك رجل بال الشيطان في أذنه "متفق عليه.

أخي الحبيب الكريم ، أين أنت من هؤلاء؟

• عن برد مولى سعيد بن المسيب قال: ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

• وقال وكيع بن الجراح عن الأعمش سليمان بن مهران: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

• وقال محمد بن المبارك الصوري: كان سعيد بن عبد العزيز التنوخي إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.



• وروي عن محمد بن خفيف أنه كان به وجع الخاصرة فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة فكان إذا نودي بالصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففت على نفسك؟ قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فأطلبوني في المقبرة.

• وسمع عامر بن عبد الله بن الزبير المؤذن وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي، فقيل إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟!فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات.

أخي الكريم

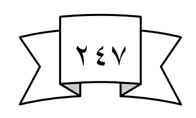
ها قد بانت لك الأمور، وقامت عليك الحجة..

وعلمت أن المحافظة على هذه الشعيرة العظيمة سبيل لرفعة الدرجات وتكفير السيئات، والتفريط فيها من أسباب التردي والإنزلاق في الدركات..

وهي – ولا شك– تحتاج إلى جهد ومجاهدة.. فاحذر أن تغلبك نفسك، ويقوى عليك شيطانك..فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات..

وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتنبه قبل أن تأتي ساعة تندم فيها ولآت ساعة مندم..

وتفقد أهل بيتك وأرحامك، وجيرانك وأحبابك، فقد كان قدوتك صلى الله عليه وسلم يمر بباب ابنته فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول صلى الله عليه وسلم : " الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الأحزاب: ٣٣ "رواه مسلم .



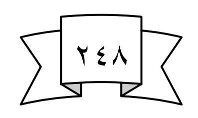
الخطبة الرابعة : يوم الجمعة و فضل النوافل

أمّا بعد:عِبادَ الله ، إن الله فضل بعض الشهور والأيام على بعض، وجعل من الأيام مواسم وأعيادا، اصطفاءً منه واختيارًا، وتشريفًا منه وتكريمًا، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ القصص: ٦٨ ، وإن الله تعالى قد جعل للمسلمين من أيام الدنيا ثلاثة أعياد، عيدين يأتيان في كل عام مرة مرة: عيد الفطر وعيد الأضحى، وعيد يتكرر كل أسبوع، وهو يوم الجمعة الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : "إن يوم الجمعة يومُ عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده" رواه أحمد .

إن يوم الجمعة . أيها المسلمون . من أعظم الأيام عند الله قدرًا، وأجلها شرفًا، وأكثرها فضلاً، فقد اصطفاه الله تعالى على غيره من الأيام، وفضله على ما سواه من الأزمان، واختص الله به أمة الإسلام، فقد ضلت عنه اليهود والنصارى ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق".رواه مسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم جمعة".رواه الترمذي وصححه الألباني .

إن من بركات هذا اليوم أن الله يغفر لعبده ما ارتكب ما بين الجمعتين من آثام وخطايا، إذا اجتَنب الكبائر ، يقول صلى الله عليه وسلم : "الصلوات الخمس،



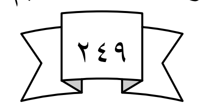
والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" أخرجه مسلم .

عباد الله : إن يوماً بهذه المزية وتلك المكانة عند الله لهو حريّ بأن نعتني به ، فقد شرع الله في هذا اليوم الغسل وجُعله أمراً مؤكداً ، يقول صلى الله عليه وسلم : "غسل الجمعة واجب على كل محتلم" صححه النووي ، وهذا يدل على تأكيد الغسل وأهميته. وشُرِعَ الطيبُ ولبس أحسن الثياب، فعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة، وتطهر بما استطاع من طهر، ثم ادهن أو مس من طيب، ثم راح فلم يفرق بين اثنين، فصلى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" رواه البخاري.

ولقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يجتهد في التبكير إلى الجمعة، لما في ذلك من الفضل العظيم، قال صلى الله عليه وسلم : "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح، فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الثالثة، فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة، فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة، فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"رواه البخاري .

قال ابن القيِّم: "لمَّا كان يوم الجمعة في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملاً على صلاة وقربان، وكان يوم الجمعة يومَ صلاة، جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلاً من القربان وقائمًا مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان".

بمعنى أن الذي يبكر إلى الصلاة يوم الجمعة كان له من الأجر كمن اشترى شيئاً مما ذكر في الحديث ووزعه على فقراء المسلمين، فمن ذهب في الساعة الأولى كان كمن اشترى من ماله الخاص بدنه فذبحها ثم وزعها على فقراء المسلمين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

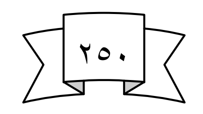


فانظروا رحمكم الله إلى هذا الفرق العظيم بين أجر من يبكر ويأتي في الساعة الأولى ومن يتأخر ويأتي في الساعة الخامسة الأخيرة، إنه الفرق بين من يتصدق ويتبرع بالبدنة وبين من يتصدق ويتبرع بالبيضة فانظر لنفسك ماذا أنت تختار. ولو حصل لك ظرف معين في أحد المرات وتأخرت لظرف خارج عن إرادتك فاحرص أيضا أن تكون على الأقل مع من يقرب بقرة، أو على الأقل دجاجة، لكن أن يكون طبعك وديدنك مع البيضة دائماً فهذا أيضاً من الحرمان، أما إذا دخل الخطيب فإن البيضة أيضاً، أنت لست من أهلها، لأن الملائكة تطوي صحفها وتجلس تستمع إلى الخطبة.

إن الملائكة يوم الجمعة يجلسون عند أبواب المسجد، يكتبون الأول فالأول، فإذا أتى الإمام طوَوا صحفَهم واستمعوا الذكر، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون من جاء من الناس على منازلهم فرجل قدم جزورا ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة ورجل قدم دجاجة ورجل قدم بيضة قال فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر " رواه الهيثمي ورجاله ثقات .

وعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة وغسل ، وبكر وابتكر ، ودنا واستمع ، وأنصت ، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها" رواه الترمذي وحسنه .

فما أعظم هذا الأجر يا عباد الله، هنيئاً لمن بكر وأتى إلى المسجد قبل حضور الخطيب، وصلى ما قدّر له .. وتشرف بكتابة اسمه في السجلات التي تحملها الملائكة القاعدون على أبواب المساجد في هذا اليوم العظيم، وأجر المسير والتبكير إلى الجمعة، كل خطوة تعادل في الثواب صيام سنة وقيامها أضف إلى ذلك إن المبكر إذا دخل المسجد فاشتغل بالصلاة والذكر وقراءة القران حصل على خيرات



كثيرة، والملائكة تستغفر له طيلة بقائه في المسجد، ويكتب له أجر المصلي مادام ينتظر الصلاة، ولكن ومع كل أسف، كثير من الناس زهد في هذا الأجر، ورغب عن هذا الخير، فصار لا يأتي لصلاة الجمعة إلا في آخر لحظة، ومنهم من يأتي وقت الخطبة فقط أو في آخرها، وهذا أمر ملحوظ ومشاهد، يدخل الخطيب المسجد، فلا تكاد ترى إلا بعض الصفوف، وما إن يشرع الخطيب في الخطبة ويسمعه الناس حول المسجد فيبدؤون في المجيء ومنهم من يتأخر حتى قبيل الإقامة، وهذا لاشك أنه حرمان عظيم وتثبيط من الشيطان، وضعف من النفس، فاتقوا الله، عباد الله لا تحرموا أنفسكم هذا الأجر العظيم، بكروا إلى الجمعة، لتحوزوا على رضوان الله جل وعلا، ويُذكر في الأثر عن علقمة قال: خرجت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوم الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال: (رابع أربعة، وما رابع أربعة من الله ببعيد، إنَّ الناس يجلسون يوم القيامة من الله عز وجل على قدر رواحهم إلى الجمعات، الأوَّل ثمَّ الثاني ثمَّ الثالث ثمَّ الرابع، وما رابع أربعة من الله ببعيد) رواه المنذري وحسنه .

وليتجنب المسلم ما يعوقه عن التبكير، من السهر في ليلة الجمعة، وربما يسهر البعض إلى طلوع الفجر، ثم يستغرق معظم النهار نوماً، فعساه أن يستيقظ للفريضة ولو متأخراً، وبعضهم ربما مضت عليه الساعات في نوم عميق، فتفوته الجمعة ، إنها خسارة عظيمة لمسلم منحه الله الصحة والعافية، ولكنه لا يبالي بهذا اليوم، ولا بفضائل هذا اليوم.

وإذا دخل المسلم المسجد شُرع له أن يصلي ركعتين تحيةَ المسجد ولو كان الإمام يخطب، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب إذ دخل سليك الغطفاني رضي الله عنه فجلس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أصليتَ ركعتين؟ " قال: لا، قال: " قم فاركع ركعتين، وتجوّز فيهما" رواه البخاري ومسلم .

وإذا تأخر المسلم عن الإتيان مبكراً إلى المسجد وقد امتلأ المسجد فإنه يمنع من تخطِّي رقابَ الناس؛ لأن في ذلك أذىً للمسلمين، وإشغالٌ لهم عن الاستماع والهاءُ لقلوبهم عن الإقبال على سماع الخطبة، فبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا رجلٌ يتخطى رقاب الناس، فقال له: " اجلس فقد آذيت وآنيت " أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، إذا أتى المصلي إلى صلاة الجمعة فيشرع له الإنصات لخطبة الإمام، والإصغاء إليها، ويحرم عليه التحدِّث مع الغير، والاشتغال بما يلهي عن سماع الخطبة، يقول صلى الله عليه وسلم : " إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت ، والإمام يخطب ، فقد لغوت " رواه البخاري .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فذكّر أصحابه بأيام الله ثم قرأ سورةً فغمز أبو الدرداء أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه فقال متى أنزلت هذه السورة فإني لم أسمعها إلاّ الآن فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال أبيٌّ ليس لك من صلاتك إلا ما لغوت فأخبر أبو الدرداء النبيَّ صلى الله عليه وسلم بما قال أُبَيٌّ فقال : " صدق أُبَيّ " رواه الهيثمي وقال رجاله رجال الصحيح .

من مس حصا المسجد أو عبث بشيء من متاعه والإمام يخطب فقد لغا في جمعته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من مس الحصى فقد لغا " رواه ابن ماجة وصححه الألباني .وما من دين على وجه الأرض يلزم مؤمنيه في يوم من أيام الأسبوع أن يأتوا يوم الجمعة بالاستماع والإنصات، كأشد ما يكون الاستماع والإنصات إلى خطبة الجمعة، لا يلتفتون عنها بشيء، ولا يردون السلام ولا يشمتون العاطس، كلهم آذان صاغية، كأن على رؤوسهم الطير.

فانتبه يا عبد الله، لا تفسد جمعتك بعبث أو غيره، توجه بسمعك وقلبك إلى الخطبة ولا تتكلم حال الخطبة ولا تكن من الذين غلب عليهم الكسل أو عدم المبالاة يملون من الجلوس ربع ساعة لاستماع ذكر أو موعظة، ولهذا تجدهم يأتون في آخر

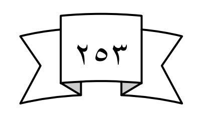
الخطبة حتى لا يطيل الجلوس، وبعضهم إذا جاء متأخراً فإنه لا يجلس يظل واقفاً حتى تقام الصلاة، ولو طُلِبَ من أحدهم أن يجلس في غير هذا المكان لجلس الساعات الطوال، في لهو أو لعب أو غيره، فأي حرمان للعبد أكثر من هذا .

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من العبادات المشروعة في هذا اليوم فإنَّ أوسَ بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه؛ خلق الله آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة عليّ فيه، فإن صلاتكم يوم الجمعة معروضة عليّ"، قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟! أي: بليت وصرت رميمًا، فقال: "إن الله عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكل أجسامنا" رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له.

قال ابن القيِّم: "ورسول الله سيِّد الأنام، ويوم الجمعة سيِّد الأيَّام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزيَّة ليست لغيره مع حكمة أخرى، وهي أنَّ كلَّ خير نالته أمَّته في الدنيا والآخرة فإنَّما نالته على يده، فجمع الله لأمَّته بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم فإنَّما تحصل يوم الجمعة، فإنَّ فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنَّة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنَّة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم يُسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يردُّ سائلهم، وهذا كلُّه إنَّما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقِّه ﷺ أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته".

فضل السنن الرواتب

١ . أنها مما تُنال به محبة الله ، كما في حديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – إن الله تعالى قال : " من عادى



لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، و لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي سمع به و بصره الذي يبصر به ، و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها و لئن سألني لأعطينه ، و لئن استعاذني لأعيذنه " رواه البخاري

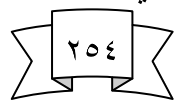
ما أجمل وما أوسع رحمة ربى بنا ، انظر" ولا يزال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه".

إذا صليت النوافل يحبنى الله هل تخيلت معى جمال وحلاوة وروعة أن يحبك الله

٢ . أنها مما يُسد بها خلل ونقص الصلاة المفروضة : كما في قوله عليه الصلاة والسلام : " إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ " رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

3. والمحافظة على هذه الركعات من أسباب دخول الجنة؛ لما ثبت في صحيح مسلم، عن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ" قَالَتْ أَمُّ حَبِيبَةَ فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ. اخرَّجه مسلم.

وهي كالتالي : أربعاً قبل ظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر وهي السنن المؤكده هناك سنن غير مؤكده ولكن لها فضل كبير مثل سنة العصر : قال صلى الله عليه و سلم :"رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً " رواه أبو داود والترمذي.



سنة المغرب : قال صلى الله عليه و سلم: " صلوا قبل المغرب ،قال في الثالثة لمن شاء " رواه البخاري.

سنة العشاء : قال صلى الله عليه و سلم :"بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة ، بين كل أذانين صلاة " قال في الثالثة لمن شاء " متفق عليه.

قال النووي : المراد بالأذانين : الأذان والإقامة.

فضل الضحي

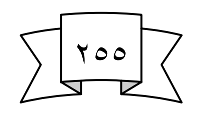
صلاة الأوابين هي ما اشتهرت عند جمهور الفقهاء بصلاة الضحى ولقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسميتها بكل من الاسمين .

الأحاديث الصحيحة التي وردت في فضلها:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: "أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: بصيام ثلاثة أيام في كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام " رواه البخاري ومسلم وابن خزيمة .

* وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقه فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى " رواه مسلم.

* وروى الإمام أحمد من حديث بريدة رضى الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقه قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله؟ قال النخامة في المسجد تدفنها والشيء تنحيه عن الطريق فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك " صحيح الترغيب المنذرى / الألبانى .



* وعن عبد الله بن عمرو قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فغنموا وأسرعوا الرجعة فتحدث الناس بقرب مغزاهم وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعه ؟ من توضأ ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى فهو أقرب مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعه " رواه أحمد.

قال الحافظ في الفتح: المراد بقوله السبحة أي النافلة وأصلها من التسبيح وخصت النافلة بذلك لأن التسبيح الذي في الفريضة نافلة فقيل لصلاة النافلة سبحه لأنها كالتسبيح في الفريضة.

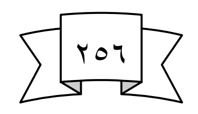
* عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاه على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين " رواه أبو داود.

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب " قال " وهى صلاة الأوابين " قال الألبانى حفظه الله: وفى الحديث رد على الذين يسمون الست ركعات التى يصلونها بعد فرض المغرب بصلاة الأوابين فإن هذه التسمية لا أصل لها وصلاتها بالذات غير ثابتة.

عدد ركعاتها

أقل ركعاتها اثنتان وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني ركعات وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة.

فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى أربعا كتب من العابدين



ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وما من يوم ولا ليلة إلا لله مَنٌّ يمن به على عباده صدقه وما منَّ الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره " حديث حسن رواة الطبرانى فى الكبير (الترغيب .

فضل صلاة الوتر

حكم صلاة الوتر : سنة مؤكدة

وقت صلاة الوتر

أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل إلا بعد العشاء، وأنه يمتد إلى الفجر

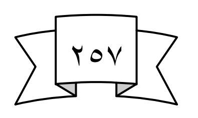
فعن أبي بصرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن الله زادكم صلاة فصلوها بين العشاء والفجر" رواه أحمد

أفضل وقت لصلاة الوتر :الأفضل تأخير فعلها إلى آخر الليل وذلك لمن وثق باستيقاظه لحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم: " من خاف أن لا يقوم آخر الليل ، فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة ، وذلك أفضل " أخرجه مسلم

وعدد ركعات الوتر : ليس للوتر ركعات معينة، وإنما أقله ركعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: " الوتر ركعة من آخر الليل " رواه مسلم

ولا يكره الوتر بواحدة لقوله صلى الله عليه وسلم :" ومن أحب أن يوتر بواحدة، فليفعل " أخرجه أبو داود

وأفضل الوتر إحدى عشرة ركعة يصليها مثنى مثنى ويوتر بواحدة لقول عائشة رضي الله عنها: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل



إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة " وفي لفظ " يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة" أخرجه مسلم.

ويصح أكثر من ثلاث عشرة ركعة ولكن يختمهن بوتر كما جاء في الحديث: " صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشيت الصبح أوتر بواحدة" أخرجه البخاري

القراءة في الوتر

يسن للمصلي أن يقرأ في الركعة الأولى من الوتر بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ الأعلى: ١ وفي الركعة الثانية بـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ الكافرون: ١ وفي الثالثة بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ الإخلاص: ١ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الأولى بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ وفي الثانية بـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ وفي الثالثة بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ والمعوذتين " أخرجه الترمذي.

القنوت في الوتر

القنوت في الوتر مستحب وليس بواجب، والدليل على مشروعيته أنه صلى الله عليه وسلم كان يقنت في ركعة الوتر ولم يفعله إلاّ قليلاً ، ولما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: " علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت " أخرجه أبو داود.

فضل ركعتي الوضوء

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي، فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَائِماً يُحَدِّثُ النَّاسَ،

فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ:"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةَ"أخرجه مسلم.

وأفضل صلاة النوافل في البيوت

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ:"عَلَيْكُمْ بِالصَّلاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلا الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ" متفق عليه.

وعَنْ عَبْدِالله بْنِ شَقِيقٍ قالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلاةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، عَنْ تَطَوُّعِهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ، فِيهِنَّ الوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلاً طَوِيلاً قَائِماً، وَلَيْلاً طَوِيلاً قَاعِداً، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِداً، رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. أخرجه مسلم.

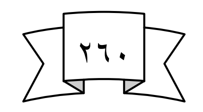
شهر جماد الأول

الخطبة الأولي : قيام الليل ١

الخطبة الثانية : قيام الليل ٢

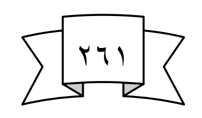
الخطبة الثالثة : فضل الأمـة

الخطبة الرابعة : الشرك وأسبـابـه



الخطبة الأولي : قيام الليل ١

أمّا بعد:عِبادَ الله ، فإن أطيب أوقات المناجاة أن يخلو المؤمن بربه والناس نيام،وقد سكن الكون كله،وأرخى الليل سدوله،وغابت نجومه،وخلا كل حبيب بحبيبه،،فحينئذ تستحضر قلبك،وتناجي ربك،وتظهر ضعفك وفقرك وحاجتك،وتستحضر عظمة ربك وغناه وجوده ومنه وكرمه،،فتأنس بقربه،ويطمئن قلبك بذكره،وتفرح بفضله ورحمته،وتبكي من خشيته،وتشعر بقربه ومعيته،فتلح في الدعاء،وتتذلل في التضرع،وتجتهد في الاستغفار،،، أخي المسلم إن قيام الليل عبادة تصل القلب بالله عز وجل وتصفيه مما علق به من شهوات الدنيا وأكدارها وتجعله قادرا على مواجهة الفتن المضلة التي تعصف بالقلوب،،فقلب معلق بالله وامتلأ بحب الله لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.... قيام الليل فيه مجاهدة للنفس وحملها على طاعة الله،في وقت هدأت فيه الأصوات ونامت فيه العيون تقلب فيه النوام على الفراش،لكن قوام الليل يهبون من فرشهم الوثيرة وسررهم المريحة ليكابدوا الليل والتعب وهم مع ذلك في غاية السعادة واللذة،فلقاء المحبوب والأنس به أنساهم التعب والنصب فتلذذوا بقربه سبحانه...لذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة وسمات النفوس الكبيرة التي أثنى الله عز وجل على أصحابها في آيات كثيرة فقال تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الفرقان: ٦٤. وقال الله –عز وجل– في صفة المتقين: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٧ - ١٨ ، وقال تعالى في أصحاب الإيمان الكامل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٦ - ١٧. وقال سبحانه: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١١٣. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٧.



ووصف الله -عز وجل- أهل الإيمان الكامل الذين يقومون بالليل بالعلم، ورفع مكانتهم على غيرهم، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ الزمر: ٩؛ ولعظم شأن صلاة الليل قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ المزمل: ١ - ٤. وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ الإسراء: ٧٩، وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ الإنسان: ٢٣ - ٢٦. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ ق: ٤٠. وقال عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ الطور: ٤٩، وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل صوم المحرم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فضل قيام الليل

١- عناية النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل حتى تفطرت قدماه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في القيام اجتهاداً عظيماً، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أحب أن أكون عبداً شَكُورا" متفق عليه، وعن المغيرة – رضي الله عنه – قال: "قام النبي

صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبداً شكورا""متفق عليه.

وقد أحسن القائل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين قال:

وفينــا رســول الله يتلــو كتابــه إذا انشـق معـروف مـن الفجـر

يبيت يجـافي جنبـه عـن فراشـه إذا اســـــتثقلت بالكـــــافرين

٢- من أعظم أسباب دخول الجنة، فعن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- قال: لما قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قِبَلَه، وقيل: قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، فجئت في الناس؛ لأنظر، فلما تبيَّنت وجْهَهُ عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول شيء سمعتُه تكلَّم به أن قال: "يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام، تدخلوا الجنة بسلام"أخرجه ابن ماجة بلفظه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام ، وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حديث: أفشوا السلام، وفي الكتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف، والحاكم، وأحمد، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

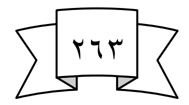
وقد أحسن القائل حين قال:

ألهتك لذةُ نومةٍ عن خير عيشٍ مع الخيرات في غرف الجنان

تعـيش مخلـداً لا مـوت فيهـا وتنعم في الجنان مع الحسانِ

تـيقظ مــن منامــك إنَّ خيــراً مــن النــوم التهجــد بــالقرآن

٣- قيام الليل من أسباب رفع الدرجات في غرف الجنة؛ لحديث أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن في الجنة



غُرفاً يُرى ظَاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألانَ الكلام، وتابع الصيام ، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام" رواه أحمد، وابن حبان ، والترمذي، عن علي –رضي الله عنه– كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة، وأحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي،وصحيح الجامع،.

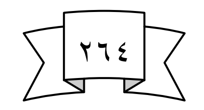
٤- المحافظون على قيام الليل محسنون مستحقون لرحمة الله وجنته؛ لأنهم : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٧ - ١٨.

٥- مدح الله أهل قيام الليل في جملة عباده الأبرار عباد الرحمن، فقال عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الفرقان: ٦٤.

٦- شهد لهم بالإيمان الكامل فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٥ - ١٧.

٧- نفى الله التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم، فقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩.

٨- قيام الليل مكفِّر للسيئات ومنهاة للآثام؛ لحديث أبي أمامة –رضي الله عنه– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قُربة إلى ربكم، ومكفِّر للسيئات، ومنهاة للآثام"الترمذي، كتاب الدعوات، باب فتح له منكم باب الدعاء، والحاكم، والبيهقي، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، وفي صحيح سنن الترمذي.

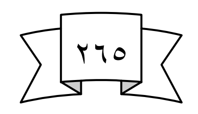


٩- قيام الليل أفضل الصلاة بعد الفريضة؛ لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- يرفعه، وفيه: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل"مسلم .

١٠- شرف المؤمن قيام الليل؛ لحديث سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به" ثم قال: "يا محمد شرف المؤمن قيام الليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس"أخرجه الحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ، وعزاه للطبراني في الأوسط، وأشار إلى ثبوته الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه للطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

١١- قيام الليل يُغْبَطُ عليه صاحبه؛ لعظم ثوابه، فهو خير من الدنيا وما فيها؛ لحديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" رواه مسلم؛ ولحديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها"متفق عليه.

١٢- قراءة القرآن في قيام الليل غنيمة عظيمة؛ لحديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين" أبو داود، كتاب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، وابن خزيمة في صحيحه ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود،وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة.



أفضل أوقات قيام الليل الثلث الآخر

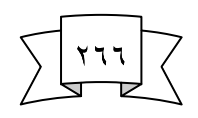
وصلاة الليل تجوز في أوله، وآخره؛ لحديث أنس –رضي الله عنه– قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته، ولا نائماً إلا رأيته"البخاري.

وهذا يدل على التيسير، فعلى حسب ما تيسر للمسلم يقوم، ولكن الأفضل أن يكون القيام في الثلث الآخر من الليل؛ لحديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء الضيف، وأبو داود بنحوه، كتاب التطوع، باب من رخص فيها إذا كانت الشمس مرتفعة، والنسائي، كتاب المواقيت، باب النهي عن الصلاة بعد العصر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

ومما يزيد ذلك وضوحاً حديث أبي هريرة – رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر" متفق عليه.

وعن جابر – رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الليل لساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة"مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام



إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفرُّ إذا لاقى"متفق عليه.

وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت حينما سُئلت: أي العمل كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: الدائم، قلت: متى كان يقوم؟ قالت: كان يقوم إذا سمع الصارخ .متفق عليه.

وفي حديثها الآخر – رضي الله عنها–: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوقظه الله من الليل فما يجيء السَّحر حتى يفرغ من حزبه"أبو داود، كتاب التطوع، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

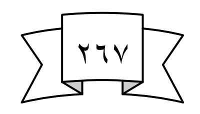
كم عدد ركعات قيام الليل؟

ليس له عددٌ مخصوص؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى"متفق عليه.

ولكن الأفضل أن يقتصر على إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلِّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة " مسلم ،ولحديثها الآخر: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة"متفق عليه.

آداب قيام الليل:

١– ينوي عند نومه قيام الليل وينوي بنومه التَّقَوِّي على الطاعة ليحصل على الثواب على نومه؛ لحديث عائشة – رضي الله عنها– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر

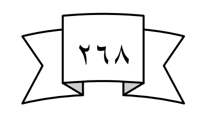


صلاته، وكان نومه صدقة عليه" رواه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب من كان له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم، أبو داود، كتاب التطوع، باب من نوى القيام فنام، ومالك في الموطأ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

ولحديث أبي الدرداء – رضي الله عنه– يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبتْهُ عيناه حتى أصبح، كُتِبَ له ما نوى، وكان نومُهُ صدقةً عليه من ربه عز وجل" رواه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب من أتى فراشه وهو ينوي القيام فنام، وصححه الألباني في إرواء الغليل ، وفي صحيح سنن النسائي.

٢– يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ، ويذكر الله، ويتوسل ويقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربِّ اغفر لي"؛ لحديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب " رواه البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى.

وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: "... استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران... " رواه مسلم، وأصل الحديث متفق عليه.، وعن حذيفة – رضي الله عنه– قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك"متفق عليه، ويقول أذكار الاستيقاظ من النوم الأخرى ، ويتوضأ كما أمره الله تعالى.

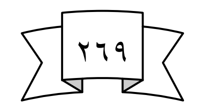


٣- يفتتح تهجده بركعتين خفيفتين؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله؛ لحديث عائشة – رضي الله عنها- قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين" مسلم؛ ولحديث أبي هريرة – رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين"مسلم.

٤- يُستحب أن يكون تهجده في بيته؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتهجَّد في بيته؛ ولحديث زيد بن ثابت – رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...فعليكم بالصلاة في بيوتكم؛ فإن خير صلاة المرءِ في بيته إلا الصلاة المكتوبة"متفق عليه.

٥- المداومة على قيام الليل وعدم قطعه، يُستحب أن يكون للمسلم ركعات معلومة يداوم عليها، فإذا نشط طوَّلها وإذا لم ينشط خفَّفها، وإذا فاتته قضاها؛ لحديث عائشة – رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملوا" وكان يقول: "أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ"متفق عليه؛ ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما- قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"متفق عليه ولحديث عائشة – رضي الله عنها- قالت: "...وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحبّ أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" مسلم؛ ولحديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل" مسلم.

٦- إذا غلبه النعاس ينبغي له أن يترك الصلاة وينام حتى يذهب عنه النوم؛ لحديث عائشة – رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نعس



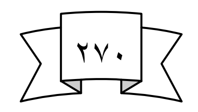
أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه"متفق عليه؛ ولحديث أبي هريرة – رضي الله عنه– يرفعه: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدرِ ما يقول فليضطجع"مسلم .

٧– يُستحب له أن يوقظ أهله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل فإذا أوتر قال لعائشة – رضي الله عنها–: "قومي فأوتري يا عائشة" متفق عليه ؛ ولحديث أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء"النسائي، وابن ماجه، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات " ابن ماجه ، وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ليلةً فقال: "ألا تصليان"؟ فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مدبرٌ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ الكهف: ٥٤ "متفق عليه .

قال ابن بطال – رحمه الله–: "فيه فضيلة صلاة الليل، وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك" ، وقال الطبري – رحمه الله–: "لولا ما علم النبي صلى الله عليه



وسلم من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه، في وقت جعله الله لخلقه سكناً، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢.

وقول علي – رضي الله عنه–: "إنما أنفسنا بيد الله" اقتبس علي – رضي الله عنه– ذلك من قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر: ٤٢، وقوله "بعثنا" المقصود: أيقظنا ، وقوله: "طرقه"، ذكر النووي – رحمه الله– أن الطرق هو الإتيان في الليل، وأن ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لفخذه المختار في معناه: أنه من سرعة جوابه وعدم موافقته له على الاعتذار، ولهذا ضرب فخذه، والحديث فيه: الحث على صلاة الليل، وأمر الإنسان صاحبه بها، وتعهد الإمام والكبير رعيته، بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم، وأنه ينبغي للناصح إذا لم تقبل نصيحته أو اعتذر إليه بما لا يرتضيه أن ينكف ولا يعنف إلا لمصلحة .

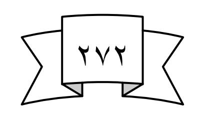
وعن أم سلمة – رضي الله عنها– زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً، فقال: "سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أُنزِل من الفتن؟ أيقظوا صواحب الحجرات – يريد أزواجه– لكي يصلين، رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة". وفي لفظ: "ماذا أنزل الليلة"؟البخاري .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله–: "... فيه التحريض على صلاة الليل وعدم الإيجاب يؤخذ من ترك إلزامهن بذلك". وفي الحديث استحباب ذكر الله عند الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة، لا سيما عند آية تحدث.

وعن عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– أن أباه عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، يقو، قال ابن الأثير – رحمه الله–: "رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة" هذا عَلَيْهَا لاَ كناية ل لهم: الصلاة الصلاة، ثم يتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢.

٨ . يقرأ المتهجد جزءًا من القرآن أو أكثر، أو أقل على حسب ما تيسر مع التدبر لما يقرأ، وهو مخير بين الجهر بالقراءة والإسرار بها، إلا أنه إن كان الجهر أنشط له في القراءة أو كان بحضرته من يستمع قراءته، أو ينتفع بها فالجهر أفضل، وإن كان قريباً منه من يتهجد، أو من يتضرر برفع صوته، فالإسرار أولى ، وإن لم يكن لا هذا ولا هذا؛ فليفعل ما شاء .

وقد دلت الأحاديث على هذا كله، فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال حتى هممت بأمر سوءٍ، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه" متفق عليه. وعن حذيفة – رضي الله عنه– قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذ تعوَّذ..." مسلم، وعن عوف بن مالك الأشجعي – رضي الله عنه– قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: "سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة" ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة" أبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.



وعن حذيفة – رضي الله عنه– أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فصلى أربع ركعات، فقرأ فيهن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة أو الأنعام" أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

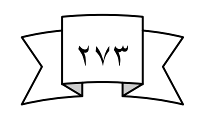
وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: "قام رسول الله بآية من القرآن ليلة" الترمذي، وصحح إسناده الألباني في صحيح الترمذي ، وعن أبي ذر – رضي الله عنه– قال: "قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائدة: ١١٨ " ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

وهذا يدل على التنويع في القراءة في صلاة الليل على حسب ما يفتح الله به على عبده وعلى حسب الأحوال وقوة الإيمان.

وأما الجهر بالقراءة والإسرار بها في قيام الليل، فعن عائشة – رضي الله عنها– أنها سُئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل يجهر أم يسرّ؟ فقالت: "كل ذلك قد كان يفعل ربما جهر وربما أسرَّ"أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

وعن أبي قتادة – رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر: "يا أبا بكر، مررت بك وإنك تصلي تخفضُ صوتك" قال: قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله، قال: "ارفع قليلاً" وقال لعمر: "مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك" فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: "اخفض قليلاً"أبو داود، ، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود،.

٩– يختم تهجده بوتر؛ لحديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً". وفي لفظ لمسلم:



"من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وتراً [قبل الصبح] فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك"متفق عليه.

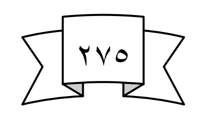
الخطبة الثانية : قيام الليل ٢

أمّا بعد:عِبادَ الله ، **الأسباب المعينة على قيام الليل:**

١. الإخلاص لله تعالى : كما أمر الله تعالى بإخلاص العمل له دون ما سواه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥ ، فكلما قوي إخلاص العبد كان أكثر توفيقاً إلى الطاعات والقربات ، وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب " رواه أحمد .قال مطرف بن عبدالله بن الشخير : صلاح العمل بصلاح القلب ، وصلاح القلب بصلاح النية . قال ابن القيم رحمه الله : وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون توفيقه سبحانه وإعانته ، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم ونياتهم ورغبتهم ورهبتهم ، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك . ولذا حرص السلف الكرام أشد الحرص على إخفاء الطاعات كقيام الليل ؛ سأل رجل تميم بن أوس الداري رضي الله عنه فقال له : كيف صلاتك بالليل ؟ فغضب غضباً شديداً ثم قال : والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ، ثم أقصه على الناس .وكان أيوب السختياني يقوم الليل كله ، فإذا قرب الفجر رجع فاضطجع في فراشه ، فإذا طلع الصبح رفع صوته كأنه قد قام تلك الساعة.

٢ـ سلامة القلب من الحقد والحسد، واجتناب البدع، ولزوم السنة، والحرص عليها، وامتلاء القلب من الخوف من الله، مع قصر الأمل.

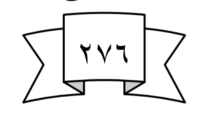
٣. أن يستشعر مريد قيام الليل أن الله تعالى يدعوه للقيام : فإذا استشعر العبد أن مولاه يدعوه لذلك وهو الغني عن طاعة الناس جميعاً كان ذلك أدعى للاستجابة ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ



ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ١ - ٤ ، قال سعد بن هشام بن عامر لعائشة رضي الله عنها : أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ المزمل: ١ قلت : بلى ، فقالت : إن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة . رواه مسلم

٤– معرفة فضل قيام الليل، ومنزلة أهله عند الله تعالى، وما لهم من السعادة في الدنيا والآخرة، وأن لهم الجنة، وقد شهد الله لهم بالإيمان الكامل، وأنهم لا يستوون هم والذين لا يعلمون، وأن قيام الليل من أسباب دخول الجنة، ورفع الدرجات في غرفها العالية، وأنه من صفات عباد الله الصالحين، وأن شرف المؤمن قيام الليل، وأنه مما ينبغي أن يغبط عليه الإنسان المؤمن.

٥– معرفة كيد الشيطان، وتثبيطه عن قيام الليل والترهيب من ترك قيام شيء من الليل؛ لحديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه– قال: ذُكِرَ عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح قال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" أو قال: "في أذنيه"متفق عليه؛ ولحديث أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقدٍ، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُهُ، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" متفق عليه؛ ولحديث عبد الله بن عمرو ابن العاص – رضي الله عنهما– قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل" متفق عليه ، ولحديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– أنه رأى رؤيا فقصها على أخته حفصة أم المؤمنين – رضي الله عنها– فقصَّتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:



"نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل" فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً .متفق عليه.

٦- قصر الأمل وتذكر الموت؛ فإنه يدفع على العمل ويذهب الكسل؛ لحديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" البخاري.

قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى-:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

ولما نُعِيَ إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ أنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم ... وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

وقال آخر:

صلاتك نورٌ والعباد رقودٌ ... ونومك ضد للصلاة عنيد

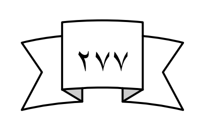
وعمرك غُنْمٌ إن عقلت ومهلةٌ ... يسيرُ ويفنى دائباً ويبيد

وقال بعض الصالحين:

عجبتُ من جسمٍ ومن صحةٍ ... ومن فتىً نام إلى الفجر

فالموتُ لا تؤمن خطفاتُهُ ... في ظلم الليل إذا يسرِي

من بين منقول إلى حفرةٍ ... يفترش الأعمال في القبرِ



وبـين مـأخوذٍ علـى غـرةٍ   بـات طويـل الكبـر والفخـرِ

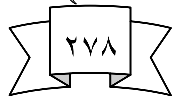
عاجلـه المـوتُ علـى غفلـةٍ   فمـات محسـوراً إلـى الحشـرِ

٧- اغتنام الصحة والفراغ؛ ليكتب له ما كان يعمل؛ لحديث أبي موسى – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعمل مقيماً صحيحاً"البخاري.

فينبغي للعاقل أن لا يفوته هذا الفضل العظيم، فيهتجد في حال الصحة، والفراغ، والإقامة في الأعمال الصالحة حتى تكتب له إذا عجز أو شغل؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"البخاري. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"الحاكم، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي،وابن المبارك في الزهد،وقال ابن حجر في فتح الباري "... أخرجه ابن المبارك في الزهد بسند صحيح من مرسل عمرو بن ميمون" فمرسل عمرو بن ميمون شاهد لرواية الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

٨- الحرص على النوم مبكراً؛ ليأخذ قوة ونشاطاً يستعين بذلك على قيام الليل وصلاة الفجر؛ لحديث أبي برزة – رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها . متفق عليه.

٩- الحرص على آداب النوم، وذلك بأن ينام على طهارة، وإن لم يكن على طهارة توضأ، وصلى ركعتين سنة الوضوء، ثم يدعو بما ثبت من أذكار النوم، ويجمع كفيه ثم ينفث فيهما ويقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده



يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات، ويقرأ آية الكرسي، والآيتين من آخر سورة البقرة، ويكمل أذكار النوم ، وهكذا يكون من أسباب الإعانة على قيام الليل، وعليه أن يأخذ بالأسباب بأن يضع ساعة عند رأسه تنبهه، أو يوصي من حوله من أهله، أو أقاربه، أو جيرانه، أو زملائه أن يوقظوه.

١٠- العناية بجملة الأسباب التي تعين على قيام الليل، فلا يكثر الأكل، ولا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال التي لا فائدة فيها بل ينظم أعماله النافعة، ولا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل، ويجتنب الذنوب والمعاصي، وقد ذُكِرَ عن الثوري – رحمه الله- أنه قال: "حُرِمْتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته" فالذنوب قد يحرم بها العبد فيفوته كثير من الغنائم: كقيام الليل، ومن أعظم البواعث على قيام الليل: سلامة القلب للمسلمين، وطهارته من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا، ومن أعظم البواعث على قيام الليل: حب الله تعالى وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام، ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة"مسلم عن جابر – رضي الله عنه-.

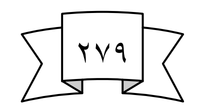
حال السلف مع الليل

لصلاة الليل عندهم أسرارها، وللأذكار في نفوسهم حلاوتها، وللمناجاة عندهم لذّتها..!!

أخي في الله لا تتعجب فسوف يزيل عنك الالتباس سليمان الداراني ليقول لك : لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

ويقول علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر.

ويقول السري: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل ..

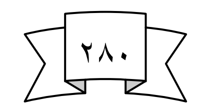


ويقول الأوزاعي: كان السلف إذا انصدع الفجر أو قبله بشيء قليل كأن على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حميماً لأحدهم قد غاب عنه حيناً ثم قدم ما التفت إليه.

بكى أبو سليمان يوماً فقال له ابن أبي الحواري ما يبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جن الليل وهدأت العيون وخلا كل خليل بخليله واستنارت قلوب العارفين وارتفعت هممهم إلى ذي العرش وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته ورددوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على خدودهم وتقطرت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً، فأشرف عليه الجليل جل جلاله فنظر إليهم فأمدهم مهابة وسروراً، وقال: يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذي أسمع؟ وما هذا التضرع الذي أرى منكم؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيباً يعذب أحباءه؟ أو ما علمتم أني كريم؟ فكيف لا أرضى؟ أيشبه كرمي أن أرد قوماً قصدوني؟ أم كيف أذل قوماً تعززوا بي؟ أم كيف أحجب غداً أقواماً آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعموا بذكري؟ فبي حلفت لأبعدن الوحشة عن قلوبهم ولأكونن أنيسهم إلى أن يلقوني فإذا قدموا علي يوم القيامة فإن أول هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي حتى ينظروا إلي وأنظر إليهم، ثم لهم عندي ما لا يعلمه غيري!! ثم قال الداراني: يا أحمد إن فاتني ما ذكرت لك فيحق لي أن أبكي دماً بعد الدموع.

هؤلاء الذين قد يئسوا من الدنيا ويئست منهم، فلو رأيتهم لرأيت رجالاً إذا جنهم الليل مزقوه بسكاكين السهر، إن القوم أعطوا المجهود من أنفسهم فلما دبرت المفاصل من الركوع وقرحت الجباه من السجود وتغيرت الألوان من السهر ضجوا إلى الله بالاستغاثة فهم أحلاف اجتهاد لا يسكنون إلى غير الرحمن. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا



بقاع الأرض من شوق إليهم   تحن متى عليها يسجدونا

أهل الليل :: هم عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، انتزعوا نفوسهم من وثير الفرش، وهدوء المساكن، وسكون الليل، وسكون الكون، غالبوا هواتف النوم، وآثروا الأنس بالله، والرجاء في وعد الله، والخوف من وعيده، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ الزمر: ٩.

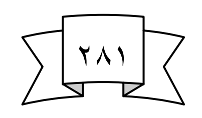
﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الذاريات: ١٧ - ١٨

لصلاة الليل عندهم أسرارها، وللأذكار في نفوسهم حلاوتها، وللمناجاة عندهم لذّتها، يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: "أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل لما أحببت البقاء في الدنيا" ، ولما حضرت ابن عمر رضي الله عنهما الوفاة قال: (ما آسى على شيء من الدنيا إلا عن ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل) .

الله أكبر، ما طاب لهم المنام لأنهم تذكروا وحشة القبور، وهول المُطَّلع يوم النشور، يوم يُبعَث ما في القبور، ويُحصَّل ما في الصدور، ولهذا قال قتادة رحمه الله: "ما سهر الليل بالطاعة منافقٌ" .

قد هدّ أجسامهم الوعيد وغير ألوانهم السهر الشديد يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام. يرون أن من أعظم نعم محبوبهم عليهم أن أقامهم وأنام غيرهم واستزارهم وطرد غيرهم وأهلهم وحرم غيرهم.

عبادٌ لله صالحون،﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٦ - ١٧ ، لقد تعدَّدت مقاصدهم، واختلفت مطالبهم، وتنوّعت غاياتهم، والليل هو منهلُهم وموردهم﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ البقرة: ٦٠ فهذا محبٌ



يتنعّم بالمناجاة، وذلك محسنٌ يزداد في الدرجات، ويسارع في الخيرات، ويجدّ في المنافسات، وآخر خائفٌ يتضرّع في طلب العفو، ويبكي على الخطيئة والذنب، ورَاجٍ يلحّ في سؤاله، ويصرّ على مطلوبه، وعاصٍ مقصّر يطلب النجاة، ويعتذر عن التقصير وسوء العمل، كلهم يدعون ربهم، ويرجونه خوفاً وطمعاً، فأنعم عليهم مولاهم، فأعطاهم واستخلصهم واصطفاهم، وقليل ما هم.

اكتفوا من الليل بيسير النوم، مشتغلين بالصلاة والقرآن والذكر والصوم، تلكم هي همم القوم، وتأملوا هذه الآيات العظيمة: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ الإنسان: ٢٦ - ٢٧

إذا ما الليل أظلم كآبدوه فيسفر عنهم وهم ركوعُ

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع

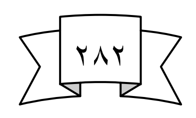
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوع

قال أبو الزناد: كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ، وكنا نحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة فنقول: موعدكم قيام القراء.

قال الحسن بن عرفة ليزيد بن هارون: يا أبا خالد: ما فعلت العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار!

وقال الحسن: كان عمر رضي الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت يعاد للمرض.

وكان ابن عمر يحي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود فإذا قال: نعم، قعد يستغفر الله حتى يصبح.



وكان عتبة الغلام يقول في ليله على ساحل البحر: إن تعذبني فإني لك محب، وإن ترحمني فإني لك محب، فلم يزل يرددها ويبكي حتى يصبح.

رجع أبو ريحانة من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ثم أخرى فلم يزل مكانه حتى أذن المؤذن فأتته امراته فقالت: قد غزوت فتعبت ثم قدمت إلي ولم يكن لي منك نصيب! فقال: بلى، لو ذكرتني لكان لك علي حق. قالت: فما الذي يشغلك يا أبا ريحانة؟ قال: لم يزل يهوى قلبي فيما وصف الله في جنته حتى سمعت المؤذن!

قدم عبد الرحمن الأسود وهو معتل الرجل فقام يصلي الليلة حتى أصبح شاغراً رجلاً قائماً على رجل واحدة وصلى الفجر بوضوء العشاء.

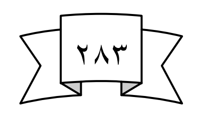
كان ثابت يقوم من الليل فإذا أصبح يأخذ قدميه فيعصرهما ويقول: مضى العابدون وقطع بي! والهفاه!

ثابت بن أسلم البناني: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها.

وكانت لداود ركعة من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي ببكائه كل شيء، ويصرف بصوته الهموم والأحزان.

وقال محمد بن عوف قال: رأيت أحمد بن أبي الحواري فلما صلى العتمة قام يصلي فاستفتح بالحمد لله إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥. فطفت الحائط كله ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ومررت في السحر وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح!

وكانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت فقالت: إلهي غارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا



مقامي بين يديك، ثم تصلي فإذا كان السحر قالت: اللهم هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنى أم رددتها علي فأعزى؟

وروي عن طلق أنه كان إذا قام من الليل لا يركع إذا افتتح سورة البقرة حتى يبلغ العنكبوت، وكان يقول: أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي!

هكذا إذا عرفوا أسرار الليل وعاشوا صفاءه وجماله. فكانوا يتهيأون له ويستقبلونه بأحسن ما عندهم.

كان لعمرو بن الأسود حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل.

كان أبو حنيفة إذا أراد أن يصلي من الليل تزين حتى يسرح لحيته.

كان تميم الداري إذا قام من الليل تطيب بالغالية واشترى حلة بألف كان يصلي فيها.

وهكذا عرفوا أسرار الليل وعاشوا صفاءه وجماله فلم يعدلوا به شيئاً، ولئن توهم متوهم جنته في دنياه ومتاعه فإن جنة المؤمن في محرابه كان عبد العزيز بن أبي رواد: يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول: ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك، ثم يقوم إلى صلاته.

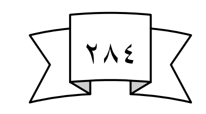
قيل لحسان بن أبي سنان في مرضه: ما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أحيي ما بين طرفيها.

بكى أبو الشعثاء عند موته فقيل له ما يبكيك؟ فقال: لم أشتف من قيام الليل!!

فيا لشوق عَمَر قلوبهم، ويا لأسرار تكشفت لهم في ذلك الليل فأسهرتهم حين نام الغافلون، وأشجتهم حين غفل الخليون.

وأخيراً أخي الحبيب قم ولو بركعة وقل

لبِستُ ثوب الرَّجا والناس قد رقدوا   وَبِتُّ أشكوا إلى مولاي ما أجدُ



وقُلتُ يا أمَلي في كلِّ نائبة ومَن عليه لكشف الضُّرِّ أعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ما لي على حملها صبرٌ ولا جلدُ

وقد مدَدْتُ يدِي بالذُّلِّ مبتهلاً أليك يا خير من مُدَّتْ أليه يدُ

فلا ترُدَّنها يا ربِّ خائبةً فبَحْرُ جودِكَ يروي كل منْ يَرِدِ

الخطبة الثالثة : فضل الأمـة

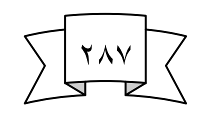
أمّـا بعـد:عِبـادَ الله ، أخـرج البخـارى ومسـلم فـى صـحيحيهما عـن أبـى سـعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ** " قيل يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَـارَى قَـال : " **فَمَـن** " متفق عليـه ، فهذا إخبـار منـه صلى الله عليـه وسلم بـأن الأمـة فـى آخـر الزمـان كثيـر مـن أفرادهـا سـوف يتبعـون فـى سـلوكهم سـلوك الغـرب ويفعلون أفعالهم ويقلدونهم فى كل شىء حتى ولو كان مخالفاً للدين ، وسبب هذا الحديث ما ورد عن أبى واقد الليثى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليـه وسلم : " **سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى " اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ " وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** " صحيح ، وهذا الحديث معجزة من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم لأنـه أخبر عن أمر من أمور آخر الزمان وقد تحقق ألا وهو اتباع الغرب فى كل شىء ، فإن كثيراً من المسلمين قد طأطأوا رؤوسهم كثيراً أمام الغرب ، فتجد المسلم فى هذا الزمان قد ضاعت شخصيته وهويته وصار إمعة لكل زاعق ونـاعق انظـر إلـى الشـباب وإلـى لباسـهم وإلـى طريقـه حلـق رؤوسـهم وطريقـه كلامهم وانظر إلى الفتيات ولبسهن وانظر إلى الأمور التى يهتمون بها ، كلها أمور تافهـة وكلهـا مـأخوذة مـن الغـرب وكـأنهم لـيس لهـم أمـة ينتمـون إليهـا ، أقـول لهـم ألا تعرفون من أنتم ! أنتم كمسلمين ينبغى أن تكونوا فى السماء فى مكانـة عاليـة ، إن المسلم فى هذا الزمان ربما يستحى أن يعلن تمسكه بالإسلام حتى لا يقال عنه رجعى أو متخلف بل إن الكثير منهم يتمنى أن يعيش فى بلاد غير إسلامية كأمريكا وألمانيا وفرنسا..... إلـخ حيث التقدم والحضارة والرقى ، هل تعرف من أنت أيها المسلم ؟! أتعلم قدر الأمة التى تنتمى إليها ؟! أتعلم قدر الأمة التى أكرمك الله بأن جعلك منها

، أنت من خير أمة أخرجت للناس ، فأبوك آدم عليه السلام الذى أسجد اللهُ له الملائكة ، وجدك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، أتعلم من أمهاتك إنهن خديجة وعائشة وحفصة وزينب فنحن أفضل أمة أظلتها السماء وأقلتها الغبراء ، أفى الأمم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة والعباس ؟ قل لى أخى فى الله أيوجد فى الأمم أمثال هؤلاء ، هل اهتز عرش الرحمن لموت أحدٍ فى أمة من الأمم إلا فى أمتنا ؟ فقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه ، وفى الأمة من غسلته الملائكة وهو حنظلة رضي الله عنه ، ومنا من يصلى عيسى عليه السلام خلفه ، ففى هذه الأمة شخصيات لن تجدها فى أمة سواها ولكن أكثر الشباب أصبحوا مقطوعى الصلة بالماضى وفقدوا هويتهم الإسلامية وضاعت شخصيتهم فما أن تخرج نعرة من نعرات الموضة فى بلد ما لا تدين بالإسلام إلا وجدت الكثير من الشباب المسلم يفعلونها وكأننا أمة لا تاريخ لها فأحببت أن أبين فضل الأمة الإسلامية وخصائصها .

خصائص الأمة الإسلامية

١ . أفضل أمة أخرجت للناس :

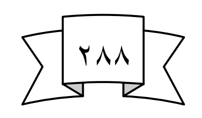
قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران : ١١٠ ، وقال صلى الله عليه وسلم : " **أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ** " فقلنا : يا رسول الله ما هو ؟ قال : " **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِى طَهُوراً وَجُعِلَتْ أُمَّتِى خَيْرَ الأُمَمِ** " رواه احمد وغيره والحديث صحيح ، وقال صلى الله عليه وسلم : " **وَإِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ** " رواه احمد وغيره والحديث حسن ، فنحن آخر الأمم وجوداً وأفضلها مقاماً فنحن فى القمة كما قال الله تعالي : ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران: ١٣٩ ، ولكن هذه الخيرية مشروطة بأن



نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر فالأمة خرجت لتقود الناس فالناس لنا تبع فنحن نُقلَد ولا نُقَلِد ، إذ كيف يُقلدُ الأعلى الأدنى ، أما قول الله تعالى فى بنى إسرائيل : " **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** " (٤٧) البقرة ، فهذا التفضيل لبنى إسرائيل كان على أهل زمانهم ، فلما أتت أمة النبى (ﷺ) فُضلت علي سائر الأمم ، فخيريتنا على الأمم أعطانا الله (ﷻ) إياها ، بخلاف اليهود والنصارى فقد أَعطوا الخيرية لأنفسهم وادعى كل واحد منهم أنه الأفضل " **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** " المائدة (١٨) ، فمن أخبرهم أنهم أبناء الله وأحباؤه !! وقد كذبهم الله فى القرآن فقال لهم : ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ المائدة: ١٨ أى لو أنكم كما تدعون أنكم أبناء الله وأحباؤه لما عذبكم على كفركم وكذبكم وافترائكم .

تعالوا نقارن بين أمة موسى (عليه السلام) وأمة عيسى (عليه السلام) وأمة محمد (ﷺ) لنعلم من هى أفضل أمة ، فأمة موسى (عليه السلام) لما كتب عليهم القتال قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون وقالوا له أيضاً لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره ، ولما نجاهم الله (ﷻ) من فرعون قالوا لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، ولما عبد بنو إسرائيل العجل اختار موسى منهم أفضل سبعين رجلاً ليتوب الله عليهم قال الله (ﷻ) : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ ﴾ الأعراف: ١٥٥ ، فهؤلاء أفضل بنى إسرائيل وقد أخذتهم الرجفة فوصفهم موسى بالسفهاء فإذا كان هؤلاء هم أفضل بنى إسرائيل فكيف بمن تركهم خلفه .

وأما أصحاب عيسى (عليه السلام) فحسبك منهم سؤال المائدة لتعرف مدى شكهم فى قـدرة الله (ﷻ) حينمـا قـالوا : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ المائدة: ١١٢.

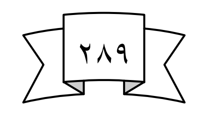


وأما أصحاب النبى (ﷺ) فلن تجد لهم نظيراً أبداً فهذا عروة بن مسعود الثقفى الذى قال لقومه وقت أن كان كافراً واصفاً أصحاب النبى (ﷺ) أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً ، وأصحاب النبى (ﷺ) قالوا له والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

٢ . هى الأمة الوسط :

والأمة الوسط هى التى ليست أهل غلو كالنصارى الذين جعلوا عيسى (عليه السلام) إلهاً كما قال الله عنهم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ﴾ البقرة: ١١٦ ، وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ﴾ النساء: ١٧١ ، ولا هى كاليهود الذين انحلوا من دينهم وقتلوا الأنبياء وسبّوا الله عز وجل ، والقرآن الكريم يصور لنا هذا المشهد أما قتلهم الأنبياء فقال الله عنهم ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ البقرة: ٨٧ ، وقتلهم الأنبياء بغير حق فقد قتلوا العديد من الأنبياء مثل زكريا ويحى عليهما السلام وقد أرادو قتل النبى (ﷺ) ولكن الله تعالى حفظه منهم ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن اليهود قتلوا فى يوم واحد سبعين نبياً ، وأما سبهم لله فقولهم يد الله مغلولة .

أما نحن فأمة وسط كما قال (تعالى) : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣ ، فنحن لم نغال فى النبى (ﷺ) ولم نجعله إلهاً كما فعلت النصارى ولم نقتله كما فعلت اليهود مع أنبيائهم ، ولذلك لا يجوز لنا أن نغالى فى النبى (ﷺ) كما يفعل البعض ويقولون يا أول خلق الله أو يقولون أنه خُلق من نور أو أن آدم (عليه السلام) قال لله



تعالى لما أذنب بحق محمد إلا غفرت لى ، وهذا كله غلو ولم يثبت صحته ، فنحن نوقر النبى (ﷺ) ونعلم أنه أفضل الخلق على الإطلاق وأنه سيد ولد آدم ولكن مع ذلك كله لا نخرجه عن كونه عبداً لله قال الله (ﷻ) عنه : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الإسراء: ١ ، فأخبر أنه عبد لله تعالى وهذا كله حتى لا نجعله إلهاً كما جعلت النصارى عيسى (عليه السلام) إلهاً ، ونحن أمة وسط فى التشريع ونحن قوم عدل لا يُظلم أحد فى جوارنا فلو أن كافراً يعيش معنا وظلمه أحد المسلمين لكان لزاماً على القاضى أن يحكم للكافر لأن الله أمرنا بالعدل فقال : " ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ المائدة: ٨ ، وقال ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ النحل: ٩٠.

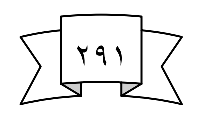
٣. شاهدة على الأمم فى الدنيا والآخرة :

قال الله (ﷻ) : " ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣ ، فنحن شهداء على الناس فى الدنيا والآخرة أما فى الآخرة فنشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم فعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (ﷺ) قال : " **يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ** " هذا السؤال المقصود منه التقريع والتوبيخ لأن الله شاهد على الناس ولا يحتاج لشهادة أحد لأنه علام الغيوب فنوح (عليه السلام) مكث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه إلى الله (ﷻ) ثم يقولون مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، نوح الذى قال الله تعالى حاكياً عنه : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ نوح: ٥ - ٩ ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ العنكبوت: ١٤ ، ثم هم يقولون لم يُبلغ " **فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ**

مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ " فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " البخارى ، وقال (ﷺ) : " **يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ لا فَيُقَالُ مَنْ شَهِدَ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ فَيُقَالُ هَلْ بَلَّغَ هَذَا فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ قَالَ فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** " صحيح ، أما شهادتنا فى الدنيا فقد قال (ﷺ) : " **الْمَلائِكَةُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِى السَّمَاءِ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِى الأَرْضِ** " صحيح ، وعن أنس (رضي الله عنه) قَالَ : مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَالَ نَبِىُّ للَّهِ (ﷺ) : " **وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ** " وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقَالَ نَبِىُّ اللَّهِ (ﷺ) " **وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ** " قَالَ عُمَرُ : فِدًى لَكَ أَبِى وَأُمِّى مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِى الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِى الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِى الأَرْضِ** " متفق عليه ، وعن عمر (رضي الله عنه) قَالَ قال رسول الله (ﷺ) : " **أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ** " قُلْنَا وَثَلَاثَةٌ قَالَ " **وَثَلَاثَةٌ** " قُلْتُ وَاثْنَانِ قَالَ " **وَاثْنَانِ** " ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ " البخارى ، والذى يشهد على الناس لابد أن يكون من أهل الإيمان والخير والصلاح .

قال ابن حجر : المخاطبون بهذا الصحابة ومن على شاكلتهم من أهل الإيمان .

٤ ـ الأمة الأقل عملاً والأكثر أجراً :



عن ابن عمر(رضي الله عنه) قال قَالَ رسول الله (ﷺ) : " **إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلاَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِى إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً قَالَ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا قَالُوا لاَ قَالَ فَإِنَّهُ فَضْلِى أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ** " صحيح ، وعن أبى موسى قال : قال (ﷺ) : " **مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ له عَمَلاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فقَالُوا لاَ حَاجَةَ لَنَا إِلى أُجْرَكَ الَّذِى شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا لك فَقَالَ لَهُمْ لاَ تَفْعَلُوا اكمَلُوا بَقِيَّةَ عملكم وخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلاً فَأَبَوْا وَتَرَكُوه فَاسْتَأْجَرَ أجراء بَعْدِهِمْ فَقَالَ اعْمَلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمُ الَّذِى شَرَطْتُ لِهم مِنَ الأَجْرِ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلاَةِ الْعَصْرِ قَالُوا : لك مَا عَمِلْنَا وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِى جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ فَقَالَ أَكمِّلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ فَإِنَّمَا بَقِىَ مِنَ النَّهَارِ شَىْءٌ يَسِيرٌ فَأَبَوْا فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أن يعَمِلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ فَعَمِلُوا بَقِيَهُ يومهم حتى غَابَتِ الشَّمْسُ وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيهِما فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ** " البخارى .

وهناك أمثلة لهذا الفضل مثل ليلة القدر قال تعالى : ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ القدر: ٣ ، وقال (ﷺ) : " **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** " متفق عليه ، ففيها عباده أكثر من ٨٣ سنة ، وكذلك صوم يوم عرفة فعَنْ أَبِى قَتَادَةَ الأَنْصَارِىِّ (رضي الله عنه) قال سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ فَقَالَ : " **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ** " مسلم ، وكذلك عاشوراء فعَنْ أَبِى قَتَادَةَ (رضي الله عنه) قال سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ " **يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ** " مسلم ، وكذلك صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان فعن أبى أيوب (رضي الله عنه) قال : قال

(ﷺ) : " **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ** " مسلم ، وكذلك الصدقة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ البقرة: ٢٦١ ، وقال رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) : " **مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ – فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ** " البخارى ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٠ .

٥ . هى الأمة الباقية :

فهى الأمة الباقية المحفوظة التى لا تهلك فى مجموعها أبدا إلى يوم القيامة أما غيرها من الأمم فقد فني ، أين قوم عادٍ وثمود وقوم نوح وفرعون وقوم لوط وغيرهم فعن أبى موسى الأشعرى (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَىٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ** " مسلم ، وهذا من خصائص أمة محمد (ﷺ) فما من نبى من الأنبياء إلا رأى عذاب قومه بعينه أو حصل لهم عذاب وهو حى بين ظهرانيهم ابتداءً من نوح (عليه السلام) فقد دعا على قومه فقال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح: ٢٦ ، فاستجاب الله له فأهلكهم جميعاً ، وكذلك قوم لوط أهلكهم الله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأعراف: ٨٣ ، وقوم شعيب أخذتهم الرجفة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأعراف: ٩١ ، وعن خباب بن الأرت قال صَلَّى رَسُولُ (ﷺ) صَلاَةً فَأَطَالَهَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْتَ صَلاَةً لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيهَا قَالَ : " **أَجَلْ إِنَّهَا صَلاَةُ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ إِنِّى سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا ثَلاَثًا فَأَعْطَانِى اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً سَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِى بِسَنَةٍ فَأَعْطَانِيهَا**

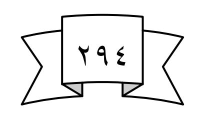
وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا " مسلم ، والسنة العامة ألا تهلك الأمة كلُها ولذا لا يستطيع أحد أن يقضى على الإسلام مهما فعل فالإسلام باق بإذن الله .

٦ . أمة لا تجتمع على ضلالة :

قال رسول الله (ﷺ) : " **لا يَجمَعُ اللهُ أمَّتِي على ضَلالةٍ أبداً ويدُ اللهِ مع الجماعةِ** " صحيح ، وأما غيرنا من الأمم فقد اجتمعوا على الضلالة كاليهود والنصارى فقد حرفوا كتبهم ولذلك ضلوا ضلالاً بعيدا ولو أنهم لم يحرفوا الكتب ولم يضلوا لأسلموا لأن النبى (ﷺ) كان مذكوراً ومكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل قال سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ البقرة: ١٤٦ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، وقال الله على لسان عيسى (عليه السلام) : ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ الصف: ٦ ، ولكنهم حرفوا الكلم عن مواضعه فضلوا قال سبحانه : ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة: ١٣، أما هذه الأمة فلا تجتمع على ضلالة أبدا قال رسول الله (ﷺ) : " **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** " مسلم ، وقال رسول الله (ﷺ) : " **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ** " مسلم .

٧ . فُضِّلت بيوم الجمعة :

عن أبى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : " **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللَّهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ** " البخارى .



وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) قَالَ : " **خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ** " مسلم .

فضائل يوم الجمعة :

أولاً : مغفرة الذنوب : عنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا** " مسلم .

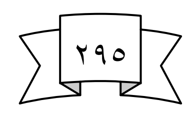
ثانياً : الثواب العظيم لمن حضر الجمعة : فعن أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِىُّ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : " **مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا** " صحيح .

ثالثاً : استجابة الدعاء : فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَالْيَوْمُ الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلاَ غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْهُ فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَلاَ يَسْتَعِيذُ مِنْ شَرٍّ إِلاَّ أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْهُ** " حَسَنٌ .

رابعاً : فضل من مات يوم الجمعة : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ** " حسن .

خامساً : يوم المزيد وفيه يرى أهل الجنة ربهم وهذا اليوم هو يوم الجمعة .

٨ ـ الطاعون شهادة لها :



عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى (ﷺ) قالت : سألت رسول الله (ﷺ) عن الطاعون فَأَخْبَرَنِى " **أَنَّـهُ عَذَابٌ يَبْعَثُـهُ اللَّـهُ عَلَـى مَنْ يَشَـاءُ وَأَنَّ اللَّـهَ جَعَلَـهُ رَحْمَـةً لِلْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِى بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّـهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ** " متفق عليه ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (ﷺ) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ : " **الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** " البخارى

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ** " قَالُوا يا رسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد قَالَ : " **إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِى إِذًا لَقَلِيلٌ** " قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " **مَنْ قُتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِى الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَالْغَرِيـقُ شَـهِيدٌ** " مسلم ، وقد أمر النبى (ﷺ) من كان فى بلد وقع فيه الطاعون ألا يخرج منها وإن كان خارجها فلا يدخلها فعن عبد الله بن عباس أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أَهْلُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَقَالَ عُمَرُ : ادْعُ لِىَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّى ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِىَ الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ لَهُ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ ارْتَفِعُوا عَنِّى ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِى مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمْهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ فَنَادَى عُمَرُ فِى النَّاسِ إِنِّى مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ – وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلاَفَهُ – نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطْتَ وَادِيًا لَهُ عِدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ

وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِى بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِى مِنْ هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : " **إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ** " قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ انْصَرَفَ " متفق عليه .

٩. أحلت لنا الغنائم :

عن جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) قَالَ : " **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِى نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِىَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** " البخارى ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : " **غَزَا نَبِىٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لاَ يَتْبَعْنِى رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهْوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِىَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهْوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلاَةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ - يَعْنِى النَّارَ - لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا فَقَالَ إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً فَلْيُبَايِعْنِى مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ فِيكُمُ الْغُلُولُ فَلْتُبَايِعْنِى قَبِيلَتُكَ فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ بِيَدِهِ فَقَالَ فِيكُمُ الْغُلُولُ فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا** " البخارى .

١٠ . الغر والتحجيل :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **تَرِدُ عَلَىَّ أُمَّتِى الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ** " قَالُوا يَا نَبِىَّ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا قَالَ " **نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَىَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ** "

مسلم ، وعن أَبِى هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ (ﷺ) يَقُولُ : " **إِنَّ أُمَّتِى يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ** " متفق عليه ، فما زدت على عضوك فى الوضوء يكون لك نوراً يوم القيامة ، فالذى لا يصلى كيف يعرفه النبى (ﷺ) وهو القائل : " **إِنَّ حَوْضِى أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّى لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ** " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ : " **نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَىَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ** " مسلم .

وهناك من هذه الأمة من سيمنع من حوض النبى (ﷺ) فمن هم ؟

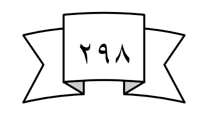
قَالَ (ﷺ) : " **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِى فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِى فَيُقَالُ إِنَّكَ لاَ تَدْرِى مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** " البخارى .

١١ . أول أمة تحاسب وأول أمة تدخل الجنة :

ومما خص الله به هذه الأمة أن الله تبارك تعالى جعلها أول أمة تحاسب فعن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) قَالَ : " **نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ يُقَالُ أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ** " صحيح ، وعن أبى هريرة قال (ﷺ) : " ... **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ** " مسلم .

١٢ . أكثر أهل الجنة :

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ** – أُرَاهُ قَالَ – **تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى**



وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) " فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : " **مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ ثُمَّ أَنْتُمْ فِى النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِى جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ : " **ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " فَكَبَّرْنَا ثُمَّ قَالَ : " **شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " فَكَبَّرْنَا " البخارى ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِى قُبَّةٍ فقال : " **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " قُلْنَا نَعَمْ قَالَ " **تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " قُلْنَا نَعَمْ قَالَ : " **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " قُلْنَا نَعَمْ قَالَ : " **وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّى لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَا أَنْتُمْ فِى أَهْلِ الشِّرْكِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِى جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ** " البخارى ، وعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ** " صحيح ، ويدخل الجنة من هذه الأمة سبعون ألفاً بغير حساب قال (ﷺ) : " **وَعَدَنِى رَبِّى سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفًا لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ** " صحيح ، وقال (ﷺ) : " **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَيُقَالُ هَذَا فِدَاؤُكَ مِنْ النَّارِ** " صحيح .

١٣. يبعث لها من يجدد لها دينها :

فالإسلام لا يموت أبدا فكلما أصاب الناس الجهل أخرج الله لهذه الأمة عالم يأخذ بيد الناس ويردهم إلى الإسلام قال (ﷺ) : " **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** " صحيح ، يقول أحمد بن حنبل فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي ، وقال (ﷺ) : " **لاَ**

تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ " مسلم .

١٤. شفاعة النبى (ﷺ) لأمته : . إن كل نبى تعجل دعوته فى الدنيا إلا النبى (ﷺ) خبأ دعوته لأمته يوم القيامة وخير دليل على هذا حديث الشفاعة قال (ﷺ) " **... فَيَأْتُونِّى فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ وَيُلْهِمُنِى مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِى ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِى فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِى أُمَّتِى**" متفق عليه .

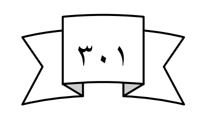
١٥ . اختصاصها بالسلام والتأمين :

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي (ﷺ) قال : " **مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ** " صحيح .

الخطبة الرابعة : الشرك وأسبابه

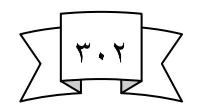
أمّا بعد:عِبادَ الله ، قد تكلمنا فى الجمعة الماضية عن فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ولكن هذه الأمة أصيبت بأمراض كثيرة وعلل خطيرة أقعدتها عن التقدم والرقى وأخرتها عن سائر الأمم وعن المكانة التى أرادها الله لها ، ولابد من تشخيص الداء وتحديد الدواء حتى ترجع الأمة إلى ما كانت عليه من مكانة وخيرية ، وإلا فمن أعظم البلاء أن نتجاهل الداء ونعرض عن الدواء ، ولا أقدم هذه السلسلة جلداً ورجماً للأمة ولا انتقاصاً لها فهى مهما أصابها من أمراض وعلل فهى أفضل الأمم لأنها هى الأمة الوحيدة فى هذا الزمان التى توحد الله (ﷻ) ولكن أقدم هذه السلسلة نصحاً للأمة وإشفاقاً عليها لنعلم الداء الذى أصاب جسدها لأن جسد الأمة جسد حى يتعرض لما يتعرض له جسد الواحد منا من أمراض وعلل وآلام فإن بحثنا عن الدواء لهذه العلل والأمراض كان الشفاء بإذن الله وإن تركنا الأمراض تسرى فى جسدها هلكت الأمة ، فكان لابد من البحث عن هذه الأمراض وعلاجها ونحن اليوم مع أخطر مرض على وجه الأرض وأبشع ابتلاء ابتليت به البشرية عامة إلا من رحم الله من أهل التوحيد والإيمان فنحن مع أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر ألا وهو الشرك بالله :

وقد يقول البعض هل الأمة مصابة بالشرك حتى أتحدث عنه كمرض من أمراض الأمة فأقول لك لا تعجل علىَّ فأنا أعلم أنه ليس على وجه الأرض أمة توحد الله عز وجل إلا أمة النبى (ﷺ) التى قال الله (ﷻ) عنها : ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ القلم: ٣٥ ، وقال سبحانه : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ السجدة: ١٨ ، وقال تعالى : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ص: ٢٨.



ولكن لماذا أتحدث عن الشرك كأخطر مرض ؟ حتى أحذر الأمة منه ، وليس من باب الحكم على الأمة بالشرك وإنما من باب التحذير والتذكير للابتعاد عن الشرك كبيره وصغيره فقد أمر الله أهل الإيمان بالإيمان قال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦، فأثبت الله لهم الإيمان فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فكيف يأمرهم بالإيمان ؟ لأن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو قول وعمل ، ولذا أمرهم الله بتحقيق الإيمان ، فإذا تكلمت عن الشرك فليس معنى ذلك أن الأمة مشركة ولكن للتحذير من هذا المرض وكيف لا نخاف من الشرك بالله وقد خاف الرسل على أنفسهم وأبنائهم وذرياتهم منه فهذا هو خليل الله إبراهيم (عليه السلام) الذى قال الله عنه ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥، والذى برأه الله من الشرك فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ النحل: ١٢٠ ، ومع ذلك خاف الشرك على نفسه فقال الله (سبحانه وتعالى) حاكياً عنه " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** " (٣٥) إبراهيم ، فإبراهيم (عليه السلام) خشى على نفسه وذريته من الشرك فلا تقل كيف أقع فى الشرك الأكبر ؟! بل إن النبى (صلى الله عليه وسلم) خاف على نفسه الشرك ، النبى (صلى الله عليه وسلم) سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين الذى ما خلق الله نفساً أكرم عليه منه كان يقول : " **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ** " صحيح .

وكذا ما دعا نبى من الأنبياء قومه إلى شىء من العبادات قبل التوحيد وما حذر قومه من شىء من المعاصى قبل الشرك فلابد من التحذير من هذا المرض أولاً ثم من باقى الأمراض لأن العبد مهما عمل من الصالحات وهو مشرك بالله (عز وجل) فلن

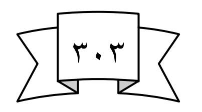


يقبل منه قال (ﷻ) : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ الزمر: ٦٥ ، وما بعث الله الأنبياء إلا ليدعوا الناس إلى التوحيد ونبذ الشرك قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)﴾ هـــود: ٢٥ - ٢٦ ، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ الأعـراف: ٧٣ ، وقـال : قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)﴾ الأنبياء: ٢٥.

وإذا نظرت إلى العالم الآن وجدت أن خُمس العالم مسلم والبقية تقع فى غمرات الشرك فما الذى جعل الناس يتركون عبادة الرحمن رب الأرض والسموات ويعبدون غيره ، فهناك من يعبد الحجر مثل بوذا فى الهند وغيرها ، مع هذا التقدم الهائل فى العلم وما زال هناك من يعبد الأحجار كما كان أهل الجاهلية يفعلون فما الفرق بين من كان يعبد صنماً فى الجاهلية ومن يعبد بوذا اليوم ؟! بل ومنهم من يعبد البقر كلما مر ببقرة خر لها ساجداً ، وكان غاندى يقول إن أمى البقرة أفضل من أمى التى ولدتنى ، انظر الى ضيق العقل كيف يعبد بهيمة هى أقل منه فى الخلق لا تعقل ولا تتكلم ولا تستجيب الدعاء وهى مُسَخَرة لخدمته ويفضلها على البشر مع أنه أكمل منها فى الخلق فهل أمرته البقرة بعبادتها حتى يعبدها من دون الله ؟! ومنهم من يعبد الفئران ، وهذه إهانه للإنسانية أن يعبد الإنسان فأراً أو بقرة أو غيرها من الحيوانات وهناك من يعبد بشراً مثل اليهود والنصارى قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ﴾ التوبة: ٣٠ ، ومنهم من لا دين له كالملاحدة الذين يقولون نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .

ونطرح هنا سؤالاً مهماً ألا وهو كيف نشأ الشرك ووقع فيه البشر ؟ مع أن أول البشر آدم (عليه السلام) كان موحداً .

أسباب الشرك



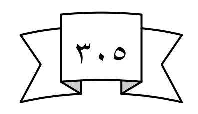
١. **الشيطان ومكائده** : الأصل فى بنى آدم التوحيد ، فإن الله تعالى خلق كل البشر موحدين قال الله (ﷻ) : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ الأعراف: ١٧٢ ، فقد خلق الله تعالى آدم ومسح على ظهره فرأى آدم ذريته كلها فى عالم الذر وهم أرواح وأخذ الله عليهم الميثاق ألست بربكم قالوا بلى ، فالفطرة هى التوحيد قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الروم: ٣٠ ، وقال (ﷺ) عن رب العزة " **وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِى حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِى مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا** " مسلم ، وقَالَ تَعَالَى:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ البقرة: ٢١٣.

ماذا فعل الشيطان ليخرج العباد من التوحيد إلى أوحال الشرك ؟

خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) على التوحيد وكان بين آدم ونوح عليهما السلام عشره قرون كلها على التوحيد ، ثم ظهر الشرك فى قوم نوح (عليه السلام) فبعثه الله إليهم بشيراً ونذيرا ففى صحيح البخاري عن ابن عباس : فى قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ نوح: ٢٣ ، **أن هؤلاء الخمسة أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِى كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ** " البخارى .

ثم انتشر الشرك فى قوم عاد فأرسل الله إليهم هوداً لتوحيد الله ، ثم انتشر الشرك فى قوم ثمود فأرسل الله إليهم صالحاً (عليه السلام) وجاء من بعدهم قوم إبراهيم فدعاهم إلى التوحيد ثم جاء بنو إسرائيل فعبد أولهم العجل وأوسطهم العزير وآخرهم المسيح ثم جاء الشرك إلى جزيرة العرب على يد رجل يقال له عمرو بن لحى الخزاعى فقد كان العرب على مله إبراهيم (عليه السلام) فمنذ أن بعث الله إبراهيم (عليه السلام) وأمره ببناء البيت واستوطنت ذريته مكة المكرمة ، وكان العرب يدينون بدينه ويتبعون ملته فكانوا يعبدون الله ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف وظل الحال على ذلك قرونا من الزمان حتى بدأ الانحراف يدب إليهم مع طول العهد وتقدم الزمان وكان أول من غير ملة إبراهيم (عليه السلام) ودعا إلى عبادة الأصنام عمرو بن لحى وذلك حين قَدم بلاد الشام فرآهم يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله فاستحسن ذلك منهم وظنه حقا فقال لهم ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون فقالوا هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم ألا تعطونى منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ثم لم يلبث أهل الحجاز أن تبعوا أهل مكة لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم ثم انتشرت عبادة الأصنام بين قبائل العرب ، وهكذا انتشرت الأصنام فى جزيرة العرب حتى صار لكل قبيلة منهم صنماً وظلت تلك الأصنام تُعبد من دون الله تبارك وتعالى حتى جاء الإسلام وبُعث الهادى (صلى الله عليه وسلم) فقام بتطهير البيت الحرام من الأصنام ، فعن أبى هُرَيْرَةَ قال : قَالَ النَّبِىُّ (صلى الله عليه وسلم) : " **رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَىٍّ الْخُزَاعِىَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ** – أى أمعائه – **وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ** " متفق عليه ، وقال عنه (صلى الله عليه وسلم) : " ..... **إنه كان أول من غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ فنصب الأوثان وبَحَرَ الْبَحِيرَةَ ، وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَحَمَى الْحَامِيَ** " صحيح .

قال ابن عباس (رضي الله عنه) كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول ، وعن أَبَى رَجَاءٍ الْعُطَارِدِىَّ (رضي الله عنه) قال :

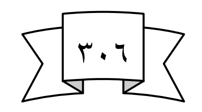


" كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ وَأَخَذْنَا الآخَر فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ طُفْنَا بِهِ " ، وأما إيساف ونائلة فقد قيل أنهما كانا رجلاً وامرأة من جرهم فجرا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين فنصبا عند الصفا والمروة فعبدا من دون الله .

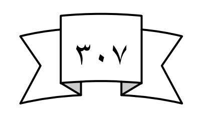
٢. **الكبر والحسد** : الذى منع إبليس من الإيمان بالله هو الكبر مع أنه كان يعلم أن الله هو الخالق لهذا الكون فلماذا لم يسلم ؟ لأنه تكبر عندما أمره الله بالسجود لآدم (عليه السلام) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ الإسراء: ٦١ ، وكذلك الكبر منع أبا جهل من الإسلام : قال مِسْوَر بْن مَخْرَمَة وهو ابن أخت أبى جهل يا خالى كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال فقال يا ابن أختى لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى الأمين فما جربنا عليه كذباً قط قال يا خال فما لكم لا تتبعونه قال يا ابن أختى تنازعنا نحن وبنوهاشم الشرف فأطعموا وأطعمنا وسقوا وسقينا وأجاروا وأجرنا حتى إذا تجاثينا على الركب كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي فمتى ندرك مثل هذه ؟ وقال الأخنس بن شريق لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا من قريش غيري وغيرك يسمع كلامنا ؟ فقال أبو جهل ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهبت بنو قصي بالسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش....؟

وكذلك فرعون الذى منعه من اتباع موسى (عليه السلام) الكبر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٥ - ٤٧ .

٣ . الغلو فى الصالحين :



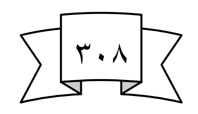
الغلو فى الصالحين من أكثر الأسباب التى تُوقع العبد فى الشرك والعياذ بالله ، فقوم نوح كان سبب كفرهم الغلو فى الصالحين قال تعالى : قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح: ٢٣ ، وسبب كفر اليهود أيضاً الغلو فى الصالحين فقد عبدوا العزير ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠ وكذلك النصارى كان سبب كفر الغلو فى عيسى (عليه السلام)﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠ ، فكان الغلو سبب كفرهم ولذا نهاهم الله عن الغلو فقال لهم : " **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** " (١٧١) النساء ، ولذا سدَّ النبى (ﷺ) علينا باب الغلو فيه فقال (ﷺ) : " **لاَ تُطْرُونِى كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ** " البخارى ، ونهانا النبى (ﷺ) عن الغلو عموماً لأنه سبب الهلاك قال (ﷺ) : " **إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِى الدِّينِ** " صحيح ، وإنما ذكر الله نبيه (ﷺ) فى القرآن بلفظ عبد مع أنه أفضل الخلق على الإطلاق حتى لا نقع فى هذا الشرك فقال الله (عز وجل) واصفاً نبيه فى رحلة الإسراء والمعراج :﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ الإسراء: ١ ، وصل وصعد إلى مكان لم يصله أحد من الملائكة حتى جبريل (عليه السلام) ومع ذلك وصفه الله بقوله أَسْرَى بِعَبْدِهِ ، وفى مقام الدعوة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ الجن: ١٩ ، وعلى العموم قال سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) قَالَ : أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ (الفارس الشجاع) فَقُلْتُ رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ قَالَ فَأَتَيْتُ النَّبِىَّ (ﷺ) فَقُلْتُ إِنِّى أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ قَالَ : " **أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِى أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ** " قَالَ قُلْتُ لاَ قَالَ : " **فَلاَ تَفْعَلُوا لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ** " صحيح ، ونحن اليوم نجد من يسجد عند القبور والأضرحة !! .



الغلو فى الصالحين يؤدى إلى دعائهم وسؤالهم من دون الله

فإذا أرادت امرأة أن تُنجب تذهب إلى الأضرحة وتدعو صاحب الضريح أن يرزقها الولد أو تقول بحق فلان ارزقنى الولد إلى غير هذا من الشركيات وهذا كله لا يجوز لأن القرآن أمرنا أن ندعوا الله وحده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾البقرة: ١٨٦ ، وبين الله أن سبب شرك المشركين أنهم كانوا يجعلون بينهم وبين الله واسطة فإذا قلت لأحدهم اليوم لماذا تدعو صاحب هذا الضريح ولا تسأل الله قال لك هذا رجل صالح أجعله واسطة بينى وبين الله ألم يسمع هؤلاء ماذا قال الله عن المشركين حاكياً عنهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾الزمر: ٣ ، فهم كانوا يعلمون أن الذى خلقهم وخلق السماوات والأرض هو الله

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ العنكبوت: ٦١ ، ، فيا من تدعو غير الله وتظن أنه واسطة بينك وبين الله اعلم أن الله (ﷻ) يقــــول : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فــــاطر: ١٣ - ١٤ ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ ﴾ النحل: ٢٠ - ٢٢ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأحقــــاف: ٥ ، وقـــال سـبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجـــن: ١٨ ، : وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الإسـراء: ٥٦ ، وأكبر دليل على أن الاستعانة بالأموات لا يجوز فى ديننا أننا لا نعلم أحداً من الصحابة أصيب بمصيبة أو أهمه أمر ما فذهب إلى قبر النبى (ﷺ) وسأله من دون



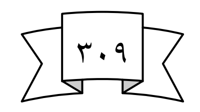
الله أو جعله واسطة بينه وبين ربه فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (ﷺ) كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ " البخارى ، فأيهما أفضل النبى (ﷺ) أم العباس (ﷺ) ؟؟ .

فلماذا استسقى عمر بالعباس ولم يذهب إلى قبر النبى (ﷺ) وكان فى استطاعته أن يتوسل بالنبى (ﷺ) ومع ذلك لم يفعل وتوسل بالعباس وهذا يدل على أنه لا يجوز التوسل بأهل القبور .

وهنا نسأل سؤالاً مهماً هل يجوز بناء المساجد على القبور ؟ بداية اعلم أن بناء المساجد على القبور مخالف لهدى النبى (ﷺ) ونحن مأمورون أن نتأسى بالنبى (ﷺ) ونقتدى به وهناك من خالف هدى النبى (ﷺ) فبنى المساجد على القبور وهناك أدلة كثيرة تحرم بناء المساجد على القبور ، ففى الصحيحين من حديث عائشة أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " **أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ** " متفق عليه ، وقال (ﷺ) : " **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا** " متفق عليه ، وفى صحيح مسلم قال (ﷺ) : " ..... **أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّى أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ** " .

أما من يحتج بأن قبر النبى (ﷺ) فى المسجد النبوى نقول له إن النبى (ﷺ) مات فى بيت عائشة ودفن فيه ودخل القبر فى توسعة المسجد فى عهد عبد الملك بن مروان .

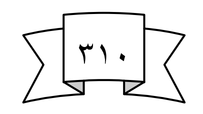
٤ . تقليد الآباء والأجداد :



إن تقليد الأبناء للآباء والأجداد من أعظم أسباب الشرك الموجب للخلود فى النار وهذا هو حال شرك المشركين من قوم نوح (عليه السلام) وعاد وثمود والذين من بعدهم من مشركى العرب فقد ذكر لنا القرآن أنهم كانوا يحتجون على أنبيائهم عندما واجهوهم بالحق ودعوتهم إلى التوحيد وترك الشرك بأنهم لم يسمعوا بهذا فى آبائهم الأولين وكانوا يثيرون نعرة الآباء والأجداد وسجل القرآن ذلك عليهم فقال (سبحانه وتعالى) عن قوم نوح :﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٤ ، وعن قوم هود : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ الأعراف: ٧٠ ، وعن قوم صالح : ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢ ، وقال عن قوم فرعون : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ يونس: ٧٨ ، وقال عن مشركى قريش : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ لقمان: ٢١ ، والآيات فى ذلك كثيرة والمقصود أن تقليد الآباء ومسايرة ما عليه الناس هو من أشد أسباب الوقوع فى الشرك فقد كان بعض المشركين على يقين أنه على الباطل ومع ذلك لم يدخل الإسلام وإلا فما معنى إصرار أبى طالب على أن يموت على الشرك مع قناعته بأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسول الله والحق معه فلولا الهوى ومسايرة الآباء لكان مسلماً .

٥ . علماء السوء وأئمة الضلال :

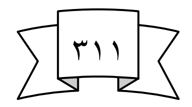
إذا بحثنا فى هذا العصر عن أسباب الشرك وجدنا أن علماء الضلال قد زينوا للناس الشرك والخرافة والبدع ومن أهم الأسباب التى أوقعت علماء السوء فى تزيين البدع هو مسايرتهم للناس وميلهم إلى الدنيا ومناصبها وظنهم أنهم إذا صادموا الناس سيخسرون دنياهم ومناصبهم فآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وسايروا الناس مع اعتقادهم ببطلان ما هم عليه ، وفعلوا هذا ليرضى الناس عنهم ألم يسمعوا قول النبى



(ﷺ) : " **مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ** " صحيح ، فعلى كل داعٍ إلى الله (ﷻ) أن يتقى الله ولا يقول إلا حقاً لأن كثيراً من الناس يأخذ بفتواه وربما الملايين لأن الناس يرون فيه القدوة ، إن المطلوب من الداعية فى المجتمع الإسلامي هو تغيير المجتمع إلى الأفضل والأحسن ولا يجوز له مسايرة الناس ومداهنتهم ، لأنه يقوم برسالة سامية وهى إخراج الناس من أوحال الشرك إلى التوحيد ومن الظلمات إلى النور وله الأجر العظيم من الله تعالى ، وليعلم أنه لن يرضى عنه كل الناس فها هو رسول الله (ﷺ) لم يرض عنه كل الناس بل كفر أكثر الناس به وأشركوا بالله فهل هذا يدل على أنه مجانب للصواب بالطبع لا فإن الله تعالى أخبر فى كتابه أن الحق مع القليل لا مع الكثير قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾ يوسف: ١٠٣ ، ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾ يوسف: ١٠٦.

٦ . الاعتماد على الروايات الموضوعة والمنامات :

هناك روايات مكذوبة على النبى (ﷺ) تؤدى إلى هدم العقيدة وترويج الشرك والبعض من الدعاة يقولون هذه الروايات بدون تحقيق وهل هى ثابتة عن النبى (ﷺ) أم لا ، والبعض من الدعاة باع دينه بدنياه كما قال (ﷺ) : " **يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** " حَسَنٌ ، ومن هذه الروايات الباطلة " إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور" وهو حديث مكذوب وأما المنامات فكثيرة أشهرها منام الحاج أحمد وفيه (...... أن على من يقرؤها أن ينسخها ويوزعها على ٢٥ شخص وإذا لم يفعل ذلك سوف يموت خلال ٩ أيام وأن ثلاثة أشخاص وزعت عليهم هذه الورقة ، الأول مدير ولما تلقاها أعطاها للسكرتيرة لتنسخ عليها ٣٠ ورقة وبعد توزيعها عاش حياة سعيدة وهنيئة ، الثاني عمل من هذه الورقة ٢٥ نسخة ووزعها ففتحت له أبواب الخير ، الثالث لما تلقاها أهملها ورماها وبعد ٩ أيام توفي ، ألا يعلمون أن رسول الله (ﷺ)



قال : " **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** " صحيح ، وقال تعالى : " **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ........** " (٤٩) يونس ، " **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " (١٧) الأنعام .

٧ . الجهل بالدين :

الجهل بالدين وقلة العلم به هو الذى يوقع الناس فى هذه الشركيات ولذا فأهل العلم هم أفضل الناس وهم ورثة الأنبياء قال (ﷺ) : " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** " صحيح .

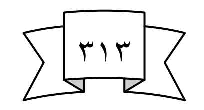
شهر جمادى الآخر

الخطبة الأولي : أضرار الشرك

الخطبة الثانية : الـريـاء

الخطبة الثالثة : الـربــا

الخطبة الرابعة : الـغفلـة



الخطبة الأولي : أضرار الشرك

أمّا بعد:عِبادَ الله ، لا يزال حديثنا موصولاً عن أخطر مرض يصيب البشرية ألا وهو الشرك بالله وقد تكلمنا عن الشرك وأسبابه واليوم نتكلم عن أضرار الشرك ومنها

١. الشرك يتسبب فى حرمان العبد من دخول الجنة :

فالمشرك لن يدخل الجنة أبداً وهو مخلد فى النار والعياذ بالله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ المائـدة: ٧٢ ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ المائدة: ٣٦ - ٣٧ ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : " **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** " قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : " **الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ** " البخارى ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الأعراف: ٤٠ ، وعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ أَتَى النَّبِىَّ (ﷺ) رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ فَقَالَ : " **مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ** " مسلم ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ : " **أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَوْلُ الزُّورِ** " أَوْ قَالَ " **وَشَهَادَةُ الزُّورِ** " البخارى ، وها هو أبو طالب الذى خدم الإسلام ودافع عنه كثيراً وما استطاع المشركون أن ينالوا من رسول الله (ﷺ) إلا بعد موته ومع ذلك فإن أبا طالب فى النار مخلداً فيها لأنه لم يقل

لا إله إلا الله ففى صحيح البخارى " لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لأَبِى طَالِبٍ : " **يَا عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ** " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَال أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ** " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ التوبة: ١١٣ ، وقال (ﷻ) لنبيه (ﷺ) فى حق أبى طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ القصص: ٥٦ ، والشرك هو الذنب الذى لا يُغفر قال (ﷻ) : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨ .

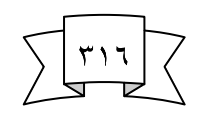
٢ . الشرك يحبط العمل :

فالمشرك مهما عمل من الصالحات فهى لا تنفعه يوم القيامة لأنه ما عمل هذه الأشياء ابتغاء مرضات الله ، فمن أعظم مصائب المشرك أن عمله يُحبَط يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧ ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ المائدة: ٥ ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ ، وقد خاطب الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) ونحن من بعده قائلاً : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ ، وهذا عبد الله بن جدعان كان يطعم الجياع وينصف المظلوم ويأخذ بيد المساكين ولكنه مات كافراً فلم تنفعه

هذه الأعمال الصالحة فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ : " **لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ** " مسلم ، أى لم يعمل هذه الأعمال لله ، وقال (ﷺ) : " **كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا** " صحيح ، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِى الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِى الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا** " مسلم .

٣ ـ الشرك يجلب المهانة والذل للعبد :

قال تعالى : " **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا** " (١٠) فاطر ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون: ٨ ، أما المشرك فهو ذليل ومهان وهو الذى أهان نفسه حيث عبد أشياء لا تنفع ولا تضر ، بل ويعبد بعض الأشياء الحقيرة كالبقر والفئران مع أن الله تعالى كرم الإنسان على سائر الخلق فقال ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ الإسراء: ٧٠ ، وأسجد الله له الملائكة تكريماً له فقال ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ البقرة: ٣٤ ، ومع ذلك عبد أصناماً لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنه شيئاً ، والعجيب أنه مع هذا التقدم الحضارى تجد من يعبد بوذا وهو تمثال يعبد فى الهند ويعبدون أيضاً البقر ، وكان غاندى يقول إن أمى البقرة أفضل من أمى التى ولدتنى ، ومنهم من يعبد الفئران فنقول لهؤلاء هل أمركم البقر أن تعبدوه من دون الله ؟! وهذا الإله المزعوم يُذبح ويُؤكل فى مكان آخر من العالم ألا يدافع عن نفسه ؟! وماذا خَلَقَت هذه الإلهة المزعومة حتى تُعبد من دون الله قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ الحج: ٧٣ ، فعقولهم فى سفاهة وقال رسول الله (ﷺ) : " **إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ**



يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا .... أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ فَقَالَ هَذِهِ دَارِى وَهَذَا عَمَلِى فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَىَّ فَكَانَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّى إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ... " صحيح .

٤ . المشرك ضائع :

أعلى نسبة انتحار فى العالم فى بلاد المشركين السويد ، أمريكا ، أوربا..... وهى أغنى دول العالم ومع ذلك نسبة الانتحار مرتفعة لأنهم ليس لهم هدف فى الحياة ولا يعلمون لماذا خلقهم الله ، قال أحد شعرائهم " لا أعلم من أين جئت ولكنى أتيت " ولكن المسلم يعرف لماذا خُلق وهذا هو الفرق بيننا وبينهم وهذا نجده فى قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الزمر: ٢٩، فالمسلم له إله واحد يأمره وهو سيده بخلاف الكافر الذى له آلهة متعدده .

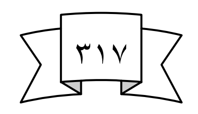
٥ . الشرك يدعو إلى كل رذيلة :

المسلم ينتهى عن الفحشاء والمنكر لأن الإسلام ينهاه عن ذلك بخلاف الكافر وأكبر دليل على ذلك أن أباً أمريكياً ذهب بابنته إلى الطبيب النفسى أتدرون لماذا ؟ لأن ابنته بلغت سن الثامنة عشر وما زالت عذراء ولم تمارس الفاحشة .

٦ . الشرك مصدر الخوف والرعب :

المشرك يخاف من كل شىء بخلاف المؤمن قال تعالى : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٥١ ، أما أهل الإيمان فقد قال الله عنهم ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ يونس: ٦٢.

بعض الشركيات التى يقع فيها بعض الناس

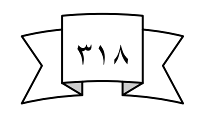


١ . التطير : وهو التشاؤم وتوقع حصول الشر :

وكان العرب فى الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر قصد عش طائر فهيجه فإذا طار الطائر جهة اليمين تيمّن به ومضى فى الأمر وإذا طار جهة اليسار تشاءم به ورجع عما عزم عليه فجاء الإسلام فأبطل هذا الأمر ونهى عنه وشدد النكير على فعله .

تاريخ التطير :

كان موجوداً عند العرب على الصفة المذكورة آنفاً وصفات أخرى تقاربها وكانوا يتطيرون بصوت الغراب ، والتطير كان موجوداً عند الأمم السابقة فقوم فرعون تطيروا بموسى (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين قال (عز وجل) : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ﴾ الأعراف: ١٣١ ، وقوم صالح : ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ﴾ النمل: ٤٧ ، وأصحاب القرية ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ يس: ١٨ ، وكان الرد عليهم بأن ما حل بهم من شر أو نقصٍ فى مالٍ أو نفسٍ أو ثمرات إنما هو من قِبل أنفسهم وبسبب عنادهم واستكبارهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ الأعراف: ١٣١ ، وما زال بعض الناس فى هذا الزمان يتطيرون بأيام معينه أو ساعات أو أعداد فالرافضة يكرهون رقم عشرة لأجل الصحابة العشرة المبشرون بالجنة ، وكثير من الغرب يتشاءمون برقم (١٣) وحذفته بعض شركات الطيران من تراقيم المقاعد ، وبعض الناس يفتح المصحف فإذا رأى آية رحمة فرح ومضى لأمره وإن رأى آية عذاب يأس ورجع عن مراده ، والذى يقرأ فى الجرائد حظك اليوم ويتطير بما يقرؤه فإذا كان أمر خير استبشر وخرج من بيته وإلا لم يخرج ونقول لهؤلاء جميعاً سبحان الله هل الذى كتب هذا يعلم الغيب وهل كل الناس المولودين فى شهر معين أحوالهم واحدة ، والتشاؤم يفتح على صاحبه باب شر فيضيق الدنيا على نفسه .



حكم التطير

حرام ومخل بالتوحيد وقد نفى النبى (ﷺ) تأثيره وجعله شركاً وأنه لا ينبغى أن يرد المسلم عن أمر عزم عليه ونفى النبى (ﷺ) تأثيره على الإنسان فقال : " **لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ** ... " البخارى ، **الهامة** : طائر كانت العرب تزعم أن عظام الميت تصير هامة فتطير ، ويقولون أن القتيل تخرج من هامته . رأسه . هامة فلا تزال تقول اسقونى اسقونى حتى يُقتل قاتله ، **ولا صفر** يتشاءمون بشهر صفر ، وقال (ﷺ) : " **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ** ثَلاَثًا " صحيح ، وقال (ﷺ) : " **مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ** " صحيح ، وجعله (ﷺ) شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً والله تعالى يقول : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٧، وقال سبحانه : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧ ، وقال (ﷺ) : " **لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ** .... " صحيح .

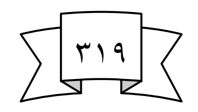
أقسام الناس فى التطير

(١) من يتطير ويستجيب لداعى التطير فيرجع عن حاجته التى خرج إليها وهذا هو الأسوأ حالاً .

(٢) من يتطير ولكنه يمضى فى قلق واضطراب وهذا أهون من الأول .

(٣) من لا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وهؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ " **يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** " البخارى .

علاج التطير :



لا تلتفت إليه وتوكل على الله (ﷻ) وأعلم أن النافع والضار هو الله (ﷻ) قال (ﷺ) : " **الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلاَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ** " صحيح ، وسُئل رسول الله (ﷺ) عن كفارة من ردته الطيرة عن حاجته فقال (ﷺ) : " **تقول اللهم لاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ ولاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ** " صحيح .

٢ . التمائم :

التميمة : . هى خرزة كانت تعلق على الأطفال يتقون بها العين وهى كل ما يعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم وغيرها لدفع البلاء وكذلك ما يعلق فى البيوت أو السيارات من الأحجبة وكان العرب يعلقونها على أولادهم حتى لا تصيبهم العين بزعمهم فأبطلها الإسلام قال الشاعر

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

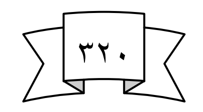
لماذا تستعمل التميمة ؟ تستعمل التميمة لغرضين

أولاً : . دفع الشر المتوقع من مرض أو عين قبل أن يحصل وهى كالتى تعلق على الأطفال أو الفرس أوالبهائم ونحوها أو من يلبس الخاتم معتقداً أنه يجلب له الحظ والسعادة .

ثانياً : . دفع الشر الذى وقع بالفعل .

التميمة لا تأثير لها فى دفع المرض :

قال سبحانه : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ١٧ ، و﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ النحل: ٥٣ ، وقال (ﷺ) : " **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** " صحيح ، ولكن هل هذا معناه ألا نأخذ



بأسباب الشفاء لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ١٧ ، بالطبع لا فنحن مأمورون بالأخذ بالأسباب والتداوى أما التميمة فليست بعلاج ولا تدفع الشر عن الإنسان .

حكم تعليق التمائم

حرام لما ورد فى الحديث عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا قَالَ " **إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً** " فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا فَبَايَعَهُ وَقَالَ : " **مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ** " صحيح ، ودخل حذيفه على رجل مريض فرأى فى عضده سيرا فقطعه وانتزعه وقال ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦ ، وقال (ﷺ) : " **إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ** " صحيح .

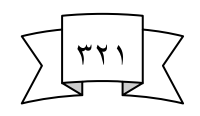
التولة : شيء تصنعه المرأة تتحبب به إلى زوجها .

حكم لبس السلاسل للرجال :

لا يجوز لأنه تشبه بالنساء وقد لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " **الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ** " البخارى .

٣. الحلف بغير الله كالحلف بالنبى أو الأمانة أو الأباء والأمهات أو الكعبة ونحوه :

قَالَ (ﷺ) : " **مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ** " البخارى ، وقَالَ (ﷺ) : " **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ** " صحيح ، وقَالَ (ﷺ) : " **مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا** " صحيح ، وقَالَ (ﷺ) : " **إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ** " صحيح .



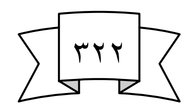
٤ . التسميه بعبد النبى أو عبد الرسول :

لأنه نسب العبودية لغير الله قال تعالى : " **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** " (٩٣) مريم ، والصواب عبد رب النبى وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال (ﷺ) : " **إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ** " مسلم .

٥ . ما شاء الله وشئت ، أعتمد على الله وعليك ، لولا الله وفلان :

والصواب ما شاء الله ثم شئت ، أعتمد على الله ثم عليك فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِىِّ (ﷺ) **مَا** شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **أَجَعَلْتَنِى مَعَ اللَّهِ عَدْلاً لَا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ** " صحيح .

وقال (ﷺ) : " **لاَ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ** " صحيح .

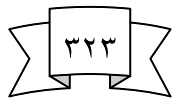


الخطبة الثانية : الـريـاء

أمّا بعد:عِبادَ الله ، قد تكلمنا فى الجمعة الماضية عن أخطر مرض يصيب البشرية على الإطلاق وهو الشرك وهو مرض إذا مات عليه صاحبه خسر الدنيا والآخرة وكان من أهل النار خالداً مخلداً فيها ، ونحن اليوم مع أخطر مرض يصيب الأمة الإسلامية ألا وهو الشرك الأصغر (الرياء) وهو من الأمراض المهلكة الفتاكة حيث فيه خسارة الدين والآخرة حَذِرَ منه المتقون وخافه الصالحون ونبه على خطورته الأنبياء والمرسلون ولم يأمن من مغبته إلا العجزة والجهلة والغافلون فهو الشرك الخفى والسعى الردى ولا يصدر إلا من عبد سوء وهو أخطر من فتنة المسيح الدجال الذى حذر منه النبى (ﷺ) أمته وبين أن كل نبى حذر أمته الدجال فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **مَا بُعِثَ نَبِىٌّ إِلاَّ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ** " البخارى ، وعن ابْن عُمَرَ (رضي الله عنه) قال : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِى النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ : " **إِنِّى لأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِىٍّ إِلاَّ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ** " البخارى ، ومع شدة فتنة المسيح الدجال فإن النبى (ﷺ) أخبر أن هناك مرضاً يصيب الناس لَهُو أشدُ خطراً من المسيح الدجال فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدرى (رضي الله عنه) قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ : " **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِى مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** " قَالَ قُلْنَا بَلَى فَقَالَ " **الشِّرْكُ الْخَفِىُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ** " حسن .

عواقب وأضرار الريـاء

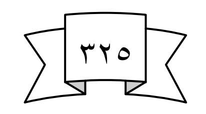
أولاً : ـ الريـاء يحبط العمل : ـ أمرنا الله تبارك وتعالى بالإخلاص فى العمل فى السر والعلن فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥ ، ولذا فإن الناجين يوم القيامة هم الذين أخلصوا لله تعالى فقد أخبر إبليس عليه لعنة الله أنه سيغوى بنى آدم كلهم إلا



المخلصين ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحجر: ٣٩ - ٤٠ ، فإذا عمل العبد العمل لأجل الناس فلا أجر له عند الله فعَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ (ﷺ) فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَىُّ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ " **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** " البخارى ، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **لَا شَيْءَ لَهُ** " فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **لَا شَيْءَ لَهُ** ثُمَّ قَالَ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ** " صحيح ، وعَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ (ﷺ) فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ " **مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ** " البخارى ، ولذا فلا يجوز لنا أن نقول إن فلاناً شهيد بل نقول نحسبه شهيداً لأنه قد يكون مرائى فقد غزا مع النبى (ﷺ) أناس وقتلوا معه فى الجهاد أمام المشركين ثم أخبر النبى أنهم من أهل النار فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِى الإِسْلاَمَ " **هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ** " فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَأَثْبَتَتْهُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ (ﷺ) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الَّذِى تَحَدَّثْتَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَقَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** " فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَابُ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَانْتَزَعَ مِنْهَا سَهْمًا فَانْتَحَرَ بِهَا فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ قَدِ انْتَحَرَ فُلاَنٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " **يَا بِلاَلُ قُمْ فَأَذِّنْ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ** " البخارى .

وسُئل الفضيل عن قوله ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: ٢ ، فقال أخلصه وأصوبه قيل ما أخلصه وما أصوبه قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإن كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، فيا لخيبة هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم فى الدنيا ثم يوم القيامة لا يجدون ثواباً لأعمالهم لأنهم ما عملوها لله (ﷻ) إنما عملوها ليقال عنهم أهل كرم وشجاعة وتقوى ونحوه ، قال الله (ﷻ) عن هؤلاء ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ هود: ١٥ - ١٦ ، قد ينال ثناء الناس فى الدنيا ولكن اعلم أن الله قد يفضحه فى حياته قبل مماته فقد قَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِى يُرَائِى اللَّهُ بِهِ** " البخارى ، والناس تنسى ما قدم العبد من الصالحات ثم إنه لا ينفع الإنسان أن يقال عنه كريم أو شجاع أو متواضع وغيره من الصفات المحمودة ، فلو اجتمع الخلق بالمدح والثناء عليك فهذا لن يقربك من الله إن كنت بعيداً عنه ولو اجتمع الخلق بالذم فيك فلن يبعدك هذا عن الله إن كنت قريباً منه .

ثانياً : ـ حال المرائى يوم القيامة : ـ المرائى أول من يدخل النار يوم القيامة فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قال رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) : " **إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ**

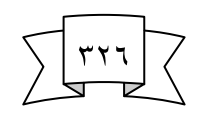


قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ " مسلم ، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) قَالَ : " **لاَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَلاَ لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلاَ تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ** " حسن ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِى غَيْرِى تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ** " مسلم ، وعن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ** " قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : " **الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِىَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِى الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً** " صحيح ، وعَنْ أَبِى سَعْدِ بْنِ أَبِى فَضَالَةَ الأَنْصَارِىِّ (رضي الله عنه) قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : " **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِى عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ** " حسن ، وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣ وقال سبحانه :﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ الغاشية: ١ - ٤ .

كيف تتخلص من الرياء

أولاً : الإستعانة بالله : وتدعوه أن يجعل عملك خالصاً له سبحانه وتعالى .

ثانياً : إخفاء العمل قدر الطاقة : . قال سفيان بن عُيَينه أُكتم حسناتك أعظم مما تكتم سيئاتك أى كما لا تحب أن يرى أحد سيئاتك فاكتم حسناتك ، وسأل رجل سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له أتحب أن تمقت قال لا قال فإذا عملت عملاً فأخلصه ، وأتى أبو أمامه الباهلى (رضي الله عنه) على رجل فى المسجد وهو ساجد يبكى ويدعو فقال أنت أنت لو كان هذا فى بيتك .



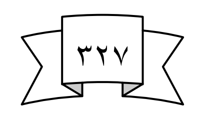
وقال الفضيل بن عياض (رضي الله عنه) كانوا يراؤون بما يعملون وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون .

ثالثاً : التأسى بالأنبياء والصالحين : حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه اللّه عليهم فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد فنادى : إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلاّ جاء فجاء رجل فقال استأذن لي على الأمير فقال له أنت صاحب النقب ؟ قال أخبركم عنه فأتى مسلمة فأخبره عنه فأذن له فقال له إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً ألاّ تسوّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه ممن هو قال فذاك له قال أنا هو فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

ورأى عمر بن الخطاب رجلاً يطأطىء رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب إنما الخشوع فى القلوب .

وعن الأعمش قال كان عبد الرحمن بن أبى ليلى يصلى فإذا دخل الداخل نام على فراشه ، وعن عاصم قال كان أبو وائل (شقيق بن مسلمه) إذا صلى فى بيته ينشج نشيجاً ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وواحد يراه ما فعله .

وكان على بن الحسين (زين العابدين) (رضي الله عنه) يحمل الصدقات والطعام على ظهره ليلاً إلى بيوت الفقراء فى المدينة وكانوا لا يعلمون من وضعها وكان لا يستعين بخادم لئلا يطلع عليه أحد فلما مات علي بن الحسين وغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره فقالوا ما هذا فقيل كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة ، وقال ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .



وقال الشافعى : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلى منه شىء .

ويقول محمد بن أعين وكان يصاحب ابن المبارك فى أسفاره (كنا ذات ليله ونحن فى غزو الروم فذهب عبد الله ابن المبارك ليضع رأسه ليرينى أنه ينام يقول فوضعت رأسى على الرمح لأريه أنى أنام كذلك فظن أنى قد نمت فقال فأخذ فى صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه فلما طلع الفجر أيقظنى وظن أنى نائم وقال يا محمد فقلت إنى لم أنم فلما سمعها منى ما رأيته بعد ذلك يكلمنى ولا ينبسط معى فى شىء فى غزواته كلها فكأنه لم يعجبه ذلك منى لما فطنت له من العمل فلم أزل أعرفها منه حتى مات ولم أر رجلاً أسر بالخير منه .

وإن مثل المرائى كرجل يحمل جراباً فيه تراب يتعبه ولا ينفعه .

وهنا نسأل سؤالاً لو ألقى الله على الرجل الثناء الحسن بين الناس فلمّا سمع هذا الرجل ثناء الناس عليه فرح فهل هذا من الرياء ؟ لا بل هذا الثناء الذى ألقاه الله فى قلوب الناس دليل خير وبشارة فعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ " **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ** " مسلم .

الخطبة الثالثة : الـربـا

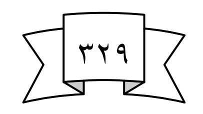
أمّا بعد:عِبادَ الله ، نحن اليوم مع مرض يدمى القلب ويدمع العين إنه مرض مصاصى الدماء وهو مرض يمحق البركة من الأرض ويجعل البشرية أهلاً لحرب الله تبارك وتعالى إنه الربا ، والربا من أكبر الكبائر فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (ﷺ) عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ : " **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ : " **الشِّرْكُ بِاللَّـهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ** " متفق عليه .

حكم الربا فى الشرائع السابقة

الربا لم يُحل فى شريعة قط قال تعالى عن أهل الكتاب : ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾النساء: ١٦١ ، فالربا حُرم على اليهود وهم يعلمون ذلك ولا يفعلونه فيما بينهم ولكنهم يبيحونه مع غيرهم ، وأما العرب فى جاهليتهم فعلى الرغم من تعاملهم به إلا أنهم كانوا ينظرون إليه نظرة ازدراء وليس أدل على ذلك من أنه عندما تهدم سور الكعبة وأرادت قريش إعادة بنائه حرصت على أن تجمع الأموال اللازمة لذلك من البيوت التى لا تتعامل بالربا حتى لا يدخل فى بناء البيت مال حرام فقالوا يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيبا ولا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس .

●آكل الربا ليس فى قلبه رحمة : .

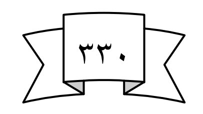
قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾آل عمران: ١٣٠ ، فقد أشار الله سبحانه وتعالى أن أعظم ما يهدد التعاطف والترابط بين المسلمين والنسيج الإجتماعى بينهم هو ترك التراحم بين العباد ، والربا عنوان ذلك فالمرابى مصاص للدماء لا يحب أحداً إنما يحب المال ، يرى الرجل يسقط أمامه بسبب الحاجة فلا يعنه ، لأن الذى يقترض المال محتاج إليه



وإلا لما اقترض ومع ذلك فلا يحن له ولا يشفق عليه ولا يعطيه المال ، ويعلم المرابى بحسابات المستقبل القريب أن هذا الرجل لا يستطيع السداد فإذا جاء موعد الأجل ولم يسدد مد له فى الأجل مرة أخرى مع الزيادة فهذا لا يحب أحداً ولا يرحم أحداً إنما يحب نفسه فقط ولذا كان الربا كبيرة من الكبائر .

وجاء رجل إلى مالك بن أنس فقال يا أبا عبد الله إني رأيت رجلاً سكراناً يتعاقر يريد أن يأخذ القمر فقلت امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشر من الخمر فقال ارجع حتى أنظر في مسألتك فأتاه من الغد فقال له ارجع حتى أنظر في مسألتك فأتاه من الغد فقال له امرأتك طالق إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أر شيئا أشر من الربا لأن الله أذن فيه بالحرب .

إن الربا دمار للمجتمع وإهلاك للنسيج الإجتماعى بين الناس ولذا ذكر الله تعالى أن من أسباب علاج الربا الصدقة فقال الله تعالى بعد ما نهانا عن أكل الربا : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤ ، فالنفقة علاج الربا فلا يبخل أحد بماله على مستحق ولذا حثنا الله تبارك وتعالى إذا أقرضنا رجلاً مالاً ولم يستطع السداد أن نمهله مرة أخرى دون زيادة أو نتصدق عليه بالمال قال سبحانه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠ ، وقد ضرب الصحابة الأمثلة فى هذا الأمر قال تعالى : ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩ ، وعن أبى قتادة (رضي الله عنه) أنه كان له على رجل دين فكان يأتيه يتقاضاه فيغيب عنه فجاءه ذات يوم فسأل عنه صبياً فقال نعم هو فى البيت فناداه يا فلان أخرج فقد أُخبرت أنك ها هنا فخرج فقال ما غيبك عنى فقال إنى معسر وليس عندى شىء فقال له آلله . أى بالله .

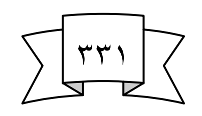


قال نعم فأسقط عنه الدين وقال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " **مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ** " صحيح ، وقال (ﷺ) " **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ** " مسلم ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ " **إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ قَالَ لاَ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ لِى غُلاَمٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ** " صحيح ، وعن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (رضي الله عنه) أنه خرج يوماً إلى ضيف له فمر على بستان لجار له فيه غلام أسود يعمل فيه ومعه ثلاثة أقراص من الخبز فجاء كلب فرمى له بقرص فأكله الكلب فرمى له بالثانى فأكله وبالثالث فأكله فقال عبد الله لهذا الغلام ما قوتك فى اليوم قال ما رأيت ثلاثة أرغفة ، قال كيف آثرت الكلب على نفسك ؟ فقال له إن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وهذا كلب جاء من مسافة بعيدة وهو جائع فكرهت أن أرده قال وكيف تقضى يومك قال أقضيه طاوياً أى جائعاً فقال عبد الله يقولون إننى سخى والله إن هذا الغلام أسخى منى ثم اشترى البستان والغلام وأعطى البستان للغلام ، إن أمة فيها مثل هذه النماذج لا تجد فيها محتاج ، فلا يظهر الربا إلا فى قوم غلاظ الأكباد يكرهون بعضهم بعضا لذلك تسهل عليهم الخيانة من أجل المال ، إن وجود المرابين فى المجتمع مُؤذِنٌ بهلاكه ويدل على أنه مجتمع لا خير فيه .

أضرار الربا

١ـ آكل الربا ملعون : .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ : " **لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ** " صحيح ، وأخرج مسلم فى صحيحه عَنْ جَابِرٍ قَالَ : " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ : **هُمْ سَوَاءٌ** " ثم وجهنا الله تبارك

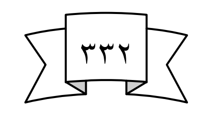


وتعالى إلى ما هو خير لنا من أكل الربا وهو الصبر على المدين وعظَّم الأجر على ذلك فقال : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠ ، وقال (ﷺ) : " **مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ** " صحيح .

٢. مال الربا لا يبارك الله فيه : .

لأن العبد إنما يتعامل بالربا ليزيد ماله فعاقبه الله بعكس مقصوده فجعل ماله إلى قلة قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الروم: ٣٩ ، فمن ذا الذى أكل الربا وبورك له فى ماله وولده وصحته وتجارته ؟ أنت قد تتصور أنهم يعيشون فى رخاء ورغد من العيش وهم لا ينامون الليل من الربا فلا تغتر ولا تنخدع بما هم فيه فسيتحول كل نعيم إلى شقاء وضنك لأنهم أعرضوا عن رب العالمين قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤ ، قد يقول قائل أنا أعلم أناساً يتعاملون بالربا وهم أغنياء وفى صحة وعافية والمال فى زيادة أقول لك لا تغتر بذلك فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ " **إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِى الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ** " ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنعام: ٤٤ صحيح ، فلا تغتر بهؤلاء فآكل الربا لا يدرى أنه مفتون فهو يقول لو لم أكن أهلاً لهذه النعمة ما أعطانى الله المال ، ونقول لهؤلاء إن الله أعطى المال لقارون فهل أعطاه المال حباً له ؟ فلو كان كذلك فلماذا خسف الله به الأرض واعلم أن مال الربا لا يزيد بل ينقص قَالَ (ﷺ) : " **مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ** " صحيح .

٣. آكل الربا رجل أعلن الحرب على ربه : .



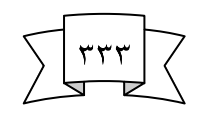
فالربا ذنب توعد الله عز وجل صاحبه بالحرب قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقـــرة: ٢٧٨ - ٢٧٩ ، فهل يقدر آكل الربا على حرب الله ورسوله وكيف يرجو البركة من ربه فى الرزق وكيف يدعوه بأن يكون من أهل الجنة وقد أعلن الله الحرب عليه ، قال ابن عباس (رضي الله عنه) يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب ، كل هذا من أجل أكل الربا ، واعلم أن العبد سيموت ويترك ماله كله ولن يدخل معه قبره ولو دخل معه ما نفعه فماذا يقول لربه عندما يسأله عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ والنبى (ﷺ) يقول : " **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ** " صَحِيحٌ .

٤. أكل الربا سبب لنزول العذاب على العباد : .

فهو شر من الزنا لقوله (ﷺ) : " **دِرْهَمُ رِباً يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ زَنْيَةً** " صحيح ، وقال (ﷺ) : " **مَا ظَهَرَ فى قَومٍ الزِّنَا وَالرِّبَا إلّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ** " حسن .

٥. آكل الربا خاتمته سوء : .

كيف يحسن الله خاتمة رجل كان يحاربه فى الدنيا ويفعل كبيرة من كبائر الذنوب قد أخبر النبى (ﷺ) أنها من الموبقات ، فقد ورد أن طالباً دخل على رجل من أهل العلم وهو يبكى ويقول له ادع لأبى لعل الله يستجيب دعوتك وكان الابن متأثراً فقال له الشيخ ما الأمر قال توفى والدى قال الشيخ أسأل الله أن يرحمه فقال الابن ولكن يا شيخ إن الموتة كانت بشعة قال وما ذاك قال كان والدى قوياً جداً وقد رزقه الله صحة وعافية وفى هذا اليوم شعر بألم فى بطنه بعد تناول الغداء ورأى أنه

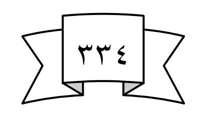


بحاجة إلى التقيؤ فدخل إلى الحمام ووقف على الحوض وظل يصرخ وطالت وقفته فبرك على ركبتيه ووضع فمه قريباً من المرحاض فكلما أراد أن يتقيأ قاء داخل المرحاض قال وإذا بنا نسمع صرخة شديدة قال فدخلنا فوجدناه قد مات ووجهه فى المرحاض فقال الشيخ أعوذ بالله فأخبرنى كيف كان حال والدك قال وهو يبكى إن أبى لم يصل لله صلاة واحدة فقال له أعلم خطر ترك الصلاة ولكنى أسألك بالله أن تسأل والدتك ما الذى كان يفعله والدك قال هذا فقط فقال له لا سل والدتك قال أفعل فذهب وسأل والدته ما الذى كان يفعله والدى حتى ختم الله له بهذه الخاتمة المرعبة الفظيعة ، فبكت أمه وقالت يا بنى إن والدك كان يتعامل مع الناس بالربا وكان يخرج الألف بألف وخمسمائة فقال الشيخ هذه ، كان يأكل الحرام فى الدنيا فأكل القاذورات عند موته ذلك لأنه من الذين قص الله علينا نبأهم فقال ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ البقرة: ٢٧٥.

٦. آكل الربا يعذب فى القبر : .

أعد الله عز وجل لآكل الربا عذاباً فى قبره فعن سمرة بن جندب : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ : " **هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَا ؟** فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ " **إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي : انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا** ... وفيه : " ... **فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ – حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ – أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِى النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِى ذَلِكَ الَّذِى قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا – قَالَ – قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ ؟ ..... وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِى النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا** ... " البخارى .

٨. آكل الربا يعذب يوم القيامة : .



لقد ذكر الله تبارك وتعالى عقوبة آكل الربا فى سورة البقرة وهى أشد عقوبة أعدها الله تعالى لأهل الكبائر فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩ ، قال ابن عباس (رضي الله عنه) " يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب " فمن يقدر على حرب ربه ، يخرج الناس يوم القيامة من قبورهم على أحوال مختلفة فيرون العجب العجاب عند البعث فنحن نعلم أنه من عاش على شىء مات عليه وبعث عليه ، فمن الناس من يخرج من قبره ساجداً لله ومنهم من يبعث ملبياً وهناك مناظر مرعبة فترى أناساً يخرجون من قبورهم والظلمة تخرج معهم من تلك القبور ومنهم من يخرج من قبره ويخرج وراءه أطفال صغار يدفعونه دفعا أتدرون من هذا ؟ هذا آكل أموال اليتامى وهؤلاء الصغار هم اليتامى ، وأخر يخرج من القبر وبطنه منتفخة إذا أراد أن يمشى على الأرض وقع فإذا جلس عجز عن الجلوس يتخبط يميناً وشمالاً كالذى يتخبطه الشيطان من المس تدرون من هذا ؟ إنه آكل الربا .

حكم فوائد البنوك

بعض الناس يضع ماله فى البنك ويأخذ الأرباح كل عام ويتعلل بأنه لا يستطيع أن يتاجر بنفسه أو أن البنوك تتاجر وتنشئ مصانع وعمارات ونحوه حتى يحلل لنفسه الربا أقول هذا التعامل يسمى ربا النسيئة أى التأجيل وكان فى الجاهلية يذهب الرجل للرجل ويقول له أقرضنى ألف دينار مثلاً ويقول له أسدد لك بعد عام فإن جاء بعد عام وسدد المال فلا يأخذ منه الزيادة وإن عجز قال أمهلك عاماً وتزيدنى مائة فربا الجاهلية كان أرحم من ربا اليوم أما البنك فى هذه الأيام يفرض عليك الزيادة من أول لحظة تقترض فيها منه .

ما هو البديل

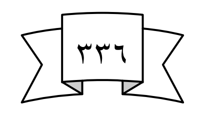
الاستثمار الحلال هو البديل قد يقول قائل أنا موظف ومعى مال ميراث أو نحوه وليس لدى وقت لأتاجر أو ليس عندى خبرة ، نقول له ضع مالك فى بنوك إسلامية ولا أنكر أن فيها بعض الشبهات ولكن الله تعالى يقول ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٨٦ ، فهذه البنوك الإسلامية فيها هيئة من كبار علماء الشريعة لا نشك فى عقائدهم وأخلاقهم فإذا وضعت المال فيها فلا إثم عليك لأن هذا على قدر استطاعتك والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ التغابن: ١٦ ، وأنت تفعل أقصى ما تستطيع ، والذى يقول إن البنوك الإسلامية لا فرق بينها وبين الأخرى فهو محارب لها حتى ينغمس الناس فى الربا .

الفرق بين البنوك الإسلامية والربوية

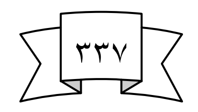
لو معك صدقة وأردت أن تعطيها لفقير ولا تعلم فقيراً أو لا وقت لديك لإعطائها له فذهبت لرجل يشرب المخدرات وتعلم أنه لا أخلاق عنده ولا يتقى الله وقلت له أعط هذه الصدقة لفقير فهل تكون مأجوراً أم مأزوراً ؟ لست مأجوراً لأنك لم تتحر عن رجل عنده دين حتى يؤدى عنك هذه الصدقة ، وإذا ذهبت لرجل عليه علامات الصلاح وقلت له تصدق بهذا المال على فقير ولكنه لم يعطها للفقير وأخذها لنفسه فأنت مأجور لأنك فعلت قدر استطاعتك فكذلك البنك الإسلامى يقول أنا أتعامل بالحلال أقول تعامل معه لأن من يضع المال فى بنك ربوى يعلم أنه يأخذ أموالاً ربوية بخلاف من يضعها فى بنك إسلامى فقد وضعه فيه رجاء أن يكون المال حلالاً .

كيف يتوب آكل الربا ؟

لابد أن يتوب ويرجع إلى الله وأن يأخذ رأس ماله فقط إن كان يتعامل مع الناس ، وأما إن كان يتعامل مع بنك ربوى فليأخذ المال ويصرفه فى منافع المسلمين

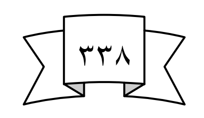


قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ البقرة: ٢٧٩ ، وقــال سـبحانه ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ الزمر: ٥٣.



الخطبة الرابعة : الغفلة

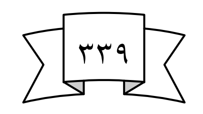
أما بعد:عباد الله ، نحن اليوم مع مرض خطير من أخطر الأمراض التى تصيب الأمة وهو مصيبة العصر التى أصابت كثيراً من المسلمين وهى سبب ضعف شوكتهم وضياع وحدتهم وذهاب قوتهم فالمسلمون اليوم هم أكثر الناس عدداً وأقواهم مدداً ولكنهم بجملتهم غثاء كغثاء السيل والسبب هو غفلتهم عن الآخرة والشاهد على ذلك قول النبى (ﷺ) : " **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا** " فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ : **بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ** فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ : **حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ** " صحيح ، فالغفلة هى داء الأمة فالأمة بجملتها غافلة عن الآخرة معرضة عما خُلقت من أجله فالله تعالى قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، والناس إلا من رحم الله لا همَّ لهم إلا الدنيا الفانية ، قَلَّ رواد المساجد وعمرت المسارح ، وشُجع الممثلون والمغنون وحورب الدعاة والمخلصون ، كثر التبرج وقل الحجاب وصار السفلة رموزاً وقدوات ، هذا هو حال الأمة إلا من رحم الله ، فالغفلة عن الآخرة مصيبة كبيرة والاعراض عن الصالحات ظاهرة سيئة وقد نبهنا الله (ﷻ) فى كتابه إلى هذا الأمر الخطير فقال :﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ الضحى: ٤ ،﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ القصص: ٧٧ ، والغفلة هى سهو يعترى العبد من قلة التحفظ والتيقظ وتصيب العبد بأنواع من قلة الإحساس بحيث لا يشعر أنه بدَّل وغيَّر فهو متقلب فى الغفلة وقد انغمس فى الدنيا وشهواتها ونسى الآخرة ودرجاتها لدرجة أن قلبه صار لا يفقه وعينه لا ترى وأذنه لا تسمع قد عطل جوارحه وحرم نفسه الانتفاع بها وقد اجتهد فى تعمير دنياه وتخريب أخراه فكره لقاء الله واليوم الآخر لأنه يكره الانتقال من العمران إلى الخراب فضيع نفسه بذلك ، واعلم أن الله قد خلق الخلق لعبادته ورغبهم فى الجنة ورهبهم من النار وذكَّرهم بما هم مقبلون عليه بعد الموت



من أهوال وكربات عظام ولكن الكثير من الناس ينسى هذه الحقائق ويغفل عنها كما قـــال الله (ﷻ) : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء: ١ - ٢ ، حتى إن المرء لو نظر فى أحوال الغافلين لوجد منهم جرأة على الله وسيراً فى طريق المعاصى والشهوات وتهاوناً فى الفرائض والطاعات فيتساءل هل هؤلاء يصدقون بجنةٍ أو نار أم تُراهم وُعدوا بالجنة والنجاة من النار وكأن النار خلقت لغيرهم أم أنهم نسوا لقاء الله فإن الله يقول : " ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥.

أسباب الغفلة

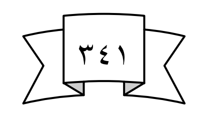
●**الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته** : فالجهل نقيض العلم والجهل ظلمة وظلمته تحيط بالقلب فيعمه سواد يحجبه عن الله تعالى ، فالجهل بالله أول الآفات وعنوان المخالفات ورأس الشقاوات وإن أهل الجهل بالله لفى قول مختلف مضطرب فالجهل بالله وشرعه ووعده ووعيده هو سبب كل شر وفساد فى الأرض ، وكثير من الناس يعتقدون أن الله هو ربهم ولكن ينقصهم العلم بأن الله معهم حيث ما كانوا يطلع عليهم ويعلم سرهم ونجواهم ويعلم مستقرهم ووقع خطاهم قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠، وينقصهم أن الله شديد العقاب ، ولما جهلوا عقاب الله لم يبالوا بما فعلوا من الذنوب والمعاصى وكلما زاد جهل العبد بربه كان أكثر جرأة على حدود الله ومحارمه ، والقرآن يندد بالجهل وأهله ويحذر منهم قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ الأنعام: ١١١ ، وقال أيضاً : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١ ، فإذا كثر الجهل كثر الشرك بالله وانتشرت البدع والمنكرات لبعد أصحابها عن دين الله .



•**الانغماس فى الدنيا وشهواتها** : الانغماس فى الشهوات يجعل على العين غشاوة وفى السمع وقر وعلى القلب أقفال كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ الأعراف: ١٧٩ ، وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ آل عمران: ١٤ ، وقال : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ مريم: ٥٩ ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ قَالَ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَب فَنَظَرَ فَقَالَ يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ فَقَالَ يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ فَلَمَّا خَلَقَ النَّارَ قَالَ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ فَقَالَ يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ يَا رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا** " حسن ، وقال قتادة إذا كان الرجل كلما هوى شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى فقد اتخذ إلهه هواه ، فإذ أوغل الناس فى الشهوات وفى اللهو واللعب صاروا إلى الغفلة ولم يفيقوا منها إلا فى معسكر الموتى ، فالتوسع فى الملذات والاستكثار من الشهوات يؤدى إلى التكاسل عن العبادات والطاعات وارتكاب الموبقات ولذا حذرنا النبى (ﷺ) من الاغترار بالدنيا فقال " **أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا** " مسلم ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِمَنْكِبِى فَقَالَ : " **كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ** " وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ " البخارى ، وقد بين الله جزاء الغافلين قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا

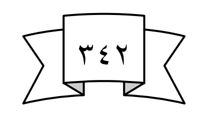
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ يونس: ٧ - ٨ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ محمد: ١٢ ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الحجر: ٣ ، لذا حذرنا الله من الدنيا فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ لقمان: ٣٣.

●**صحبة السوء** : فالمرء على دين خليله كما قال (ﷺ) : " **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** " حسن ، وقال سبحانه فى وصف خليل السوء ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ - ٢٩ ، وقد ورد أن هذه الآيات نزلت فى عقبه بن أبى معيط فعن ابن عباس : " أن أبا معيط وفي رواية عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي (ﷺ) بمكة لا يؤذيه وكان رجلا حليما وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام فقالت قريش صبأ أبو معيط وقدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته ما فعل محمد ؟ فقالت أشد مما كان أمرا فقال ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت صبأ فبات بليلة سوء فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية فقال : مالك لا ترد علي تحيتي ؟ فقال كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت ؟ قال أوقد فعلتها قريش ؟ قال نعم قال فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم ففعل فلم يزد النبي (ﷺ) أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال : " **إن وجدتك خارجا من جبال مكة أضرب عنقك صبرا** " فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبى أن يخرج فقال له أصحابه : اخرج معنا قال قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجا من جبال مكة أن يضرب

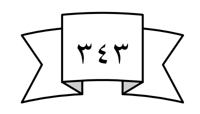


عنقي صبرا فقالوا لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وحل به جمله في جدد من الأرض فأخذه رسول الله (ﷺ) أسيرا في سبعين من قريش وقدم إليه أبو معيط فقال تقتلني من بين هؤلاء ؟ قال " **نعم بما بزقت في وجهي** " فأنزل الله في أبي معيط : " **ويوم يعض الظالم على يديه** " إلى قوله " **وكان الشيطان للإنسان خذولا** " صحيح ، وعَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ : " **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** " البخارى ، وانظر إلى أبى طالب عم النبى (ﷺ) لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِىُّ (ﷺ) وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ " **أَىْ عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ** " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَىْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ هو عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) " **لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ** " فَنَزَلَتْ " **مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** " وَنَزَلَتْ " **إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ** " البخارى ، والرجل الذى قتل مائه نفس قال له العالم " وَيْحَكَ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ اخْرُجْ مِنَ الْقَرْيَةِ الْخَبِيثَةِ الَّتِى أَنْتَ فِيهَا إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ قَرْيَةِ كَذَا وَكَذَا فَاعْبُدْ رَبَّكَ فِيهَا " فإذا وجد العبد أنه غافل عن الطاعة مقبل على المعصية فلينظر إلى من يصاحب فصحاب السوء يجعلك تعرض عن الطاعة أما الصالح فيعينك عليها .

●**نسيان الموت** : مع أن الناس يودعون فى كل يوم الأهل والأحباب إلا أنهم ينسون أو يتناسون الموت والقبر والبعث والحساب والآخرة والدليل على ذلك أنك تجد فى الجنازة أناساً يقفون خارج المسجد ولا يصلون الصلاة المفروضة ولا صلاة الجنازة ويذهبون إلى المقابر ويرون الميت وهو يدفن فى قبره ومع ذلك لا يتعظون ، فإذا كان الإنسان لا يتعظ والموت أمام عينيه فمتى يفيق من غفلتة وقد انشغل فى الدنيا



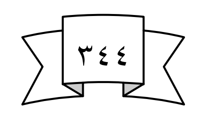
وملذاتها وشهواتها ، وهؤلاء أضل من الأنعام كما قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ الأعراف: ١٧٩ ، فقوله سبحانه لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا أى لا ينتفعون بشىء من هذه الجوارح كما قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦)﴾ الأحقاف: ٢٦ ، وقال تعالى : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)﴾ البقرة: ١٧١ ، فهؤلاء لم يكونوا صماً ولا عمياً إلا عن الهدى كما قال سبحانه :﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣)﴾ الأنفال: ٢٢ - ٢٣ ، فأولئك كالأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ولا تفقه ما يقول ولهذا شبههم الله بالأنعام وقال بل هم أضل لأن الدواب تستجيب لراعيها وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء الذين يسمعون الكلام ويفهمونه ولكنهم لا يستجيبون ، فالدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف هؤلاء فإنهم خلقوا لعبادة الله ولكنهم غفلوا عنها ، وقال الله عن هؤلاء الذين جُل سعيهم وهمهم الشهوات من الطعام والشراب والنساء : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)﴾ الحجر: ٣ ، وكيف ينسى الإنسان الموت وهو أقرب إليه من حبل الوريد وهو أقرب إليه من شراك نعله وكيف ينسى الموت وما هو إلا نفس يخرج ثم قد لا يعود وكيف ينسى الموت والأجل محتوم : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾ الأعراف: ٣٤ ، إن نسيان الموت يؤدى إلى الغفلة التى تؤدى إلى الانهماك فى لذات الدنيا وشهواتها وتسويف التوبة والتكاسل عن الطاعة ، إنهم عند نزول الموت بساحتهم يتمنون أن يُؤخروا لحظات قليلة والله ما تمنوا عندها حب البقاء من أجل الدنيا ولا رغبة فى التمتع بها ولكن ليتوبوا ويستدركوا ما فات ولكن هيهات هيهات ﴿



وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ سبأ: ٥٤ ، ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق: ١٩ - ٢٢ ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠ ، ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون: ١٠ - ١١.

●**البعد عن ذكر الله :** من أعظم الأسباب التى تؤدى إلى الغفلة هى البعد عن ذكر الله ، وترك الذكر يؤدى إلى ضنك فى العيش فى الدنيا والعمى فى الآخرة ويورث الوبال والحسرة والضلال والغفلة قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦ - ٣٧ ، وذكر الله يطمئن القلب وينال به العبد محبة علام الغيوب ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ ، والذى يعرض عن ذكر الله يكون قريباً من الشيطان وتجده يحب سماع مزامير الشيطان وهو الغناء قال تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المجادلة: ١٩ ، والبعض يبكى من الغناء ولا يبكى من القرآن .

●**نسيان الغاية من الخلق :** فالله تبارك وتعالى خلقنا لعبادته ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، وقال سبحانه : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٥ واعلم أن الغفلة سبب عظيم من

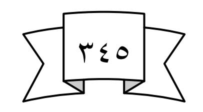


أسباب العقوبة فى الدنيا والآخرة وسوء الخاتمة قال تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦.

علاج الغفلة

●**تذكر الموت :** . إن تذكر الموت يرقق القلب فيرى العبد أفعال نفسه وما ارتكب من قبائح وسيئات ويرى حقارة الدنيا وهوانها على الله ويتجلى له مشقة الموت وشدته ويتأمل الوحشة فى القبر وظلمته مع ضيق اللحد وكونه وحيداً منفرداً فى قبره ، إنّ تذكر الموت يهيئ النفس لتتخلى عن غفلتها فتنتفع بذلك : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّجۡمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ هود: ١٠٣ ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ البقرة: ٢٨١ ، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ (ﷺ) قَالَ : " **عُودُوا الْمَرِيضَ وَامْشُوا مَعَ الْجَنَائِزِ تُذَكِّرْكُمُ الآخِرَةَ** " حسن ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ** "صحيح ، فزيارة القبور تذكر بالموت وتجعل الإنسان يتعظ ويعتبر ويتذكر أنه سيصير إلى ما صار إليه الأموات وهذا يوفّق إلى العمل الصالح ولذا علمنا رسول الله (ﷺ) أن نلقى السلام على أهل القبور ونتذكر اللحاق بهم ونستعد لذلك بالطاعة فعن بُريدة (رضي الله عنه) قال كان رسول الله (ﷺ) إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ قَالَ : " **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ** " صحيح .

●**حضور مجالس الذكر وذكر الله تعالى :** قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ ، وعَنْ أَبِى مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ قَالَ النَّبِىُّ (ﷺ) : " **مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ**" البخارى ، فذكر الله يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ، ويرضى الرحمن وينور الوجه والقلب ولا شك أن حضور مجالس العلم والذكر يؤدى إلى زيادة الإيمان فقد قال (ﷺ)



: " **وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** " مسلم .

●**الصحبة الصالحة** : الصحبة الصالحة والرفقة الطيبة يشدون من أزر صاحبهم ويعينونه على عمل الصالحات لأن المرء ضعيف بنفسه قوى بإخوانه الصالحين والرجل الصالح لا ترى منه إلا خيراً قال سبحانه : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الكهف: ٢٨ ، وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قال قال رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) : " **لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِىٌّ** " حسن ، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : " **الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ** " حسن .

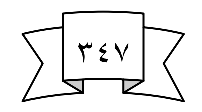
شهر رجب

الخطبة الأولى : اليقين

الخطبة الثانية : الخوف من الله

الخطبة الثالثة : معجزة الإسراء والمعراج

الخطبة الرابعة : مشاهد من الاسراء



الخطبة الأولى :اليقين

أما بعد:عباد الله ، لا قيمة لأي دعوة، ولا قيمة لأي عمل مالم تتشرب قلوبنا حلاوة اليقين، فما هو اليقين وما هي علاماته؟ اليقين هو: العلم وزوال الشك، قال ابن القيم: ومنزلة اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العالمون، وإليه شمر العاملون، وفيه تنافس المتنافسون، وإذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما الإمامة في الدين، كما قال رب العالمين: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ السجدة: ٢٤ .

وخص الله أهل اليقين بالانتباه في الآيات والبراهين، قال رب العالمين: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) ﴾ الذاريات: ٢٠.

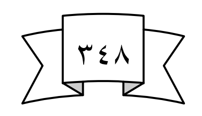
وخص الله أهل اليقين بالهدى والفلاح، قال جل في علاه: ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ البقرة: ١ - ٥.

بل وبين ربنا أن أهل النار ما كانوا من أهل اليقين، قال رب العالمين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) ﴾ الجاثية: ٣٢.

علامات اليقين

فما هي علامات اليقين؟ النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إلى الله في كل أمر، والاستعانة بالله في كل حال.

أيها الفضلاء! إن اليقين ليس كلمة يرددها عالم أو داعية، إن اليقين دين كامل ومنهج حياة شامل، فما قيمة الدعوة إن لم تكن على يقين مطلق بالثقة في وعد الله، ووعد الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! اليقين له علامات، علاماته: النظر



إلى الله في كل شيء، بأن تراقب الله في سرك وعلنك: " احفظ الله يحفظ، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف" .

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ المجادلة: ٧ ، النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إلى الله في كل أمر، فأنظر: هل قولي هذا يرضي الله؟! هل نظري هذا يرضي الله؟! هل مدخلي ومخرجي يرضي الله؟! هل سكوني وسكوتي يرضي الله؟! وهكذا يرجع المؤمن صاحب اليقين إلى الله في كل شيء، ويستعين بالله في كل حال، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال.

فما هي أوجه اليقين ودرجاته؟ أما أوجه اليقين ودرجاته فقد نقل ابن القيم رحمه الله عن أبي بكر الوراق رحمه الله قال: اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر.

ويقين دلالة.

ويقين مشاهدة.

يقين خبر: وهو سكون القلب إلى الخبر ووثوقه به، فكيف يكون السكون؟! وكيف تكون الثقة لخبر عن الله وعن الصادق رسول الله؟! هل ارتقت الأمة إلى درجة يقين الخبر؟! هل تصدق الأمة الآن بأخبار ربها ونبيها؟! والجواب بملء الفم وأعلى الصوت: لا، إلا من رحم ربك من أفراد الأمة، انظر إلى واقع الأمة لتعلم علم اليقين أن الأمة الآن –إلا من رحم ربك من أفراد، وأسأل الله أن نكون من هذه القلة الموقنة– تثق في بعض دول الأرض أكثر من ثقتها في رب السماء والأرض! ما

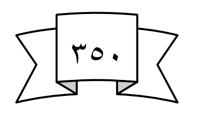
زالت الأمة إلى هذه اللحظة تعتقد أن حل قضيتها عند الشرق الملحد أو الغرب الكافر.

جربت الأمة الشرق فذلت، وجربت الأمة الغرب فهانت، وإلى هذه اللحظة ما جربت أن تلجأ إلى ملك الملوك، وأن تثق فيه وحده، وأن تمتنع به وحده، وأن تحتمي به وحده، وأن تلجأ إليه وحده، وهي على يقين مطلق بالثقة في أخباره سبحانه وفي أخبار رسوله صلى الله عليه وسلم! فيقين الخبر هو سكون القلب ووثوقه بالخبر، فكيف يكون اليقين؟! وكيف تكون الثقة إذا كان الخبر عن الله جل وعلا وعن رسوله صلى الله عليه وسلم؟! قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾ النساء: ١٢٢ ، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)﴾ النساء: ٨٧ ، وقال في حق حبيبه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ النجم: ١ - ٤.

وقال تعالى في حق حبيبه: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ الأنعام: ٣٣ ، هل تعلم أن هذه الآية نزلت في شأن الكفار؟! فلقد انفرد الأخنس بن شريق بـ أبي الحكم في الشام بعد غزوة بدر، وقال الأخنس لـ أبي جهل: يا أبا الحكم لا يسمعنا أحد، أسألك بالله أمحمد صادق أم كاذب؟ فقال أبو جهل: ويحك يا أخنس، والله إن محمداً لصادق، والله إن محمداً لصادق، فنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ الأنعام: ٣٣ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦)﴾ الصافات: ٣٥ - ٣٦ ، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

فيقين الخبر أن تثق في خبر الله، وفي خبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومن والاه.

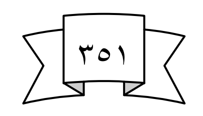
يقين الدلالة



أما يقين الدلائل: فمع أن الخبر من عند الله، ومع أن الخبر من عند الصادق رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، فإن الله تعالى يقيم الأدلة على صدق أخباره وصدق أخبار رسوله، انظر معي إلى يقين الدلالة، تجد أن الله جل وعلا هو الذي يخبر: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ النساء: ١٢٢ ، ورسول الله هو الذي يحدث، ومن أصدق من رسول الله في دنيا البشر، ومع ذلك يقيم الله الأدلة والبراهين على صدق خبره، وعلى صدق خبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

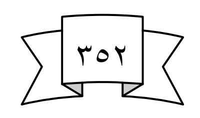
قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ النمل: ٦٠ ، انظروا إلى هذه الأدلة التي تراها العين، وتحسها الجوارح؛ لتخلص الآية الكريمة إلى هذا السؤال المنتقل من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ النمل: ٦١ - ٦٢ إلى آخر هذه الآيات الكريمة، فالله يقيم الأدلة والبراهين على أنه لا يستحق أن يوحد إلا الله، وعلى أنه لا يستحق أن يعبد في الكون إلا الله.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ الأنعام: ٧٥ - ٧٩.



لله في الآفاق آيات لعل أقلها هو ما إليه هداك ولعل ما في النفس من آياته عجب عجاب لو ترى عيناك الكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعياك قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك قل للمريض نجا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاك قل للصحيح يموت لا من علة من بالمنايا يا صحيح دهاك قل للبصير وكان يحذر حفرة فهو بها من ذا الذي أهواك بل سائل الأعمى خطى وسط الزحام بلا اصطدام من يقود خطاك وسل الجنين يعيش معزولاً بلا راع ومرعى ما الذي يرعاك وسل الوليد بكى وأجهش بالبكا لدى الولادة ما الذي أبكاك وإذا ترى الثعبان ينفث سمه فاسأله من ذا بالسموم حشاك واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا وهذا السم يملأ فاك وسل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً وقل للشهد من حلاك بل سائل اللبن المصفى كان بين دم وفرث ما الذي صفاك وإذا رأيت البدر يسري ناشراً أنواره فاسأله من أسراك وإذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله من يا نخل شق نواك وإذا رأيت النار شب لهيبها فاسأل لهيب النار من أوراك وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً قمم السحاب فسله من أرساك ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ .

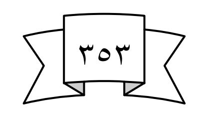
سل الواحة الخضراء والماء جارياً وهذي الصحاري والجبال الرواسيا سل الروض مزداناً سل الزهر والندى سل الليل والإصباح والطير شاديا سل هذه الأنسام والأرض والسما وسل كل شيء تسمع التوحيد لله ساريا ولو جن هذا الليل وامتد سرمداً فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ، وقال جل في علاه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ



تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٣٣ - ٤٠.

أيها المسلمون! ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ ، والأدلة كثيرة، هذا يقين الدلالة، فمع أن الذي يخبر هو الله إلا أنه يقيم الأدلة والبراهين على صدق خبره وعلى صدق خبر رسوله الذي ما عرفت البشرية أصدق منه، قال عبد الله بن عمرو والحديث في مسند أحمد بسند صحيح: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: إن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، قال عبد الله بن عمرو: فأمسكت عن الكتابة -أي: امتنعت عن الكتابة- وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الصادق: (اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق) ، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ الحشر: ٧.

ودائماً أضرب هذا المثال ولا أمل من تكراره وطرحه، ألا وهو حديث سيد الخلق في الصحيح: (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله، ثم ليطرحه أو لينزعه، فإنه يحمل -أي: الذباب- في أحد جناحيه الداء وفي الآخر الدواء) ، وقد قيل: إن هذا الحديث يصطدم مع العقل! وأنه لا يتفق مع حضارة العقل! ورد على رسول الله خبره وهو الصادق! وقد كان من الواجب عليك فقط أن تسأل: هل هذا الحديث صحيح؟ فإن تبين لك بالأدلة التي وضعها جهابذة علم الحديث أن الحديث ثابت عن الصادق، فكان من الواجب بعد ذلك أن تسلم به ولو لم يدرك عقلك معنى كلام رسول الله؛ لأنني أرى الآن ثورة وهجمة شرسة في كل وسائل الإعلام على ثوابت الدين، وصار الدين الآن ألعوبة، فكل واحد يتكلم في أي جانب من جوانب الشرع، في الوقت الذي يشاء وبالقدر الذي يشاء، ويمضي آمناً مطمئناً وكأنه لم يفعل شيئاً على الإطلاق! ولا يدري أن كثيراً من ضعاف العلم وضعاف الإيمان قد تشككوا واهتزت عقيدة التوحيد في قلوبهم.



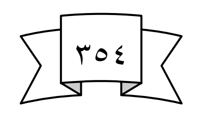
فخرج علينا عالم من جامعة هام بألمانيا يسمى بريفلز وقد وصل إلى هذا العالم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق وأجرى دراسة علمية، فوجد أن الذبابة تحمل نوعاً من أنواع الجراثيم على جناح من جناحيها، وهو الجناح الذي تسقط عليه، ووجد أن الذبابة تفرز نوعاً من أنواع الجراثيم التي تسبب أمراضاً خطيرة كحمى التيفود والدوسنتاريا وغير ذلك.

فلما أتم البحث العلمي وجد أن الذبابة في نفس الوقت تحمل على الجناح الآخر ومنطقة البطن نوعاً من أنواع الفطريات سماها هذا العالم أميوزموسكي، وهذا الفطر أيها الأفاضل! كفيل بقتل هذه الجراثيم التي تفرزها الذبابة من جناحها الأول، بل قال: إن جراماً واحداً من فطر أميوزموسكي، يحمي ألفين لتراً من اللبن من الجراثيم! ولكن العجب العجاب أنه وصل إلى أن الذبابة لا تفرز هذا الفطر المضاد للجراثيم إلا إذا غمست الذبابة كلها في السائل! وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم، أولما جاءنا الوحي من عند رسول الله كذبناه فلما جاءنا من ألمانيا صدقناه! هل هذا يرضي الله؟! لما جاءنا الوحي من عند سيدنا رسول الله كذبناه أو أنكرناه أو تشككنا فيه ورددناه، فلما جاء إثبات صدق رسول الله من ألمانيا قبلناه؟!

يقين المشاهدة

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الحشر: ٧ ، الله جل وعلا يخبر ويقدم الأدلة على صدق خبره وخبر رسوله؛ لينتقل بعد ذلك القلب من يقين الخبر ويقين الدلالة إلى يقين المشاهدة، هذا هو الذي تحتاج إليه الأمة الآن.

يقين المشاهدة هو: أن يتعايش المسلم مع كل أخبار الله وكل أخبار رسول الله وكأنه يشاهدها بعينه، فإذا أخبر الله جل وعلا بأن الجنة للمتقين، وبأن النار للغاوين وللمشركين، فينبغي للمسلم بعد ذلك أن يتعايش مع هذه الأخبار وكأنه يشاهدها مشاهدة العين، لذلك قال أحد الصالحين: لقد رأيت الجنة والنار، قالوا: كيف ذلك يا



رجل؟! قال: رأيت الجنة والنار بعين رسول الله، ورؤيتي لهما بعين رسول الله أصدق عندي من رؤيتي لهما بعيني؛ لأن بصري قد يزيغ وقد يطغى، أما بصر النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال فيه الرب العلي: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ النجم: ١٧ .

يقين المشاهدة: إذا أخبرنا ربنا تعاملنا مع الخبر وكأننا نشاهده.

شموس في سماء اليقين

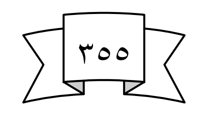
سيدنا نوح عليه السلام

لتتذوق معي حلاوة اليقين، وتتصور نوحاً وهو يصنع الفلك فوق الرمال! ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود: ٣٨ ، وكان ذلك بأمر من الله جل وعلا: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ هود: ٣٧ ، يصنع الفلك، ولكن أين الماء؟! ليس هذا من شأنك، كن على يقين في خبر الله.

ولما جد الجد تضرع إلى الله بهذا الدعاء: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ القمر: ١٠ ، اللهم إنا مغلوبون فانتصر.

ثم انظر إلى ثمرة اليقين: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ القمر: ١١ ، ولم يقل ربنا: ففتحنا من أبواب السماء، بل: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ القمر: ١١ - ١٢ ، ولم يقل ربنا: وفجرنا من الأرض عيوناً، بل: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ القمر: ١٢ ، أي: ماء السماء مع ماء الأرض، ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ القمر: ١٢ - ١٤.

سيدنا إبراهيم عليه السلام



وهذا نبي الله إبراهيم يلقى في النار، وينزل الله إليه جبريل وهو في النار ويقول له جبريل: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فيرد إبراهيم بقولة خالدة: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا هو الثابت الصحيح كما في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: (حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤ .

سيدنا موسى عليه السلام

وهذا نبي الله موسى، يرى فرعون وجنده وراءه والبحر أمامه، والمستضعفون من الموحدين الذين معه تزلزلت قلوبهم حينما رأوا البحر أمام أعينهم وفرعون بجنوده من خلفهم، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ الشعراء: ٦١ ، فقال موسى صاحب اليقين: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ الشعراء: ٦٢ .

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

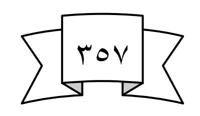
وهذا صاحب أعلى يقين عرفته الأرض، حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما ترك سبباً من الأسباب إلا وأخذ به يوم الهجرة، ومع ذلك تأصلت كل هذه الأسباب في لحظة، فالتف المشركون حول الغار بين غمضة عين وانتباهتها، وهنا يقول الصديق رضوان الله عليه صاحب أعلى ذروة سنام الصديقية في الأمة يقول للنبي: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وهنا يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الصديق والأمة من بعده درساً من أغلى دروس اليقين ويقول: (يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا) .

فليخرج أبو جهل، وليخرج المشركون عن بكرة أبيهم؛ ليقلبوا الحجارة، بل ولينقبوا بين حبات الرمال عن النبي وصاحبه، فورب الكعبة لن يصلوا إليهما أبداً، لماذا؟ لقول الحبيب: (إن الله معنا) .

بك أستجير ومن يجير سواكاً فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا إني ضعيف أستعين على قوي ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا أذنبت يا ربي وقادتني ذنو ب ما لها من غافر إلا كا دنياي غرتني وعفوك شدني ما حيلتي في هذه أو ذاكا لو أن قلبي شك لم يك مؤمناً بكريم عفوك ما غوى وعصاكا رباه هأنذا خلصت من الهوى واستقبل القلب الخلي هواك رباه هأنذا خلصت من الهوى رباه قلب تائب ناجاكا أترده وترد صادق توبتي حاشاك ترفض تائباً حاشاكا فليرض عني الناس أو فليسخطوا فلم أعد أسعى لغير رضاكا (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا) ؛ فمن كان الله معه لم يحزن؟! ومن كان الله معه فممن يخاف؟! ممن يخاف ومعه القوي الذي لا يقهر، ممن يخاف ومعه العزيز الذي لا يغلب، ممن يخاف ومعه القيوم الذي لا ينام، ممن يخاف ومعه الحي الذي لا يموت، ممن يخاف ومعه القوي الذي لا يقوى عليه شيء؟! ولا يقدر على إعلان الحرب عليه أي أحد، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١.

(لا تحـــزن إن الله معنـــا) : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ التوبة: ٤٠ ، اللهم أنزل علينا السكينة حتى تذوق قلوبنا حلاوة اليقين فيك، وبرد الثقة بك، ولذة التوكل عليك، برحمتك يا أرحم الراحمين!

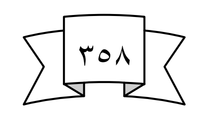
سحرة فرعون



قد يقول قائل: هداك الله أيها الشيخ! أنسيت أنك تتحدث عن صفوة الخلق من الأنبياء والرسل، وهؤلاء هم أولى الناس بتحقيق اليقين؟! تعال معي لندخل بستاناً من أحلى بساتين اليقين في دنيا البشر العاديين، بعيداً عن دنيا الأنبياء والمرسلين، نعم.

لقد رأينا في دنيا الناس يقيناً لا يخضع ولا يخنع ولا يتزعزع ولا يتضعضع، رأينا يقيناً قد حول أصحابه ونقلهم من حمأة الطين إلى أعلى عليين، رأينا يقيناً قد رفع أصحابه إلى أفق وضيء فوق كل خيال، إنه يقين سحرة فرعون! لقد حشر الناس جميعاً في يوم مضح مشرق، حشر الناس ضحى بالأوامر العالية من فرعون، وأقبل موسى وأخوه هارون في خوف ظاهر حينما جلس فرعون في أبهته، ونزل السحرة إلى ميدان النزال بعز واستعلاء، وأعلنوها: ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الشعراء: ٤٤ ، وتسرب الخوف إلى قلب موسى، وجاء الأمر من الله العلي الأعلى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ طه: ٦٨.

ويلقي السحرة عصيهم وحبالهم وهم يعلمون السحر، فخيل إلى الناس من سحرهم أنها تسعى، وهي في الحقيقة لا تسعى، فلما ألقى موسى عصاه وتحولت بالفعل إلى ثعبان ضخم، وابتلع كل هذه العصي والحبال خر سحرة فرعون سجداً للكبير المتعال! فلما رأى فرعون هذا المشهد الذي يهز الجبال قال قولته الخبيثة الغبية: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ طه: ٧١ ، وكأنه كان من الواجب عليهم أن يقتلعوا نبتة اليقين وهي تترعرع في قلوبهم! ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ طه: ٧١ ، وكان جوابهم كما قص الله قصتهم: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ طه: ٧٢ ، فانظر إلى هذا اليقين! إن حال القلب قبل أن تشرق عليه أنوار اليقين كالحجرة المظلمة الدامسة، فإذا دخلت هذه الحجرة وتحسست في الظلام الدامس مفتاح النور،



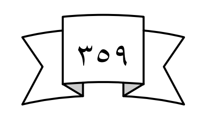
وضغطت عليه بأصبع من أصابعك ضغطة رقيقة خفيفة حول نور المصباح الظلام الدامس إلى نور مشرق، كذلك حال القلب إذا لامسته أنوار الهداية من الله جل جلاله، تحول أنوار الهداية واليقين ظلام القلب إلى نور مشرق.

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه

وهؤلاء هم أصحاب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، جددوا اليقين أيضاً في دنيا الناس.

ومن الجفاء ورب الكعبة ألا أبدأ بـ الصديق أبي بكر صاحب أعلى يقين في الأمة بعد نبينا، كان شعاره دائماً هو اليقين: (أوما سمعت يا أبا بكر؟! يزعم صاحبك أنه أسري به من مكة إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلى وعاد إلى بيته في نفس الليلة؟!) فيرد صحاب اليقين الثابت ويقول: (أوقد قال ذلك؟! فقالوا: نعم.

قال: إن كان قال ذلك فقد صدق!) يقين مطلق!! ويوم مات المصطفى صاح عمر الفاروق الملهم: والله لأعلون بسيفي هذا من زعم أن رسول الله قد مات، فرسول الله ما مات، بل ذهب للقاء ربه كما ذهب موسى بن عمران، وليرجعن فليقطعن أرجل وأيدي المنافقين الذين يزعمون أنه قد مات، تصور أن هذا الكلام من عمر! وعثمان، وعلي، وجمع من الصحابة طاشت عقولهم، ولم تحملهم أقدامهم! وجاء الصديق بيقين ثابت فدخل غرفة عائشة وتيقن أن الخبر قد وقع، وأن حبيبه قد مات، فكشف الغطاء عن وجهه، وقبل الحبيب بين عينيه، وقال -كما في رواية حسنها الألباني في مختصر الشمائل- منادياً على حبيبه: وآخليلاه وآحبيباه وآنبياه! أما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها فلا ألم عليك بعد اليوم، وخرج الصديق فقال: على رسلك يا عمر! فالتف الناس حول أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ

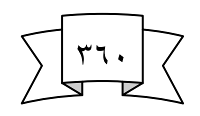


عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمـــران: ١٤٤ لله دره، صـاحب أعلـى ذروة سـنام الصـديقية فـي هـذه الأمـة، إنـه أبـو بكـر رضـي الله عنـه وأرضاه.

أيها المسلمون! هل رأيتم يقيناً كيقين رجل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بالصدقة، فيأتي عمر بنصف ماله! ويأتي الصديق بكل ماله! لا يقدر عليها إلا أبو بكر، فيقول النبي لـ عمر: (ما أبقيت لأهلك؟ فيقول: أبقيت لهم مثله، ويقول النبي للصديق: ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ فيقول له: أبقيت لهم الله ورسوله!) .

سيدنا خبيب بن عدي رضي الله عنه

وهذا خبيب بن عدي يصلب على خشبة في مكة، ويلتف المشركون من حوله ويشرعون السهام والرماح؛ لتنقض على هذا الجسد فتمزقه بجنون ووحشية؛ ويقترب أبو سفيان من خبيب بن عدي -وحديثه في صحيح البخاري في كتاب المغازي- ويقول أبو سفيان: يا خبيب! أيسرك أن يكون محمد في موطنك الذي أنت فيه الآن، وأنت في أهلك معافى؟! قال: والله ما يسرني أن يكون رسول الله في موطنه الذي هو فيه الآن تصيبه شوكة تؤذيه وأنا في أهلي معافى! فقال أبو سفيان قولته الخالدة: والله ما رأيت أحداً يحب أحداً كما رأيت أصحاب محمد يحبون محمداً! فطلب خبيب من أبي سفيان أن يصلي لله ركعتين، فأذن له في ذلك، فصلى ركعتين خفيفتين والتفت إلى المشركين وقال: والله لولا أني أخشى أن تقولوا: إنني جزع من الموت لأطلت الصلاة، ثم تضرع إلى الله وقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، وأنشد أبياته الخالدة الجميلة ومنها قوله: إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي ذل مصرعي ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي وما بي خوف الموت إني لميت وإن إلى ربي إيابي ومرجعي اللهم ارزقنا اليقين، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.



الخطبة الثانية : الخوف من الله

أما بعد:عباد الله ، إننا نعيش عصراً طغت فيه الماديات والشهوات، وانحرف فيه كثير من الناس عن منهج رب الأرض والسماوات، وقست فيه القلوب، وتراكمت فيه الذنوب على الذنوب، وقل فيه الخوف من علام الغيوب، فأردت أن أذكر نفسي وإخواني في هذا اليوم الطيب المبارك بكلمات تجمع بين الخوف والرجاء، عسى أن تدمع العيون، وتخشع القلوب، فتعود النفوس إلى الله جل وعلا.

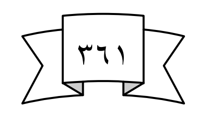
الخوف والرجاء جناحان يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان كريمتان يقطع بهما السالكون إلى طريق الآخرة كل عقبة كئود، فلا يقود إلى قرب الرحمن، وروض الجنان، والنجاة من النيران، إلا أجنحة الخوف والرجاء.

ثمرات الخوف من الله

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: من خاف الله دله الخوف على كل خير، وكل قلب ليس فيه خوف الله، فهو قلب خراب.

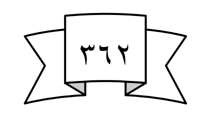
وقال الحسن البصري حينما قيل له: يا أبا سعيد! إننا نجالس أقواماً يخوفوننا من الله جل وعلا، حتى تكاد قلوبنا أن تطير من شدة الخوف، فقال الحسن رحمه الله: والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك في الدنيا حتى يدركك الأمن في الآخرة، خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك في الدنيا حتى يدركك الخوف في الآخرة.

نعم إخوتي الكرام! ففي الحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في شعبه، وابن حبان في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى في الحديث القدسي: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين) ، تدبر هذا الكلام أيها الحبيب! يقول ربك عز وجل في الحديث القدسي: (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، فإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة) .



والخوف الحقيقي هو الذي يحول بين العبد وبين معصية الله، ويدفع العبد دفعاً إلى طاعة سيده ومولاه، فليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ثم ينطلق ليرتكب المعاصي والذنوب، ولكن الخائف من يترك ما يخاف أن يعاقبه الله عليه، لذا فقد جعل الله الخوف منه سبحانه ثمرة حتمية لازمة للإيمان به جل وعلا، فقال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٥ ، فالخوف من الله ثمرة حتمية للإيمان، بل وبين ربنا جل وعلا أنه لن يتأثر بالموعظة إلا من يخشاه، قال سبحانه: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ الأعلى: ١٠ ، بل وبين ربنا جل وعلا أنه لن يعتبر بمصارع الظالمين، ولن يتأثر بأخذ الله للمجرمين إلا من خاف عذاب الآخرة، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ هود: ١٠٣ - ١٠٨ أي: غير منقطع ولا منته.

إن أهل الخوف من الله جل وعلا هم أهل الجنان، وهم أهل القرب من الرحيم الرحمن، لذا فإن الله تعالى قد جمع لأهل الخوف والخشية أعلى مقامات أهل الجنان من الرحمة والعلم والهدى والمغفرة والرضوان، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٤ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ ﴾ فاطر: ٢٨ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الملك: ١٢ ، وقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣١ - ٣٥.



وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان رجل يسرف على نفسه ممن كان قبلكم -أي: يسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب- فلما حضرته الوفاة قال لأولاده: يا أولادي! إذا مت فحرقوني، حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني، فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني -وفي لفظ في الصحيح: فاذروا نصفي في البر ونصفي في البحر- ثم قال: فلأن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر الله البر فجمع ما فيه، ثم قال لهذا العبد: (كن) فكان، فإذا هو رجل قائم بين يديه، فقال الله له: ما حملك على أن صنعت ما صنعت؟ فقال العبد: مخافتك يا رب! أو خشيتك يا رب! فغفر الله له بذلك) .

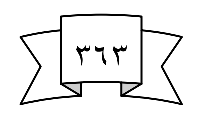
إنه الخوف، وإنها ثمرة الخشية من الله، وهذه هي مكانة الخائفين عند الله جل وعلا.

أنواع الخوف ودرجاته ومراتبه

والخوف درجات وأنواع، منه: الخوف من مكر الله عز وجل

الخوف من مكر الله: قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الأعراف: ٩٩ ، لا تأمن مكر الله أخي في الله! فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، كما في صحيح مسلم، من حديث عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) .

فالقلوب تتقلب، فأنت الآن على حال وبعد لحظات ربما يتحول قلبك إلى حال آخر، فلا تأمن على الإطلاق كيف يكون حال قلبك وأنت على فراش الموت، يقول



الله: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) ﴾ الأعراف: ٩٩ ، فالخوف من مكر الله مزق قلوب الصادقين، وقطع قلوب المؤمنين العارفين العالمين.

ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .

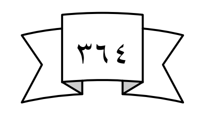
وفي رواية سهل بن سعد الساعدي في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) ، وفي لفظ البخاري: (فإنما الأعمال بالخواتيم) .

إخوتي الكرام! إن العبرة بالخواتيم، والخواتيم ميراث السوابق، بمعنى: أن الخواتيم نتيجة عادلة لما سبق في حياتك من أعمال الخير أو الشر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

إن عشت على الطاعة فيقتضي عدل الله جل وعلا أن تموت على طاعة، وأن تبعث على ذات الطاعة، وإن عشت على المعاصي فيقتضي عدل الله إن لم تتب إليه منها وتعترف له بفقرك وجرمك أن تموت على ذات المعصية، وأن تبعث يوم القيامة على ذات المعصية، فالعبرة بالخواتيم، والخواتيم ميراث السوابق.

فهذا مؤذن يؤذن لله أربعين سنة لا يبتغي الأجر إلا من الله، وقبل الموت مرض مرضاً أقعده في الفراش، وعجز أن يخرج إلى بيت الله ليرفع الأذان، وقبل الموت بساعات بكى وقال: يا رب! أؤذن أربعين سنة لا أبتغي الأجر إلا منك



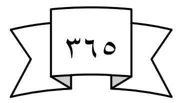
وحدك، وأحرم من هذه النعمة قبل الموت!! اللهم يسر لي الأذان، فلما سمع الأذان خارج بيته قال لأولاده: يا أولادي! وضئوني فوضئوه، قال: أريد أن أصدع بالأذان وأن أخرج إلى المسجد، فلما أراد أن يخرج عجز عن الخروج إلى بيت الله جل وعلا فقال: أوقفوني فأوقفوه على فراشه، واتجه إلى القبلة ورفع صوته بالأذان إلى أن وصل إلى آخر كلمات الأذان، فقال: (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله) ، وخر على فراشه ساقطاً، فأسرع إليه أولاده فإذا روحه قد خرجت مع قوله: (لا إله إلا الله) .

لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

وهؤلاء مجموعة من الشباب في السعودية اصطادوا ثلاث فتيات، وخرجوا بهن إلى مكان بعيد عن أعين الناس، ولكن الله جل وعلا يسمع ويرى، فقال أحدهم: نريد الطعام والشراب لنقضي ليلة حمراء ممتعة، فقال أحدهم: أنا آتيكم بالطعام والشراب بعد لحظات، وخرج وانصرف وعليه جنابة الزنا والعياذ بالله! ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي الطريق انقلبت به سيارته، ولما تأخر عن رفقائه قال أحدهم للآخر: لماذا تأخر فلان؟ أنا أذهب لأنظر ماذا صنع؟ وعلى الطريق رأى سيارة تحترق وتشتعل فيها النيران، فلما دنا منها عرف أنها سيارة صديقه، فوجد صديقه في السيارة يعجز عن الخروج منها، والنار تأكله وهو يقول: ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟ فاقترب منه وسحبه والنار تشتعل فيه وقال له: من هذا الذي تتكلم عنه؟ فقال له: ماذا أقول لربي؟ ماذا أقول لربي غداً؟ فأنت سل نفسك أيها المسلم! وقل: ماذا سأقول لربي غداً؟ إن أتاك اليوم ملك الموت هل أنت راض عما أنت فيه من طاعة؟! عباد الله! إن أقرب غائب ننتظره جميعاً هو الموت، والموت لا يترك غنياً ولا فقيراً، ولا يترك شيخاً ولا صغيراً، ولا يترك رجلاً ولا امرأة.

دع عنك ما قد فات في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب

لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاه تلعب



والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب الليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيها تعد وتحسب ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ٩٩ ، وكلما ازددت معرفة بالله كلما ازددت خوفاً من الله وخشية له، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية) .

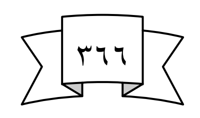
الخوف من عذاب الله في الآخرة

أيها الأحباب! ثم يأتي بعد ذلك: الخوف من عذاب الله في الآخرة، ومن منا يقوى على نار الدنيا؟ والله لا يقوى واحد منا على نار قليلة من نار الدنيا.

عباد الله! هل تعلمون أن هذه النار التي إذا اشتعلت في بئر من آبار بترول، أو دمرت مصنعاً من المصانع، أو أحرقت مزرعة من المزارع، أو أبادت مدينة من المدن، ما هذه النار إلا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم؟! (ناركم هذه التي توقدون هي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله! والله إن كانت لكافية، قال: ولكنها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها) .

ففي الصحيحين من حديث النعمان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهون أهل النار عذاباً لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان من نار، فيغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهون أهل النار عذاباً) .

الخوف من عذاب الله في الآخرة مزق قلوب الصادقين العارفين، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (تحاجت الجنة والنار فقالت النار: يا رب! أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: يا رب! مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، فقال الله عز وجل للنار: يا نار! أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، وقال للجنة: يا جنة! أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي) .



فهيا أيها الأحبة الكرام! هيا إلى الجنة، هيا إلى العمل من أجل الفوز بالجنة، فإن الجنة –ورب الكعبة– فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أيها الأحباب! وبعدما رهبت هأنذا أرغب، وبعدما خوفت هأنذا أذكر بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تفتح لمثلي أبواب الرجاء في التوبة والأوبة إلى رب الأرض والسماء، وأرجئ الحديث عن الرجاء إلى ما بعد جلسة الاستراحة، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

نماذج وصور من حياة الخائفين

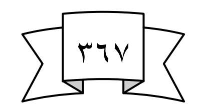
روى الإمام أحمد في مسنده بسند حسن، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني أرى مالا ترون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته، ساجد لله عز وجل، ثم قال: والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الطرقات تجأرون إلى الله جل وعلا) .

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة ما سمعت مثلها قط، وكان مما قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

يقول أنس: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين) .

أي: لهم بكاء بصوت خافت.

ومن أعجب ما قرأت في هذا: ما رواه البخاري وأحمد وغيرهما: لما مات عثمان بن مظعون وهو من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين، وممن شهد بدراً، وأول من لقب بالسلف الصالح، وأول من دفن بالبقيع.

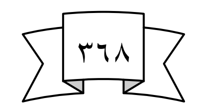


لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقبله بين عينيه، وبكى رسول الله حتى سالت دموعه على خد عثمان بن مظعون.

ولما مات قالت امرأة من الأنصار يقال لها: أم العلاء قالت: رحمة الله عليك أبا السائب رحمة الله على عثمان بن مظعون، رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي لك أن الله قد أكرمك، فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: وما يدريك أن الله قد أكرمه؟! قالت: والله لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فمن؟ أي: فمن هذا الذي سيكرمه الله إن لم يكرم عثمان بن مظعون؟! (بأبي أنت وأمي يا رسول الله والله لا أدري فمن؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما هو فقد جاءه اليقين وإني والله لأرجو له الخير، ثم قال المصطفى: والله لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي) .

ولم لا يخاف خاتم الأنبياء وقد خاف من قبله الملائكة من رب الأرض والسماء؟ قال الله عز وجل: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ الرعد: ١٣ ، ولم لا يخاف بعد الملائكة وبعد الأنبياء المؤمنون الصالحون العارفون العالمون برب العالمين؟! هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينام على فراش الموت فيدخل عليه ابن عباس، والحديث في صحيح البخاري، فيقول ابن عباس: (أبشر ببشرى الله لك يا أمير المؤمنين! لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته، ثم توفي رسول الله وهو عنك راض، ثم صحبت خليفة رسول الله فأحسنت صحبته، ثم توفي أبو بكر وهو عنك راض، ثم صحبت أصحاب رسول الله فأحسنت صحبتهم، ولئن مت اليوم فوالله إنهم عنك لراضون، فقال عمر: ذلك منٌّ منَّ الله به عليّ، ثم قال –وتدبر ما قاله عمر –: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به اليوم من عذاب الله قبل أن أراه) .

انظروا يا إخوة! لتقفوا على حال قسوة قلوبنا، إننا نسمع كلاماً –ورب الكعبة– يذيب الصخور، ويفتت الرمال، ولكنك تنظر إلى كثير من القلوب وكأن أصحابها ما



سمعوا شيئاً عن علام الغيوب، وعن الحبيب صلى الله عليه وسلم لماذا؟ لأن قلوبنا مريضة إلا من رحم ربك جل وعلا، لم تعد الموعظة تؤثر، ولم يعد القرآن يهز القلب، ولم يعد كلام النبي عليه الصلاة والسلام يحرك الوجدان، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن القلوب في صدورنا إما مريضة وإما ميتة.

قال ابن مسعود: (اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: في مجالس العلم، وعند سماع القرآن، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب؛ فإنه لا قلب لك) .

اللهم اشف قلوبنا وأحيها يا رب العالمين! أيها الأحبة! لقد قست القلوب وتراكمت الذنوب على الذنوب، وبَعُدَ القوم من علام الغيوب، وتجرأنا على الله وتجاوزنا شرع رسول الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا عمر بن عبد العزيز تدخل عليه امرأته فاطمة بنت عبد الملك فتراه قابضاً على لحيته يبكي، فتقول له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! فيقول لها: يا فاطمة! لقد وليت من أمر هذه الأمة وفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، واليتيم المكسور، والمضروب المقهور، والأرملة، والمسكين، وفي ذي العيال الكثير، وفي غيرهم وأشباههم في أقطار البلاد وأطراف الأرض، وعلمت أن خصمي دونهم هو محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا تثبت لي حجة بين يدي الله جل وعلا.

وهذا سفيان الثوري ينام على فراش الموت فيدخل عليه حماد بن سلمة فيقول له حماد: أبشر يا أبا عبد الله! إنك مقبل على من كنت ترجوه وهو أرحم الراحمين، فقال له سفيان: أسألك بالله يا حماد! أتظن أن مثلي ينجو من النار؟! وهذا الشافعي لما نام على فراش الموت دخل عليه المزني فقال له المزني: كيف أصبحت يا إمام؟! فقال الشافعي: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولعملي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري أتصير روحي إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشد الشافعي قائلاً: ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا

مني لعفوك سلما تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما وكان مالك بن دينار يقوم الليل يبكي للعزيز الغفار، وهو قابض على لحيته ويقول: يا رب! يا رب! لقد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك بن دينار؟!

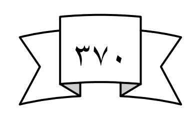
اما آن لك ان ترجع

كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وإن الله عز وجل فتح أبواب الرجاء لكل مذنب مقصر عاص ليرجع إليه؛ وليعترف بذنبه وجرمه، وهذا هو الفهم الصحيح لأحاديث الرجاء، فالرجاء مع العمل، والرجاء مع الخوف لا ينفصمان ولا ينقطعان أبداً، فالمؤمن يخشى الله ويمتثل الأمر ويجتنب النهي، ويقف عند الحد، لكنه بشر فليس ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فربما يضعف فتزل قدمه في بؤرة المعصية، وحينئذ إن جذبت أشواك الذنوب ثيابه يقال له: اجذب ثيابك واغسلها بدموع التوبة، واعلم إن عدت إلى الله بأن الله يفتح لك أبواب الرجاء على مصراعيها.

هذا هو الفهم الدقيق لأحاديث وآيات الرجاء.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

فالمؤمن الذي يحسن الظن بالله يعمل، إن أمره الله ورسوله ائتمر، وإن نهاه الله ورسوله انتهى، وإن حد له الله ورسوله حداً وقف عند حدود الله ورسوله، ثم بعد ذلك إن وقع في معصية وضعف وزلت قدمه يذكر بأحاديث الرجاء بعد آيات الرجاء، فيجد الباب مفتوحاً، وإلا فأين يذهب الفقير إلا إلى الغني؟ وأين يذهب العاصي إلا إلى الغفور؟ وأين يذهب الضعيف إلا إلى القوي؟ عبد الله! اعترف بذنبك وتقصيرك وجرمك، وعد إلى الله جل وعلا وأنت على يقين مطلق بأن الله تبارك وتعالى سيفرح



بتوبتك وهو الغني عنك، ويفتح لك أبواب التوبة وأبواب الرجاء على مصراعيها، ولا تسوف فإن الموت يأتي بغتة.

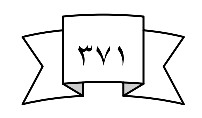
يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل فتأهبي يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويل فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل وليركبن عليك فيه من الثرى حمل ثقيل قرن الفناء بنا جميعاً فما يبقى العزيز ولا الذليل فلا تسوف وُعد إلى الله وتدبر هذا النداء الندي الرخي: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣.

وتدبر قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون، فيغفر الله لهم) .

وتدبر قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا -نزولاً يليق بكماله وجلاله- ثم يقول ربنا: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلايزال كذلك حتى يضيء الفجر) .

بل وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) .

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي واللفظ له من حديث أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى في الحديث القدسي: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) .



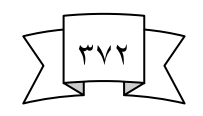
وأختم بهذا الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة في السبي تبحث عن ولدها، فلما وجدته ألزقته ببطنها فأرضعته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أترون هذه الأم طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله! فقال عليه الصلاة والسلام: لله أرحم بعباده من رحمة هذه الأم بولدها) ، لذا قال أحد أهل العلم: اللهم إنك تعلم أن أمي هي أرحم الناس بي، وأنا أعلم أنك أرحم بي من أمي، وأمي لا ترضى لي الهلاك والعذاب، أفترضاه لي أنت وأنت أرحم الراحمين!! فيا أيها اللاهي! ويا أيها الساهي! يا من ضيعت الصلاة! يا من أكلت الربا! يا من شربت الخمر! يا من عاقرت الزنا! هيا لا تقنط ولا تيئس، وعُدْ إلى الله مهما كان ذنبك، ومهما كانت كبيرتك، عد إلى الله جل وعلا، واعلم بأن الله سيفرح بتوبتك وهو الغني عنك، الذي لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

شروط التوبة

عباد الله! اعلموا أن للتوبة شروطاً وأركاناً: أولها: الإقلاع عن المعاصي والذنوب.

ثانيها: الندم، فالندم هو ركن التوبة الأعظم.

ثالثها: الإكثار من العمل الصالح، والمداومة عليه، وأن نلزم طريق الجنة حتى نلقى الله جل وعلا.



الخطبة الثالثة : معجزة الإسراء والمعراج

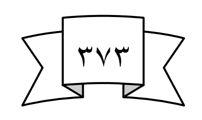
أما بعد:عباد الله ، تعد معجزة الإسراء والمعراج آية من آيات الله تعالى التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ورحلة لم يسبق لبشر أن قام بها، أكرم الله بها نبيَّه محمد صلى الله عليه وسلم.

إنها رحلة الإسراء والمعراج التي أرى اللهُ فيها النبيَّ صلى الله عليه وسلم عجائب آياته الكبرى، ومنحه فيها عطاءً رُوحيًّا عظيمًا؛ وذلك تثبيتًا لفؤاده، ليتمكَّن من إتمام مسيرته في دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولتكون تمحيصًا من الله للمؤمنين، وتمييزًا للصادقين منهم، فيكونوا خَلِيقين بصحبة رسوله الأعظم إلى دار الهجرة، وجديرين بما يحتمله من أعباء وتكاليف.

أمَّا الإسراء فهي تلك الرحلة الأرضيَّة وذلك الانتقال العجيب، بالقياس إلى مألوف البشر، الذي تمَّ بقُدْرَة الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والوصول إليه في سرعة تتجاوز الخيال، يقول تعالى :﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾الإسراء: ١ .

وأمَّا المعراج فهو الرحلة السماويَّة والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم الرجوع بعد ذلك إلى المسجد الحرام، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم: ١٣ - ١٨.

وقت الإسراء



هناك اختلافٌ بيِّن في زمن الإسراء والمعراج، فقيل: قبل الهجرة بسنة. وهو قول ابن سعد (الطبقات ١/٢١٤)، وغيره، وبه جزم النووي (شرح صحيح مسلم ٢/٢٠٩).

كما ورد عند ابن سعد أنه كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، وحكى ابن عبد البر أنه كان في رجب، وجزم به النووي. وحكى ابن الأثير أنه كان قبل الهجرة بثلاث سنين (الكامل ٢/٣٣)، وقيل غير ذلك.

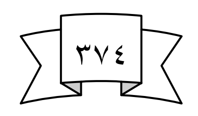
لماذا الإسراء والمعراج ؟

رجح أكثر علماء السيرة النبوية أن حدوث الإسراء والمعراج كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة واحدة ، أي بعد مرور اثني عشر عامًا من البَعثة، وهي سنوات ذاق خلالها النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ألوانًا وأصنافًا من الاضطهاد والعذاب، شمل الجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي.

وكان من ذلك أنَّ قريشًا سعت إلى تفعيل سياسة الحصار الاقتصادي لبني عبد مناف، والتجويع الجماعي لهم، كُفَّارًا ومسلمين، واتفقوا على ألاَّ يُنَاكحوهم، ولا يُزَوِّجوهم ولا يتزوَّجوا منهم، ولا يُبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يَدخلوا بيوتهم، ولا يكلِّموهم، وأن لا يَقْبَلوا من بني هاشم وبني المطَّلب صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسْلِموا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم للقتل!!

وهنا بدأت حِقبة جديدة من المعاناة والألم، حيث حُوصِر المسلمون والمشركون من بني عبد مناف ومعهم أبو طالب في "شِعْبِ أبي طالب"، وقد بلغ الجهد بهم حتى إنه كانت تُسمَع أصوات النساء والصبيان وهم يصرخون من شدَّة الألم والجوع، وحتى اضطرُّوا إلى أكل أوراق الشجر والجلود.

وقد ظلَّت تلك المأساة البشريَّة طيلة ثلاثة أعوام كاملة، حتى جاء شهر المحرم من السنة العاشرة من البعثة، وشاء الله عز وجل أن يُفَكَّ الحصار البشع عن بني



هاشم وبني عبد المطَّلب، وكان ذلك على يد ثُلَّة من مشركي قريش جمعتهم النخوة والحميَّة القبليَّة، ثم بفضل آية قاهرة من آيات الله عز وجل ، تمثَّلت في الأَرَضَة التي أكلتْ جميع ما في الصحيفة التي اتَّفقوا عليها، من جَوْر وقطيعة وظلم، إلاَّ ذِكْرَ اللَّه عز وجل!!

وما إن انتهت هذه السنون العجاف حتى تلاها عام الحزن، حدث مصيبتان كبيرتان في هذا العام (العاشرة من البعثة)، أمَّا الأولى فهي موت أبي طالب، عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسند الاجتماعي له، وأمَّا الثانية فهي وفاة خديجة رضي الله عنها، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم والسند العاطفي والقلبي له!!

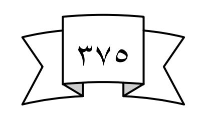
وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيَّام معدودة، فازدادت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزاد عليه ما كان مِن تجرُّؤ المشركين عليه؛ حيث كاشفوه بالنكال والأذى بعد موت عمِّه أبي طالب.

رسول الله يتجه إلى الطائف

فكَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم- وللمرة الأولى منذ البعثة- أن يخرج بدعوته خارج مكة، يذهب إلى بلد آخر يدعوهم إلى الإسلام يطلب نصرتهم ومساندتهم. قبل ذلك لم يكن يخرج من مكة؛ لأن أبواب الدعوة كانت مفتوحة فيها ولو بمشقة ولو بصعوبة، وهذا أمر في غاية الأهمية؛ فالداعية لا يترك مكانه إلا إذا استحالت عليه الدعوة فيه، أما غير ذلك فمكانه الأساسي مع من يعيش معهم من الناس.

لماذا اختار رسول الله الطائف؟

لم يكن اختيار الطائف اختيارًا عشوائيًّا، بل كان اختيارًا مدروسًا؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان سياسيًّا بارعًا وقائدًا محنكًا، يدرس كل خطوة بدقة شديدة، فالطائف تتميز عن غيرها من مدن الجزيرة بعدة صفات:



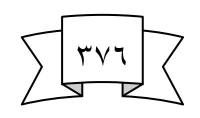
أولاً :تعتبر الطائف هي المدينة الثانية في الجزيرة العربية بعد مكة، ومركزًا حيويًّا مهمًّا من مراكز الكثافة السكانية والتجارة، ولها مكانة في قلوب العرب، حتى إن المشركين كانوا يقولون: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف: ٣١ .

والقريتان هما مكة والطائف.

ثانيًا :يسكن في الطائف قبيلة ثقيف، وهي من أقوى القبائل العربية ولو آمنت لكانت سندًا عظيمًا للدعوة بقوة جيشها وكثرة عددها، خاصة وأن الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت أن قريشًا ستظل تحارب الإسلام في المستقبل، وقد بلغ من قوة ثقيف أنها القبيلة الوحيدة التي استعصى على المسلمين دخول بلدها عنوة حتى جاء أهلها –بعد ذلك– مسلمين طوعًا.

ثالثًا :المنافسة الدينية بين مكة والطائف كبيرة، فمكة وإن كان بها البيت الحرام وبها أيضًا الصنم الذي كان يقدسه كثير من العرب وهو هُبُل، فإن الطائف كان بها صنم آخر من أهم أصنام العرب وهو اللات، وكثيرًا ما كان يقسم به العرب على اختلاف قبائلهم. أما صنم العزى فكان في وادي نخلة على مقربة أيضًا من الطائف، فلو ذهب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته، فلعلهم يدخلون فيها طمعًا في سحب البساط من تحت أقدام أهل مكة.

رابعًا :الطائف قريبة نسبيًّا من مكة، المسافة حوالي مائة كيلو متر، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد أن يبعد كثيرًا عن مركزه الأول والذي تعيش فيه طائفة كبيرة نسبيًّا من المؤمنين، التعاون والتنسيق بين المركزين سيكون أسهل لو كانت المسافة قريبة، وبالذات في هذا الزمن الذي كانت فيه المواصلات شاقة.



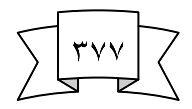
خامسًا : كان لأغنياء قريش أملاك في الطائف، وخاصة بني هاشم وبني عبد شمس وكذلك بني مخزوم، فلو دخلت الطائف في الإسلام لكان ذلك ضربة اقتصادية موجعة لقريش.

إذن في الحسابات البشرية كانت الطائف مكانًا مناسبًا للدعوة، ومن ثَمَّ عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم العزم على الذهاب إلى هناك، وكان ذلك في شوال من السنة العاشرة من البعثة، في نفس الشهر الذي مات فيه أبو طالب، أو في الشهر التالي حسب اختلاف الروايات، لا سكون، لا راحة.

الحذر الأمني في رحلة الطائف

المسافة بين مكة والطائف كما ذكرنا مائة كيلو متر تقريبًا، والسفر في شوال سنة ١٠ من النبوة، وهو يوافق أواخر شهر مايو وأوائل شهر يونيو سنة ٦١٩ ميلادية، يعني كانت درجة الحرارة آخذة في الارتفاع، وخاصة في هذه المنطقة الصحراوية المشهورة بشدة الحر، ومع ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرر أن يقطع هذه المسافة ماشيًا على قدميه. ولماذا يمشي على قدميه هذه المسافة الطويلة جدًّا؟ إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعجزه أن يوفر دابة ينطلق بها إلى هناك، ولكنه لم يرد لفت الأنظار إليه، فمن حنكته الأمنية أنه فعل ذلك، ولو رآه أحد المشركين يركب دابة لشك في سفره إلى مكان ما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوع من السفر، لئلا يقوم بنَشْرَ الدعوة خارج مكة، ومن ثَمَّ آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع المائة كيلو متر سيرًا على الأقدام.

ولذات السبب؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذ معه كوكبة من الصحابة لحمايته ولم يأخذ فارسًا من الصحابة ليكون له سندًا، لم يأخذ حمزة بن عبد المطلب أو عمر بن الخطاب أو الزبير بن العوام أو سعد بن أبي وقاص، وكذلك لم يأخذ صديقه الأول أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، كل هذا لكي لا يلفت الأنظار إليه إذا رآه أحد المشركين، ولكنه أخذ معه غلامه زيد بن حارثة، وكان قد أعتقه



وتبنّاه وأطلق عليه زيد بن محمد، فرؤية زيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستغربة، وفي الوقت نفسه فزيد يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا شديدًا، ويستطيع خدمته وحمايته والتضحية من أجله، وقد ظهر ذلك بوضوح بعد زيارة الطائف وما حدث فيها. وزيد بن حارثة لم يكن صغيرًا في هذه الرحلة، كان يبلغ من العمر أربعين عامًا تقريبًا، وقد ظن بعض القارئين للسيرة أنه كان صغيرًا لأنه يطلق عليه غلام، ولكن غلام بمعنى خادم وليس بمعنى غلام صغير.

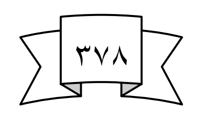
إذن أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحتياطات الأمنية، وتسلل إلى خارج مكة على حين غفلة من أهلها، وانطلق إلى الطائف، مائة كيلو متر سيرًا على الأقدام في الصحراء، وفي شهر مايو أو يونيو. هذا هو الطريق، طريق الدعوة ليس سهلاً ولا ممهدًا، ولكنه في الوقت نفسه فإن أجر الدعوة يساوي هذا المجهود بل يزيد : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت: ٣٣.

كان من الممكن أن يطير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بمعجزة، ولكنها التربية، رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا طبيعة الطريق، يضع أقدامنا على سبيل الرشد، يبصرنا بسنن الله عز وجل في التغيير، ليست هناك مصادفات ولا مفاجآت، الذي يفقه سنن الله في أرضه وفي خلقه يرى المستقبل بعين اليقين، كيف لا؟ وقد وضع أقدامه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الرسول في الطائف

ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ووقف على أعتابها يفكر، إلى من يذهب هناك؟ ومن يدعو؟

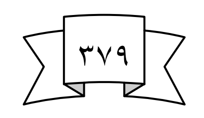
الأمر الآن ليس دعوة فقط، بل دعوة وطلب للنصرة، فالموقف مع قريش أصبح حرجًا للغاية، ولأنه سيطلب النصرة فلا بد أن يذهب إلى سادة ذلك المكان، فإن



الضعفاء لن يجيروه من قريش، وهي موازنات مهمة يعقدها الداعية الناجح، ليس هذا تقليلاً من دور الضعفاء، ولكن هذه مهمة سياسية واضحة جدًّا وخطيرة للغاية، ولا بد أن يدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من يتحدث. ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس من الطائف وليست له إجارة هناك، وبدون دخول المدينة من بابها الرئيسي فلن يتمكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من دعوة كبير ولا صغير ولا عزيز ولا ذليل.

ولذلك فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يذهب إلى قيادة الطائف مباشرة، ولكن قيادة الطائف قيادة مزدوجة ليست لقبيلة واحدة بل لقبيلتين، قبيلة بني مالك وهي القبيلة الأصلية في الطائف والمتمركزة فيها منذ زمن، ولكنها منذ قديم شعرت بالضعف في مواجهة القبائل الضخمة المحيطة بالطائف مثل قريش وهوازن وبني عامر وغيرها، وعلمت أن أطماع الناس في الطائف كبيرة لخصوبة أرضها، فقررت أن تحالف قبيلة أخرى وتسكن معها في الطائف ويتقاسما قيادة الطائف، فتحالفت مع قبيلة أخرى هي قبيلة بني عمرو بن عمير؛ ولذا فقيادة الطائف بين قبيلتي بني مالك وبني عمرو. ثم إن الأيام مرت وثبت أن القبيلتين ضعيفتان نسبيًّا، فقررتا أن يتحالفا تحالفًا سياسيًّا مع بعض القبائل المحيطة بالطائف، فتحالفت قبيلة بني مالك مع قبيلة هوازن، وتحالفت قبيلة بني عمرو مع قريش، هذا التحالف لم يكن قائمًا على الحب والتعاون ولكنه كان يقوم على اتقاء الشر والخوف من إغارة إحدى هذه القبائل على الطائف، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرك كل هذه الأبعاد جيدًا.

والآن نقف وقفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحلل معه الوضع الحرج، لو ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني مالك فإنهم لن يقطعوا رأيًا إلا بعد الرجوع إلى هوازن، وهوازن تعتبر كتابًا مغلقًا بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالدعوة لم تصل إليها بعدُ، وليس بين أبنائها مسلم وفي الغالب سيرفضون



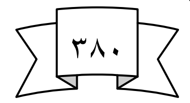
الدعوة، لأنه أيضًا من مبادئ الدعوة أن علية القوم -غالبًا- ما يرفضونها في بادئ الأمر؛ خوفًا على مصالحهم وسيادتهم.

أما إذا ذهب إلى بني عمرو التي تحالف قريشًا فإن الوضع مختلف، التحالف الذي يقوم بين بني عمرو وبني قريش يقوم على الخوف من قريش، فإذا وجدت قبيلة بني عمرو فرصة لإحداث انقسام في قريش فقد تأمن جانبها إلى الأبد، هذا رجل من ورائه بنو هاشم وبنو المطلب، ولا شك أن له أتباعًا في بقية بطون قريش، فلو آزرت بنو عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم انقسمت قريش بين مؤيد ومعارض، وهذا سيضعف شوكتها وتكون فرصة بني عمرو للتخلص من تهديد قريش. هكذا فكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثَمَّ عمد إلى سادة قبيلة بني عمرو، ولم يذهب إلى سادة قبيلة بني مالك المتحالفة مع هوازن.

وإنني أعجب من هؤلاء الذين ينادون بفصل الدين عن السياسة، من أين جاءوا بهذا الكلام؟! فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمارس السياسة في أعظم صورها، إلا إذا كانوا يقصدون أن السياسة -عندهم- لا تصح إلا بالغدر والكذب والنفاق والتجمل الكاذب.

رسول الله يدعو بني عمرو إلى الإسلام

اتجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثلاثة من أبناء عمرو بن عمير وعرفهم بنفسه، وبدأ يدعوهم بدعاية الإسلام ويعرفهم بدين الله عز وجل ، ثم يطلب منهم النصرة له وللإسلام وللمؤمنين بمكة. كان الثلاثة هم: عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير، وكانوا -كما ذكرنا- سادة من سادات الطائف وأوضاعهم مستقرة إلى حد كبير، فجاء هذا العرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطلب منهم أن يغيروا دينهم ويتركوا عبادة اللات إلى عبادة الله عز وجل ، ليس هذا فقط بل إن دخولهم في هذا الدين هو بمنزلة إعلان الحرب على قريش. ومن الواضح أن هذا القرار الذي يطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى



رجل حكيم، جريء، ثاقب النظر، عميق الفكر، ولكن يبدو أن هذه الصفات كانت بعيدة كل البعد عن أولاد عمرو بن عمير، فإنهم لما سمعوا هذا العرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لبثوا أن جزعوا وفزعوا وبدءوا يتكلمون بكلام هو أشبه ما يكون بالهذيان، لا يمتّ للحكمة بصلة من قريب ولا بعيد.

موقف سادة الطائف من دعوة الرسول

قال عبد ياليل بن عمرو: إنه سيمرط (أي سيمزق) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

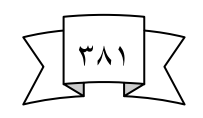
قلة شديدة أو انعدام في الأدب، واعتراض على اختيار الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما مسعود فقال: أما وجد الله أحدًا غيرك.

وأما الثالث حبيب فقد قال -وهو يحاول أن يصطنع الذكاء مع شدة غبائه- قال: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك.

وهكذا عميت أبصار رجال الطائف عن الدعوة الواضحة النقية، وفشلت المفاوضات سريعًا، وتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة محزنة جديدة، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تفقده الضربة دقة التفكير ولا رجاحة العقل، فقد أسرع وقال لهم : " إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني " يعني يظل هذا الموضوع بيني وبينكم.

وهذا حِسٌّ أمني راقٍ جدًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأخذ بكل الأسباب، ولو شاء الله لأخذ بأسماعهم وأبصارهم وألسنتهم، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم لنا الطريق بدقة، لقد طلب من قادة ثقيف أن يكتموا هذه المفاوضات التي تمت، ما دام ذلك لن يضرهم في شيء. ومن الواضح أن رسول الله صلى الله

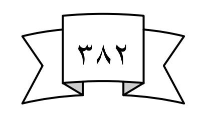


عليه وسلم يحذر من أن يصل الخبر إلى قريش؛ لأنه لو وصل الخبر لقريش فسيُتَّهم صراحة بتهمة التخابر مع قبيلة أجنبية، ومحاولة زعزعة نظام الحكم في مكة، وإثارة الفتنة.

وفوق ذلك فإن الكفار سيستغلون الفرصة في إعلامهم المضاد لإبراز فشل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوة ثقيف، وهو دليل في رأيهم على ضعف الرسالة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لأجل كل ذلك تمنى أن يكتم أولاد عمرو بن عمير أمره، لكن هؤلاء السادة كانوا فوق خفة عقولهم فاقدين للمروءة، فما لبثوا أن أغروا به سفهاءهم وغلمانهم يسبونه ويصيحون به. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ييئس، بل مكث في الطائف عشرة أيام كاملة بعد هذا اللقاء، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، ولكن رفضوا جميعًا.

إيذاء رسول الله في الطائف وخروجه منها

حتى إذا جاء اليوم العاشر قالوا له اخرج من بلادنا، وأرسلوا خلفه عبيدهم وسفهاءهم، فصفوا أنفسهم صفين خارج الطائف وجعلوه يمر من بين الصفين وهم يقذفونه بالحجارة ويقذفونه بأسوأ الكلام والسباب، حتى سالت دماؤه الشريفة صلى الله عليه وسلم على كعبيه وتلون النعل بالدم، وكان زيد بن حارثة يبذل كل طاقته لتلقي الحجارة في جسده، بل في رأسه حتى لا تصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى شج رأسه عز وجل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسرع الخطا بين الصفين حتى انتهى منه، ويمم عائدًا إلى مكة، لكنهم لم يتركوه بل ظلوا يتعقبونه بالحجارة والسباب مسافة خمسة كيلو مترات تقريبًا من الطائف، وهو لا يدري ما يفعل، ولسان حاله يقول: يا ليت قومي يعلمون، حتى وجد حائطًا (حديقة) فأسرع إليها يحتمي بها، ثم دخل فيها وهنا وقف السفهاء والعبيد وعادوا أدراجهم إلى الطائف.



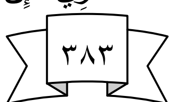
ولهفي عليك يا حبيبي يا رسول الله!! أبعد كل هذا العناد والكد والتعب والمشقة يرغب أناس من أمتك عن سنتك؟! أبعد كل هذه المكابدة يفرط فريق من أمتك في شرعك؟!

أبدًا ما كان وصول الشرع هينًا، إن الكثير من الناس لا يقدّر الكم الهائل من التضحيات التي دفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وخديجة وغيرهم، ترى ماذا سيكون رد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم أن فردًا من أمته تهاون في حق هذا الدين الذي حُمل إليه بعرق ودم وروح؟

روى الإمام مسلم... قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ".

رسول الله يشكو إلى الله

بعد ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاقى من أهل الطائف من الحجارة والسباب، وجد حائطًا (حديقة) فأسرع إليها يحتمي بها، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحائط، وهو مثقل بالهموم والأحزان والجراح، فأسرع إلى ظل شجرة وجلس تحتها وأسند ظهره إلى الشجرة ومد يده إلى السماء، وانهمرت عبراته وهو يدعو بدعاء ما دعا به قبل ذلك، وما دعا به بعد ذلك، دعاء يعبر عن مدى الألم والحزن والهم والغم الذي شمل كل كيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أغلقت أمامه كل الأبواب إلا هذا الباب الذي لا يغلق أبدًا، باب الرحمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إلى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي،



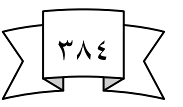
وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ"

قد يؤخر الله عز وجل استجابة الناس للداعية لحكمة لا يعلمها إلا هو I ، ولكن أحيانًا يكون الداعية مخطئًا في أمر من الأمور فيغضب الله عليه، فيمنع الناس من الاستجابة له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء يذكر أنه طالما أن الله عز وجل ليس بغاضب عليه فهو سيتحمل كل هذه الآلام والمصائب والأحزان) إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي(، هذه الجملة –يا إخواني– هي منهج الحياة) إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي .(والله لو طبَّق المسلمون هذه الجملة فقط في حياتهم، لفازوا بخير الدنيا والآخرة.

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في الحائط إذ ظهر فجأة أصحاب الحائط، من هم؟

إنهما عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، كافرا مكة المشهوران، وكانت لهما أملاك بالطائف، فعتبة هو أبو الوليد الذي أجرى المفاوضات يومًا ما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواخر السنة السادسة من النبوة، وشيبة أخوه، وهما من الذين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم- يوم أن وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره– فقال: اللهم عليك بعتبة بن ربيعة وعليك بشيبة بن ربيعة. ومع هذا العداء المستحكم والصراع القديم إلا أن الحالة التي وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الألم والتعب والحزن، جعلت القلوب الكافرة ترق وتحن، أشفق الكافران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذا عنقودًا من العنب ووضعاه في طبق، وأرسلا به غلامهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان هذا الغلام نصرانيًّا وكان اسمه عَدَّاس.

إسلام عدَّاس وَمْضَةٌ في الظلمة



كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة رضي الله عنه قد بلغ بهما الجوع والعطش مبلغًا عظيمًا، فكان طبق العنب بمنزلة الإنقاذ لهما، فوضع عداس الطبق أمامهما فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده إلى الطبق وقال" :بِاسْمِ اللَّهِ"، ثم أكل. لم ينس التسمية حتى في هذه الظروف، وقد كانت هذه التسمية البسيطة سببًا في خير كثير، تعجب عداس من هذه الكلمة، فهو لم يسمعها في الطائف مطلقًا، فقال: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بسؤالين، يتعرف بهما على الغلام، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ؟ وَمَا دِينُكَ؟"

ما هذا؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضيع فرصة أبدًا للدعوة إلى الله عز وجل ، الدعوة تسري في أوصاله وفي دمائه وفي دقات قلبه وفي نفسه، حتى في هذه الظروف الحالكة وقد رفض دعوته الأسياد والأشراف، لا يستقل هذا العبد الصغير فيجرب معه الدعوة.

قال الغلام: أنا نصراني، من أهل نِينَوَى.

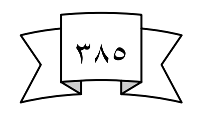
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟."

دهش الغلام كيف عرف هذا الرجل يونس بن متى؟!

قال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ."

هنا أدرك الغلام الصغير ما لم يدركه حكماء ثقيف، أو قل: سفهاؤها، أدرك أن هذا الرجل فعلاً رسول، فآمن لساعته، وأكبَّ على رأس رسول الله صلى الله عليه



وسلم وعلى يديه وعلى رجليه يقبلها، وكأن الله عز وجل أبى إلا أن يثلج صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمؤمن، وعلى بعد خمسة كيلو مترات من البلد المقصود، نعم هو عبد في نظر الناس ولكنه بإيمانه أثقل من أهل ثقيف جميعًا ومثلهم معهم.

عتبة وشيبة ابنا ربيعة يرقبان الموقف، ولم يكن يحتاج إلى ذكاء كثير لاستنباط ما حدث، فقال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما عاد عداس قالا له: ويحك ما هذا؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. لكن القلوب القاسية لم تفقه، فقالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه. وكذبوا.

أصبح الموقف الآن في غاية الحرج، الطائف رفضت الدعوة هذا الرفض القبيح، ولا شك أن الخبر قد طار إلى مكة، ولا شك أيضًا أن مكة كانت قد اكتشفت تسلل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها دون علمها، إذن مكة ستصبح موصدة الأبواب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وستكون محاولة الدخول إليها في غاية الخطورة، فماذا يفعل صلى الله عليه وسلم ؟

انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفكير في هذا الأمر، الأقدام تسير في اتجاه مكة، لكن العقل مشغول غاية الانشغال، يقول صلى الله عليه وسلم يصف هذا الموقف، كما جاء في البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

"فَانْطَلَقْتُ- أي من الطائف -وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ."وهي المسماة بقرن المنازل، مهمومًا حزينًا، وكأنه في إغماءة أو في نوم ثم أفاق في قرن الثعالب، أتدرون كم تبعد قرن الثعالب عن الطائف؟ تبعد خمسة وثلاثين كيلو مترًا، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذه المسافة وهو في شبه إغماء من شدة الهم والتفكير.

حرص رسول الله على هداية قومه

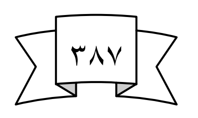
ثم حدث أمر عجيب هناك في قرن الثعالب، كما جاء في رواية البخاري يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم" :فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) مقامات عالية جدًّا، وتخيل مدى انشراح الصدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه اللحظة، وتخيل مدى الشعور بتفاهة المشركين والمكذبين، فهؤلاء الذين يظنون أنفسهم سادة، كيف يقارنون بالجبال وكيف يقارنون بأعظم الملائكة جبريل عليه السلام (فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ) والأخشبان هما جبلا مكة: أبو قبيس وقيقعان). فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم" :بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا."

الجن يستمعون القرآن فيسلمون

بعد هذا الموقف العظيم يكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه في اتجاه مكة، وعندما يصل إلى منطقة تسمى وادي نخلة على بعد حوالي ٤٣ كيلو مترًا من مكة يمكث هناك ليستريح، وراحة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست في النوم ولكن في الصلاة) وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ(، فيقف صلى الله عليه وسلم بين يدي ربه يناجيه في خشوع، يقرأ آيات من كتاب الله عز وجل يهون بها على نفسه ويشد بها من أزره.

المكان فيما يبدو للناس ليس فيه أحد، فوادي نخلة مكان منعزل بين مكة والطائف ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف وحيدًا ليس معه من أحد إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه ، لكن سبحان الله أبى الله عز وجل إلا أن يعز الدعوة بنصر جديد، فقد كان الجن يمرون بهذا المكان فسمعوا كلام الله عز وجل على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، فوقع الكلام في قلوبهم فآمنوا!

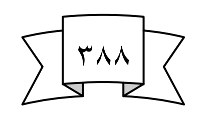
إنهم الجن، نَعَم الجن.



فإن كان البشر قد كَذّبوا، فإن الجن قد آمنوا، والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر، والجن كانوا يعلمون بنبوة الأنبياء السابقين، وكانوا يتوقعون نبيًّا يأتي في هذا الزمان، ومن الواضح أنها المرة الأولى منذ أول البعثة التي يسمع فيها الجن هذه الآيات فوقعت في قلوبهم فآمنوا من فورهم، بل وذهبوا دعاة إلى قومهم يأخذون بأيديهم إلى طريق الله.

حكى الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣٢.

لم يشعر الرسول صلى الله عليه وسلم بوجود الجن عند سماعهم للقرآن، ولكن عرف بعد ذلك عندما نزلت الآيات تصف الموقف، وهي إشارة لطيفة للدعاة أنه لا تدري لعل طائفة من الجن تستمع إلى كلمة الحق منك، فتؤمن بينما يكذب البشر، وتكون هذه الطائفة من الجن في ميزان حسناتك يوم القيامة. ثم إن هناك إشارة لطيفة أخرى وهي أن الداعية يجب أن يستشعر أنه ليس بمفرده في هذا الطريق، فالخلق جميعًا يعبدون الله عز وجل﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ الإسراء: ٤٤ ولا يشذ عن هذه المنظومة الجميلة إلا طوائف من الكافرين من الإنس والجن، لكن أنت لست وحدك على الطريق، معك أمم من الجن، معك الملائكة جميعًا، معك الشمس والقمر والنجوم، معك الدواب والهوام والحيتان، منظومة كاملة رائعة لا يشعر معها المؤمن بالوحدة أبدًا، وإن كان فريدًا في وسط البشر.



﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ الحج: ١٨ .

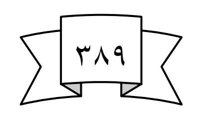
اليقين في فرج الله

بعد أن انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قرر الرحيل من جديد إلى مكة، وهنا استوقفه زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟! يخشى زيد رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تقتله قريش، لكن استمع إلى إجابة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، قال" :يَا زَيْدُ، إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لِمَا تَرَى فَرَجًا وَمَخْرَجًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُ دِينِهِ وَمُظْهِرُ نَبِيِّهِ."

الله! ثقة، يقين، اطمئنان، سكينة، تمامًا كما قال موسى عليه السلام عندما قالوا له : ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ ــ ٦٢ ، ثقة في نصر الله عز وجل ، هو لا يدري كيف سيُنصر ولكنه متأكد من النصر، موسى عليه السلام لم يكن يدري ساعتها أن الله سيشق له البحر، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يدري كيف سينصره ربه عز وجل ، ولكن كان على يقين من هذا الأمر.

أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير حتى اقترب جدًّا من مكة وجلس يدبر أمره. نعم، الله عز وجل سينصره، لكن لا بد له من الأخذ بالأسباب، كيف يدخل مكة وهو مطلوب الرأس ولا سيما بعد تكذيب الطائف له، لا شك أن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهما قد نقلوا إلى قريش عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستنصار بالقبائل الأخرى ضد قريش، فماذا يفعل؟

ثم إنه صلى الله عليه وسلم لما عاد إلى مكة حزينًا كسيرَ النفس لم يستطع أن يَدْخُلْهَا إلاَّ في جوار مشرك، وهو مطعم بن عديّ!!

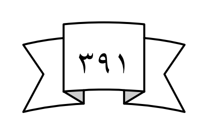


وفي هذه الظروف العصيبة والمحن المتلاحقة؛ في الطائف وفيما سبقها من وثيقة المقاطعة والحصار، ووفاة سَنَدَي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم العاطفي والاجتماعي، زوجه السيدة خديجة -رضي الله عنها- وعمه أبي طالب ؛ في هذه الظروف وبعد أن ضاقت به الأرض من المشركين اتَّسعت له أفق السماء، وجاءت معجزة الإسراء والمعراج تثبيتًا له صلى الله عليه وسلم ومواساة وتكريمًا؛ ولتكون بذلك منحة ربانيَّة تمسح الأحزان ومتاعب الماضي، وتنقله صلى الله عليه وسلم إلى عالم أرحب وأُفق أقدس وأطهر، إلى حيث سِدْرَة المنتهى، والقُرْب من عرش الرحمن عز وجل.

الخطبة الرابعة : مشاهد من الاسراء

أما بعد:عباد الله ، تعددت روايات الإسراء والمعراج في السيرة والأحاديث؛ إذ جاء في كتب السيرة وكتب السُّنَنِ أنه ليس هناك حديث واحد يجمع ما ورد من أحداث خلال هذه الرحلة المباركة، وإنما هناك أحاديث كلٌّ منها يُشِير إلى جزء أو جانب، وقد أورد الحافظ السيوطي أن الإسراء ورد مطوّلاً ومختصرًا من حديث أنس وأُبَيٍّ بن كعب، وبُرَيْدَة، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وسَمُرة بن جُنْدُب، وسهل بن سعد، وشدَّاد بن أوس، وصُهَيب، وابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وعبد الله بن أسعد بن زرارة، وعبد الرحمن بن قُرْط، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، ومالك بن صعصعة، وأبي أُمَامَة، وأبي أيُّوب، وأبي حبَّة، وأبي الحمراء، وأبي ذَرٍّ، وأبي سعيد الخدري، وأبي سفيان بن حرب، وأبي ليلى الأنصاري، وأبي هريرة، وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر، وأم هانئ، وأم سلمة. وقد عدَّ الإمام القسطلاني في المواهب اللدنِّيَّة ستَّة وعشرين صحابيًّا وصحابيَّة رَوَوْا حديث الإسراء والمعراج؛ لذا فهو حديث متواتر مع نصِّ القرآن عليه في سورتي الإسراء والنجم.

وإنا نكتفي هنا بما جاء في صحيح البخاري من روايات حول هذه الرحلة؛ عن أنسُ بن مالكٍ عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم حدَّثهم عن ليلةَ أُسْرِيَ به .." :ثُمَّ أُوتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ- " فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ-فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.



قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. ففُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم .قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالاِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ

الْمُنْتَهَى. وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ. فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ؛ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"

وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال: كان أبو ذَرٍّ يحدِّث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم .فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ. وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ."

قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَإِبْرَاهِيمَ – صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ – وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلُهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ.

قَالَ أَنَسٌ" :فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ. ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى. ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى. ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ ".

وكان ابن عباس وأبو حَبَّة الأنصاري، يقولان: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : " ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ ".

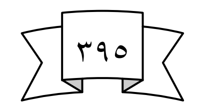
قال أنس بن مالك: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : " فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا. فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ. فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهْيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي. ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى

انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ".

موقف أهل مكة من الإسراء والمعراج

بعد رحلة الإسراء والمعراج العطرة، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكشف لأهل مكة جميعًا ما كان له؛ فقد روى ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ فَظِعْتُ بِأَمْرِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ ، فَقَعَدَ مُعْتَزِلاً حَزِينًا، قَالَ: فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : "نَعَمْ ."قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ" :إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قَال :إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ: فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ ، فَقَالَ: هَيَا يَا مَعْشَرَ بني كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. حَتَّى قَالَ: فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا. قَالَ: حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" :إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ: فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا: وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ وَرَأَى الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ - قَالَ - فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عَقِيلٍ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، قَالَ: وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ. قَالَ: فَقَالَ الْقَوْمُ: أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ.

وهذه الحادثة معجزة أخرى؛ فقد أراه الله تعالى المسجد الأقصى أمامه، ينعته لأهل مكة، يصف أبوابه ومخارجه، وصفًا يحيِّر السامعين له، ويُؤَكِّد لمن أتى مشكِّكًا



في نبوَّته أنه نبي مُرْسَل من قِبَلِ الله، وكان موقفُ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ثابتًا راسخًا في قرارة أنفسهم.

ومن أعظم المواقف التي دلَّت على رسوخ اليقين عند أبي بكر رضي الله عنه ما ذكره ابن المسيب، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وأنه أُتِيَ بقدحين: قدح لبن، وقدح خمر، فنظر إليهما، ثم أخذ قدح اللبن، فقال له جبريل: "هُدِيتَ الفطرة، لو أخذتَ الخمر لَغَوَتْ أُمَّتُكَ". ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فأَخْبَر أنه أُسْرِيَ به، فافتُتِنَ ناس كثير كانوا قد صلَّوْا معه. قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: فتجهَّز ناس من قريش إلى أبي بكر، فقالوا له: هل لك في صاحبك، يزعم أنه قد جاء بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟!

فقال أبو بكر: أَوَ قَالَ ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: فأَشْهَدُ لئن كان قال ذلك لقد صدق.

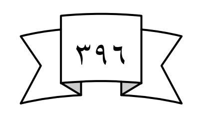
قالوا: فتُصَدِّقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟!

قال: نعم، إني أُصَدِّقه بأبعد من ذلك! أصدِّقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: فبها سُمِّيَ أبو بكر الصِّدِّيقَ.

دروس وعبر

الدرس الأول: الفرج آت لكل مسلم مع الصبر الجميل والدعاء الذليل:

لقد رأينا كيف كان الإغواء والإيذاء شديدًا؛ كي يتراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء من ثوابت دعوته، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم إلا التمسك بالحق



والإصرار على مواصلة الطريق، وتركهم إلى أرض أخرى؛ لعلها أن تكون أكثر خصبًا وقبولاً للدعوة الإسلامية، فذهب إلى الطائف، فكان قومها أشد بأسًا في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يعاملوه لا كإنسان في الضيافة عند العرب، ولا كرسول له الحق أن يبلغ كلمة الله ولهم الحق في قبولها أم لا!! رفضوا السماع، ورفضوا عرض الفكرة بأسلوب سلميّ محض، وسلطوا عليه الصغار والكبار من اللئام الذين أخرجوه طريدًا!..

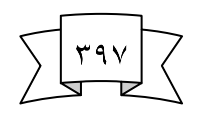
ولا يملك شيئًا إلا إيمانه بربه وعزمه على مواصلة دعوته، لا يتنازل عن جزئية منها، ولم يستطع أن يدخل مكة بلده الأصلي وموطن أهله وعشيرته ومقام زوجته وأولاده فاضطر إلى الدخول في جوار المطعم بن عدي، ثم رفع رأسه إلى السماء ودعا ربه بخير دعاء فقال مبتهلاً متبتلاً خاشعًا متذللاً : " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري؟ إن لم يمكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل عليَّ غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك".

فكافأه الله تعالى بما يلي:

١ . استجابة عبدٍ يسمى عداس إلى الإسلام بعد رفض الكثير له، وهداية واحد خير من الدنيا وما عليها.

٢ . ساق الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن وأحسنوا الاستماع والإنصات، ثم فهموا واجبهم فولّوا إلى قومه منذرين.

٣ . استجابة ستة من أهل يثرب هم طلائع الدعوة في المدينة المنورة والتمكين للإسلام في الأرض، ومنهم أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك،



وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، هذا بعد أن رفضت كل القبائل الأخرى منهم بنو كلب وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة وفزارة وغسان دمرة وسليم وعيس وبنو نضر وكندة وعذرة والحضارمة.

وهؤلاء كانوا نواة الدعوة التي نشرت الإسلام في يثرب، وتحولت بهم الجماعة الإسلامية المطاردة في مكة إلى دولةٍ ذات عز وتمكين في المدينة .

٤ . عدد من أشراف قبائلهم وقومهم منهم سويد بن الصامت الشاعر، وإياس بن معاذ، وأبو ذر الغفاري، والطفيل بن عمرو الدوسي سيِّد قبيلة دوس.

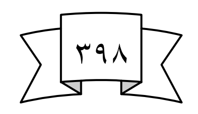
٥ . الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى الملأ الأعلى، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى.

لم يكن الفرج فقط في رحلة الإسراء والمعراج، بل كانت بعض الفرج الرباني بعد هذا الصبر الجميل، والدعاء الذليل، مكافأة الله تعالى على هذا الخير الجزيل.

وهذا ما يجب أن يوقن به كل مسلم ومسلمة أن مع العسر يسرًا، والفرج مع الصبر، والاستجابة مع الدعاء، والظفر مع الثبات على الحق، وأن تعالى وعد ولا مخلف لوعده، حيث قال سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة: ١٤٣

الدرس الثاني: الرفق بالمدعوين نهج المرسلين وأدب الدعاة الربانيين نحن في مسيس الحاجة إلى أن نغترف من معين النبوة الصافي في الرفق بالناس، وعدم الرغبة في الانتقام منهم، وقد صار نهجًا مستمرًّا في هدي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حيث روى الطبراني في معجمه الأوسط عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه .



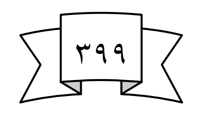
ولعل ما سبق الإسراء والمعراج من غاية الرفق بالمدعوين، رغم صلفهم وعنادهم وبغيهم يظهره الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم احد؟ قال : لقد لَقِيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ إذ عرَضتُ نفسي على ابنِ عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ على وَجهِي، فلم أستَفق إلا وأنا بقرنِ الثَّعالب، فَرَفَعتُ رأسي، فإذا أنا بَسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمعَ قولَ قومكَ لك وما رَدوا عليك، وقد بعث اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شِئتَ فيهم. فناداني ملكُ الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد. فقال: ذلكَ فيما شئتَ، إن شِئتَ أن أطبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ بهِ شيئًا ".

هكذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم !بكلمة واحدة إلى ملك الجبال يستطيع أن يدمر كل شيء في مكة، ولا يُبقي فيها واحدًا من المشركين، دون أن يكلفه شيئًا إلا كلمة واحدة. لكنه أبى؛ لأنه رحمة للعالمين، لأنه ذا قلب ينبض بالحب لكل الناس أن يهتدوا، أو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله من الأطفال.

وهكذا الدعاة يحبون للناس الخير، لا يدفعون السيئة بالسيئة بل يدفعونها بالحسنة وبالتي هي أحسن، يقابلون الشر بالخير، والقطيعة بالوصل، والقتل والاضطهاد بالحب والإرشاد.

ولذا كافأه الله بأعظم رحلة في الوجود إلى المسجد الأقصى الشريف وإلى السموات العُلا، وقربه إليه ربه وهدى الله به خلقًا كثيرًا، وحقق أمله، فكان من أولاد المشركين خيرة الدعاة والمصلحين منهم:

*خالد بن الوليد ابن الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه آيات سورة المدثر.



*عكرمة بن أبي جهل ابن عمرو بن هشام كبير المشركين.

*أم حبيبة بنت أبي سفيان زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبوها آنئذٍ كافرًا.

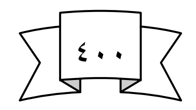
*عبد الله بن عباس وقد أسلم مع أمِّه أم الفضل قبل العباس بن عبد المطلب حين كان كافرًا.

وهكذا يكون الصبر مع الرفق والرحمة مع الشفقة بالمدعوين سببًا في هدايتهم، أو هداية أولادهم، ويفوز الدعاة بالقربى إلى الله، ورفع الدرجات والفوز بالجنات إن شاء الله تعالى.

الدرس الثالث – أمة الإسلام هي صاحبة الميراث لرسالة الرسل والأقصى الشريف:

لقد كانت محطة الإسراء النهائية إلى بيت المقدس، وأول المعراج من بيت المقدس، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء جميعًا إمامًا؛ كي يؤسس على هذا التوافق بين الأديان السماوية، وتبعية الرسالات السماوية لرسالة واحدة هي رسالة الإسلام، وبخاصة ما جاء به سيدنا عيسى وموسى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام. وصار المسجد الاقصي بهذا أولى القبلتين، وميراث المسلمين، وظل سيدنا عمر رضي الله عنه حافظًا لدرس الإسراء والمعراج، وللعهد بالصلاة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، كما جاء في حديث البخاري بسنده عن البراء بن عازب، حتى أرسل خالد بن الوليد وأبا عبيدة بن الجراح وفتحت فلسطين والشام، وذهب بنفسه لاستلام مفاتيح القدس ، ولم يذهب إلى بلد خارج الجزيرة غيرها، وأعطى من صور السماحة مع الأديان الأخرى ما بقي موضع ذكر من كل منصف.

الدرس الرابع: الإسلام دين الهداية والفطرة



من أحداث تلك الليلة المباركة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختار إناء اللبن وشرب منه، جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام قال له عندما أخذ اللبن : " هُدِيتَ الْفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ " رواه البخاري.

قال القرطبي: يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة؛ لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم إليه دون غيره؛ لكونه كان مألوفًا له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة .وفي رواية" :هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ" رواه البخاري.

إن سلامة الفطرة هي لب الإسلام؛ لأن عقيدته وشريعته وأحكامه كلها تتناسب مع مقتضيات الفطرة التي خلق الله الناس عليها، قبل أن تدنسها الشهوات والأطماع والأغراض الذاتية، وقد وصف الله هذا الدين بأنه دين الفطرة في قوله تعالى﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾الروم: ٣٠

الدرس الخامس– هدية الإسراء والمعراج إلى الأمة الصلاة كمنهاج حياة.

لقد دنا النبي صلى الله عليه وسلم من ربه واقترب، ورأى من آيات ربه الكبرى، وقد علم الله حب نبيه لأمته، فأراد ألا يحرم كل مؤمن ومؤمنة من إسراء ومعراج، ففرضت الصلاة قبلتها الأولى إلى بيت المقدس حيث صلى بالأنبياء والرسل أجمعين، ثم معراج الروح لكل مصلٍّ إلى رب الأرض والسماء في كل سجدة، كما قال سبحانه﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾العلق: ١٩ ولما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ".

وصارت الصلاة منهاج حياة تصنع المسلمين في أحسن صياغة، فيبادرون الطفل في أول لحظة من حياته بالأذان والإقامة ريثما يميز فيُعلَّم الصلاة ثم يؤمر بها، ثم يكلف بأدائها عند البلوغ، وتبقى عبادة يومية خمس مرات، وعشرات المرات لمن تطوع، فهي أول ما يبدأ به يومه في صلاة الفجر المشهودة، وآخر ما يختم به يومه في صلاة الوتر المحبوبة، وبينهما صلوات بين الفرض والنافلة، فإذا حزبه أمر صلى، وإذا تحيَّر في أمرٍ صلى صلاة الاستخارة، وإذا أذنب صلى ركعتين تغسلان ذنبه وترفعان وزره، وإذا خسفت الشمس أو كسف القمر صلى، وإذا أجدبت السماء صلى، وإذا بُشِّر بالخير سجد شكرًا وذكرًا لله تعالى، وإذا وافته المنية وقدم على ربه كان آخر عهده بالدنيا صلاة الجنازة.

فهي منهج حياة من الميلاد إلى ما بعد الممات، وهي النور في القبر والحشر، وأول ما يُحاسب عنه العبد يوم القيامة، وأول مفاتيح الجنة بعد رحمة الله عز وجل .

هكذا رحلة الإسراء والمعراج لم تكن نزهة بل معجزة ، ولم تكن خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بل ترسم منهاج حياة لمن أراد النجاة، ووهب حياته كلها لدعوة الله.

شهر شعبان

الخطبة الأولى : فضل شهر شعبان وتحويل القبلة

الخطبة الثانية : حقوق الأخوة ١

الخطبة الثالثة : حقوق الأخوة ٢

الخطبة الرابعة : استقبال رمضان

الخطبة الأولى : فضل شهر شعبان وتحويل القبلة

أما بعد:عباد الله ، ها هي الأيام تمر، والعمر ينطوي، ونستقبل شهر شعبان، وبعد أيام قليلة نستقبل شهر رمضان، ثم نصوم تلك الأيام المعدودات، وينتهي بنا العمر في رحلة قصيرة ونحن مقادون إلى آجالنا المحدودة بأنفاسنا المعدودة.

وشهر شعبان كالمقدمة لرمضان، يُشرع فيه ما يُشرع في رمضان من الصيام والقيام وقراءة القرآن والصدقات وأنواع القربات.

وحريٌّ بنا أن نتهيأ لاستقبال شهر رمضان، بالإكثار من الطاعات، والإقبال على كتاب الله ، والتزود من الصالحات، والتقرب بنوافل القربات ولا سيما: صوم أكثر أيام شعبان، لأن صيام شعبان كالتمرين على صيام رمضان، لئلا يدخل الواحد منا في صوم رمضان، على كلفة ومشقة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبله حلاوة الصيام ولذَّته ، فيدخل في رمضان بهمة ونشاط.

شعبان هو اسم للشهر ، وقد سمي بذلك لأن العرب كانوا يتشعبون فيه لطلب المياه ، وقيل تشعبهم في الغارات ، وقيل لأنه شَعَب أي ظهر بين شهري رجب ورمضان ، ويجمع على شعبانات وشعابين .

الصيام في شعبان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان " رواه البخاري برقم (١٨٣٣) ومسلم برقم (١٩٥٦) ، وفي رواية لمسلم برقم (١٩٥٧) : " كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلا " ، وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شعبان ، وإنما كان يصوم أكثره ، ويشهد له ما في صحيح مسلم برقم (١٩٥٤) عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " ما

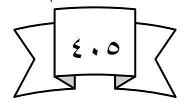
علمته – تعني النبي صلى الله عليه وسلم – صام شهرا كله إلا رمضان " وفي رواية له أيضا برقم (١٩٥٥) عنها قالت : " ما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان " ، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال : " ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان " أخرجه البخاري رقم ١٩٧١ ومسلم رقم ١١٥٧ ، وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان ، قال ابن حجر رحمه الله : كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، فقال : " ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه ، بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم " رواه النسائي ، أنظر صحيح الترغيب والترهيب ص ٤٢٥ ، وفي رواية لأبي داود برقم (٢٠٧٦) قالت : " كان أحب الشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان " . صححه الألباني أنظر صحيح سنن أبي داوُد ٢/٤٦١

قال ابن رجب رحمه الله : صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم ، وأفضل التطوع ما كان قريب من رمضان قبله وبعده ، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض ، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده ، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

وقوله " شعبان شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان".

يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان – الشهر الحرام وشهر الصيام – اشتغل الناس بهما عنه ، فصار مغفولا عنه ، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيام شعبان لأن رجب شهر حرام ، وليس كذلك.



وفي الحديث السابق إشارة إلى أن بعض ما يشتهر فضله من الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص قد يكون غيره أفضل منه.

وفيه دليل على استحباب عِمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة ، كما كان طائفة من السلف يستحبون إحياء ما بين العشائين بالصلاة ويقولون هي ساعة غفلة ، ومثل هذا استحباب ذكر الله تعالى في السوق لأنه ذكْر في موطن الغفلة بين أهل الغفلة ، وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها:

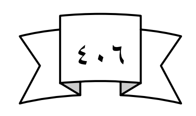
أن يكون أخفى للعمل وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل ، لا سيما الصيام فإنه سرّ بين العبد وربه ، ولهذا قيل إنه ليس فيه رياء ، وكان بعض السلف يصوم سنين عددا لا يعلم به أحد ، فكان يخرج من بيته إلى السوق ومعه رغيفان فيتصدق بهما ويصوم ، فيظن أهله أنه أكلهما ويظن أهل السوق أنه أكل في بيته ، وكان السلف يستحبون لمن صام أن يُظهر ما يخفي به صيامه ، فعن ابن مسعود أنه قال : " إذا أصبحتم صياما فأصبِحوا مدَّهنين " ، وقال قتادة : " يستحب للصائم أن يدَّهِن حتى تذهب عنه غبرة الصيام"

وكذلك فإن العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس ، ومن أسباب أفضلية الأعمال مشقتها على النفوس لأن العمل إذا كثر المشاركون فيه سهُل ، وإذا كثرت الغفلات شق ذلك على المتيقظين ، وعند مسلم (رقم ٢٩٨٤) من حديث معقل بن يسار : " العبادة في الهرْج كالهجرة إلي "

أي العبادة في زمن الفتنة ؛ لأن الناس يتبعون أهواءهم فيكون المتمسك يقوم بعمل شاق.

فاجتمع لنا في سبب إحياء شعبان بالصيام ثلاثة أسباب:

السبب الأول:



أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله ورفع الأعمال يحصل أربع مرات فهناك مرتين كل يوم في صلاة الفجر وصلاة العصر يتعاقب الملائكة مرتين في اليوم والليلة، قال – صلى الله عليه وسلم – :" يتعاقب فيكم ملائكة في الليل والنهار" و قال تعالى : ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الرعد: ١١ ملائكة كلفها الله أن تحفظ بني آدم و لولا حفظ الله لتخطفتهم الشياطين ملائكة يتعاقبون أي ملائكة في صلاة الفجر يستلمون وردية النهار (من الفجر إلى العصر) فيهم الملكان الموكلان بكتب الأعمال فإذا جاء وقت العصر نزلت ملائكة أخر يتسلمون وردية الليل من العصر إلى الفجر و يصعد الذين حرسوا بالنهار ومعهم الكتاب ما كتبوه من أعمال في صحف فتحفظ كما قال العلماء في السماء الأولى ثم رفع أسبوعي كل يوم خميس لما سئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن سر صيامه الاثنين والخميس فقال :" أما يوم الاثنين فذاك يوم ولدت فيه و بعثت فيه وأنا أحب أن أصومه وأما يوم الخميس فذلك يوم ترفع الأعمال فيه إلى الله وأنا أحب أن يرفع عملي وأنا صائم" ، فترفع الأعمال كل خميس من السماء الأولى إلى السماء السابعة لتجمع ثم رفع سنوي كل شعبان فما تجمع في السنة يحفظ في اللوح المحفوظ فإذا مات ابن ادم جمع العمل كله فختم عليه فإذا قامت القيامة تطايرت الصحف ثم بلغك كتابك بيمينك أو شمالك ، اللهم بلغنا كتبنا بأيماننا.

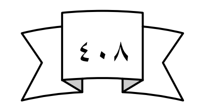
وتأمل في قوله – صلى الله عليه وسلم - في صيام الاثنين و صيام غالب شعبان :"أني أحب أن يرفع عملي وأنا صائم"، فما السر في بين رفع العمل والصيام قالوا لان الصائم متلبس بطاعة فالإنسان في الصلاة إذا كبر تكبيرة الإحرام حرم عليه الأكل والشرب والكلام الخارج عن الصلاة حتى يسلم و التسليم هو التحليل فإذا سلم حل له كل شيء فكذلك الصائم إذا نوى الصوم حرم عليه الأكل والشرب والجماع فإذا أذن المغرب حل له كل شيء كذلك الحاج إذا دخل في النسك حرم عليه لبس المخيط وقص الشعر والاضافر التطيب والجماع إلى اخره فإذا تحلل حل

له كل شيء فهذه حالات يكون حال العبد فيها أنه مقبل على الله بكليته لذلك فالأمة في هذا الزمان تصوم صوم لا قيمة له لأنهم يظنون أن المقصود بالصيام تجويع الجسد بالامتناع عن الأكل والشرب والجماع وانتهى الأمر لا وربي فالصيام المطلوب هو الذي يحقق التقوى أن تعيش العبادة أن تعيش من الفجر الى المغرب وأنت بين يدي الله عابد فان لم تكن عابدا فأنت لاه والله لا يقبل العبادة من ساه لاهي المقصود أنه إذا كان الصائم عابدا حضر قلبه واقشعر جسمه و خشعت نفسه واقبل بكليته على الله و خصوصا قبل والمغرب و بعد العصر فانه يزداد إخباته و يزداد خشوعه فانه إذا رفع العمل في هذا الوقت و هو صائم خاشع خاضع ذليل مقبل على ربه منكسر فهذا حري أن يقبل عمله والعمل يرفع في شعبان فإياك أن تترك صيام شعبان

السر الثاني:

من أسرار الصيام في شعبان لما سئل عنه رسول الله قال : " هذا شهر بين رجب و رمضان يغفل عنه كثير من الناس فأحب أن أحييه بالصيام فيه دليل على استحباب إحياء الأوقات المغفول عنها بالطاعة.

حين تجد الناس في غفلة في مكان ليس فيه لله ذاكر فهو مكان يكرهه الله والأسواق هي مكان الغفلة قال صلى الله عليه وسلم : " أحب بقاع الأرض إلى الله المساجد و ابغض بقاع الأرض إلى الله الأسواق"، لأنها أمكان غفلة لذلك جعل للذاكر في السوق ثوابا ليس للذاكر في أي مكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا دخل أحدكم السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنه" و هو حديث حسن صححه الألباني و قد ضعفه آخرون، شيك بمليون حسنه قابل للصرف الفوري لأنه من الملك الذي لا حرج على فضله و يرزق من يشاء بغير حساب هكذا الذاكر في غفلة الناس له أجر عظيم اللهم ذكرنا بك فلا ننساك قال الحبيب محمد صلى الله عليه و على آله وسلم: " عبادة في الهرج كهجرة إلي" قيل: ما الهرج؟ قال: " القتل القتل " ففي



شعبان يشتغل الناس بالاستعداد لرمضان فهم في غفلة لتجهيز المأكولات والمشروبات فهذه المشاغل في وسطها يستعد المؤمن لاستقبال رمضان أن يصوم شعبان كان وهيف بن الورد إذا دخل شعبان أقفل دكانه و أقبل على مصحفه فتلى القرآن و كذلك ثبت هذا عن قيس الملائي كان إذا دخل شعبان ترك تجارته وأقبل على عبادة الله فمن هنا أصبح ضرورة الاستعداد بدورة مكثفة قصيرة لصيام رمضان في شعبان

السبب الثالث:

هو أن صيام شعبان و ست من شوال كهيئة السنن القبلية والبعدية للصلاة فأحب الأعمال إلى الله هي الفرائض وأحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض ما كان يحف بها قريبا منها و لذا سن الرسول صلى الله عليه وسلم السنن الرواتب اثنا عشرة ركعة في اليوم والليلة فأفضل الطاعات ما كان يحف بالفرض فكان صيام شعبان بمثابة السنة القبلية و هذه السنن تجبر النقص إلي يحصل في رمضان قال صلى الله عليه وسلم من حديث طلحه : " لا يقولن أحدكم صمت رمضان كله و لا قمت رمضان كله " قال راوي الحديث : فلا أدري اكره رسول الله التزكية أم لا بد للعبد من نقص.

فالمقصود أن صيام شعبان لرمضان بمثابة السنة القبلية يعالج ما فيه من خلل و يسد ما فيه من نقص.

ولما كان شعبان كالمقدّمة لرمضان فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة ، وقال سلمة بن سهيل كان يقال : شهر شعبان شهر القراء ، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء ، وكان عمرو بن قيس المُلائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

تحويل القبلة

في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حوادث فارقة في توجيه مسيرة الأمة المسلمة.وحادثة تحويل القبلة من الحوادث الفارقة في تميُّز الصفِّ المسلم.و يظلُّ حدثًا فارقًا في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة، ومسيرةِ بناء الدولة المسلِمة كذلك.

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾ البقرة: ١٤٢ ، في هذه الآية الكريمة وما بعدها بيان شرف النبي صلي الله عليه وسلم، وشرف أمته، وفيها بيان فضل الله عز وجل علي هذه الأمة، أمة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، حيث أرسل إليهم أشرف رسول، وأنزل عليهم أفضل كتاب، وهداهم إلي أحسن قبلة، وجعلهم شهداء علي الناس أي علي الأمم كلها، وجعل الرسول عليهم شهيدا، وفيها بيان أن كل أمر من الله عز وجل فهو نعمة منه سبحانه، فالله عز وجل أنعم علينا بالشرع المتين، وتمت نعمة الله عز وجل علي المسلمين بكمال الدين، فنزل علي النبي صلي الله عليه وسلم بعرفة يوم عرفة في حجة الوداع﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ المائدة: ٣ وفي هذه الآيات الكريمات كذلك بيان أن الذي يعترض علي أمر الله عز وجل سفيه، والسفيه هو ضعيف العقل، قال تعالي: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢ ﴾ البقرة: ١٤٢، وأخبر الله عز وجل نبيه بكلام السفهاء قبل أن يقولوه، وفي ذلك آية ومعجزة. و ثم بين سبحانه وتعالي شيئا من فضله علي هذه الأمة وعلي رسولها صلي الله عليه وسلم فقال تعالي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ البقرة: ١٤٣ والمعني: كما هديناكم إلي قبلة هي أوسط القبل وأفضلها، جعلناكم أمة وسطا أي عدولا أخيارا، لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم

شهيدا، ثم بين الله عز وجل شيئا من حكمته في جعل القبلة أولا إلي بيت المقدس، ثم نسخ ذلك وجعل القبلة إلي الكعبة المشرفة، فقال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ البقرة: ١٤٣.

ولقد كانت حادثة تحويل القبلة التي تمت في العام الثاني من الهجرة ، فيها من الدروس والعبر الكثير، والتي ينبغي الوقوف معها للاستفادة، ومنها:

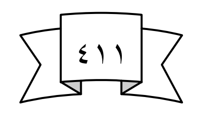
١ . إثبات نبوة النبي . صلى الله عليه وسلم . ، فقد أخبر الله تبارك وتعالى بما سيقوله اليهود عند تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، قبل وقوع الأمر بالتحويل، ولهذا دلالته فهو يدل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو أمر غيبي، فأخبر عنه . صلى الله عليه وسلم . بآيات قرآنية قبل وقوعه ثم وقع،وفي ذلك يقـــول الله تعـــالى :﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ البقرة: ١٤٢ .

٢ . أن هذه الأمة هي خير الأمم ، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠ ، وقال تعالى في ثنايا آيات القبلة : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣.

والوسط : العدول الخيار.

وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال :" عدلا " رواه الترمذى .

والوسطية تعني الأفضلية والخيرية والرفعة؛ فالأمة وسط في كل شيء، في العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات، وهذا واضح جدًّا لكل مَن درس تعاليم الدين الإسلامي بالتفصيل.



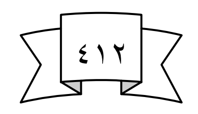
فالله عز وجل اختار لهذه الأمة الخير في كل شيء والأفضل في كلّ حكم وأمر ومن ذلك القبلة فاختار لهم قبلة إبراهيم عليه السلام.

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أهل الكتاب :" إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة ، التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين " صحيح

٣ . التسليم المطلق والانقياد الكامل لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

فالمسلم عبد لله تعالى، يسلم بأحكامه وينقاد لأوامره بكل حب ورضا، ويستجيب لذلك ، ويسارع للامتثال بكل ما أوتي من قوة وجهد، فأصل الإسلام التسليم، وخلاصة الإيمان الانقياد، وأساس المحبة الطاعة، لذا كان عنوان صدق المسلم وقوة إيمانه هو فعل ما أمر الله والاستجابة لحكمه، والامتثال لأمره في جميع الأحوال،لا يوقفه عن الامتثال والطاعة معرفة الحكمة واقتناعه بها، لأنه يعلم علم اليقين، أنه ما أمره الله تعالى بأمر ولا نهاه عن شيء، إلا كان في مصلحته سواء علم ذلك أو لم يعلمه.

كما قال تعالى :﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ الأحزاب: ٣٦ ، هذه الطاعة، وذلك التسليم، الذي أقسم الله تعالى بنفسه على نفي الإيمان عمن لا يملكه في قوله تعالى :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ النساء: ٦٥ ، والصحابة الكرام . رضي الله عنهم . في أمر تحويل القبلة، أمرهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بالتوجه في صلاتهم ناحية المسجد الأقصى فتوجهوا وانقادوا، ولبثوا على ذلك مدة سنة وبضعة شهور، فلما أُمِروا بالتوجه ناحية المسجد الحرام سارعوا وامتثلوا، بل إن بعضهم لما علم بتحويل القبلة وهم في صلاتهم، تحولوا وتوجهوا إلى القبلة الجديدة.



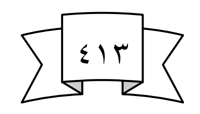
فعن ابن عمر . رضي الله عنه . قال :" بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء، إذ جاء رجل فقال: قد أنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة " الترمذي.

فكان تحويل القبلة اختبارا وتربية للصحابة على السمع والطاعة، والتسليم لله ورسوله، كما قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ البقرة: ١٤٣ ، فالله سبحانه لا يأمر العباد إلا بما فيه مصلحة لهم ولا ينهاهم إلا عما فيه مضرة عليهم وتشريعاته سبحانه جميعها لحكمةٍ يعلمها سبحانه – وإن لم نعلمها – كما قال تعالى :﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ الممتحنة: ١٠.

وله أن يكلف عباده بما شاء ، وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك ،وما على المؤمن إلا الاستجابة والانقياد لأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤ . امتحان المؤمن الصادق واختباره ، فالمؤمن الصادق يقبل حكم الله جل وعلا ، بخلاف غيره ، وقد نبّه الله على ذلك بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ البقرة: ١٤٣ ، لقد بين سبحانه أن هذا التحويل كان بلاء، واختبارا ليتميز عند الناس المؤمنون المخلصون من الشاكين المرتابين ، والله تعالى يبتلي من شاء من عباده بما يشاء من الأحوال ، فأما من كان من أهل الإيمان فسيقول سمعنا وأطعنا، وأما أهل الزيغ فسيقولون سمعنا وعصينا.

فتحويل القبلة جلى و أظهر الإيمان في نفوس المؤمنين، والنفاق والشرك في نفوس أهله.فالمؤمنون قالوا: سمعنا وأطعنا؛ كل من عند ربنا، أما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء، ولو كان نبيا لاستمر على قبلته، وأما المنافقون فقالوا: ما يدري محمد



أين يتجه في صلاته، إن كانت الأولى حقا فقد تركها، وإن كانت الثانية حقا فقد كان على الباطل :﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ الكهف: ٥ .

كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم ، ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعرةٍ، وكل عصبيةٍ لغير منهج الله تعالى ، فقد انتزعهم من الاتجاه إلى البيت الحرام، وشاء لهم الاتجاه إلى المسجد الأقصى لفترةٍ ليست بالقصيرة، وما ذاك إلا ليخلِّص نفوسهم من رواسب الجاهلية.

ثم لمَّا خلصت النفوس وجَّهها الله تعالى إلى قبلةٍ خاصةٍ تخالف قبلة أهل الديانات السماوية الأخرى.

وقد وصف الله تعالى هذه القدرة على تخليص النفوس بأنها **كبيرة:** ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ البقرة: ١٤٣ أي : وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس ، إلا على الذين هدى الله قلوبهم ، وأيقنوا بتصديق الرسول ، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه ، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد،فمع الهدى لا مشقة ولا عسر في أن تخلع النفس عنها أي رداءٍ سوى الإسلام، وأن تنفض عنها رواسب الجاهلية، وأن تتجرد لله تعالى تسمع منه وتطيع، وحيثما وجهها الله تعالى تتجه.

٦ . أهمية الوحدة في الإسلام

المسلمون في الشرق والغرب يتجهون في الصلوات الخمس اليومية، وفي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، رغم اختلاف الألسنة والجنسيات والألوان، يجمعهم الدين الإسلامي الحنيف، وهذا ليعلم المسلم أنه لبنة في بناء كبير واحد مرصوص، وفي الحديث :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا" متفق عليه.

فالمسلمون يتعلمون من وحدة القبلة، وحدة الأمة في الهدف والغاية، وأن الوحدة والاتحاد ضرورة في كل شئون حياتهم الدينية والدنيوية.

٧ . وفيها دليل على جواز القطع بخبر الواحد ، وذلك أن استقبال بيت المقدس كان مقطوعا به من الشريعة عندهم ، ثم إن أهل قباء لما أتاهم الآتي وأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى المسجد الحرام قبلوا قوله واستداروا نحو الكعبة

و قبول خبر الواحد مجمع عليه من السلف معلوم بالتواتر من عادة النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه ولاته ورسله آحادا للآفاق ، ليعلموا الناس دينهم فيبلغوهم سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي.

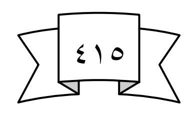
٨ . وفيها دليل على أن من لم يبلغه الناسخ إنه متعبد بالحكم الأول

وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ، وإن تقدم نزوله وإبلاغه ؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء.

٩ . أنّ الله سبحانه وتعالى لا ينسخ حكماً إلا إلى ما هو أفضل منه أو مثله ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ البقرة: ١٠٦.

١٠ . كما أن ارتباط مناسك الحج بالبيت الحرام وبالكعبة المشرفة فناسبه أن يكون التوجه بالصلاة إلى البيت الذي تكون فيه وحوله المناسك.

١١ . أظهر تحويل القبلة حرص المؤمن على أخيه وحب الخير له، فحينما نزلت الآيات التي تأمر المؤمنين بتحويل القبلة إلى الكعبة، تساءل المؤمنون عن مصير عبادة إخوانهم الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس، فأخبر الله . عز وجل . أن صلاتهم مقبولة.



فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما وجِّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ البقرة: ١٤٣ **يعني صلاتكم..**

١٢ ـ مخالفة أهل الكتاب، فقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم ـ يريد أن يتوجه في صلاته إلى الكعبة، وكان حريصا على أن يكون متميزاً عن أهل الديانات السابقة، الذين حرفوا وبدلوا وغيروا ، ولهذا كان ينهى عن تقليدهم والتشبه بهم، بل يأمر بمخالفتهم، ويحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه من الزلل والانحراف، ومن ثم كان من مقتضى هذا الحرص أن يخالفهم في قبلتهم، ويتوجه في صلاته بشكل دائم إلى قبلة أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو أول بيت وضع للناس، وهذا كان ما يتمناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

جاء تحويل القبلة يؤسِّس لمبدأ التمايز؛ أي : تمايز الأمَّة المسلِمة عن غيرها في كلِّ شيء: في الرِّسالة، والتشريع والمنهج، والأخلاق والسلوك، وقبلَ كلِّ ذلك التمايز في الاعتقاد.

١٣ ـ مكانة النبي صلى الله عليه و سلم ومنزلته عند ربه سبحانه وتعالى قال تعالى :﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ البقرة: ١٤٤ ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء ، يحب أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة ، حتى صرفه الله إليها بعد ما تميّز المجتمع المسلم في المدينة المنورة عن غيره من مجتمعات الجاهلية ـ كاليهود ومشركي العرب والنصارى وغيرهم ـ زاده الله تميّزاً، بأن نزل الوحي على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصرف المسلمين عن القبلة التي كان يشاركهم فيها اليهود وهي بيت المقدس، إلى قبلة الإسلام خاصة وهي الكعبة

المشرفة .. ومن ثم كانت حادثة تحويل القبلة هي الفاصل بين الحرب الكلامية والتدخل الفعلي من جانب اليهود لزعزعة الدولة الإسلامية الناشئة..

عن البراء بن عازب . رضي الله عنه . قال : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده – أو قال أخواله – من الأنصار وأنه – صلى الله عليه وسلم – صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قِبل مكة، فداروا كما هم قِبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك " الحاكم.

وقد أخبر الله تعالى بما سيقوله اليهود عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، من إثارة الشكوك والإنكار والتساؤلات قبل وقوعه .

وفي أمر تحويل القبلة قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ البقرة: ١٤٩ - ١٥٢ .

الخطبة الثانية : حقوق الأخوة ١

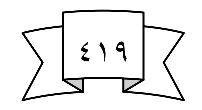
أما بعد:عباد الله ، لقد أصبحت الأمة الآن كما ترون غثاءً من النفايات البشرية، وتعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متمزقة متناثرة متصارعة متحاربة، تفصل بينها حدود جغرافية مصطنعة، ونعرات قومية جاهلية بغيضة، وترفرف على سماء الأمة رايات القومية والوطنية، وتحكم الأمة قوانين الغرب العلمانية، وتدور بالأمة الدوامات السياسية، فلا تملك الأمة نفسها عن الدوران، بل ولا تختار لنفسها حتى المكان الذي تدور فيه! لقد تمزق شمل الأمة، وتشتت صفها، وطمع في الأمة الضعيف قبل القوي، والذليل قبل العزيز، والقاصي قبل الداني، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة لأحقر وأخزى وأذل أمم الأرض من إخوان القردة والخنازير.

والسبب الرئيسي: أن العالم الآن لا يحترم إلا الأقوياء، والأمة أصبحت ضعيفة؛ لأن الفرقة سبب من أسباب الضعف والخذلان والضياع، والقوة ثمرة طبيعية من ثمار الألفة والوحدة والمحبة، فما ضعفت الأمة بهذه الصورة المهينة إلا يوم أن غاب عنها أصل وحدتها وقوتها وألفتها وحبها، ألا وهو: الأخوة في الله بالمعنى الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ إن الأخوة في الله لا يمكن أبداً أن تتحقق إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها، ومحال أن تتحقق أخوة بمعناها الحقيقي إلا على عقيدة صافية بشمولها وكمالها، كما حولت هذه الأخوة الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، يوم أن تحولت هذه الأخوة التي بنيت على العقيدة بشمولها وكمالها إلى واقع عملي ومنهج حياة، وقد تجلى هذا الواقع المشرق يوم أن آخى النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بين الموحدين في مكة، وهذه هي المرحلة الأولى من مراحل الإخاء، فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل التوحيد في مكة وبين الذين اختلفت ألوانهم وأوطانهم وألسنتهم وأشكالهم، آخى بين حمزة القرشي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وأبي ذر الغفاري،

وكان هؤلاء على اختلاف ألوانهم وأوطانهم –بعد أن آخى بينهم رسول الله– يهتفون بهذه الأنشودة العذبة الحلوة: أبي الإسلام لا أبَ لي سِوَاهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ وبعد أن تصافحت القلوب مع القلوب، وامتزجت الأرواح بالأرواح، ذهبوا يرددون جميعاً قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠.

ثم آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل المدينة من الأوس والخزرج بعد حروب بينهم دامية طويلة، وبعد صراع مرير دمر الأخضر واليابس!! ثم آخى رسول الله بين أهل مكة من المهاجرين وبين أهل المدينة من الأنصار، في مهرجان حُبٍّ لم ولن تعرف البشرية له مثيلاً في مهرجان حب تصافحت فيه القلوب في مهرجان حب امتزجت فيه الأرواح! وتأمل هذا المشهد الرائع الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: (آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد لأخيه عبد الرحمن الذي جاء إلى المدينة من مكة مهاجراً: يا عبد الرحمن! إنني أكثر الأنصار مالاً، وسأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي زوجتان فانظر أعجبهما إليك لأطلقها، فإذا انقضت عدتها تزوجتها، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك! بل دلني على السوق، فدله سعد بن الربيع على سوق بني قينقاع، فانطلق عبد الرحمن بن عوف ليتاجر ويبيع ويشتري، فما لبث أن عاد ومعه فضل من أقط وسمن، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وعليه صفرة، فقال له المصطفى: مهيم؟ –أي: ما الذي بك يا عبد الرحمن؟! – فقال عبد الرحمن: تزوجت امرأة من الأنصار يا رسول الله! فقال المصطفى: فما سقت إليها؟ –أي: من صداق– فقال عبد الرحمن: سقت لها مقدار نواة من ذهب، فقال له المصطفى: أولم ولو بشاة) .

وقد يتحسر الآن كل الإخوة على زمن سعد بن الربيع ويقولون: أين سعد بن الربيع الذي يشاطر أخاه في ماله، بل وفي زوجتيه؟



والجواب : ضاع زمن سعد بن الربيع وذهب يوم أن ذهب عبد الرحمن بن عوف.

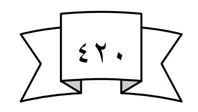
فلئن سألت: من الذي يعطي الآن عطاء سعد؟ فسأجيبك وأقول: وأين من يتعفف الآن عفة عبد الرحمن بن عوف؟!! لقد ذهب رجل إلى أحد السلف فقال: أين الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً؟ فقال له: ذهبوا مع من لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا.

فلا تسل: أين سعد؟ بل سل قبلها: أين عبد الرحمن؟ وأين أهل العفة؟ وأين أهل الحياء؟ وأين أهل الفضل؟ وهذا مشهد من مشاهد الإخاء، والله! لولا أن الحديث في أعلى درجات الصحة لقلت: إن هذا المشهد من مشاهد الرؤى الحالمة الوديعة الرقراقة الرقيقة! هذه هي الأخوة الصادقة، هذه هي حقيقتها، تلكم الأخوة التي لا يمكن أبداً على الإطلاق أن تدانيها أخوة بنيت على أواصر الوطن أو العرق أو النسب أو الدم أو اللون؛ لأن الأخوة في الله لا تتبنى إلا على أواصر العقيدة، وأواصر الإيمان، وأواصر الحب في الله، تلكم الأواصر التي لا تنفك عراها أبداً.

والأخوة في الله نعمة من الله وفيض منه، يغدقها الله على المؤمنين الصادقين.

والأخوة في الله شراب طهور يسقيه الله المؤمنين الأصفياء الأتقياء؛ ولذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان، فلا تنفك الأخوة عن الإيمان، ولا ينفك الإيمان عن الأخوة، فإن وجدت أخوة من غير إيمان فاعلم بأنها التقاء مصالح وتبادل منافع، وإن رأيت إيماناً بدون أخوة صادقة فاعلم بأنه إيمان ناقص، يحتاج صاحبه إلى دواء وإلى علاج؛ ولذا جمع الله بين الإيمان والأخوة في آية جامعة فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠.

فالمؤمنون جميعاً كأنهم روح واحد حل في أجسام متعددة، كأنهم أغصان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة، أين هذه المعاني الآن؟!! لو تحدثت الآن عن



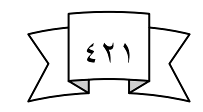
مشهد كهذا الذي ذكرت، ربما استغرب بعض أهل الإسلام هذه الكلمات، وظنوها من الخيالات والأوهام؛ لأن حقيقة الأخوة قد ضاعت الآن بين المسلمين، وإن واقع المسلمين اليوم ليؤكد الآن تأكيداً جازماً لا لبس فيه انعدام حقيقة الأخوة، فلم تعد الأخوة إلا مجرد كلمات جوفاء باهتة باردة، فأنت تنظر إلى المسلم الآن ينظر إلى إخوانه هنا وهناك يذبحون ذبح الخراف، وتقطع أثدية نسائهم، وتنتهك أعراضهن، بل ويطردون من أرضهم وديارهم وبلادهم، ومع ذلك ينظر المسلم إلى هؤلاء الإخوة فيضحك بملء فيه، ويأكل ملء بطنه، وينام ملء عينه، ويهز كتفيه ويمضي وكأن الأمر لا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد!! الأخوة الموصولة بحبل الله نعمة امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣.

فالأخوة في الله نعمة امتن الله عز وجل بها على المسلمين، فمستحيل أن تجد قانوناً وضعياً على ظهر الأرض يؤلف بين القلوب، قال عزوجل: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ الأنفال: ٦٣ ، ومحال أن ترى قانوناً وضعياً بشرياً يؤلف بين قلوب أهله وأصحابه، فهذه نعمة لا يمنحها الله عز وجل إلا لأهل الإيمان، فإن رأيت محبة بين غير أهل الإيمان فاعلم بأن قلوب هؤلاء متناثرة متشتتة، كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ الحشر: ١٤ ، أما التقاء القلوب بصدق وصفاء فلا يكون إلا لمن ملأ الله قلوبهم بالإيمان.

حقوق الأخوة

من حقوق الأخوة الحب في الله والبغض في الله

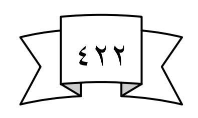
الحق الأول من حقوق الأخوة في الله: الحب في الله والبغض في الله.



محال أن تتحقق أخوة صادقة من غير حب في الله وبغض في الله، فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، كما في الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي، وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من أحبَّ لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) فهل تحبني لله؟ وهل أنا أحبك لله؟ وهل تحب أخاك لله؟ وهل تبغض أخاك لله؟ وهل تعطي أخاك لله؟ وهل تمنع فلاناً لله؟ سل نفسك الآن بصدق؛ فإن عقد الولاء والبراء الآن ليس لله إلا من رحم الله، وإنما من أجل رايات ومسميات وجماعات، فأنا أحب أخاً ينتمي لجماعتي، ويجلس معي بين يدي شيخي الذي أتتلمذ على يديه، وأتلقى العلم عنه، أما هذا الأخ الصادق المتبع المخلص الناصح الأمين فأنا أبغضه، فهو لا يفهم ولا يعي ولا يدرك عن الواقع شيئاً، وهو رجل جهول، ولا حديث له إلا في الحيض، ولا يتكلم إلا في النفاس، ولا يجيد الحديث إلا في الرقائق، ولا يحسن القول إلا فيما يبكي الناس، فأنا أبغضه؛ لأنه لا ينتمي إلى جماعتي!! هذه مصيبة تحطم القلب.

فهذا نتنياهو يصفع الأمة بالنعال على الأقفية، ولا زال إخواننا الذين يعملون للدين، والذين يرفعون راية الإسلام، يوالون ويعادون على مسميات ما تعبدنا الله بها، وما أنزل الله بها من سلطان!! فهل تحب لله؟ وهل تبغض لله؟ وهل تعطي لله؟ وهل تمنع لله؟ ولماذا أتيت؟ ولماذا لم تأت؟ ولماذا تكلمت؟ ولماذا صمت؟ ولماذا أعطيت؟ ولماذا منعت؟ ولماذا ابتسمت؟ ولماذا غضبت؟ ولماذا أحببت؟ ولماذا واليت؟ ولماذا عاديت؟ سل نفسك الآن أيها المسلم! هل عملك لله؟ واصدق الله، فلو خادعت الخلق فلن تخادع الذي يعلم منك السر وأخفى، فمن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.

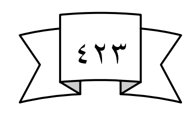
وتدبروا هذه الطائفة النبوية الشريفة من الأحاديث الصحيحة: في الصحيحين من حديث أنس، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة



الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار) أولها: وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فإذا كانت هذه فيك تذوقت حلاوة الإيمان؛ فإن للإيمان طعماً وحلاوة.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وأرجو ألا تسمع هذا الحديث وتجعله كلاماً عابراً، فإن هذا يكاد أن يمزق القلب، فإني أرى بعض الإخوة يستمعون، وكأن الكلام لا يصل إلى القلوب البتة! يقول صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) ، فهل فكرت في هذه العبارة النبوية؟! يوم القيامة ستدنو الشمس من الرءوس، فلا عمارات ولا أشجار ولا بيوت ولا مكيفات، فالشمس فوق الرءوس، والرءوس تلتهب من حرارتها، والزحام يكاد وحده أن يخطف الأنفاس، والبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه الساعة واقفة في أرض واحدة، وجهنم تزفر وتزمجر، (قد أتي بها لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) كما روى مسلم من حديث ابن مسعود، وفي ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ينادي الله جل وعلا على سبعة أصناف من البشرية في أرض المحشر؛ ليظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهؤلاء هم: (إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه – من منا يعجز عن هذه؟ – ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه –أي: اجتمعا على الحب في الله، وتفرقا على الحب في الله– ورجل دعته امرأة ذات منصبٍ وجمال – أي: للزنا– فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) .

اللهم ارزقنا عيناً دامعة، وقلباً خاشعاً، وعملاً متقبلاً يا رب العالمين! والشاهد هنا قوله: (ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه) .

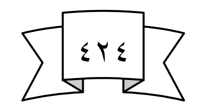


وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى الملك قال له الملك: أين تريد؟ قال له: إلى أخ لي في هذه القرية، فقال له الملك: فهل لك من نعمة تربها عليه -أي: تبتغي زيادتها- قال: لا؛ غير أني أحببته في الله، فقال له الملك: فإني رسول الله إليك أخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) ، وأرجو ألا تمر أخي المسلم! على هذه الكلمات النبوية مرور الكرام، بل قف عليها متأملاً متدبراً، فمن أنت ليخبرك الملك بأن الله قد أحبك كما أحببت أخاك فيه؟! وفي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، والحاكم في المستدرك، وصححه على شرط الشيخين، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه مالك في الموطأ بسند صحيح، أن أبا إدريس الخولاني رحمه الله قال: (أتيت مسجد دمشق فإذا فتىً براق الثنايا، والناس من حوله، وإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه -أي: أنه شاب صغير في حلقة من الناس فيهم الكبار والصغار، ولكنهم إذا اختلفوا في شيء سألوا هذا الشاب المبارك، فإذا ما أفتاهم أخذوا بقوله وفتواه- فقال أبو إدريس: من هذا؟ فقالوا: إنه معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال أبو إدريس: فلما كان من الغد هجّرت إلى المسجد -أي: بكرت إلى المسجد- فوجدت معاذاً قد هجر وسبقني، ووجدته يصلي، فانتظرت حتى قضى صلاته، فجئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله! إني لأحبك، فقال معاذ: آلله؟ فقال أبو إدريس: آلله.

فقال معاذ: آلله؟ فقال أبو إدريس: آلله.

قال أبو إدريس: فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال لي: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في) .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده! لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على



شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟! قالوا: بلى، يا رسول الله! قال: أفشوا السلام بينكم) فسلم على أخيك بصدق وحرارة، ولا تسلم سلاماً باهتاً بارداً، ووجهك في الاتجاه الآخر، خذ على يد أخيك بحب، فإنك قد ترى الأخ يأخذ بيد أخيه بطرف أصابعه، ويلوي عنقه إلى ناحية أخرى، ولا تشعر بحرارة اللقاء، ولا بإخلاص المصافحة، ولا تشعر بأن القلب قد صافح القلب، ولا تحس بأن الروح قد سلمت وامتزجت بالروح، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول -كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف) ، قال الخطابي: فالخيِّر يحن إلى الأخيار، والشرير يحن إلى الأشرار، وهذا هو معنى: (ما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر من الأرواح اختلف) ولذا لا يحب المؤمن إلا من هو على شاكلته من أهل الإيمان، ولا يبغض المؤمن إلا منافق خبيث القلب، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ مريم: ٩٦ أي: محبة في قلوب عباده المؤمنين، اللهم اجعل المحبة والود لنا في قلوب عبادك المؤمنين برحمتك يا أرحم الراحمين! وهذه -أخي الحبيب- لا ينالها مؤمن على ظهر الأرض إلا بإذن الله، يعني: لا يضع الله محبتك في قلوب المؤمنين الصادقين إلا إذا أحبك ابتداءً، في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فقال: يا جبريل! إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء! إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض -اللهم اجعلنا من هؤلاء الصادقين، برحمتك يا أرحم الراحمين! وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، وينادي جبريل في أهل السماء: يا أهل السماء! إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض) اللهم سلم سلم يا أرحم الراحمين! اللهم عاملنا بفضلك ورحمتك، واستر ذنوبنا وعيوبنا

بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين! إذاً: أيها الأحبة الكرام! الخيِّر لا يميل إلا إلى الأخيار، ولذا لو سافر إنسان حتى إلى بلاد الكفر وكان مؤمناً صادقاً فإن أول ما سيسأل عنه: المسجد أو المركز الإسلامي في هذه الولاية، وسرعان ما يسرع إليه فتلتقي روحه بأرواح إخوانه، أما الخبيث الذي ذهب للفسق والعربدة فإنه بمجرد أن يصل فسيسأل عن الخمارة، وعن أماكن الدعارة، اللهم استرنا ولا تفضحنا، فالخيِّر يحن إلى الأخيار، والخبيث يحن إلى الخبثاء الأشرار.

وهناك أحاديث كثيرة في الحب في الله، ولا زلنا مع الحق الأول فقط من حقوق الأخوة الصادقة في الله جل وعلا، لكن أرجو أن ينتبه الإخوة إلى أن المرء لن يحشر يوم القيامة إلا مع من أحب، ففتش عن قلبك الآن، فهل أنت تحب الممثلين والممثلات؟ فإن كنت كذلك فستحشر معهم، وهل تحب الساقطين والساقطات، واللاعبين واللاعبات؟ إن كنت كذلك فستحشر معهم، أم هل أنت تحب الأطهار والأخيار والأبرار ابتداءً بنبيك المختار وصحابته الأبرار؟ إن كنت كذلك فستحشر معهم.

الخطبة الثالثة : حقوق الأخوة ٢

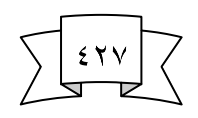
أما بعد:عباد الله ، من حقوق الأخوة طهارة القلب من الغل والحقد والحسد

الحق الثاني من حق الأخ على أخيه: ألا يحمل الأخ على أخيه غلاً في صدره ولا حقداً ولا حسداً؛ لأن المؤمن سليم الصدر، طاهر النفس، زكي النفس، تقي القلب، نقي القلب.

المؤمن ينام على فراشه من الليل وهو يشهد الله في عليائه أنه لا يحمل ذرة غل أو حقد أو حسد على مسلم على وجه الأرض، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيحين من حديث أنس : (لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا -عباد الله- إخواناً) .

فالحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب والعياذ بالله! فقد يرى الأخ أخاه في نعمة فيحقد عليه ويحسده، ونسي هذا الجاهل أنه ابتداءً لم يرض عن الله الذي قسم الأرزاق، فمن الذي وهب؟ إنه الله، ومن الذي أعطى هذا العلم، وأعطى هذا المال، وأعطى هذه الزوجة الصالحة، وأعطى هذا الولد الطيب، وأعطى هذا الحلم، وأعطى هذا الفضل؟ إنها أرزاق قسمها الرزاق، فالذي يحسد إخوانه هو في حقيقة الأمر معترض على الله جل جلاله، فليتق الله، وليتب إلى الله، وليعد إلى الله سبحانه، وليسأل الله الذي وهب هذا أن يعطيه من فضله وعظيم عطائه، كما أعطى إخوانه من عظيم فضله وواسع عطائه.

والحسد من خصال اليهود، فكل منا ينقب الليلة في قلبه، ابحث في قلبك يا من تستمع إلي الآن! ويا من تستمع إلي بعد ذلك عبر شريط الكاسيت! فأنا لا أخاطبكم أنتم فقط، بل أخاطب ملايين الأمة ممن يسمعون هذا الشريط، فكل ينقب في قلبه، هل خلا قلبك من الحقد؟ وهل طهر قلبك من الغل؟ وهل طهر قلبك من الحسد؟ هل رددت هذا الدعاء مع هؤلاء الصادقين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

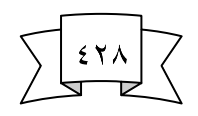


رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ١٠ ؟ فردد هذا الدعاء مع هؤلاء بصفاء، وصدق، وعمل، قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ الحشر: ٩ - ١٠.

فلماذا الحقد والحسد، وصاحب الفضل هو الله، والذي يقسم الأرزاق بعدله هو الله؟ هل تشك في عدل الله؟ سل الله الذي أعطى إخوانك أن يعطيك من فضله، وهو الواسع العليم.

روى أحمد في مسنده بسند جيد من حديث أنس قال: (كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فخرج علينا رجل تقطر لحيته من أثر الوضوء، وقد أخذ نعليه بشماله، فدخل فصلى وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف، وفي اليوم التالي قال النبي صلى الله عليه وسلم: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فدخل الرجل نفسه، وفي اليوم الثالث قال النبي كذلك، فانطلق وراءه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال: يا أخي! لقد تلاحيت مع أبي –أي: تشاجرت مع أبي– وأقسمت ألا أبيت في داره ثلاث ليال، فإن رأيت أن أبيت هذه الليالي معك فعلت، قال: نعم أفعل –فبات عبد الله بن عمرو معه؛ ليراقب هذا الرجل في عمله فيقتدي به؛ ليكون من أهل الجنة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المطففين: ٢٦ فهم كانوا يتسابقون في الخيرات لا في كشف العورات، ولا في هتك العورات.

قال:– فكان عبد الله بن عمرو يراقب الرجل، فلم ير كثير عمل، ولم ير الرجل يقوم من الليل، إلا أنه إذا استيقظ من نومه ذكر الله ونام، حتى إذا حان وقت صلاة

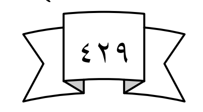


الفجر قام فصلى الفجر -يحافظ على الصلاة في بيت الله خلف رسول الله- ولا يتكلم إلا بخير، فلما انقضت الليالي قال له ابن عمرو: يا أخي! والله! ما تلاحيت مع أبي، ولكن رسول الله قال كذا وكذا، وأنا أتيت لكذا وكذا فلم أر شيئاً، فقال الرجل: هو ما رأيت، فلما انصرف نادى عليه وقال: هو ما رأيت إلا أنني أبيت ولا أحمل لأحد من المسلمين في قلبي غشاً ولا حقداً ولا حسداً، فقال عبد الله بن عمرو: هذه هي التي بلغت بك) إنها سلامة الصدر للمسلمين؛ ولذا -يا أخي- أنا بشر وأنت بشر، فلا تعكر صفاء قلبي لإخواني بكلمات من عندك، ولا تعكر حب أخيك لأخ من إخوانه بنميمة خبيثة بحجة أنك تنصحه! الرسول صلى الله عليه وسلم -وهو صاحب أسلم صدر على وجه الأرض، وصاحب أطهر قلب- كان يأمر أصحابه ألا يخبروه بشيء عن أصحابه؛ حتى يخرج إليهم وهو يحمل للجميع صدراً سليماً، وقلباً طاهراً نقياً، إنها أخلاقيات لا توجد الآن إلا بين القلة القليلة من الموحدين الذين عرفوا قدر الأخوة الصادقة في الله.

من حقوق الأخوة التورع في القول

الحق الثالث: من حق أخيك عليك -إن لم تستطع أن تنفعه بمالك- أن تكف عنه لسانك، وهذا التورع في القول أضعف الإيمان، فإن ترك الألسنة تُلقي التهم جزافاً دون بينة أو دليل يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقول ما شاء في أي وقت شاء، فتصبح الجماعة وتمسي وأعراضها منتهكة، وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وهذه حالة من القلق والشك والريبة لا يمكن أن تطاق بحال من الأحوال، فكيف يعيش مسلم في هذه البيئة؟! يخرج وهو متهم أو خائف من أن يتهم؛ لأنه يرى إخوانه يراقبونه ويرصدونه، وهم له على كل كلمة وعلى كل سلوك بالمرصاد! فمن كان كذلك فهو يعيش في حالة قلق واضطراب.

فتورع في القول عن إخوانك، فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم، قال الله جل وعلا: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨.



وقال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور: ١٩ .

وقال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور: ٢٣ - ٢٥ .

فتورع عن إخوانك، وأمسك عليك لسانك، وتورع عن العلماء، وتورع عن الخوض في أعراض كواكب الأمة ومصابيح الدجى وأئمة الهدى، تورع عن الخوض في أعراض الشيوخ، وعن الخوض في أعراض الإخوة والأخوات، واتق الله، فوالله! ما من كلمة إلا وهي مسطرة عليك في كتاب عند ربي، لا يضل ربي ولا ينسى.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى: (أنه قال: يا رسول الله! أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة –واللفظ للبخاري – أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم) والعياذ بالله! وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود والحاكم وأحمد، وصححه الألباني من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:: (الربا اثنان وسبعون باباً: أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عِرْضِ أخيه) .

فاستطالتك في عرض أخيك أبشع من الربا، بل أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه.

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب، والحديث رواه الطبراني، وقال عنه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة: حديث صحيح بمجموع طرقه، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال، قيل: ما ردغة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار، حتى يخرج مما قال وليس بخارج) .

ووالله! لو كنا نحمل في قلوبنا ذرة إيمان، ونسمع حديثاً من هذه الأحاديث؛ لألجم الإنسان منا لسانه بألف لجام قبل أن يتكلم بكلمة، ولكنه لا أقول: إنه ضعف إيمان، بل إنا لله وإنا إليه راجعون.

من حقوق الأخوة قضاء حوائج الدنيا على قدر الاستطاعة

الحق الرابع: من حق الأخ على أخيه إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا ألا يبخل عليه، ويجب على الأخ أن يحسن الظن بأخيه إن طلب منه أمراً من أمور الدنيا، وعجز عن أن يساعده فيه، فلا يتهمه أنه فرط وضيع؛ لأن هذه هي حياة الأُخوة، فقد أكلفك بأمر وأنت تتمنى من كل قلبك أن تقضيه لي، ذهبت إلى موطن عملك ومنصبك فعجزت عن أن تؤدي لي هذه الخدمة، فهل أبغضك وأهجرك؟! لا، فليس هذا هو حسن الظن بالإخوة، فالتمس لأخيك الأعذار، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول -كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

فيا أخي المسئول! يا من منّ الله عليك بمنصب! ويا من منّ الله عليك بمال! ويا من منّ الله عليك بوجاهة أو جاه، إن استطعت أن تنفع إخوانك فافعل ولا تبخل.

وبالمقابل يجب على الإخوة ألا يكلفوا إخوانهم ما لا يطيقون، فإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم، وما أجمل أن يقول الأخ لأخيه: أخي في الله! أسأل الله أن يجعلك مفتاح خير، وهذه حاجتي إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك؛ هذه هي الأخوة! فعليك أن تعين إخوانك على حوائجهم الدنيوية على قدر استطاعتك؛ فإن الله جل وعلا يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾البقرة: ٢٨٦ ، وأنا لا أظن البتة أن مسلماً يستطيع أن ينفع إخوانه يسمع هذا الحديث الواحد فقط ويتخلى بعد ذلك عن أن ينفعهم ولو بكلمة طيبة، ولو بشفاعة مخلصة؛ فإن المحروم من حرمه الله من هذا الفضل، أسأل الله ألا يحرمنا وإياكم من فضله.

من حقوق الأخوة النصيحة بضوابطها وشروطها

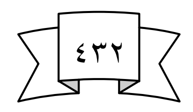
الحق الخامس من حقوق الأخوة: التناصح، فالمؤمنون نصحة، والمنافقون والمجرمون غششة.

في صحيح مسلم من حديث أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

لكن أتمنى من الله أن يعي إخواني الضوابط الشرعية للنصيحة.

قال الشافعي: (من نصح أخاه بين الناس فقد شانه، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه) .

فقد يأتي أخ لينصحك فتشم من رائحته الحقد والغل، ولا تشعر أبداً بحب.

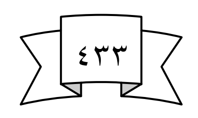


وأما الناصح الصادق فهو رقيق القلب مخلص، نقي السريرة؛ يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإن رأى أخاه في عيب أو على معصية أو خطأ دنا منه، وتمنى أن لو ستره بجوارحه لا بملابسه، ثم قال له: حبيبي في الله! هذه نصيحتي لك يكللها الحب والصدق والإخلاص والغيرة، فأنا لا أحب أن يظهر خطؤك للآخرين، وليبين له النصيحة بأدب ورحمة وتواضع؛ أما أن يأتي أخ لينصحك أو أن يرسل إليك رسالة بحجة أنها نصيحة، فترى التوبيخ والتقريع وسوء الأدب، فهذا المسكين يظن نفسه أنه ناصح أمين، وهو خبيث القلب لم ينصح، بل كتب ليؤذي أخاه، أو تكلم ليؤذي أخاه، بل ليتهم أخاه، بل -والله! - إنه قد يسطر بعض التهم دون بينة أو دليل، ويزعم أنه نصح فلاناً من الناس، وهو كذاب؛ فالنصيحة لها آداب، ولها ضوابط، ولها شروط، فلتشعر أخاك وأنت تنصحه بحبك وبتواضعك وبخفضك لجناح الذل له.

قال عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح: ٢٩ ، جلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك الإمام المجاهد التقي العابد الورع، فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: (يا أخي! هل غزوت الروم؟! قال: لا.

قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا.

فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم، وسلم منك الفرس، ولم يسلم منك أخوك!!) يا لها من مصيبة، ويا له من عار، نجلس ونتفنن ونتحذلق في تصيد أخطاء بعضنا البعض، ويجلس الأخ منتفخاً منتشياً يتكلم عن أخيه وكأنه يتكلم عن مشرك، وكأنه لا يتكلم عن أخ يربط بينه وبينه رباط الإسلام ورباط الحب في الله، بل يتمنى أن لو ذبح أخاه ونشر لحمه بين الناس، فأين الأخوة؟! والله! إن القلب ليتمزق، وهذا الذي أحكي عنه موجود بين الإخوة الذين يعملون على الساحة للإسلام، فما ظنكم بما يحدث بين بقية المسلمين؟! والله! إننا لا نستحق تمكيناً، والله! إننا لا



نستحق نصراً، والله! إننا لا نستحق رفعة ولا عزة؛ إن لله سنناً ربانية في الكون، لا تحابي هذه السنن أحداً من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة.

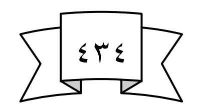
اليهود في العالم كله يشعر بعضهم ببعض، ويأتي أصحاب الأموال من قلب نيويورك ليقيموا المستوطنات لإخوانهم في القدس، ويذهب بعض أثرياء العرب إلى الشرق والغرب لينفق على عاهرة في ليلة ما يزيد على عشرة آلاف دولار! إن لله سنناً ربانية في الكون، لا تحابي هذه السنن أحداً من الخلق بحال، مهما ادعى لنفسه من مقومات المحاباة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الحج: ٤٠.

فمن الحقوق التي يجب علينا أن نعيدها في حياتنا إلى واقع عملي بضوابطها الشرعية: التناصح، فعليك أن تنصح أخاك بأدب وتواضع وحكمة ورحمة! وأشدد عليكم يا طلاب العلم! إذا كانت النصيحة لشيخ من شيوخكم أو لعالم من علمائكم فإياك أن تنسى قدرك، وإياك أن تغض الطرف عن فضل شيخك، فليس هذا من الأدب، ووالله! لا بركة في علمك ولا فيما تعلمت إن كنت ممن يسيء الأدب لمن علمك عن الله وعن رسول الله.

من حق الدين وحق الأخوة أن تنصح أخاك، لكن بضوابط النصيحة وشروطها، وإن لم تكن عالماً بضوابط النصيحة الشرعية فاسأل عنها، وتعلمها قبل أن تبذل النصيحة لأحد إخوانك؛ حتى لا تريد أن تنصحه فتقع في فضيحته، أسأل الله أن يستر علي وعليكم في الدنيا والآخرة.

من حقوق الأخوة التناصر

الحق السادس من حقوق الأخوة: التناصر.



يقول صلى الله عليه وسلم: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله! عرفنا كيف ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: أن تكفه عن الظلم، فذاك نصره) فانصر أخاك في كل الأحوال، فإن كان ظالماً فخذ بيده وكفه عن الظلم، وإن كان مظلوماً –وأنت تملك أن تنصره– فانصره ولو بكلمة، وإن عجزت فبقلبك.

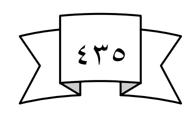
إن استطعت أن تنصر أخاك بيدك فانصره بيدك، وإن عجزت عن نصرته باليد فانصره بلسانك، وإن عجزت عن ذلك فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

فهذه مسلمة استغاثت في أقصى بلاد الروم ونادت وقالت: وا إسلاماه! وا معتصماه! فنصرها المعتصم وقال: لبيك لبيك أختاه! فأين التناصر الآن بين هذه (الملايين المملينة) ؟! آخر إحصائية لتعداد المسلمين في العالم مليار ومائتان وخمسون مليون مسلم، إحصائية ستة وتسعين وتسعمائة وألف للميلاد، وقد كنا نقول: المسلمون مليار مسلم، لكن إحصائية سنة ستة وتسعين تبين أن عدد المسلمين في العالم بلغ ملياراً ومائتين وخمسين مليون مسلم، إحصائية كبيرة، وعدد ضخم، ومع ذلك يصرخ المسلم هنا، وينتهك عرض الأخت هنالك، وينادي الجميع، ولكن من يجيب؟! أين المعتصم؟! فالتناصر من حقوق الأخوة، من حقوق الأخوة أن تنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، تنصر أخاك ظالماً بكفه عن الظلم، وتنصر أخاك مظلوماً بعونه وإعانته إن كنت تقدر على ذلك، إما بيدك، فإن عجزت فبلسانك، فإن عجزت فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

من حقوق الأخوة الستر

الحق السابع: الستر.

وهو من أعظم حقوق الأخ على أخيه، فمن حق الأخ على أخيه أن يستر عليه، فالأخ ليس ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فإن زل الأخ في هفوة فهو بشر، فاستر عليه قال علماؤنا باتفاق: الناس صنفان: صنف اشتهر بين الناس بالصلاح والبعد



عن المعاصي، فهذا إن زل ووقع وسقط في هفوة من الهفوات لبشريته؛ وجب على المسلمين أن يستروا عليه؛ لأنه رجل مشهور بالصلاح والدين والأخلاق والعلم والفضل، وهو بشر ليس بملك ولا نبي، ولقد مضى زمن العصمة بموت المعصوم المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإن زل أخوك فاستر عليه، ولا تتبع عوراته.

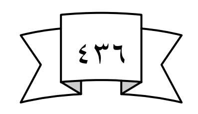
ففي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي برزة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في جوف بيته) .

اللهم استرنا ولا تفضحنا.

يأتي الأخ يتكلم على أحد إخوانه، وكأنه مبرأٌ من كل ذنب، وكأنه مبرأ من كل عيب، ونسي المسكين أن بيته من الزجاج وهو يقذف الناس بالطوب والحجارة، فكل يتذكر ضعفه ونقصه وعيبه، قال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ النساء: ٩٤ ، فإن رأيت أخاً من إخوانك من أهل الفضل والصلاح قد زل فاستر عليه، بل يجب عليك ذلك، أما إن كان الرجل -والعياذ بالله! - ممن يبارز الله بالمعاصي وممن يجهر ويتباهى بالمعصية، فهذا هو الفاسق الفاجر الذي لا غيبة له.

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أن تذكر أخاك بما يكره.

قال: فإن كان في أخي ما أقول؟ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) ، والبهتان هو: الظلم العظيم، فهذه هي أخلاق نبينا، وهذه هي سنة نبينا، ومع ذلك كأن بيننا وبين هذه السنة العظيمة بعد المشرقين.



إذاً: إن زل أخوك وجاء ليعتذر إليك فاقبل عذره، ولا تتعنت، فهذه أمراض منتشرة الآن.

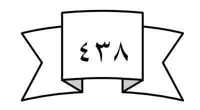
فإن زل الأخ في حق أخيه زلة فقد تراه ينسى كل أعمال هذا الأخ المسكين؛ لمجرد أنه زل زلة، ولا يريد أن يتغاضى معه أبداً، مع أن الله سبحانه يعاملنا يوم القيامة بالحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته نجا، فالله يعامل العباد يوم القيامة بالحسنات والسيئات، ونحن لا نريد أن نعامل إخواننا بهذا! قد نرى الأخ من إخواننا قد بذل وأعطى فإذا زل زلة هل تقوم فتنسف كل أعماله نسفاً؟ أنا أتكلم الآن عن إخواننا من أهل السنة والجماعة، عن إخواننا الذين معنا على المنهج، عن إخواننا الذين يدينون معنا دين الحق، فأنا لا أقصد أبداً سمك لبن تمر هندي، لا أريدها وحدة تجمع شتاتاً متناقضاً على غير حق واتباع وهدى، كلا! بل أنا أتكلم الآن عن إخوة لنا معنا على الطريق، يدينون لله بدين الحق، ومع ذلك إن زل هذا الأخ زلة نسف جهاده، وأصبح الحال كما قال الشاعر: وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه.

الخطبة الرابعة : استقبال رمضان

أما بعد:عباد الله ، أمّا بعد:عِبادَ الله، ما أسرع الأيام وتعاقب الأزمان، فبالأمس ودعنا رمضان، وها نحن اليوم نستقبله بالبشر والسلوان، وهكذا أصبحت عجلة الدنيا تدور بسرعة محسوسة، وكأن أيامها معدودة فأصبحت السنة كالشهر، والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم، فأين المشمرون السابقون؟! أين الصالحون المتقون؟! بل أين المذنبون التائبون؟! وأين المقصرون المنيبون؟! هذا زمان التوبة والاستغفار ... هذا أوان الرجوع والانكسار... هذا أوان الإقبال والبدار.

عباد الله : فشهر رمضان المبارك موسم لا يعدله موسم ، والسعيد من اغتنمه وبذل فيه غاية الجهد في أنواع القرب من القيام والصدقة والاعتكاف وقراءة القرآن إضافة إلى صوم الشهر الذي هو ركن من أركان الإسلام ، ودعامة من دعائمه العظام.

وقد جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الحث على استغلال الشهر وبيان فضله شيء كثير ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ البقرة: ١٨٣ **وقوله تعالى** ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ البقرة: ١٨٥ ، **وقوله تعالى** ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴿٥﴾ ﴾ القدر: ١ - ٥ **وقوله تعالى** ﴿ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٥ **وقوله تعالى** ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحاقة: ٢٤ قال وكيع وغيره: هي أيام الصوم؛ إذ تركوا فيها الأكل والشرب.



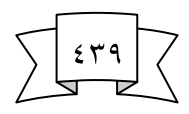
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصيام جنة وحصن حصين من النار) رواه أحمد وحسنه الهيثمي وغيره.

وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر) رواه مسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً _ يعني نظر الرحمة والرضا_ وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك . وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة، وأما الرابعة فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها استعدي وتزيني أو شك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي . وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً . فقال رجل من القوم أهي ليلة القدر ؟ فقال لا . ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم ؟ أخرجه البيهقي وقال الدمياطي إسناده لا بأس به انشاء الله وضعفه الالباني وحسنه غيره.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة"– وفى لفظ مسلم:" فتحت أبواب الرحمة" وينادى منا : يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك فى كل ليلة حتى ينقضى رمضان".

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، فيشفعان "رواه أحمد.



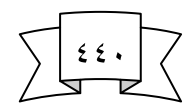
وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة- رضى الله عنه- أنه قال: قال الله تعالى- فى الحديث القدسى الجليل-: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة-أى وقاية- فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخط، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم، فليقل إنى صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه".

اللهم اجعل يوم لقائنا بك اسعد أيامنا يا رب العالمين،" وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه".

و في الحديث المتفق على صحته قال صلى الله عليه وسلم " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه ".

فينبغي على المسلم أن يستقبل هذا الشهر العظيم بالفرح والسرور ، والغبطة وشكر الرب الغفور ، الذي وفقه لبلوغ شهر رمضان وجعله من الأحياء الصائمين القائمين الذين يتنافسون فيه بصالح الأعمال ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان فيقول : " جاءكم شهر رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً ، فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله " [رواه الطبراني في الكبير] .

وقال صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة باباً يُقال له الريّان يدعى يوم القيامة يقال : أين الصائمون ؟ ، فمن كان من الصائمين دخله ، ومن دخله لم يظمأ أبداً " [رواه البخاري ومسلم واللفظ لابن ماجة] .



وعلى العبد أن يُجاهد نفسه فيمنعها عمّا حرم الله عليه من الأقوال والأعمال ، لأن المقصود من الصيام هو التقوى وطاعة المولى ، وتعظيم حرماته سبحانه ، وكسر هوى النفس ، وتعويدها على الصبر لأن الصبر ضياء وأجر عظيم ومثوبة كبرى .

وليس المقصود من الصيام مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات فقط .

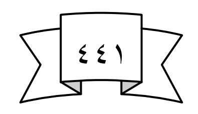
قال صلى الله عليه وسلم : " الصيام جنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنيّ صائم " [رواه البخاري] .

وقال عليه الصلاة والسلام " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " [رواه البخاري] .

وعلى المؤمن أن يكثر فيه من أعمال البر والخير وقراءة القرآن بتعقل وتدبر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإكثار من الباقيات الصالحات من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ، وأن يحافظ ويداوم على الاستغفار ، وأن يتعاهد إخوانه المرضى وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي تقرب العبد من ربه سبحانه ، بل ولا ينبغي أن تكون هذه الأعمال في رمضان فقط ، بل لا بدّ أن تكون هي الشغل الشاغل للمسلم في رمضان وغيره . وفي رمضان آكد .

قال صلى الله عليه وسلم : " من تقرب فيه _ في رمضان _ بخصلة من خصال الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه ، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه " [رواه ابن خزيمة وفيه مقال] .

وخير مايستقبل به شهر رمضان أن يعرف فضله وان يعلى قدره ، بتعظيمه وتوقيره فان ذلك من تقوى القلوب وعلامة ذلك أن يحسن الاعداد والاستعداد له، فلا يلج المسلم إليه كما تلج سائر الأيام عليه، وهكذا كان السلف الصالح يترقبون قدومه بالامل والدعاء وبالعزم والرجاء، فكان من الدعاء المأثور :"اللهم بارك لنا في رجب



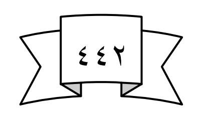
وشعبان وبلغنا رمضان "،فعلى المسلم ان يقدم بين يدي الشهر المبارك وقفات أذكر منها.

أولاً : التوبة خير بداية وآسفاه إن دعينا اليوم بين يدى رمضان إن دعينا اليوم إلى التوبة وما أجبنا واحسرتاه إن ذكرنا اليوم بالله وما أنبنا :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ التحريم: ٨.

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل الأول ويقول: أنا الملك جل وعلا، أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟! من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟! من ذا الذى يستغفر له؟! فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر" .

إن الله سبحانه وتعالى ينادى علينا كل ليلة ليتوب العصاة من أمثالى، وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى أنه قال:" إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى فى الحديث القدسى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى– فاذكر الله بذكرك الله سبحانه– وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب على ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة"



وفى الصحيحين من حديث أنس – رضى الله عنه– "الله أشد فرحا بتوبة عبده إليه حين يتوب من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه راحلته وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها وقد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح".

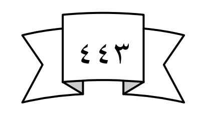
فرح الله إن تبت إليه أعظم من فرح هذا العبد بعودة دابته إليه.

أقبل أيها اللاهى، أقبل أيها العاصى مهما كان ذنبك فعفو الله أعظم، مهما كان جرمك فكرم الله أوسع عد إليه : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣.

قـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – والحديث رواه البخارى من حديث عمر بن الخطاب– رضى الله عنه– يقول: قدم على رسول الله سبى، فإذا امرأة تبحث عن ولدها فلما رأت هذا الولد أخذته فألصقته فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا المنظر الحنون وقال لأصحابه: "أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟" هل ستطرح هذه الأم التى كانت تبحث بهذا الحب والشفقة عن ولدها ثم ألصقته ببطنها وصدرها فأرضعته، هل تطرح هذه الأم ولدها فى النار؟ قالوا: لا يا رسول الله اسمع ماذا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم قال:" والله الله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها".

من ذلك أيضاً ما قاله أحد السلف أنه قال يوما لربه: اللهم أنك تعلم أن أمى هى أرحم الناس بى وأنا أعلم أنك أرحم بى من أمى، وأمى لا ترضى لى الهلاك أفترضاه لى أنت وأنت أرحم الراحمين، أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟ قالوا: لا يا رسول الله، لله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها فعد إلى الله، فالتوبة تجب ما قبلها.



ومن شروط التوبة: أن تندم على ما مضى، فالندم هو ركن التوبة الأعظم وأن تقلع عن جميع الذنوب والمعاصى، وأن تداوم على العمل الصالح، وأن ترد حقوق العباد إلى العباد قبل أن يأتى يوم لا درهم فيه ولا دينار، وإنما أخذ من الحسنات ورد له من السيئات: أتدرون من المفلس؟" والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه– قالوا– المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال :" ولكن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وسفك دم هذا وأكل مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى عليه أخذ من سيئات من ظلمهم ثم طرحت عليه فطرح فى النار" اللهم نجنا من النار.

ثانياً وقفة محاسبة صادقة مع النفس:كيف هي مع مولاها فيما أسلفت من الايام هل تتحرى دوما رضاه ؟هل أدت فرائضه والتزمت حدوده؟ ام أطلقت لهواها العنان فاسرفت في الشهوات وتلطخت بالخطيئات؟

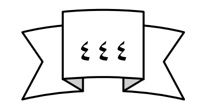
فيقف مع نفسه ويلزمها ببعض الأشياء لا تنازل عنها منها:

أولاً: المحافظة على الصلوات فى جماعة لا تضيع الصلاة ، قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٨.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣.

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– أنه قال:" من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا فى الجنة كلما غدا أو راح".

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أدلكم على ما يمحو به الله الخطايا ويرفع به الدرجات". قالوا بلى يا رسول الله قال: "إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط".



ومن حديث أبى هريرة– رضى الله عنه– فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أرأيتم لو أن نهراً أمام باب أحدكم يغتسل به خمس مرات أيبقى من درنه شئ". يعنى هل يبقى على جسمه شئ من القذر أو الدنس، قالوا: لا يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام:" كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"

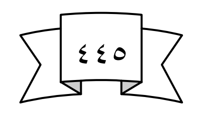
كثيرا من الصائمين يضيع صلاة الفجر وصلاة العصر، يضيع صلاة الفجر لأنه ضيع معظم الليل أمام التلفاز وقبل الفجر بساعة أو ساعتين يغلبه النوم فينام فلا يستطيع أن يقوم لصلاة الفجر وهكذا دواليك اسمعوا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – والحديث فى الصحيحين– قال:"إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء" .

هل ترضى لنفسك أن تكون فى هذا الصنف الخبيث منذ متى وأنت لم تصل الفجر منذ متى حتى صار الأمر عندك عاديا جداً، فإنك ورب الكعبة على خطر عظيم فهذه شهادة نبوية وميزان دقيق على كل مسلم ومسلمة إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء، فصلاة الفجر مقياس دقيق للإيمان والنفاق .

ثانياً: المحافظة على ورد يومياً فى كتاب الله جل وعلا: منذ متى أنت لم تفتح القرآن هيا انفض عن القرآن الغبار وأخرجه من حقيبته، وأشرع فى تلاوة كتاب الله بفهم وتدبر اقرؤوا القرآن، اقرأ القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه .... رواه مسلم من حديث أبى أمامة.

قال ص " لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقيم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار" رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر .

"الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران"..... رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها .



"من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، أما إنى لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف..." رواه الترمذى بسند صحيح من حديث ابن مسعود .

قال :" يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به أى يقدم القرآن سورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان كأنهما عمامتان أو حذقان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما..." رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان .

ثالثاً: صلاة التراويح شهرا: احرص على أن تقيم كل ليالى هذا الشهر الفضيل لا تضيع ليلة، ومن قام مع الإمام حتى ينصرف إمامه كتب له قيام ليلة فاحرص على أن تصلى التراويح كلها مع إمامك، ومن رحمة الله أن ترى فى مساجد المسلمين مسجداً يختم أهله القرآن وترى مسجداً آخر يقرأ بآيات قليلة هذه رحمة وهذا تيسير وتخفيف، فإنه لم يثبت أنه حرص على أن يختم القرآن أو أن يقرأ بجزء فى الليل، بل كل على حسب قدرته وطاقته، وينبغى للإمام أن يراعى أحوال المأمومين وراءه فإن وجد أن المأمومين فى نشاط أو حيوية فلا حرج أن يقرأ القرآن وأن يزيد وإن وجد أن المأمومين خلفه لا يطيقون ذلك فلا حرج عليه أن يخفف، نسأل الله أن يرزقنا الحكمة والرحمة.

رابعاً الإنفاق : فرمضان موسم الجود موسم الإحسان، من فطر فيه صائماً كان له مثل أجر الصائم من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ، طعامك الذى تعده بلا مزيد يكفى أن تطعم منه كل يوم فقيراً أو صائماً. روى البخارى عن ابن عباس– رضى الله عنه–:" كان رسول الله أجود ما يكون بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة فى رمضان يعرض عليه القرآن". فرمضان شهر الجود شهر الإحسان شهر البر شهر النفقة. أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالاً أنفق ينفق عليك. رواه البخارى ومسلم

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة يقول فى الحديث القدسى:" يا آدم أنفق عليك"

لو أنفقت تولى الإنفاق عليك من لم تنفد خزائنه، أنفق ينفق عليك ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾ آل عمران: ٩٢.

فاجتهد أن تفطر معك كل يوم صائماً أو يزيد، رمضان شهر الذكر والاستغفار والتوبة والحرص على الطاعة، فإن هيأ الله لك الوقت بعد العصر أو بعد المغرب لست منشغلاً بأمر من أمور الدنيا، فياحبذا لو قضيت هذا الوقت كله فى بيت الله أو يا حبذا لو قضيت هذا الوقت كله مع زوجتك وأولادك، وقد اجتمعتم حول كتاب الله داوم على الذكر على أذكار الصباح وأذكار المساء وعلى الأذكار المطلقة، فليكن لسانك رطباً على الدوام بذكر الله سبحانه وتعالى، وأحذر نفسى وإخوتى من تضييع الوقت أمام وسائل الإعلام، فإذا جلست أمام التلفاز سحرك ومضت الساعة تلو الساعة تلو الساعة، وانقضى ليلك بل وأنقضى شهرك وأنت لا تدرى، فالمغبون من ضيع رمضان والمغبوط من وظف رمضان واستثمره فى طاعة الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يبلغنا رمضان وأن يبارك لنا فيه، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

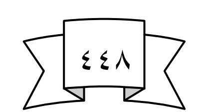
شهر رمضان

الخطبة الأولى :فضل الدعاء

الخطبة الثانية : فضل الجود والنفقة في رمضان

الخطبة الثالثة : القرآن

الخطبة الرابعة : علامات القبول



الخطبة الأولى :فضل الدعاء

أما بعد:عباد الله ، والله لو لم يكن في فضل الدعاء من القرآن إلا آية سورة البقرة لكفى بها فضلا ورحمة، ألا وهي قول الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة: ١٨٦، إن هذه الآية آية عجيبة تسكب في قلب المؤمن اليقين والثقة، ويعيش منها المؤمن في جناب رضا الله عنه، وفي ود مؤنس، وفي حالة من الأمن والأمان، والسكينة والهدوء والاطمئنان.

وفي هذه الآية لفتة عجيبة ينبغي أن ننتبه وأن نلتفت إليها: أولا: ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال إلا وكان الجواب من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله جل وعلا: قل.

قال الله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٨٩.

وقال تعالي :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾

البقرة: ٢١٩ .

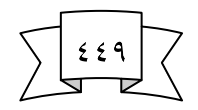
وقال تعالي :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ البقرة: ٢١٩ .

وقال تعالي :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾

البقرة: ٢١٧.

قال جلا وعلا :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ البقرة: ٢٢٢ .

إلا في هذه الآية، فلم يقل ربنا جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم: وإذا سألك عبادي عني فقل، لا والله، وإنما تولى الله جل وعلا بذاته العلية الإجابة على عباده، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى ﴾ البقرة: ١٨٦.

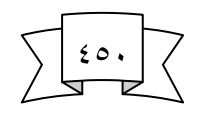


ولم يقل: قل: يا محمد إني قريب، لماذا؟ حتى لا تكون هناك واسطة بين العبد وبين الله جل وعلا، ولو كانت هذه الواسطة هي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا واسطة بين العبد وبين الله، ادع الله جل وعلا في أي وقت شئت، ارفع أكف الضراعة إلى الله، لا تسأل نبيا ولا تسأل وليا، وإنما سل الله الواحد القهار، ارفع أكف الضراعة إليه في أي وقت شئت، بل وفي أي مكان شئت، لترى الله جل وعلا سميعا بصيرا مجيب الدعاء.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى ﴾ البقرة: ١٨٦ ، لا سؤال إلا منه، ولا طلب إلا منه، ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل إلا عليه، ولا تفويض إلا إليه، ولا استعانة إلا به، ولا استغاثة إلا به، ولا ذبح إلا له، ولا نذر إلا له، ولا حلف إلا به، ولا طواف إلا ببيته جل وعلا، فلتكن عقيدتك وليكن توحيدك وإيمانك، أن ترفع إلى الله أكف الضراعة، بقولك: اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم.

ولو نظرت الي هذه الآية لوجتها توسطت آيات الصيام لتبين ان الدعاء محبب في الصيام روى الترمذي وحسنه وأحمد وغيرهما، وحسنه الحافظ ابن حجر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم – وأولهم– الصائم حين يفطر) لك دعوة مستجابة أيها الصائم، فلا تنس نفسك بهذه الدعوة المقبولة إن شاء الله جل وعلا.

ولا يخفى عليكم أن الأعمال الصالحة عموماً تصاحب بالدعوات قال تعالى ذكره﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٠ .



فمع المسارعة في الخيرات دعاء الله عز و جل رغباً طمعاً فيما عنده و رهباً أي من عذابه وعقابه ، فجدير بنا أن نمزج الأعمال الصالحة بالدعاء ، و لذا فإن الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم مر مع أبي بكر و عمر رضي الله عنهما على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه و هو يقرأ القرآن و كان يقرأ القرآن قراءة غضة طرية كما قال النبي صلى الله عليه و سلم " من سره أن يسمع القرآن غضا طريا فليسمع إلى قراءة ابن أم عبد "

شروط قبول الدعاء

أولا : إخلاص النية وإخلاص الدعاء لله جل وعلا، كما قال سبحانه:﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ غافر: ١٤.

الإخلاص سر القبول وهو: تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا صوابا، والخالص هو: ما ابتغي به وجه الله، والصواب هو: ما كان موافقا لشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لا تنس الآخرة، ولا يشغلك جمع المال عن حقوق الكبير المتعال، هذا هو المراد المقصود.

ثانيا: أكل الحلال، أن تأكل من الحلال، وأن تشرب من الحلال، وأن تلبس من الحلال، وأن تتغذى من الحلال، واحذر تمرة تأكلها من الحرام، الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلة من الليالي نظرته عائشة رضي الله عنها قلقا متقلبا في فراشه، فسألته عليه الصلاة والسلام، أتدرون ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (وجدت تمرة على فراشي فأكلتها، وأخشى أن تكون من تمر الصدقة) فإلى من ملئوا بطونهم بالحرام، اتقوا الله جل وعلا، واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء ممن غذي بالحرام، وأكل من الحرام، وشرب من الحرام، ولبس من الحرام.

وفي الحديث الجامع الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ولقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾ المؤمنون: ٥١.

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ البقرة: ١٧٢.

ثم ذكر صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب! ومأكله حرام، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك).

كيف تأكل الحرام وتدعو ويستجيب الله؟! كيف تلبس الحرام وتدعو ويستجيب الله؟! كيف تشرب الحرام وتدعو ويستجيب الله؟! كيف تتغذى بالحرام وتدعو ويستجيب الله؟! فأنى يستجاب لذلك؟!

ذكر الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما في كتاب الزهد لأبيه: أن بني إسرائيل قد أصابهم بلاء، فخرجوا إلى الصعيد يسألون الله جل وعلا، فأوحى الله إلى نبيهم وقال: قل لهم: الآن خرجتم إلى الصعيد بأبدان نجسة -نجستها المعاصي والذنوب- ورفعتم إلي أكفا قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بيوتكم من الحرام، الآن وقد اشتد غضبي عليكم، فلن تزدادوا مني إلا بعدا.

ثالثا: أن يكون الداعي على يقين وثقة بالله جل وعلا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما وحسنه الألباني أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) يا له من دواء، وكم استمعت إلى شكاوى كثير من المسلمين، يشتكون من طول الدعاء وما ذاك إلا لأن قلوبهم لاهية؛ لأن قلوبهم قد انشغلت وهامت في كل واد، ما تحرك قلبه وما خشع قلبه، وما اقشعر جلده، وما دمعت عينه، وما أحس باللذة في مناجاته لله جل وعلا، فلو استمع إلى خمس دعوات أو

عشر دعوات لأحس بالملل والضجر والطول، لماذا؟ لأنه والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من مناجاة ربنا جل وعلا، كيف وأنت تناجي القوي العزيز الكريم: (والله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) .

آداب الدعاء

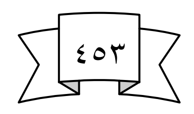
أولا: يتحرى الأوقات والأحوال الشريفة التي يستجيب الله تعالى فيها الدعاء، وهي بحمد الله وفضله كثيرة في هذه الأمة الميمونة المباركة: أولا: من الشهور، شهر رمضان، وفي الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه وأحمد وغيرهما، وحسنه الحافظ ابن حجر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة لا ترد دعوتهم –وأولهم– الصائم حين يفطر) لك دعوة مستجابة أيها الصائم، فلا تنس نفسك بهذه الدعوة المقبولة إن شاء الله جل وعلا.

ومن الأيام يوم عرفة: (إن أكرم الدعاء يوم عرفة وهو دعاء مستجاب) رواه الترمذي وحسنه.

وكذلك يوم الجمعة، فإن النصوص قد تواترت على أن في الجمعة ساعة إذا سأل العبد ربه حاجة استجاب الله جل وعلا وأعطاه إياها.

كذلك من أوقات القبول ومن الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء، ليلة الجمعة كيوم الجمعة أيضا.

ومن الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء من الساعات: ساعات الثلث الأخير من الليل، ولقد ورد الحديث في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول، ويقول: أنا الملك، أنا الملك، من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يضيء الفجر) .



أيضا من الساعات التي يستجاب فيها: الدعاء بين الأذان والإقامة، والحديث رواه الترمذي وأحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد –وفي رواية الترمذي – قالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة).

وأيضا من الساعات التي يستجاب فيها الدعاء وأنت ساجد بين يدي الرب جل وعلا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث رواه مسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء) .

ثانيا: من آداب الدعاء أن يكون الداعي خاشعا متضرعا مبتهلا متذللا إلى الله جل وعلا، فلقد ورد في الحديث الذي رواه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه) .

ثالثا: من آداب الدعاء المهمة جدا: عدم التعجل، ورد في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) وكثير منا يعجل، وفي رواية مسلم: (قيل: وما الاستعجال يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) فليس من الأدب مع الله أن تتعجل على الله، بل من آداب الدعاء ألا تتعجل.

رابعا:ألا تدعوا بإثم أو بقطيعة رحم على أحد من الناس، وألا تدعو على أولادك، وكثير من الناس قد وقع في هذا المرض، يدعو على أمواله، وإذا غاظته زوجته دعا عليها، وإذا غاظه ولده دعا عليه، ويستجيب الله جل وعلا، وحينئذ يضع يده مرة أخرى على رأسه ويقول: يا رب يا رب! وهو سبب هذا البلاء، ورد في الحديث الذي رواه أبو داود بسند صحيح، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (لا تدعوا

على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على أموالكم، فتصادفوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم).

الخطبة الثانية : فضل الجود والنفقة في رمضان

أما بعد:عباد الله ، فإن رمضانَ شهرُ الجود، وشهر السخاء؛ فالنفوس في هذا الشهر تقترب من مولاها، وتتبعث إلى ما يزكيها ويطهرها من شحها، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ الحشر: ٩ .

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة" . صحيح البخاري .

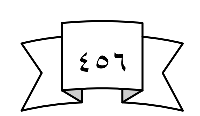
هكذا وصف حال النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب: ٢١.

الجود والنفقة في القرآن والسنة

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ البقرة: ٢٧٢ ، **وقال عز وجل:** ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ﴾ سبأ: ٣٩.

وما من شيء أشق على الشيطان وأبطل لكيده وأقتل لوساوسه من إخراج الصدقات والإنفاق في سبيل الله، ولذلك فالشيطان يقذف الوهن في النفوس حتى يثبطها ويبعدها عن البذل والعطاء، ويفتح لها أبوابًا ووساوس ليعلقها بالحطام الفاني.

واستمع إلى هذا المثل الذي ضربه الله عز وجل لعباده المؤمنين، حيث بدأهم بالحض والتأليف واستجاشة المشاعر لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله عز وجل وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فهو يضاعف لمن يشاء وهو الواسع العليم، لا يضيق عطاؤه ولا



ينضب، عليم بالنوايا ويثيب عليها، ولا تخفى عليه خافية، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ البقرة: ٢٦١ ، أي: ينفقون أموالهم في طاعة الله وفي الجهاد في سبيل الله وإعداد السلاح والقوة لمجاهدة أعداء الله ورسوله، فلهم بكل درهم سبعمائة درهم إلى أضعاف مضاعفة، فضرب الله المثل بالحبة التي أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة؛ ليكون أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة.

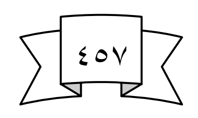
ومن العبادات المهجورة في هذا الشهر عبادة الصدقة والإنفاق، وهي من أرجى الطاعات عند السالكين، والفقه فيها عظيم أثرهُ في النفس.

قال الشافعي رحمه الله: أُحبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً برسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم وتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم.

وليس المقصود كثرة المُنفق، بل كثرة الإنفاق أي فعله وإن قل المال، ورب درهم ينفقه امرؤٌ من درهمين يملكهما أحب إلى الله من مائة ينفقها مّنْ يملك الآلاف، قال – صلى الله عليه وسلم –: "سبق درهم مائة ألف درهم: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها" رواه النسائي وغيره وهو حديث حسن.

وقد خرج أبو بكر من ماله كله وترك لأهله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وخرج عمر من نصف ماله، وتصدق عبد الرحمن بن عوف بقافلة قدمت المدينة بأحلاسها وأقتابها.

وأدبُ المتصدق أن يعلم منةَ الله عليه إذ رزقه المال ثم وفقه للصدقة ويسر له من يقبل منه صدقته ثم تلقاها منه ربه وقبل منه ما رزقه.



وأن يتصدق بأفضل ما عنده ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ آل عمران: ٩٢ ، وأن يتلطف في إعطائها للفقير أو المحتاج حتى لا يشعر بمنة العبد فيها، فيعمل على إخفائها أو إرسالها مع قريب له.

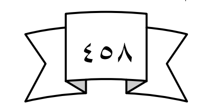
وكان بعض السلف إذا أعطى الصدقة وضعها على كفه وناولها للفقير على يد مبوسطة حتى يتناولها الفقير بنفسه، فقيل له في ذلك! فقال حتى تكون يده هي اليد العليا، يشير إلى قوله – صلى الله عليه وسلم –: " واليد العليا خير من اليد السفلى" وهذا من لطيف ما يقوم به أولئك الأكابر.

وقضية الجُودِ – في رمضان وغير رمضان – من القضايا المهمة التي ينبغي أن يفهمها المؤمنون، وهذا الفَهْم يَنبني على مسألة واحدة، وهو أن هذا الدِّين لا تَصْلُح له، هذه النفوس الشحيحة، هذه النفوس البخيلة الحريصة غير الصالحة في نفسها لا تصلح لإقامة الدين في غيرها، فهذه النفوس التي تَشِحُّ بالبذل، والوقت، والمال، والجهد على الله، إنما هي في الحقيقة تَشِحُّ على نفسها:

﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ محمد: ٣٨.

وهذه هي النقطة المهمة التي يستوعبها المؤمنون؛ أنهم يجب أن يكونوا في البذل كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ التوبة: ١١١.

حيثُ أعطاهم هذه النفوسَ، وتلك الأموال، وذلك الوقتَ، وذلك الجهدَ، وفَتَحَ عليهم جاهًا، وسلطانًا، ومَنْصِبًا، وولدًا، كلُّ ذلك أعطاهم، ثم طَلَب منهم أن يُنْفِقوا من ذلك الذي أعطاهم ليس من ملكهم؛ فعندما يَبْخَلون إنما يبخلون بما أعطاهم ويبخلون على أنفسهم؛ لأنه أمرهم – سبحانه وتعالى – أن يُنْفِقوا مما جَعلهم مُسْتَخْلَفِين فيه من المالِ الذي آتاهم، ليس من أموالهم على الحقيقة، هم فقراء كما قال: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ



أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ فاطر: ١٥ وقد كان هذا الموضوع من أطول موضوعات القرآن التي أمر الله تعالى بها أن يَبْذُلُوا أنفسَهم وأموالَهم لله جل وعلا، فمن أَنْفَق مالًا فإن كَرَمُ اللهِ تَعالَى أفضلُ وأعلى وسيُعْطِيه أكثر مما أَنْفَق، وسيُخْلِف عليه أكثرَ مما أنفق؛ الحسنة بسبعمائة ضعف، ويَزِيد – سبحانه وتعالى – ، وكذا إذا أنفق وقتًا بارَك له فيه، أَنْفق من جاهَه وسُلطانه لِيُوَسِّعَ على عباد الله تعالى، أَنْفق نفسَه لله كما كان هؤلاء يَبْذلون أنفسَهم لله تعالى حَفِظَها عليهم، وكَرَّمَهُمْ بِها في الدنيا والآخرة.

إن الذين يمسكون ويحبِسون ويبخلون؛ يفعلون ذلك لِظَنِّهم أن ذلك سيُنْقِص مالَهم، ويُنْقِص وقتَهم، ويُنْقِص جهدَهم كَلَّا: " مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ" سنن الترمذي .

ما يَنْقُص أبدًا إنَّما هي النظرة المادِّية التي يَنْظر بها الناس، نعم ينقص المال، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: لا يَنقص بل يَزيد؛ لأنَّ الحقَّ – سبحانه وتعالى – يقول في الحديث القدسي: " أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ" صحيح البخاري ، فهو الذي يُنْفِق عليكَ ما دُمْتَ تُنْفِق؛ ويُنْفق هو عليك الإنفاق الزائد؛ ذلك كله مُلْكُه، وذلك كلُّه رِزْقُه، ولا تَنْفُد خَزائِنُه، فلو اجْتَمَعوا في صعيدٍ واحدٍ؛ إنْسُهم وجِنُّهم، ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة، ثم سَأَلَ كلٌّ واحدٍ مسألتَهُ؛ بل سأل كلٌّ واحدٍ الدنيا من أولها إلى آخرها، ما نَقَصَ ذلك من مُلْكِه شيئًا، ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ ﴾ محمد: ٣٨ ، وهذه المسألة إنما تَرْتبط بأمرين وهما:

١ – التَّوَكُّل على الله.

٢ – حُسْنُ الظَّنِّ في الله.

فقضية التوكل وحُسْن الظن بالله تعالى هي التي كانت تَحْمِلُهم؛ فما أن يَحْرِص المرء، إلا وقد ساء ظنُّه بربه، وقَلَّ توكلُه عليه، وضَعُفَ يَقِينُه في الله تعالى، أن يُعَوِّضَه كما ذَكَر، وأن يُخْلِف عليه، وأن يُوَسِّع عليه كما وَعَدَهُ – سبحانه وتعالى –.

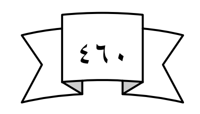
لذلك كانت هذه النفوس الشحيحة، البخيلة، لا تَصْلُح لنفسها، ولا لغيرها؛ لأنها قد أساءت الظنَّ بالله تعالى، وكذلك ضَعُفَ توكلُها ويقينُها على الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ الطلاق: ٣.

ويقول أيضا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ آل عمران: ١٢٢ ، فقد أمر بالتوكل، ووَصف به المؤمنين؛ لأنهم هم المتوكلون على الله تعالى.

لذلك كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أجودَ الناس؛ كما قال أنس: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَحْسَنَ النَّاسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ، وأَجَوْدَ النَّاسِ" صحيح البخاري .

وَكَانَ فِي رَمَضَانَ يَتَضَاعَفُ جُودَهُ اتِّبَاعًا لِتَضَاعف جُودِ الرب؛ لأن الرب – سبحانه وتعالى – يضاعَف جُودَه، وفَضْلَه، وكَرَمَه، وإحسانَه في هذه الأزمنة المشرَّفة لِيُوَسِّعَ على عباده بأنواع المغفرة والرحمة والعتق من النار؛ فمن استَحَقَّ شيئًا من ذلك زاد عليه الإقبال، وزاد عليه العطاء، وتَنَوَّعَتْ له أنواعُ الأفضال من الله جل وعلا.

وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا الحال المشرَّف؛ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ" صحيح البخاري ، لأنه عندما يُنْفِق إنما يُنْفِق من مال الله الذي لا ينفد، وعندما يُنْفِق يَعْلَم أن الذي أعطاه سيعطيه عندما يُنْفِق، ويزيده من ذلك: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧ ، ولأنه – صلى الله عليه وسلم – كان أجودَ الناس، فكان لا يَمنع شيئًا، و لا يحرص على شيء لنفسه فما دونها – صلى الله عليه وسلم –؛ وذلك بعُلُوِّ يَقِينِه بربِّه، وحُسْنِ توكُّلِه عليه سبحانه وتعالى.

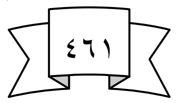


وهذا البُخْل عندما يَتَصدَّر قلبَ المرء ويتقدَّم فيه، تَجِدُه بَخِيلًا في عبادته، يَتَمَلْمَل من القيام، ويتململ من الصيام، ويتململ من النفقة، ويتململ من الصدقة، ويَشِحُّ بها، ويَشِحُّ بنفسه أن يَقِفَ بين يَدَي الله تعالى، أن يُتْعِب نفسَه لله – جل وعلا – شيئًا؛ فإذا أَحَسَّ بهذا، ووصل إلى هذه الحالة؛ أن يَتضايَق، وأن يتألم، وأن يَحِسَّ بالمشقة في أن يَبْذُل وقتًا لله يَقِف فيه – ليناجي ربه، وليأخذ حظَّه من جنة الدنيا المُعَجَّلة للمؤمنين – فمتى يَقِفُ بنفسه، ويَبْذِلُها لله تعالى؟ ومتى يَتَحَمَّل ذلك في جَنْبِ الله جل وعلا؟ وأي نفس هذه التي تتململ وتتأفف من الوقوف بين يدي الله؟

لذلك كان من شأنُه المشَرَّف أَنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما سُئِلَ على الإسلام شيئًا فقال: لا. لم يحدث ذلك أبدا، بل على العكس فقد أعطى – صلى الله عليه وسلم – رجلًا واديًا من غَنَم – غنمًا بين جبلين – ما يعطيها أحدٌ؛ فرَجَع الرجل إلى قومه فقال: " أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُنْفِقُ إِنْفَاقًا، أو: يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ "، نعم، لا يَخْشى الفقرَ، لا يَخْشى أنْ يَبْذُل فيَفْتَقِرَ، لا يَخشى أن يَبْذُلَ جُهْدًا فيَضِيعَ، لا يَخشى أن يَبْذُل وقتًا ما مَشْيًا فيذهب سُدًى، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ التوبة: ١٢١.

" مَا سُئِلَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا" صحيح البخاري ، لذلك يقول صفوان بن أمية " لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ" صحيح مسلم ، لقد أعطاه واديًا من أبلٍ ونَعَمٍ حتى قال: " أَشْهَدُ أَنَّهُ مَا تَطِيبُ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ" – صلى الله عليه وسلم –؛ ما تَطِيب نفسٌ أن تعطي هذا العطاء على كثرته، وتَسْتَيْقِن أنَّ بهذا العطاء لا يَنْفُذ المال إلا نفسُ نبي.

لذلك ذكروا عنه أَنَّه كان ينفق – صلوات الله وسلامه عليه – وهو لا يَمْلِكُ شيئًا؛ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ شَمْلَةٌ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ رَجُلٌ لَهُ: اكْسُنِيهَا يَا رَسُولَ



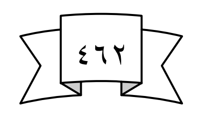
اللَّهِ – أعطني هذه الشملة – فَلَامَهُ أَصْحَابُهُ، قالوا: تَعْلَمُ أَنَّهُ – صلى الله عليه وسلم – مَا يَرُدُّ سَائِلًا، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا، وَتَسْأَلُهُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ كَفَنِي؛ فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – وَعَادَ إِلَى شَمْلَتِهِ الْقَدِيمَةِ. مسند أحمد .

والخصيصة التالية كما قال العلماء: علاوة على أَنَّه – صلى الله عليه وسلم – كان لا يَرُدُّ أحدًا، ولا يَرُدُّ سائلًا، وكان يعطي عطاءَ من لا يَخْشى الفقرَ، وكان يعطي على الإسلام – صلى الله عليه وسلم – لا يقول لا، وفي نفسه – صلوات الله وسلامه عليه – مع هذا العطاء الذي لا يستطيعه الملوك ككسرى وقيصر، كان يعيش في نفسه عيشة الفقراء، وكان يمر عليه الشهر والشهران لا يُوقَد في بيته نارٌ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكان إنفاقه في وجه الله تعالى، وفي سبيله – سبحانه وتعالى –؛ فيعطي المال لفقير، أو محتاج، أو مَنْ يَتأَلَّفه على الإسلام.

وكان – صلى الله عليه وسلم – يُؤْثِرُ على نفسه وأهله أيضا، فقد جاءَهُ – صلى الله عليه وسلم – سَبْيٌ مرةً، وجاءته فاطمةُ ابنته رضي الله عنها تَشْكِي له عملَ بيتها؛ فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أَلَا أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ" صحيح البخاري .

ولم يُعْطِها شيئًا، ، أي: لا يعطيها خادمًا مع شدة احتياجِها لهذا الخادم، ويقول: "لَا أُعْطِيكِ"، وهو في نفسه يعيش عيشةَ الفقراء، ولا يُوقَد في بيته نارٌ، وكان بَذْلُه – صلى الله عليه وسلم – متنوعًا لا يَقِفُ على المال، بل كان يبذل نفسَه ووقتَه، وكان يَبْذُل العِلْمَ كذلك يُعَلِّم جاهِلَهم، ويُرْشِدَ ضَالَّهُم، ويعطي مُحتاجَهم ومِسْكِينَهم – صلى الله عليه وسلم –.

فكل أنواع البذل الذي ورد ما كان يتخلف عنها – صلى الله عليه وآله وسلم – لحظةً، كان هو المسارع إليها؛ الأعلى على جميع البشر فيها.



لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾آل عمران: ٩٢ ، إذا بالصحابة يسارعون إلى أحسن أموالِهم فينْفِقُونها، ليس إلى الرَّدِيء ولا إلى الذي صار لا يحتاجون إليه

فينفقونها، ويرسلونها إلى المسجد، أو غير ذلك مما نراه اليوم. لا، لماذا لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾آل عمران: ٩٢.

" كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، .. فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّه" صحيح البخاري .

لَمَّا نزلت تلك الآيات، وهي المسارعة، والمنافسة في أعمال الخير عَلِم الصحابة أنهم هم المُخْتَصُّون بذلك، هم المخاطبون بذلك، هم المخاطبون بأن يسارعوا إلى الله، وأن يتنافسوا، وأن يتسابقوا إلى هذه المعالي؛ فسابق بعضُهم بعضًا، حتى أنهم – كما ذكرنا – من لم يستَطِع كان يجلس ليبكي على أنْ لا يستطيع الإنفاق، ثم أنه إذا لم يَسْتَطِع أن يُنْفِق في بابٍ، إذا به يحاول أن يُعَوِّض ذلك الباب، لَمَّا قام الأغنياء يُنْفِقون من أموالهم في الصدقة، والصِّلة، والجهاد، وغيرها. هل جلس الفقراء يبكون فقط؟ لا. انتقلوا إلى درجة أعلى من المنافسة، فأتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – ليقولوا له: " ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ – إذا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – يُوَجِّهُهم إلى عمل من الأعمال يُعَوِّض لهم هذا الإنفاق الذي لم يستطيعوا – قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ

تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -.

فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله

أيها الصائمون الكرام: للصدقة والسخاء فضائلُ، لا تُحصى كثرة؛ فالصدقة تطفئ غضبَ الرب، وتدفعُ ميتةَ السوء، وتدل على الإيمان بالله، والثقة به، وإحسان الظن به -عز وجل-.

والصدقة دليل على الرحمة، والشعور بالآخرين، كما أنها سبب لتيسير الأمور، وتفريج الكربات، وإعانة الرب -جل وعلا- فالله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه.

والصدقة مدعاة لزيادة المال، ونزول الخيرات، وحلول البركات، وهي سبب للاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، كما أن لها تأثيرًا في دفع البلايا.

قال ابن القيم رحمه الله: (وللصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر، أو ظالم، بل من كافر، وهذا أمر معلوم عند الناس، وأهل الأرض مُقِرُّون بذلك).

والصدقة تشرح الصدر، وتفرح النفس.

قال ابن القيم رحمه الله: (المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح لها صدره، وقوي فرحه، وعظم سروره. ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها، والمبادرة إليها) .

أيها الصائمون الكرام: ومن فضائل الصدقة: أنها سبب للخلف من الله –عز وجل– قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم يصبح فيه العباد، إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا " متفق عليه.

ثم إن للسخاء أثرًا في صيانة الأعراض، ونباهة الذكر، وائتلاف القلوب، وتأكيد رابطة الإخاء.

وللسخاء أثرٌ في القضاء على كثير من الأخلاق المرذولة، كالحسد من الفقراء للأغنياء، وكالكبر من الأغنياء على الفقراء.

وللسخاء أثرٌ في ستر العيوب، قال الشافعي رحمه الله:

وإنْ كثرت عيوبُكَ في البرايا ... وَسرَّك أن يكون لها غطاءُ

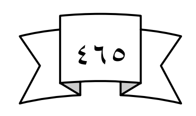
تَسَتَّرْ بالسخاء فكلُّ عيبٍ ... يُغَطِّيه كما قيل السخاءُ

ثم إن السخيَّ قريبٌ من الله، ومن خلق الله، ومن الجنةِ، والبخيلُ بعكس ذلك.

والسخاءُ مُتَّصِل بفضائلَ أخرى؛ فالسخيُّ في أغلب أحواله يأخذ بالعفو، ويتحلّى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، ويؤدي حقوقَ الناسِ من تلقاء نفسه.

ولتجدنّ السخيَّ بحق متواضعًا، لا يطيش به كبر، ولا تستخفه خيلاء، ولتجدنَّه أقربَ الناس إلى الشجاعة وعزة النفس؛ وإنما يخسر الإنسانُ الشجاعةَ والعزةَ بشدَّة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

ولقد جَرَتْ سُنةُ اللهِ بأن السخيَّ بحقٍّ يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبتُه إلا الرعايةَ من الله والكرامة؛ فلما كان رحيمًا بالفقراء، والمساكين، والمحتاجين، حريصًا على إسعادهم، وإدخال السرور والبهجة على نفوسهم – كان جزاؤه من جنس عمله.



هذا، وإن السخاء ليس مقتصرًا على بذل المال فحسب، بل إن مفهومَه أوسعُ، وصورَهُ أعمُّ وأشمل.

فمن صور السخاء: أن يكونَ للإنسان دَيْنٌ على آخر؛ فيطرحَه عنه، ويُخْلِيَ ذمته منه، وهو يستطيع الوصول إليه، دون عناء ولا تعب.

صور من حياة الأسخياء

أما عن أحوال سلفنا الصالح في الإنفاق فهي أكثر من أن تحصى فهذا

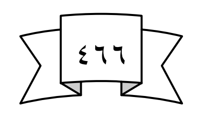
أبو بكر رضي الله عنه يتصدق بماله كله ويسأل ما أبقيت لهم قال أبقيت لهم الله ورسوله

وهذا عمر يتصدق بنصف ماله – وهذا عثمان يجهز جيش العسرة وجاء بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل النبي يقلبها وهو يقول " ما ضر ابن عفان ما فعل بعد اليوم "

وهذا أبو الدحداح يتصدق بحديقته كلها في سبيل الله وكانت حديقته بها ستمائة نخلة وهنا قال النبي صلى الله عليه وسلم " كم من عزق رداح لأبى الدحداح في الجنة.

وكان قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادة – رضي الله عنهما– من الأجواد المعروفين، حتى إنه مرض مرة، فاستبطأ إخوانه في العيادة، فسأل عنهم فقيل له: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادي: من كان لقيس عليه مالٌ فهو منه في حِل؛ فما أمسى حتى كُسِرتْ عتبةُ بابِه من كثرة من عاده.

ويدخل في قبيل الأسخياء مَنْ يستحق على عمل أجرًا؛ فيترك الأجر من تلقاء نفسه.



ويدخل في قبيلهم مَنْ يسعى في قضاء حوائج الناس، وتفريج كرباتهم، فعن الحسن رحمه الله قال: (لأنْ أقضيَ حاجةَ أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكفَ سنة) .

وقيل لابن المنكدر رحمه الله: (أي الأعمال أحب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن، وقيل: أي الدنيا أحب إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان) .

وقال الشافعي رحمه الله:

وأفضلُ الناسِ ما بينَ الورى رجلٌ ... تُقضى على يدهِ للناسِ حاجاتُ

من أنواع السخاء

ويدخل في السخاء سخاوة الإنسان بجاهه؛ بحيث يبذله في سبيل الخير، والشفاعات الحسنة: من إحقاق حق، ونُصْرةِ مظلوم، وإعانة ضعيف، ومَشْيٍ مع الرجل إلى ذي سلطان، قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ النساء: ٨٥ .

وقال صلى الله عليه وسلم: " اشفعوا تؤجروا " رواه البخاري ومسلم.

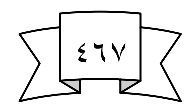
ومن السخاءِ سخاءُ الإنسان برياسته؛ فيحمله سخاؤه على امتهانها، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

ومن السخاءِ سخاءُ الإنسانِ براحته، ووقته، ونصحه؛ في سبيل نفع الناس.

ومن أعلى مراتبِ السخاء سخاءُ الإنسان بالعلم؛ فذلك أشرف من السخاء بالمال.

ومن السخاءِ سخاءُ الإنسانِ بِعِرضه؛ بحيث يعفو ويصفح عمن ناله بسوء.. مر الشعبيُّ رحمه الله بقوم يذكرونه بسوء، فتمثَّل بقول كُثيِّر عزةَ:

هنيئًا مريئًا غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ



أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً ... لدينا ولا مقليةً إن تقلَّتِ

وفي هذا السخاءِ من سلامة الصدر، وراحة القلب، والتخلُّص من معاداة الخلق ما فيه.

ومن السخاءِ السخاءُ بالصبر، والاحتمال، والإغضاء، وهي مرتبةٌ شريفةٌ لا يقدر عليها إلا النفوسُ الكبار.

ومن السخاءِ السخاءُ بالخلق، والبشر، والتبسم، والبشاشة، والبسطة، ومقابلة الناس بالطلاقة؛ فذلك فوق السخاء بالصبر، والاحتمال، والعفو، وهذا هو الذي بلغ بصاحبه درجةَ الصائم القائم، وهو أثقلُ ما يوضع في الميزان، وفيه من أنواع المسارّ والمنافع والمصالح

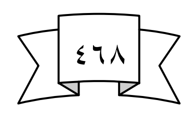
يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:

وإني لأكسو الخلَّ حُلَّةَ سُندسٍ ... إذا ما كساني من ثياب مداده

ويدخل في السخاء حَضُّ الناس على الخير، ودِلالتهم عليه، وشُكْرُ الأسخياءِ، والدعاءُ لهم.

ومن صور السخاء الخفية المحمودة سخاء النفس بترفُّعها عن الحسد، وحبِّ الاستئثار بخصال الحمد، وذلك بأن يحب المرء لإخوانه ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه، فيفتح لهم المجالات، ويعطيهم فرصة للإبداع، والحديث، والمشاركة، ونحو ذلك؛ فيفرح لنجاحهم، ويحزن لإخفاقهم؛ فهذه من الصور الخفية للسخاء، وقلَّ من يتفطَّن لها، ويأخذ نفسه بها.

ومن جميل السخاءِ سخاءُ المرء عما في أيدي الناس، فلا يلتفت إليه، ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرَّض له بحاله ولسانه.



وأروع ما في السخاء، سخاء المرء بنفسه، وأروع ما في ذلك ما كان في سبيل الله

دعوة إلى أصحاب الهمم العالية

أيها الإخوة الكرام: يتفاضل الناس بالسخاء، على قدر هممهم، وشرف نفوسهم.

فيتفاضلون من جهة الإنفاق؛ فالذي ينفق في السر أكمل من الذي لا ينفق إلا في العلانية.

ويتفاضلون من جهة استصغارِ ما يُنْفَق واستعظامِه؛ فالذي ينفق في الخير، وينسى أو يتناسى أنه أنفق، هو أسخى ممن ينفق ثم لا يزال يذكر ما أنفق، ولا سيما إذا كان في معرض الامتنان.

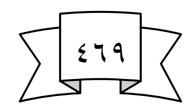
ويتفاضل الناس في السخاء من جهة السرعة إلى البذل، والتباطؤ فيه؛ فمن يبذل المال لذوي الحاجة لمجرد شعوره بحاجتهم، يَفْضُل مَنْ لا يبذل إلا بعد أن يسألوه.

ومن يقصد بالبذل موضع الحاجة – عرفه أو لم يعرفه – يكون أسخى ممن يَخُصُّ بالنوال من يعرفهم ويعرفونه.

ومن يعطي عن ارتياحٍ، وتلذُّذٍ بالعطاء يعد أسخى ممن يحسن وفي نفسه حرجٌ.

ومن علامات الرسوخ في السخاء ملاقاةُ السائلين بأدب وحفاوة؛ حتى يحفظ عليهم عزتهم.

وأبلغ ما يدل على أصالة الرجل، ورسوخ قدمه في فضيلة السخاء – أن يرقَّ عطفُه، حتى يبسط إحسانه إلى ذي الحاجة، وإن كان من أعدائه؛ فذلك من كِبَر النفس، وضروب العزة، والترفع عن العداوات.



ومن علامات الرسوخ في السخاء أن يتألَمَ المرءُ، وأن يتأسف أشد الأسف إذا سئل شيئًا وهو غيرُ واجدٍ له، قال الشافعي رحمه الله:

إن اعتذاري لمن قد جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

ومن الأسخياء من تَسْمُو به الحال، فيرى أن الفضل والمنَّة إنما هي لمن جاء يستجديه ويسأله؛ حيث أحسن الظنَّ به، وتكرَّم عليه؛ فهذا من غرائب السخاء.

وأرفع درجات السخاء أن يكون الإنسان في حاجة ملحَّة إلى ما عنده؛ فيدع حاجته، ويصرف ما عنده في وجوه الخير؛ وذلك ما يسمى بالإيثار.

ثم اعلم أن المؤمن يستظل بصدقته يوم القيامة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " صحيح البخاري.

الخطبة الثالثة : القرآن

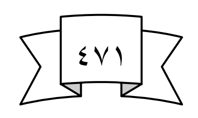
أما بعد:عباد الله ، القرآن كلام الله جل وعلا، وهذا أعظم دليل على إعجاز القرآن، فمصدرية القرآن دليل على إعجازه، فهو كلام الله الذي فضله على كل كلام كفضل الله على سائر الخلق.

القرآن هو كلام الله الذي تحدى الله به البشرية عامة، وتحدى به المشركين المنكرين خاصة، ومازال التحدي قائماً إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ ، فلما عجزوا عن الإتيان بقرآن مثله خفف الله جل وعلا التحدي، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور فقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هود: ١٣ ، فعجزوا.

فخفف الله التحدي إلى أقل درجاته، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الجليل فعجزوا، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٣ - ٢٤ .

أيها الأفاضل! كلام الله جل جلاله لو أنزله على جبل لتصدع الجبل من خشية الملك الجليل، قال سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١، فالقرآن تخشع وتتصدع له الجبال، ولا تتحرك له القلوب الغافلة! لذا قال عثمان رضي الله عنه: (والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا) .

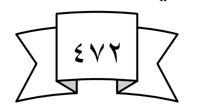
تصور أن المشركين في مكة كانوا يخافون على أنفسهم من سماع القرآن! تصور معي مرة أخرى أن المشركين أنفسهم كانوا يخشون على أنفسهم من سماع



القرآن، لماذا؟! لأن القرآن كان يصدع الكفر والكبر في قلوبهم، بل في السنة الخامسة من البعثة النبوية المطهرة انطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت الله الحرام ليصلي لله جل وعلا على مرأى ومسمع من صناديد الشرك والكفر، وكانوا يكرهون ذلك، حتى قال اللعين أبو جهل: أيعفر محمد وجهه وهو بين أظهرنا! يعني: أيسجد محمد لربه على مرأى ومسمع منا عند الكعبة؟! قال: واللات والعزى لئن أتى محمد ليصلي لأطأن عنقه، أي: لأضعن رجلي أو حذائي على عنقه وهو ساجد بين يدي ربه، فجاء الحبيب صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد الحرام ووقف يصلي لله تعالى، فلما سجد انطلق اللعين أبو جهل وهو يزعم أنه سيطأ بقدمه في عنق النبي وهو ساجد، فلما اقترب من رسول الله عاد إلى الخلف وهو يجري ويدفع بيديه، وكأنه يرد عن وجهه شيئاً، فلما اقترب من المشركين قالوا: ماذا يا أبا الحكم؟! لماذا رجعت؟! لماذا جريت بهذه الصورة المزرية؟! فقال أبو جهل: إن بيني وبين محمد لخندقاً من نار، ووالله إني لأرى أجنحة.

فلما انتهى النبي من صلاته قال قولته الجميلة: (والذي نفس محمد بيده! لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) .

الشاهد: دخل النبي صلى الله عليه وسلم كعادته يوماً ليصلي لله جل جلاله، والمشركون ينظرون إليه بتغيظ شديد، ورفع الحبيب صوته بالتلاوة فقرأ سورة النجم كاملة، وأرجو أن تتصور حلاوة وجلالة القرآن وهو يخرج من فم الحبيب، الرسول هو الذي يتلو، فليست التلاوة الآن لبشر عادي، والمشركون يسمعون القرآن من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأ النبي السورة كاملة، وقرأ في أواخر السورة آيات جليلة تهتز لها الحجارة، وتخشع لها الجبال والقلوب: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ النجم: ٥٧ - ٦١ ، أي: تغنون وترقصون وتطبلون وتزمرون، ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ النجم: ٦١ - ٦٢ ، وخر النبي ساجداً لربه، فلم يتمالك أحد من المشركين نفسه



فخر ساجداً لله خلف رسول الله! هل تتصورون هذا أيها الأفاضل؟! الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب سجود التلاوة مختصراً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم -أي: بسورة النجم- وسجد معه المسلمون والمشركون والجن الإنس.

نعم والجن.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)﴾ الجن: ١، الجن هم الذين يتحدثون عن القرآن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾ الجن: ١ - ٢ ، سجد النبي وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، وهذا هو السر -يا طلبة العلم- الذي جعل المهاجرين الأول الذين هاجروا من مكة فراراً من بطش المشركين إلى الحبشة؛ هذا هو السر الذي جعلهم يرجعون من الحبشة بعد هجرتهم الأولى لما بلغهم أن المشركين سجدوا خلف رسول الله، فظنوا أنهم قد آمنوا بالله جل وعلا، فعادوا إلى مكة، لكنهم لما رفعوا رءوسهم أنكروا جميعاً ما فعلوه وما صنعوه! لكنه القرآن الذي صدع عناد الكفر والكبر في قلوبهم فسجدوا جميعاً لله من جلال القرآن وروعته وعظمته.

نعم أيها الأفاضل! والوليد بن المغيرة والد فارس الإسلام وسيف الله المسلول خالد بن الوليد كان متعنتاً متكبراً منكراً، فلما ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعرض عليه الملك والجاه والمال والسلطان حتى يرجع إلى دين آبائه وأجداده؛ قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم آيات جليلة من القرآن الكريم، فقال الوليد كلماته الخالدة في حق القرآن -والحق ما شهدت به الأعداء- قال الوليد: والله! إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه.

هذه شهادة كافر عنيد للقرآن، فلما قال هذه الكلمات للمشركين قالوا: صبأ والله الوليد، إذاً لتصبأنّ قريش كلها، فعاد حتى لا تضيع زعامته في القوم، ففكر وقدر الأمر من جميع جوانبه، ثم عاد ليعلن شهادته الظالمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ربنا جل وعلا في شأن الوليد: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ المدثر: ١١ - ١٦، لماذا؟ تدبر القرآن، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ المدثر: ١٦ - ٢٨.

إلى آخر الآيات.

كيف وصل إلينا القرآن؟

المرحلة الأولى من مراحل جمع القرآن كانت على عهد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي المرحلة التي جمع القرآن فيها في صدر النبي وفي صدور الصحابة، فقد من الله عليهم بملكة حفظ جليلة، حفظ النبي القرآن وانتقل القرآن من صدر النبي إلى صدور الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم من شدة حرصه على القرآن يتعجل بالتلاوة خلف أمين وحي السماء فنزل قول الله جل وعلا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٧، أي: في صدرك ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ القيامة: ١٧ - ١٨ ، أي: قرأه جبريل عليه السلام، أو قرأناه على لسان جبريل، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٨ - ١٩ ، سيبينه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم.

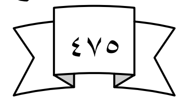
فجمع القرآن في صدر النبي، واتخذ النبي مجموعة من كتاب الوحي كـ زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي سماه الإمام البخاري بكاتب النبي، وكـ أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضوان الله عليهم، فكان النبي إذا نزل عليه جبريل بالآية أمر كتاب الوحي فنسخوها في الجلود والعسب واللخاف وهي نوع من أنواع الحجارة الرقيقة كان يكتب عليها، والعسب جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكتبون عليه أيضاً، فكان يأمر النبي صلى الله عليه وسلم كتبة الوحي بكتابة الآيات كما يمليها عليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وظل القرآن مكتوباً في هذه المرحلة في الجلود والعسب، أي: في جريد النخل، ومكتوباً على الحجارة، وفي صدور الرجال إلى أن مات سيد الرجال صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثانية

المرحلة الثانية: كانت في عهد أبي بكر رضي الله عنه، لما وقعت معركة اليمامة بين مسيلمة الكذاب وبين الصحابة قتل في هذه المعركة عدد هائل من الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن في صدورهم، فجاء الملهم عمر رضوان الله عليه إلى الصديق أبي بكر، وقال عمر للصديق: يا أبا بكر! يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم! اجمع القرآن في صحف، فقال الصديق الذي كان مثالاً في الإخلاص والاتباع: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟ لا.

فقال عمر: هذا والله خير -والحديث في صحيح البخاري - قال الصديق: فما زال عمر يراجعني، أي: بجمع القرآن في الصحف، حتى شرح الله صدري لقول عمر، فأرسل إلى زيد بن ثابت رضوان الله عليه، فقال الصديق لـ زيد: يا زيد! إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك.

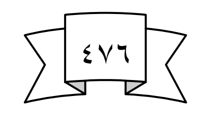
انظروا يا شباب الإسلام إلى شباب الصحابة، فـ زيد بن ثابت كان شاباً في ريعان شبابه، واختاره النبي كاتباً من كتاب الوحي، بل سماه البخاري كاتب النبي، يا لها من كرامة! (إنك شاب عاقل لا نتهمك، فتتبع القرآن فاجمعه) .



قال زيد: (والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن) انظروا إلى أصحاب الهمم العالية الذين يقدرون المسئوليات الضخام الجسام، قال: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قال: فتتبعت القرآن فجمعته من اللخاف، أي: من الحجارة الرقيقة، والعسب، أي: جريد النخل، وصدور الرجال، وجمع القرآن في صحف ضخمة عديدة، وانتقلت هذه الصحف إلى بيت الصديق رضي الله عنه، فلما توفي أبو بكر انتقلت الصحف إلى بيت عمر رضي الله عنه، فلما توفي عمر رضوان الله عليه انتقلت الصحف إلى بيت أم المؤمنين حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثالثة

المرحلة الثالثة: وهي الكبيرة والخطيرة، وكانت في عهد عثمان رضي الله عنه، ففي صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان عاد إلى عثمان رضي الله عنه بعد غزوة أرمينية مع أهل الشام، وبعد غزوة أذربيجان مع أهل العراق، فدخل حذيفة على عثمان فزعاً وهو يقول: يا أمير المؤمنين! أدرك الأمة قبل أن تختلف في كتاب ربها كما اختلف اليهود والنصارى! قال عثمان: وما ذاك؟ رأى حذيفة أهل الشام يقرءون القرآن بقراءة أبي بن كعب، ورأى أهل العراق يقرءون القرآن بقراءة عبد الله بن مسعود، فكان أهل الشام يسمعون قراءة من أهل العراق لم يسمعوها من قبل، وكان أهل العراق يسمعون قراءة من أهل الشام لم يسمعوها من قبل، فاختلفوا اختلافاً شديداً حتى كفر بعضهم بعضاً! فجاء حذيفة فزعاً وقال: أدرك الأمة قبل أن تختلف في كتاب ربها كما اختلف اليهود والنصارى، مع أن الله عز وجل من رحمته وتيسيره على الخلق قد أنزل القرآن على سبعة أحرف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف) ، لا حرج أن تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الحجرات: ٦، وفي قراءة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فتثبتوا) ، والقراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.



وكانت بعض القبائل لا تستطيع أن تنطق حروفاً محددة، كانوا ينطقون مثلاً حرف الحاء عيناً، فيقولون في ﴿ حتى حين ﴾: عتى عين، فنزل القرآن ميسراً على سبعة أحرف قرأها النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سمع أهل الشام قراءة ما سمعوها من أبي وسمع أهل العراق قراءة ما سمعوها من ابن مسعود رضي الله عنهم جميعاً؛ اختلفوا، فأرسل عثمان بن عفان رضوان الله عليه إلى حفصة أم المؤمنين: أن أرسلي إلينا بالصحف -أي: التي جمعت في عهد الصديق رضي الله عنه- لننسخها في نسخة واحدة، فأرسلت حفصة الصحف إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى كاتب النبي زيد بن ثابت رضي الله عنه وإلى مجموعة من أصحاب رسول الله، وأمرهم أن ينسخوا الصحف في مصحف واحد، ونسخوا مجموعة كثيرة من هذا المصحف الواحد.

وأرسل عثمان إلى كل مصر -أي: إلى كل بلد من البلدان- بمصحف واحد إمام، وأمر ببقية الصحف غير هذا المصحف الإمام أن تحرق، وبذلك جمع عثمان رضوان الله عليه الأمة كلها على مصحف واحد قرأ به كله نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المصحف الذي تجدونه بين أيديكم الآن وهو يسمى: بالمصحف الإمام، أي: المصحف الذي جمعه عثمان رضي الله عنه من الصحف كلها، فلقد قال للصحابة: إن اختلفتم مع زيد فاكتبوا بلسان قريش فإنه قد نزل بلسانهم، أي: بالقراءة التي حفظها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قريش.

وبهذا -أيها الأفاضل- حفظ الله القرآن الكريم فلم تتغير منه آية ولم تبدل منه كلمة ولم يحذف منه حرف، فما تولى الله حفظه لا يضيعه أحد: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

حق القرآن

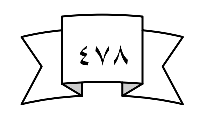
بيت القصيد، وهو العنصر الثالث والمهم من عناصر اللقاء، ما هو حق القرآن؟ لكن ولابد من هذه المقدمة الموجزة لنقف جميعاً على هذه الكلمات الجليلة التي قدمت.

ما حق القرآن؟ هل أنزل الله القرآن ليقرأ على الأموات في القبور؟! هل أنزل الله القرآن ليحلي به النساء صدورهن في مصاحف صغيرة؟! هل أنزل الله القرآن ليهدى من الزعماء والحكام إلى بعضهم البعض؛ فترى الحاكم يستلم المصحف منحنياً على كتاب الله ليقبله بخضوع جسدي كامل وكأنه عثمان بن عفان في الوقت الذي يضيع فيه شريعة هذا القرآن؟! ﴿طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢)﴾ طه: ١ - ٢، ما أنزل الله عليك القرآن لتشقى به، أو لتشقى به أمتك من بعدك، أو لتشقى بحدوده وأوامره ومناهيه وتكاليفه، كلا.

بل أنزل الله عليك القرآن لتقيم به أمة، لتحيي به أمة، لتقيم به دولة، لتسعد به البشر في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)﴾ الإسراء: ٩.

تلاوة القرآن الكريم

أول حق: أن نقرأ القرآن، أقسم بالله العظيم أن من المسلمين الآن من لم يقرأ كتاب الله، وإن قرأ فإنما يقرأ في رمضان وربما في العشر الأوائل فقط، فإن انتهى رمضان أودع كتاب الله علبته مرة أخرى لتتراكم عليه الأتربة، وهجر القرآن بالكلية هجر تلاوة، مع أن الأصل أنه يجب على كل مسلم قارئ أن يكون له ورد يومي مع كتاب الله تبارك وتعالى، قال ابن القيم: يقرأ القرآن وهو يتصور بقلبه وكيانه أن الله يحدثه.



أما أجر تلاوته فلا يعلمه إلا الله، قال صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود قال: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنه، والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول ألم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) ، وفي الحديث الذي رواه الطبراني وصححه شيخنا الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أبشروا! فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فإن تمسكتم به لن تهلكوا أبداً) .

وفي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه -أي: تقدم القرآن- سورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان أو غيابتان أو غيايتان أو كأنهما خرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما) أي: بين يدي الله جل وعلا.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤ ، ولا يسمع القرآن إلا صاحب القلب الحي، وهو الذي يصغي بأذن رأسه وقلبه فيسمع عن الله جل وعلا؛ لينتفع بآيات الله المتلوة وآيات الله المرئية في الكون من عرشه إلى فرشه.

العمل بالقرآن

ثم حق العمل بالقرآن، آهٍ! ما أكثر من تغافل عن دائه، وأعرض عن دوائه؟! فظل في ضنكه وشقائه، والله ما ذلت الأمة لكلاب الأرض من الإرهابيين السفاحين المجرمين من اليهود، ولأنجس أهل الأرض من عباد البقر الهندوس، ولأكثر أهل الأرض من الملحدين الروس، ولغيرهم من أذل أمم الأرض؛ إلا يوم أن أعرضت عن القرآن.

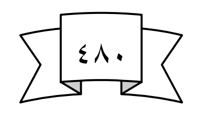
والله ما هانت الأمة إلا يوم أن نحّت القرآن، وهجرت التحاكم إلى القرآن، وضيعت العمل بالقرآن، أعلنها بملء فمي وأعلى صوتي، يوم أن استبدلت الأمة بالعبير بعراً، وبالثريا ثرى، وبالرحيق المختوم حريقاً محرقاً مدمراً، يوم أن تركت الأمة سفينة النجاة الوحيدة وركبت قوارب الشرق الملحد تارة، وقوارب الغرب الكافر تارة، وقوارب الوسط الأوروبي تارة؛ فغرقت في أوحال الذل، وغرقت في بحار من الظلمات من الفتن.

ويوم أن نطق العربي في قلب الجزيرة بكلام الوحي، سادوا العالم، فقد تفاعلوا مع القرآن بصورة مذهلة للعقل، سمع أعرابي رجلاً يوماً يتلو قول الله جل وعلا: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات: ٢٢ - ٢٣، فقال الأعرابي –ليس صحابياً–: من ذا الذي أغضب الكريم حتى يقسم؟! إلى هذا الحد من التفاعل مع القرآن، كانت الآية تنزل فيقرأها النبي صلى الله عليه وسلم فتتحول في التو واللحظة إلى واقع، كان الصحابة في المدينة يشربون الخمر، ويدير أنس بن مالك كأس الخمر على الصحابة، قبل أن تحرم الخمر، فدخل عليهم أحد الصحابة وكئوس الخمر تدور بينهم، وقرأ عليهم قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ المائدة: ٩٠، فلما قرأ الآية والله ما أكمل صحابي جرعة الخمر في يده! ما قالوا: نكمل هذه الكئوس وننتهي، لا.

بل قام أنس بن مالك وسكب قلال وجرار الخمر، وسكب الصحابة الخمر في الشوارع حتى سالت في طرقات المدينة وقالوا على لسان وقلب رجل واحد: انتهينا ربنا، انتهينا ربنا.

ساد الصحابة العالم باتباعهم للقرآن

أيها الإخوة الكرام! إن الصحابة رضوان الله عليهم حولوا القرآن الكريم إلى واقع عملي ومنهج حياة؛ فسادوا الأمم، وحولوا العالم كله إلى كثيب مهيل، وأحالوه ركاماً



في ركام، في فترة لا تساوي في حساب الزمن شيئاً على الإطلاق، لما قرأ الأعرابي قول الله، وقرأ العربي في قلب الجزيرة قول الله، وتحرك للقرآن قلبه، وانتفضت للقرآن جوارحه، وحول هذا الكلام في حياته إلى منهج حياة؛ صار قائداً.

والله ما عرفنا عمر، وما عرفنا خالد بن الوليد، وما عرفنا الصديق، وما عرفنا أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وما عرفنا الصحابة إلا بعد أن أحياهم ربنا تبارك وتعالى بفضل هذا القرآن، إلا بعد أن أخرجهم ربنا سبحانه وتعالى من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والإيمان بهذا القرآن الذي كان يتلوه عليهم النبي عليه الصلاة والسلام.

ظلت الأمة ترفل في ثوب العز والكرامة وهي تطبق آيات وأحكام هذا الكتاب، فلما نحت القرآن هزمت عسكرياً واقتصادياً ونفسياً وسياسياً وثقافياً، وراحت تحاكي الغرب الذي انتصر، وكسب الجولة الأخيرة، فماذا كانت النتيجة؟! ما ترونه الآن من ذل وهوان.

الخطبة الرابعة : علامات القبول

أما بعد:عباد الله ، قُلوبُ المتَّقين إلى هذا الشهر تحِنُّ، ومن ألمِ فراقه تَئنُّ،إذا كان هذا جزعُ من ربح فيه، فكيف بمن خسر في أيامه ولياليه؟ ماذا ينفعُ المفرطُ فيه بكاؤه، وقد عظمتْ فيه مصيبتُه وجلَّ عزاؤه؟كم نُصِحَ المسكينُ فما قبلَ النُّصحَ، كَم دُعيَ إلى المصالحة فما أجاب إلى الصُّلح؟ كما شاهد الواصلين فيه، وهو متباعدٌ، كم مرَّت به زُمرُ السائرين وهو قاعد؟ حتى إذا ضاق به الوقتُ، وحاقَ به المقتُ، ندِمَ على التفريط حين لا ينفعُ النَّدم.

يا من أعتقهُ مولاهُ من النَّار، إياك أن تعودَ بعد أن صرت حرًّا، إلى رقِّ الأوزار، أيبعدُك مولاك من النّار، وأنت تقربُ منها؟ وينقذُك منها، وأنت توقعُ نفسك فيها، ولا تحيدُ عنها؟ إن كانت الرحمةُ للمحسنين فالمسيءُ لا ييأس منها، وإن تكن المغفرة للمتقين، فالظالم لنفسه غيرُ محجوب عنها.

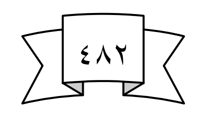
قال ابن رجب في وداع رمضان، واسمعوا لقلوب السلف رضوان الله تعالى عليهم كيف كانت تحترق لفراق هذا الشهر: يا شهر رمضان ترفق، دموع المحبين تدفق، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة الوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة وإقلاع ترقع من الصيام ما تخرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يطلق، عسى من استوجب النار يعتق.

ترحَّلَ الشَّهرُ وَا لهْفَاهُ وانصرمَا ... واختصَّ بالفوزِ بالجنات مَنْ خَدَما

وأصبح الغافلُ المسكينُ منكسراً ... مثلي، فيا ويْحهُ، ياعُظْمَ ما حُرِما

من فاته الزرعُ في وقت البذارِ فما ... تراهُ يحصد إلاّ الهمّ والنَّدَمَا

أحوال الناس بعد رمضان:



جاء رمضان، ومن الناس من عرف عظمة هذا الموسم، وقدر أوقات الشهر الكريم، فاغتنمها وزاد من عمله الصالح، وتضرع فيه بين يدي مولاه، وسأله المغفرة والعفو، ومحو الذنوب والسيئات، والعتق من النار فقدم فيه خيرا، فليحمد الله على ذلك، وليسأله الثبات على الطاعة، والمزيد من التوفيق للأعمال الصالحة.

ومن الناس من دخل عليه الشهر، ولم يأبه بدخوله، ولم يقدر قيمة لحظاته، ونفاسة أوقاته، فلم يغير شيئا من نمط حياته، ولم يعدل طريقته في قضاء أوقاته، فأهدر هذا الموسم، وفرط في اغتنامه، فرحل شهر الصيام وهو غارق في غفلاته، فيحتاج هذا إلى محاسبة نفسه والتوبة إلى ربه، وفتح صفحة جديدة، وحياة يستغلها بالطاعة، ويوظف أوقاته في طلب مغفرة ربه ومرضاته.

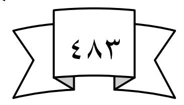
فالناس بعد رمضان فريقان: فائزون وخاسرون، فيا ليت شعري من هذا الفائز منا فنهنيه؟ ومن هذا الخاسر فنعزيه؟! روي عن علي رضي الله عنه: أنه كان ينادي في آخر ليلةٍ من رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبولُ فنهنيه، ومن هذا المحرومُ فنعزِّيه؟ أيُّها المقبولُ: هنيئًا لك، أيُّهَا المردودُ: جبر اللهُ مصيبتك.ومعرفة المقبول من المغبون غيب لا يعلمه إلا الله ولكن هناك علامات تدل على القبول منها:

أولاً:التوجه بالشكر لله عز وجل على التوفيق للأعمال الصالحة

فلقد أمر الله سبحانه عند إكمال العدة بتكبيره وشكره، فقال﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ البقرة: ١٨٥ فأمرهم بشكْرُ من أنعم عليهم بتوفيقهم للصيام والقيام، وإعانتهم عليه، ومغفرته لهم وعتقهم من النار.

وقال تعالى ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧﴾ إبراهيم: ٧

إن كانَ لا يرجوكَ إلا مُحسنٌ ... فمن الذي يرجوُ ويدعو المذنبُ؟



فلمَ لا يُرجَى العفوُ من ربِّنا؟ وكيف لا يُطمع في حلمه؟ ومن أسمائه سبحانه العفو الحليم....

وكان أبو قلابةَ يُعتقُ في آخر الشهر جارية حسناء مزينةً، يرجو بعتقها العتق من النار.

ثانياً:الخوف من عدم القبول

كان السلفُ الصالحُ: يجتهدون في إتمام العمل، وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعدَ ذلك بقبوله: ويخافون من ردِّه، وهؤلاء الذين يُؤتُون ما آتو وقلوبهم وجلة، رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه: «كُونُوا لقبول العمل أشدَّ اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعُوا الله – عز وجل – يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ المائدة: ٢٧ .

وعن فضالةَ: لأن أعلم أن الله تقبّل مني مثقال حبةِ خردلٍ، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لأن الله تعالى يقول:﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ المائدة: ٢٧ .

غدًا توفّى النفوسُ ما عَمِلت ... ويحصدُ الزَّارعُونَ ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسِهمُ ... وإن أساءُوا، فبئْسَما صنعوا

وقال مالك بنُ دينار: الخوفُ على العمل أن لا يُقبل أشدُّ من العمل.

وقال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: أدركتُهم يجتهدُون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمُّ: أتُقُبِّلَ منهم أم لا؟ وقال بعض السلف: كانوا يدعون الله ستة أشهرٍ أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

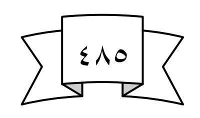
وكان بعض السلف يظهرُ عليه الحزنُ يوم عيد الفطر، فيقال له: إنه يومُ فرح وسرور فيقول: صدقتم. ولكني عبدٌ أمرني مولاي أن أعمل له عملاً، فلا أدري أيقبله مني أم لا؟ورأى وهيبٌ قومًا يضحكون يوم عيدٍ، فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامُهم، فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يُتقبل منهم فما هذا فعل الخائفين.

وعن الحسن قال: إن الله جعل رمضانَ مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبقَ قومٌ ففازوا، وتخلَّف آخرون فخابوا، فالعجبُ من اللاّعب الضاحك في اليوم الذي يفوزُ فيه المحسنون، ويخسرُ فيه المبطلون.متى يغفر لمن لم يغفر له في هذا الشهر؟ متى يُقبل من رُدَّ في ليلة القدر؟ متى يصلُح من لا يصلحُ في رمضان؟

ثالثاً: كثرة الاستغفار وعدم الاغترار

والاستغفارُ: ختامُ الأعمال الصالحة كلِّها، فتختم به الصلاة والحج وقيامُ الليل، وتختم به المجالسُ، فإن كانت ذكرًا، كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوًا كان كفارةً لها؛ فكذلك ينبغي أن يُختم صيامُ رمضان بالاستغفار؛ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: يأمرُهم بختم رمضان بالاستغفار،فقال رحمه الله في كتابه إلى الأمصار: قُولوا كما قال أبُوكم آدمُ – عليه السلام –: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ الأعراف: ٢٣ وقولوا كما قال نوحٌ – عليه السلام –: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ هود: ٤٧.وقولوا كما قال موسى عليه السلام –: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ القصص: ١٦ وقولوا كما قال ذو النون:عليه السلام ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ الأنبياء: ٨٧.

قال الحسن: أكثروا من الاستغفار. فإنكم لا تدرُون متى تنزلُ الرَّحمةُ؛ وقال لقمان لابنه: يا بنيَّ عوِّد لسانك الاستغفار. فإن لله ساعاتٍ لا يردُ فيها سائلًا؛ وفي الأثر: إن إبليس قال: أهلكتُ الناس بالذُّنوبِ، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار. *كان بعض السلف إذا صلى استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه،، إذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم؟!اللهم ارحم مَنْ حسناتهُ كلها سيئات وطاعاته كلها غفلات.



رابعاً:الانكسار وطلب العفو

من عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرضا وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة.

قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: " تَقُولِينَ: اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي "

قال يحيى بن معاذ: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو.

إن كنت لا أصلح للقرب ... فشأنكم عفوٌ عن الذنب

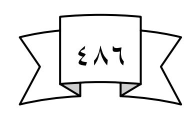
كان مطرف يقول في دعائه: "اللَّهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعفَ عنا".

وعن أسامة قال: كان من يرى سفيان الثوري يراه كأنه في سفينة يخاف الغرق، أكثر ما تسمعه يقول: "يا رب سلّم سلّم".وعن جعفر: دخلنا على أبي التياح نعوده، فقال: والله إنه لينبغي للرجل المسلم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك جدًا واجتهادًا، ثم بكى.

وعن فاطمة بنت عبد الملك زوج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: ما رأيت أحدًا أكثر صلاة ولا صيامًا منه ولا أحدًا أشد فرقًا من ربه منه، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ثم ينتبه فلا يزال يبكي تغلبه عيناه، ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينفض العصفور من الماء ويجلس يبكي فأطرح عليه اللحاف.

خامساً- المداومة على فعل الصالحات فالحسنة تدل على أختها

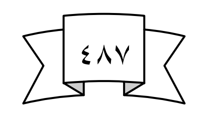
إن أعمال المؤمن الصالحة ليست معلقة بانقضاء رمضان، بل إن رمضان يزيد من حيوية النفس المؤمنة، ويبعث فيها القوة والنشاط، فإذا انتهى الشهر، كان أنشط في العبادة، فيستمر على الطاعة ما دام حيا،قيل لبشر الحافي أن قومًا يتعبدون



في رمضان ويجتهدون في الأعمال فإذا انسلخ تركوا قال: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان وقال الحسن البصري: لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت ثم قرأ ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٩ واجتهد أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: عن الخيل إذا أُرسلت فقاربت رأسَ مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلها أقلُّ من ذلك، قال: فلم يزل على ذلك حتى مات.

فالمداومة على الطاعات هدي راشد، وجَّه إليه النبي –صلى الله عليه وسلم – ومارسه؛ فعن أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . «أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: أدومه وإن قلَّ»، وعنها . رضي الله عنها . أن عمله –صلى الله عليه وسلم – كان دِيمة ، وأنه –صلى الله عليه وسلم – كان إذا عمل عملاً أثبته. .فهل تعلمنا من رمضان الصبر والمصابرة على الطاعة وعن المعصية؟ وهل عودنا أنفسنا على المجاهدة للهوى والشهوات؟ هل حصلنا على التقوى التي هي ثمرة الصيام الكبرى، واستمرت معنا حتى بعد رمضان، فإن الصلة بالله وخوف الله هي السر في حياة الصالحين والصالحات؟!كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:إنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا، فَالْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً قَالَتْ أُخْرَى إِلَى جَنْبِهَا: اعْمَلْنِي أَيْضًا، فَإِذَا عَمِلَهَا، قَالَتِ الثَّالِثَةُ كَذَلِكَ وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَضَاعَفُ الرِّبْحُ، وَتَزَايَدَتِ الْحَسَنَاتُ.وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدًى ﴾مريم: ٧٦ وقَوْله تَعَالَى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ محمد: ١٧ فالعاقل اللبيب من جعل رمضان مدرسة لبقية الشهور بالاستمرار والمداومة على الطاعات والواجبات، ولو كانت قليلة؛ فقليل دائم خير من كثير منقطع.

● أخي الحبيب ربُّ رمضان هو ربُّ كل الشهور:لا تنس أيها الأخ الحبيب أن رب رمضان هو رب الشهور .. واستمر على الطاعة واسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين حتى تلقاه، وأعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس رؤية هلال



العيد كما يتوهم البعض بل هو كما قال الله عز وجل: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: ٩٩.

واليقين هو الموت .. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت.وقال الحسن: أبَى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهر أو شهرين أو عام أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجل دون الموت.وقرأ عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠.

فقال: استقاموا والله بطاعة الله ثم لم يروغوا روغان الثعلب.

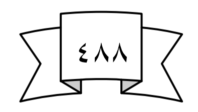
أخي المسلم وإن ودَّعْتَ شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعتق من النار فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تهنأ به نفس المؤمن وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام ومن ذلك:

*صيام ست من شوال؛ قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ". (رواه مسلم). وإن كان عليك قضاء فاقْضِه ثم صُمْها.

* صيام أيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر من كل شهر هجري، وصيام يوم عرفه لغير الحاج، وكذلك صيام أيام الاثنين والخميس.

* قيام الليل والمحافظة على الوتر. وتأَسَّ بالأخيار : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الذاريات: ١٧.

* المداومة على الرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر وركعتان بعده وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر.



* قراءة القرآن والحرص على ذلك يوميًّا ولو جزءًا واحدًا على الأقل.

* احرص على أعمال البر واستقم على الطاعة. قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ هود: ١١٢. وأنواع الطاعات كثيرة وأجرها عظيم قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧.فاحرص أخي المسلم على الاستمرار على الأعمال الصالحة واحذر أن يفجأك الموت على معصية .. واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده .. والحسنة تتبعها الحسنة والسيئة تجر السيئة.

* تذلل وتضرع وأدع ربك أن يحييك على الإسلام وأن يميتك عليه وأسأله الثبات على كلمة التوحيد عَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». (صحيح رواه الترمذي).

شهر شوال

الخطبة الاولي : ماذا بعد رمضان

الخطبة الثانية : وسائل الثبات بعد رمضان

الخطبة الثالثة : حقوق الزوجة على زوجها

الخطبة الرابعة : حقوق الزوج على زوجته

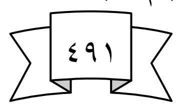
الخطبة الاولي : ماذا بعد رمضان

أما بعد:عباد الله ، ها هو شهر رمضان قد انتهى، انتهى شهر الصيام والقيام والقرآن والبر والجود والإحسان: فيا عين جودي بالدمع من أسف على فراق ليالٍ ذات أنوار على ليال لشهر الصوم ما جعلت إلا لتمحيص آثام وأوزار ما كان أحسننا والشمل مجتمع منا المصلي ومنا القانت القاري فابكوا على ما مضى في الشهر واغتنموا ما قد بقي إخوتي من فضل أعمار إنا لله وإنا إليه راجعون وهكذا أسرعت أيام الخير والبر والفضل والطاعة، ولا شك أن ربنا جل وتعالى قد اختص رمضان بكثير من رحماته وبركاته، فأنت ترى الناس تقبل على طاعة الله في رمضان بأريحية عجيبة، وبيسر وسهولة غريبة؛ لأن الله قد هيأ الناس في رمضان للطاعة، وقد سهل الطاعة للصادقين من المؤمنين في رمضان، ولكن يا إخوة: ليس معنى ذلك أن نعرض عن كثير من الثوابت الإيمانية بعد رمضان، فأنت ترى المساجد معطرة بأنفاس الصائمين في رمضان، وترى صفوف المصلين مزدحمة في رمضان؛ بل وترى البر والجود والإحسان والبذل والإنفاق والعطاء والذكر والتوبة والاستغفار، وترى حرص الناس على الطاعة، فترى المحسن يقول للمسيء إليه: اللهم إني صائم، يذكر نفسه بالله جل وعلا، وبطاعة الله.

ليس معنى ذلك -أيها الأحبة الكرام- أن نعرض عن هذه الثوابت الإيمانية بعد رمضان، فإن للإيمان من الثوابت ما لا يستغني عنها مؤمن من المؤمنين حتى يلقى بها رب العالمين.

ساضرب لك مثال لو ان رجل خلع ثيابه ثوبا ثوبا وجري امام الناس عريانا ماذا تحكم علي عقله بماذا تحكم علي حاله هكذا الموحدون كانوا يتحلون باثواب الطاعة في رمضان وهم بعد رمضان يخلعون اثواب الطاعة ثوبا ثوبا فماذا تحكم علي عقلهم وبماذا تحكم علي دينهم .

الثوب الاول وما اكثرها : قيام الليل



ومن الثوابت الإيمانية التي يزيد إيمانك بها في قلبك: قيام الليل، فيا من عودت نفسك على قيام الليل في رمضان في صلاة التراويح لا تتخل عن هذا الزاد، فوالله يوم أن خرجت الأمة من مدرسة قيام الليل هانت وقست القلوب، وجمدت العيون.

كان سعد بن أبي وقاص في القادسية يمر على خيام الأبطال والمجاهدين، فإذا رأى خيمة قام أهلها لله جل وعلا للصلاة، يقول سعد: من هنا يأتي النصر إن شاء الله.

من قيام الليل يأتي النصر إن شاء الله من قيام الليل تأتي رقة القلب من قيام الليل تأتي دموع العين من قيام الليل تأتي طاعة الجوارح، لماذا؟ لأن الليل أنس المحبين، وروضة المشتاقين، وإن لله عباداً يرعون الظلال بالنهار كما يرعى الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، حتى إذا ما جنهم الليل، واختلط الظلام، وبسطت الفرش، وخلا كل حبيب بحبيبه؛ قاموا فنصبوا إلى الله أقدامهم، وافترشوا إلى الله جباههم، وناجوا ربهم بقرآنه، وطلبوا إحسانه وإنعامه، يقسم ابن القيم ويقول: فإن أول ما يعطيهم ربهم أن يقذف من نوره في قلوبهم.

ففي الحديث الذي رواه ابن خزيمة والحاكم بسند حسن من حديث أبي أمامة، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة لكم إلى ربكم، ومكفر للسيئات، ومنهاة عن الإثم) .

الثوب الثاني : المحافظة على صلاة الجماعة

من أعظم هذه الثوابت: أن تحافظ على الصلاة في جماعة كما كنت حريصاً أيها الصائم في رمضان، قال ربنا جل جلاله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ البقرة: ٢٣٨ ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع

الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط!) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، أيبقى من درنه شيء؟ – أي هل سيبقى على جسده شيء من النجاسة أو القذر– قالوا: لا يا رسول الله! قال: فذلكم مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) .

الثوب الثالث : المداومة على قراءة القرآن

وقراءة القرآن من الثوابت الإيمانية التي لا يستغني عنها مؤمن بعد رمضان، وقد رأينا الصائمين –ولله الحمد– في أشد الحرص على قراءة القرآن في رمضان، فمنهم من قرأ القرآن كله مرة؛ بل ومنهم من قرأ القرآن كله مرتين، بل ومنهم من قرأ القرآن كله ثلاث مرات، ومنهم من زاد على ذلك، فلا تتخل عن القرآن بعد رمضان، ولا تضع المصحف في عزلته مرة أخرى، وتضعه على رفٍ من أرفف المكتبة في بيتك في رمضان، فإن المسلم لا غنى له أبداً عن كتاب الله جل وعلا.

فلا بد أن تمتع بصرك، وأن تسعد قلبك وبصيرتك بالنظر يومياً في كتاب ربك تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ الإسراء: ٩ ، وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة: (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم كما في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) .

وعن النواس بن سمعان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة) .

فلا تتخلّ أيها الموحد الصادق عن القرآن لا تتخل أيها الصائم عن القرآن لا تتخل أيها القائم عن القرآن، وهل ذلت الأمة وضاعت إلا يوم أن تخلت عن القرآن؟! ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠ ، والهجر للقرآن أنواع: – هجر التلاوة.

– وهجر السماع.

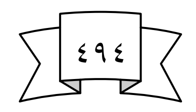
– وهجر التدبر.

–وهجر العمل بأحكام القرآن.

– وهجر التداوي بالقرآن.

– هجرت الأمة القرآن إلا من رحم ربك من أفراد، فذلت الأمة لإخوان القردة والخنازير، ولعباد البقر في كشمير، وللملحدين الملعونين في كوسوفا، وفي باكستان والشيشان، وللصليبيين الحاقدين في كوسوفا والبوسنة وفي كل مكان: ففي كل بلد على الإسلام دائرة ينهد من هولها رضوى وثهلان ذبح وصلب وتقتيل بإخوتنا كما أعدت لتشفي الحقد نيران يستصرخون ذوي الإيمان عاطفة فلم يغثهم بيوم الروع أعوان هل هذه غيرة أم هذه ضعة للكفر ذكر وللإسلام نسيان ووالله ما انتشر وانتفش الباطل وأهله إلا يوم أن تخلى عن القرآن أهله، أسأل الله أن يرد الأمة إلى القرآن رداً جميلاً.

الثوب الثالث :تجديد التوبة والاستمرار عليها



ومن الثوابت الإيمانية بعد رمضان: أن تكون دائم التوبة للرحيم الرحمن: من منا يستغني عن التوبة بعد رمضان؟! من منا يستغني عن الأوبة إلى الله مع كل نفس من أنفاس حياته؟ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ النور: ٣١ لم يقل: أيها العاصون، ولم يقل: أيها المذنبون، بل قال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣١.

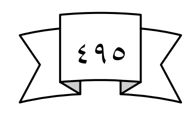
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ التحريم: ٨.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا أيها الناس! توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة) ، هذا الحبيب المصطفى الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب إليه مائة مرة وأظن أننا نحتاج إلى أن نستغفر الله ونتوب إليه في اليوم ألف مرة، نحن نحتاج إلى التوبة مع كل نفس من أنفاس حياتنا، فجدد التوبة والأوبة.

الثوب الرابع : المداومة على الذكر

ومن الثوابت الإيمانية التي لا غنى للمسلم عنها بعد رمضان: أن يكون دائم الذكر للرحيم الرحمن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة: ١٥٢ ، وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري: (مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت) .

فالذاكر لله حي ولو حبست منه الأعضاء، والغافل عن ذكر الله ميت وإن تحرك بين الأحياء.



أخي الحبيب! لا تغفل عن ذكر رب الأرض والسماء، وحافظ على ذكر الله، ففي الحديث الطويل الذي رواه أحمد من حديث الصحيح الحارث الأشعري، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال (مثل الذي يذكر ربه كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً فأتى على حصن حصين فاحتمى به من عدوه، فذلك مثل الذاكر لله، يحتمي بالذكر من الشيطان) ، فلا تتخل عن الذكر بعد رمضان.

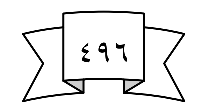
الثوب الخامس : الإنفاق في سبيل الله

ومن الثوابت الإيمانية بعد رمضان أيضاً: الإنفاق، فأنت ترى الناس تقبل على الإنفاق والجود والبر في رمضان بيسر وأريحية، فلا تتخل عن الإنفاق بعد رمضان ولو بالقليل، قال ربنا جل جلاله: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٨ ، وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾آل عمران: ٩٢.

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر العبد أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم –أي: في الدنيا– وينظر العبد أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم –أي: في الدنيا– وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً) .

فمن الثوابت الإيمانية التي لا غنى للمسلم عنها بعد رمضان أن يظل دائم البذل والإنفاق والعطاء، كل على قدر استطاعته قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦ ، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾الطلاق: ٧.



ولا ينبغي لمسلم صادق أن يتخلى عن هذه الثوابت والأثواب بعد رمضان، ونحن في أمس الحاجة إلى وصية سيد ولد عدنان إلى وصية الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام، حينما جاءه سفيان بن عبد الله وحديثه في صحيح مسلم وقال: (يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قل آمنت بالله ثم استقم) .

قل أيها الحبيب! آمنت بالله.

ثم استقم، وهذا أمر من النبي صلى الله عليه وسلم لنا جميعاً، قولوا: آمنا بالله.

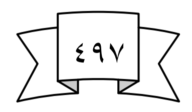
ثم استقيموا، وهذا هو عنصرنا الثاني من عناصر اللقاء: حقيقة الإيمان.

إن الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فحسب، ولكن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، فالإيمان له حقيقة، والإيمان له طعم، والإيمان له حلاوة، والإيمان له نور، وخذ الأدلة على كل كلمة.

الإيمان له حقيقة، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾الفتح: ٤ ، فالإيمان قول، وتصديق، وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

حال الإيمان في قلبك في المسجد يختلف تماماً عن حال الإيمان في قلبك وأنت أمام مسلسل من المسلسلات، أو أمام فيلم من الأفلام، أو أمام مباراة من المباريات، شتان شتان بين حال الإيمان في قلبك في المسجد، وبين حال الإيمان في قلبك وأنت بعيد عن طاعة الرحمن جل وعلا، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي والزلات.

قال حبيبنا صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي رواه الطبراني والحاكم في المستدرك بسند حسن من حديث عبد الله بن عمر: (إن الإيمان ليخلق في جوف



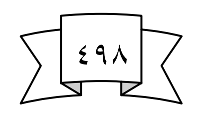
أحدكم كما يخلق الثوب -أي: كما يبلى الثوب- فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) ، فالإيمان يحتاج إلى تجديد.

أما طعم الإيمان فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً) .

والإيمان له حلاوة: روى البخاري ومسلم من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) .

والإيمان له نور، ولا تصرف لفظة النور عن ظاهرها، فقد جاء في الحديث الذي رواه الديلمي وأبو نعيم، وحسنه الألباني من حديث علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر فبينا القمر مُضيء إذ علته سحابة فأظلم، فإذا تجلت عنه أضاء) ، كذلك الإيمان له نور في القلب، فإذا تحركت سحابة كثيفة مظلمة من سحب المعاصي والذنوب حجبت تلك السحابة نور الإيمان في القلوب كما تحجب سحابة السماء الكثيفة المظلمة نور القمر عن الأرض، فإذا انقشعت السحابة أضاء القمر في الأرض مرة أخرى، كذا إذا انقشعت سحب المعصية أضاء الإيمان في القلب مرة أخرى كما يضيء القمر في أفق السماء، فالإيمان له حقيقة، وله طعم، وله نور، وله حلاوة.

إن الاستقامة على الإيمان لها فضل عظيم، وخير عميم، وأثر في حياة المؤمن، ألا وهو الثبات على هذا الدين في الحياة وعند الممات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا



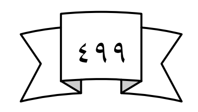
تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فصلت: ٣٠ - ٣٢
.

هذا فضل الاستقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ فصلت: ٣٠ ، أي: على الإيمان بالله على ثوابت الإيمان على طريق الله وعلى طريق رسول الله ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فصلت: ٣٠ ، متى تتنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة؟! قال مجاهد وزيد بن أسلم وغيرهما: تتنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة وهم على فراش الموت.

يا رب! اجعلنا منهم، يا رب! في هذه اللحظات لحظات السكرات والكربات هل تعلم أنها لحظات قد اشتدت على حبيب رب الأرض والسماوات؟! ففي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: مات رسول الله بين سحري ونحري –أي: على صدرها– ثم قالت: (والله لا أكره شدة الموت لأحد بعدما رأيت رسول الله قد اشتد الموت عليه حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع يده في ركوة بها ماء –أي: في قدح به ماء– ويمسح العرق عن جبينه وهو يقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات! لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات) .

وفي رواية أحمد بسند صحيح: (كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات! اللهم هوّن عليّ سكرات الموت) .

في هذه اللحظات لحظات السكرات والكربات تتنزل الملائكة على أهل الاستقامة والإيمان برب الأرض والسماوات، فترى المؤمن المستقيم على الطاعة في هذه اللحظات مبتسماً سعيداً، ويخفف الله عليه السكرات والكربات، فإذا اشتد الكرب والهم والغم والألم تنزلت الملائكة بهذه البشارة: (﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠ ، فيقول المؤمن المستقيم: يا لها من فرحة وسعادة! من أنتم؟ فيكون



الجـواب: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾فصلت: ٣١ ، روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث أبي هريرة، أنه صلى الله عليه وسلم قال: (تحضر الملائكة -عند الموت، فإذا كان الرجل صالحاً قالت الملائكة وهي تخاطب روحه: أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب راض غير غضبان) ، قال ابن عباس وابن أبي حاتم وغيرهما: (تتنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة عند الخروج من القبور يوم البعث والنشور) .

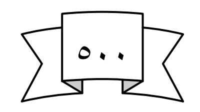
وأنا أقول: لا تعارض بين القولين، بل إن الجمع بينهما هو الأصل عندي، فالملائكة تتنزل على أهل الإيمان والاستقامة مرتين: مرة وهم على فراش الموت، ومرة إذا خرجوا من القبور يوم البعث والنشور، لتذكرهم ملائكة العزيز الغفور بهذه البشارة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ فصلت: ٣١ يعني: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فصلت: ٣١ - ٣٢ .

(نزلاً) أي: ضيافة وإنعاماً وإكراماً (من غفور) غفر لكم الذنوب، (رحيم) رحمكم يوم الأهوال والكروب، وستر عليكم الزلات والعيوب.

في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلو ذهبت إلى رجل من أهل الكرم والفضل، وأعد لك نزلاً -أي: ضيافة- فيعدها لك على قدر كرمه هو.

إن أهداك رجل من أهل الدنيا هدية فسيهديها لك على قدر كرمه هو، وأرجو أن تتصور معي -أيها الصائم القائم الموحد لله- نزلاً يعده لنا ملك الملوك جل جلاله.

إذا أردت أن تقف على شيء من هذا النزل فقس على منزلة أقل رجل في الجنة، وأرجو أن تتصور أنت بعد ذلك منزلة السابقين الأولين، منزلة أصحاب



الدرجات العالية، ففي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن الحبيب صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى بن عمران ربه عز وجل عن أدنى أهل الجنة منزلة، ذاك رجل يجيء فيقول الله له: ادخل الجنة، فينطلق، ثم يرجع الرجل إلى الله مرة ثانية ويقول: يا رب! لقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، وفي لفظ يقول: يا رب! وجدتها ملأى، ليس لي مكان في الجنة: فيقول الرب سبحانه: أترضى أن يكون ملكك في الجنة كملك ملك من ملوك الدنيا؟) هل تعلمون ملك الملوك؟ فيقول: رضيت يا رب، فيقول الرب سبحانه: لك ذلك، لك في الجنة مُلك مَلك من ملوك الدنيا) .

لكن قلت لحضراتكم: بأن الكريم يعطي على قدر كرمه، وبأن الرحيم يعطي على قدر فضله، فيقول الكريم سبحانه: (لك ذلك ومثله -يعني: ضعفه- لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فيقول العبد في المرة الخامسة: رضيت يا رب رضيت يا رب، فيقول الرب: لك ذلك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتهت نفسك.

قال موسى بن عمران: يا رب! هذا أدنى أهل الجنة منزلة، فما أعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر) .

الخطبة الثانية : وسائل الثبات بعد رمضان

أما بعد:عباد الله ، كان من المفترض ألا يتكلم عن الثبات إلا من توافرت لديه الأهلية علماً وعملاً، ولست -والله- منهم، ولكنني أقول دوماً: قد ينطلق المرء للحديث لا من منطلق شعوره بالأهلية وإنما من منطلق شعوره بالمسئولية، وهذا ما تؤصله وتقرره القاعدة الأصولية: (من عدم الماء تيمم بالتراب) ويكاد يرن في أذني وأنا أتحدث عن موضوع الثبات قول القائل:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس والطبيب عليل

فالله أسأل أن يجعل سرنا أحسن من علانيتنا، وأن يسترنا في الدنيا والآخرة، وأضرع إلى الله عز وجل مع القائل:

إلهـــي لا تعذبني فإني ... مقر بالـــذي قد كـان مني

فكم من زلة لي في البرايا ... وأنت علي ذو فضـــل ومنِّ

يظن الناس بي خيراً وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

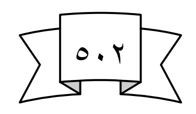
وسائل الثبات بعد رمضان

الوسيلة الأولى : الدعاء وطلب العون من الله بصدق وحرقة على الثبات والهداية والاستقامة ولزوم الجادة .

*قال الله تعالى واصفا دعاء أولي الألباب بقوله :﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ آل عمران: ٨.

*ويقول عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العبادة) رواه أحمد بسند صحيح.

*ويقول ايضا عليه الصلاة والسلام (من لم يسأل الله يغضب عليه) رواه الترمذي وهو صحيح.



قال في فيض القدير "من لم يسأل الله تعالى " أي يطلب من فضله (يغضب عليه) لأنه إما قانط وإما متكبر وكل واحد من الأمرين موجب الغضب قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ غافر: ٦٠ أي عن دعائي فهو سبحانه يحب أن يسأل وأن يلح عليه ومن لم يسأله يبغضه والمبغوض مغضوب عليه قال ابن القيم : هذا يدل على أن رضاه في مسألته وطاعته وإذا رضي الرب تعالى فكل خير في رضاه كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه والدعاء عبادة وقد قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ غافر: ٦٠ فهو تعالى يغضب على من لم يسأله كما أن الآدمي يغضب على من يسأله .

الله يغضب إن تركت سؤاله . . . وبني آدم حين يسأل يغضب

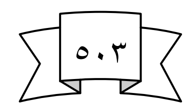
*وتقول أم سلمة رضي الله عنها عندما سألت ما كان أكثر دعاء النبي عليه الصلاة والسلام قالت : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

فإذا كان سيد ولد آدم فداه أبي وأمي يدعو بالثبات لنفسه فكيف بنا نحن وحالنا لا يعلمه إلا الله.

الوسيلة الثانية :مجالسة الصالحين وحضور مجالس العلم والدعوة ، والأفضل أن يكون حضور الدرس في المسجد لقول النبي عليه الصلاة والسلام كما عند الترمذي بسند صحيح (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله قال حلق الذكر . وفي لفظ عند الطبراني مجالس العلم)

قال القرطبي أراد مجالس علم الحلال والحرام وقال الغزالي أراد مجالس علم الآخرة كما في فيض القدير .

الوسيلة الثالثة :قراءة سير الصالحين والتعرف عليها وخاصة سير الصحابة رضوان الله عليهم.



قراءة القصص تعلي الهمة وتشد العزم وتثبت القلب قال الله تعالى ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾هود: ١٢٠.

ويقول أبو حنيفة رحمه الله : حكايا الصالحين جنود يثبت الله بها قلوب عباده.

*ومن الأمثلة على ذلك عندما تقرأ مثلا أن في الصحيحين عن أنس قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا ؟ قالوا لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد.

هذه زينب تفعل هذا الأمر من شدة عبادتها فكيف حالنا نحن نتكاسل عن أداء الجماعة في المسجد أو نتثاقل عن أداء ركعتين قيام لليل قبل النوم.

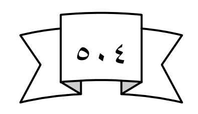
ومن يقرأ سير القوم يعرف أحوالهم ويعرف لماذا كتب الله لهم القبول في الأرض.

الوسيلة الرابعة:الحرص على أداء الفرائض الخمس في الجماعة في المسجد .

*في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.

*وأيضا عند مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال : لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلاة العشاء .

*وفي صحيح مسلم أيضا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا.
*وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال : من سره أن يلقى الله غدا مسلما



فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه و سلم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف .

فهل بعد هذا الثواب العظيم نتخلف عن الجماعة وهل بعد هذا التشديد من ترك الجماعة نتخلف عنها وهل بعد أن ذقنا حلاوة الطاعة والجماعة نتركها.

الوسيلة الخامسة:المحافظة على ماافترضه الله ورسوله علينا من فرائض من صلاة وحجاب وصوم وزكاة ووو.

والبعد عن الحرام والمنهيات سواء في المطعم أو الملبس أو النظر أو الكلام أو السماع أوالاختلاط وخاصة في الأعياد حذار حذار .

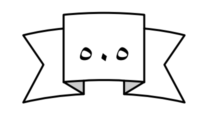
ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .

*وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أمرتكم به فاتوا منه مااستطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا .

يقول بعض السلف : صم الدنيا واجعل فطرك الموت ، الدنيا كلها شهر صيام للمتقين يصومون فيه عن الشهوات والمحرمات .

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

فالله الله في الثبات على الطاعات والبعد عن المحرمات .



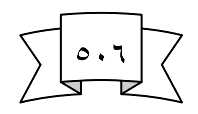
قال عليه الصلاة والسلام : إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الحمو يعني أقارب الزوج قال : الحمو الموت متفق عليه وزاد مسلم عن الليث بن سعد قال : الحمو أخ الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه

وأما قوله صلى الله عليه و سلم الحمو الموت فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي قال ابن الأعرابي هي كلمة تقولها العرب كما يقال الأسد الموت أي لقاؤه مثل الموت قال القاضي معناه الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك في الدين فجعله كهلاك الموت فورد الكلام مورد التغليظ.

الوسيلة السادسة:المحافظة على تلاوة القرآن ولو شيئا يسيرا بشكل يومي .

روى الطبراني وغيره بسند حسنه بعض أهل العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه : هل تعرفني ؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك و أظمئ هواجرك ، و إن كل تاجر من وراء تجارته ، و أنا لك اليوم من وراء كل تاجر ، فيعطى الملك بيمينه و الخلد بشماله و يوضع على رأسه تاج الوقار و يكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا و ما فيها ، فيقولان : يا رب ! أنى لنا هذا ؟ فيقال : بتعليم ولدكما القرآن . و إن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة : اقرأ و ارق في الدرجات و رتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية معك.

*وعند الإمام مسلم قال عليه الصلاة والسلام : اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما.



*وروى الترمذي بسند صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

الوسيلة السابعة:المداومة على النوافل ولو قليلها .

ركعتي قيام الليل على الأقل:

*قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين . رواه أبو داود بسند صحيح.

*وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم . رواه الترمذي بسند حسن .

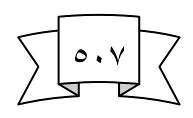
ومن النوافل:

*صيام الست من شوال:

فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر . ومن هنا قال أحد العلماء أن من حكمة صيام الست البرهان على الثبات بعد رمضان وإرغام الشيطان على أن العبد مازال على العهد الذي عاهد عليه ربه في رمضان من ثبات واستقامة.

ومن النوافل الصدقة

*فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :



"كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس قال يزيد فكان أبو الخير مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو بكعكة أو بصلة " رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وهو صحيح.

*وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه)

ومن النوافل ركعتي الضحى

*ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال أوصاني خليلي صلى الله عليه و سلم بثلاث لا أدعهن ركعتي الضحى وصوم ثلاثة أيام من الشهر وأن لا أنام إلا على وتر.

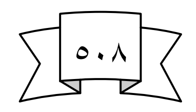
*وروى الترمذي بسند صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :قال الله تعالى (ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره)

الوسيلة الأخيرة:الإكثار من التوبة والاستغفار وذكر الله عز وجل

*قال الله تعالى : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ النور: ٣١ .

*وعند الإمام أحمد في المسند بسند صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره في كل يوم مائة مرة ".

فإذا كان رسول الله فداه أبي وأمي يستغفر وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حالنا نحن والذنوب كثيرة والحفظة يكتبون كل صغيرة وكبيرة نسأل الله أن يتوب علينا وعلى جميع العصاة من أمة محمد .



وأذكر نفسي وأذكركم بأن نتعلم أذكار الصباح والمساء التي علمنا إياها النبي عليه الصلاة والسلام ونداوم عليها ونعلمها من حولنا من أهلينا وأولادنا وإخواننا فوالله فيها من الخير والبركة والحفظ والأجر مالا يعلمها إلا الله .

*وروى ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل .

*وعند الترمذي بسند صحيح قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم ؟ ذكر الله .

*وعن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت أي الأعمال أحب إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله .رواه ابن أبي الدنيا وغيره بسند حسن .

الخطبة الثالثة : حقوق الزوجة على زوجها

أما بعد:عباد الله ،نتحدث عن بعض الحقوق وموعدنا اليوم – إن شاء الله تعالى – مع بيان مجموعة من الحقوق التي تتعلق بكل طرف تجاه الآخر، نستهلها بالقسم الأول من حقوق الزوجة على زوجها:

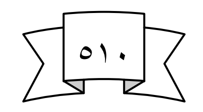
١ . الإنفاق عليها بالمعروف، مع المساواة بينه وبينها في الحاجات الضرورية، من الطعام، والشراب، والكسوة، والتطبيب ، فكما أنه لا يجوز له أن يتكلف ما ليس له في سبيل إرضاء زوجته، فكذلك لا ينبغي له أن يستأثر دونها بمتع الحياة ولذيذ عيشها، فعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِىِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: "أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ – أَو قال: إذا اكْتَسَبْتَ" صحيح سنن أبي داود.

فبعض الأزواج يذهبون إلى أصدقائهم، أو أقربائهم مرتين أو ثلاثا كل أسبوع، يمرحون، ويسعدون، ويتمتعون بلذيذ العيش، ثم هم يهملون زوجاتهم، ويقترون عليهن في النفقة.

قال تعالى :﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾الطلاق: ٧.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: "كفى بالمرء إثماً أن يُضَيعَ مَنْ يَقُوت" صحيح سنن أبي داود، وفي رواية مسلم: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ."

ولا شك أن ما ينفقه الزوج على أهله من أعظم الأعمال المكسبة للحسنات الكثيرة، المدرة للأجر العظيم، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِى أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ" رواه مسلم. قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: "وَأَيُّ



رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا، مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ، يُعِفُّهُمْ، أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ وَيُغْنِيهِمْ؟."

بل إن اللقمة التي تضعها في فم امرأتك، وجرعةَ الماء تسقيها بها، يضاعف لك الله بهما الأجر والثواب، فعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها، حتَّى اللُّقمةَ ترفعُها إلى في امرأتك (ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة)" متفق عليه.

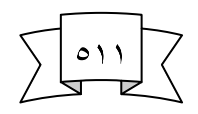
وعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أُجر" صحيح الترغيب.

فإذا كانت نية الزوج في نفقته على أهله خالصة لله، كان له أجر المتصدق ، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها (يريد بها وجه الله تعالى) فهو له صدقة" متفق عليه.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أمر النبي – صلى الله عليه وسلم بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار. فقال: "تَصَدق به على نفسك". قال: عندي آخر. قال: "تَصَدقْ به على ولدك". قال: عندي آخر. قال: "تَصَدَّقْ به على زوجتك". قال: عندي آخر. قال: "تَصَدَّقْ به على خادمك". قال: عندي آخر. قال: "أنت به أبْصَرُ" صحيح سنن أبي داود.

والتقتير في نفقة الأهل لا يجتمع مع حقيقة الإيمان، الذي يبعث على الانشراح وحب الخير للناس قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان، والشح" صحيح سنن النسائي.

٢ . الإحسان إليها:



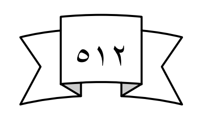
إن المرأة أمانة في يد زوجها، أُمر بالمحافظة عليها، والاعتناء بها، والإحسان إليها. قال تعالى :﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ النساء: ١٩.

ولقد جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – خير الرجال وسيدهم وأشرفهم من يحسن معاملة زوجته. قال – صلى الله عليه وسلم –: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ، خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا" صحيح سنن الترمذي.

وأصبح النبي – صلى الله عليه وسلم – مرة فقال: "لقد طاف الليلةَ بآل محمد سبعون امرأة، كل امرأة تشتكي زوجها (وفي لفظ: تشتكي زوجها الضرب)، فلا تجدون أولئك خياركم" ص. ابن ماجة.

وحتى إذا كان هناك من عقاب، فليكن على قدر الذنب، تأديبا لا انتقاما، وتحذيرا لا تشفيا، ويكفي أن تكون العقوبة إعراضا لبعض الوقت، وإظهارا لعدم الرضى يوما أو يومين، من غير شتم، ولا سباب، ولا تسفيه للأخلاق، ولا طعن في الأصول والأنساب. يقول أنس – رضي الله عنه –: "لم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – سبابا، ولا فحاشا، ولا لعانا. كان يقول لأحدنا عند المعتبة: "ما له تَرِبَ جبينه؟ (أصابه التراب ولَصِق به، أو كناية على الدعاء له بالطاعة والصلاة "(البخاري.

إن الذين يفهمون من قول الله تعالى :﴿ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ مطلق الضرب، فيتمادون فيه إلى حد الكسور والجروح، قد ارتكبوا خطأ فاحشا، ينم عن جهلهم بحقيقة الشريعة الإسلامية. فهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تقول عنه عائشة – رضي الله عنها –: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" مسلم. وحتى إذا اضطر إليه الزوج، فهو ضرب تأديب، وصفه النبي – صلى الله عليه وسلم – بغير المبرح، كما يفعل



الأب بابنه. سُئل ابن عباس – رضي الله عنه –: ما الضرب غيرُ المبرِّح؟ قال: "السواك ونحوُه".، وهذا إنما يكون في النشوز الذي هو تمرد وخروج عن السوية، لا مجردَ خلاف تافه يمكن تجاوزه بأدنى سبب.

فإذا حسنت العشرة بين الزوجين، وكانت مبادئ الشرع حاكمة عليهما، لم يحتاجا إلى أن يؤدب أحدهما الآخر، ولا أن يزجر أحدهما الآخر.

يقول الإمام أحمد – رحمه الله – في حق زوجته العبَّاسة بنت المفضّل: "أقامتْ أم صالح معي عشرين سنة، فما اختلفتُ أنا وهي في كلمة".

ومن باب الإحسان إلى الزوجة الصبر عليها، وتحمل أذاها، والتجاوز عن أخطائها، حفاظا على لَمِّ شمل الأسرة، وتماسك أركانها، وحفظها من أن تتلاشى تحت مغبة الخصومات، والأحقاد، والاتهامات المتبادلة. فقد يبدر منها ما يترجم عن تبدل مزاجها، وتغير أحوالها، فتنفلتُ منها كلمات غير مرضية، أو أفعال غير سليمة، فيقابلها الزوج الصالح بِحِلم الأصفياء، وعفو الأقوياء، واستحضار خلق سيد الأنبياء.

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – أَنَّهَا أَتَتْ بِطَعَامٍ فِي صَحْفَةٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم) – وكانت نوبته عند عائشة (وَأَصْحَابِهِ، فَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَّزِرَةً بِكِسَاءٍ وَمَعَهَا فِهْرٌ (حَجَر ملء الكف)، فَفَلَقَتْ بِهِ الصَّحْفَةَ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَ فِلْقَتَي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: "كُلُوا، غَارَتْ أُمُّكُمْ، غَارَتْ أُمُّكُمْ"، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – صَحْفَةَ عَائِشَةَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَعْطَى صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ عَائِشَةَ" البخاري.

ولقد علمنا النبي – صلى الله عليه وسلم – كيف نبدد غضب الزوجة، بملاحظة نوع كلامها وتصرفاتها. تقول عَائِشَةُ – رضي الله عنها –: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: "إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى". فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّى رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ:

لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ". قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَهْجُرُ إِلاَّ اسْمَكَ] متفق عليه.

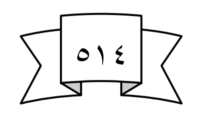
٣ ـ أن يكون عوناً لها علي أمر دينها:

إن الزواج في الإسلام ينبني على أساس الدين، ويدور حول الأخلاق الإسلامية، التي يجب أن تكون أس اختيار أحد الزوجين للآخر. فالله تعالى يقول :﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢.

والزواج مؤسسة، إكسيرها إشاعة التعاون على الخير بين مكوناتها، ولا يتم ذلك إلا بزاد من تقوى الله – عز وجل –. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير". قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه.. ثلاث مرات" ص. الترمذي. قال أهل العلم: "اشتراط المصلحة الدينية الكاملة، هو أفضل الشروط، وأحبها إلى الله –عز وجل."–

وإنما طولب ولي أمر الزوجة بأن يختار لوليته ذا الدين والخلق، لأنهما صفتان تجعلان الزوج مسئولاً عن تدين زوجته، حريصا على خلقها، مراعيا لحق الله فيها، موجها ومرشدا لأبنائها، معاقَبا على تفريطه في تربيتهم، فلكل حرث زارع، ولكل مال جامع. قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ التحريم: ٦ ، والأهل، هم الزوجة والأولاد. قال بعض أهل العلم: "أَمَرَنا الله – جل وعلا – أن نقي أنفسنا وأهلينا نارًا وقودها الناس والحجارة، فمن ضيع هذا الحق، سَلَبَ الله المهابة من وجهه، وسلب الله المهابة من قلب أهله وولده."

وعلى الزوجة المسلمة أن تكون منصاعة لأوامر زوجها الشرعية، لا تتأخر في تنفيذها ما دامت في طاعة الله، كأن يأمرها بالاعتناء بصلاتها، وصيامها، وسائر



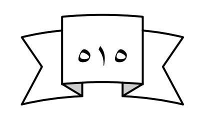
عباداتها، والتستر باللباس الشرعي عند خروجها، وقيامها بحسن تربية أبنائها، وتقويم أخلاقهم، ومراقبة سلوكهم، لا أن تتواطأ مع الأبناء بالتستر على فساد سلوكياتهم، والتكتم على اعوجاجهم وحماقاتهم، وربما التشجيع على انحرافهم بدعوى حاجتهم إلى الحرية، والاستمتاع بالطفولة، وتفريغ مكبوت المراهقة.. فكلم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته. يقول تعالى: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى". فما علاقة أمر الأهل بالعبادة والرزق؟ قالوا: "إنه ما من زوج يقوم بحق الله، وما فرض الله عليه في أهله وزوجه، ويعظها ويذكرها حتى يقوم البيت على طاعة الله ومرضاة الله، إلا كفاه الله أمر الدنيا.. كأن إقامته لأمر الله طريقٌ للبركة في الرزق."

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. ورَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" صحيح سنن أبي داود.

ويقول – صلى الله عليه وسلم –: "مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ" صحيح سنن أبي داود.

بل يقول – صلى الله عليه وسلم – في حق زوجاته أمهات المؤمنين: "أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ" البخاري. قال ابن حجر: "أي ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –"، فإذا أُمِرْنَ بذلك وهن من هن في ميزان الله – تعالى –، فكيف بغيرهن؟.

٤ . الغيرة عليها



والمقصود الغيرة المحمودة ، بما يجعل الزوج حريصا على زوجته، منتبها إلى المؤثرات الداخلية والخارجية التي يمكن أن تعصف بأخلاقها، وتذهب بجمال سلوكها، وحسن تدينها.

قال ابن حجر – رحمه اللّه –: "الغيرة: مشتقّة من تغيّر القلب وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشدّ ما يكون ذلك بين الزّوجين."

وقال الكفويّ – رحمه الله –: "الغيرة: كراهة الرّجل اشتراكَ غيره فيما هو من حقّه."

وعرَّف أحد المتأخرين الغيرة التي نقصدها فقال: "الغيرة: هي ما ركّبه الله في العبد من قوة روحية، تحمي المحارم، والشرف، والعفاف، من كل مجرم وغادر."

والغيرة تكريم للمرأة، وحفظ لها من نظرات العابثين، وألسنة المفسدين، وليس فيها تضييق على المرأة كما يزعم بعض مقلدة الغرب من الرجال، وبعض المغرر بهن من النساء، بل هي من صميم حقوق المرأة على زوجها: أن يحبها، ويكرمها، ويتعلق بها، فيحفظها من نظرات الذئاب الجائعة، ويحميها من مغبة الضواري المفترسة.

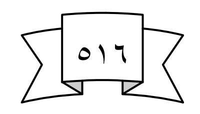
يقول أحد الأزواج مفصحا عن صدق غيرته على زوجته:

أغار عليكِ من عيني ومني   ومنكِ ومن زمانكِ والمكان

ولو أني خَبَأْتُكِ فِي عيونِي   إلَى يوم القيامة ما كفانِي

ومن جميل ما ينسب إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، أنه دخل على زوجته فاطمة – رضي الله عنها –، فوجَدَها تَسْتاكُ (تستعمل السواك)، فقال ممازحًا يخاطب السواك:

ظَفِرْتَ يَا عُودَ الأَرَاكِ بِثَغْرِهَا   مَا خِفْتَ يَا عُودَ الأَرَاكِ أَرَاكَا



لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ قَتَلْتُكَ   مَا فَازَ مِنِّي يَا سِوَاكُ سِوَاكَا

عباد الله من أجل الغيرة على النساء، فرض الله على المسلمات الستر، وعدمَ إبداء الزينة. قال – تعالى :– ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾النور: ٣١.

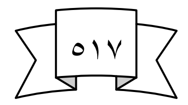
وقال – تعالى :– ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾النور: ٣١ ، ومن أجل الغيرة على النساء، حرم الإسلام دخول الحمو – وهو أخو الزوج أو أحد أقاربه من غير المحارم، كعمه، أو خاله، أو ابن عمه، أو ابن خاله – على النساء، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟. قَالَ: "الْحَمْوُ: الْمَوْتُ (أي: هلاك)" متفق عليه.

ومن أجل الغيرة على النساء، حرَّمَ الإسلامُ سَفَرَ المرأة بلا محرم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ". فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، فقَالَ الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ" مسلم.

ومن أجل الغيرة على النساء، أمر الله – تعالى – المؤمنات الصالحات أن يغضضن أبصارهن، حتى لا يكنَّ عرضة لأقاويل الظانين، وكلام المتأولين، ولسان الفارغين. قال تعالى :﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ النور: ٣١ .

إن المجتمع الذي تنتشر فيه غيرة رجاله على أزواجهم، لهو مجتمع طهر وعفاف، ورجولة حقيقية.

قال المناوي في الفيض: "أشرف الناس وأعلاهم همة، أشدهم غيرة."



وقال الإمام الذهبي: "لا خير فيمن لا غيرة له."

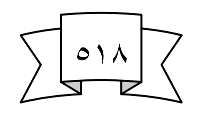
وأثر عن عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: "لأن يزاحمني بعير مطلى بقطران، أحب إلي من أن تزاحمني امرأة."

فما بال بعض الرجال قد ماتت الغيرة في نفوسهم، فلا يلحظون تزين زوجاتهم عند خروجهن بأبهى أنواع اللباس، وتجملهن بأحدث أنواع المساحيق، واستعطارهن بأثمن أنواع الطيب والعطور؟ وكيف يرضون بحضور أزواجهن قصورَ الأفراح، ومنازلَ المناسبات، وسُرادِقاتِ الحفلات، مع ما فيها من غناء، ورقص، وتصوير ظاهر وخفي؟، ثم نتساءل – بعد ذلك – لماذا تنتشر تصاوير النساء والفتيات في بعض المواقع الاجتماعية، وهن سافرات، متبرجات، وربما في أوضاع مخلة بالآداب، مما يسبب في الخصومات بين الزوجين، وقد يكون سبيلا إلى الطلاق.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "خير نسائكم: الولود، الودود، المواسية، المواتية إذا اتقين الله، و شر نسائكم: المتبرجات، المتخيلات، وهن المنافقات" صحيح الجامع.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مخاطبا الرجال الأزواج: "ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج(وهم الرجال الفحول من الأعاجم)رواه أحمد، وقال شاكر: إسناده صحيح.

إن التساهل في مراقبة أخلاق الزوجة من أعظم أنواع خيانة الأمانة، التي وكلها الله – تعالى – للرجال. قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" مسلم.



وأي غش أعظم من تدمير البيت المسلم، بتمكين أهله من الفضائيات ما حسُن منها وما قبُح، وتزويدهم بالشبكية بعجرها وبجرها، دون تقنين، أو احتياط، أو مراقبة، ونثر مجلات الموضة وتصاوير نساء الأزياء العالمية مكشوفات متهتكات؟.

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَالله مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ" متفق عليه.

وتعظم الجريمة إذا كانت في صفوف المحصنات، بتساهل من الأزواج.

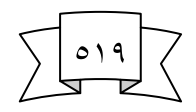
يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الدَّيوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر". قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟. قال: "الذي لا يبالي من دخل على أهله". قلنا: فما الرجلة من النساء؟. قال: "التي تَشَبَّهُ بالرجال" صحيح الترغيب.

ولقد اشمأز سعد بن عبادة من مجرد افتراض وجود زوجته مع أجنبي عنها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أتعجبون من غيرة سعدٍ؟ واللهِ لأنا أغير منه، والله أغير مني" متفق عليه.

قال في الإحياء: "وإنما خُلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغَيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها."

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات، عاريات، مائلات، مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" مسلم.

٥ . التحبب إليها، والتلطف معها، وإظهار اللين لها.



ولا عجب، فقلد فعل هذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وهو القائل: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي" صحيح سنن ابن ماجة.

وليس مناط هذا التحبب خوفا، ولا دافع هذا التذلل ملقا، فالرجل حارس الأسرة، والمدافع عنها، وإليه المرجع – بعد الله تعالى – في حل مشاكلها، وتسوية أوضاعها، وقضاء حوائجها. والمرأة ضعيفة بطبعها، محتاجة إلى هذه العناية والرعاية من طرف زوجها، كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيمِ، والمرأةِ (أُضيق على الناس في تضييع حقهما)" صحيح سنن ابن ماجة.

وكان من آخر كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في خطبة حجة الوداع: "استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عوانٍ عندكم" صحيح سنن الترمذي.

ومن ثم، يكون التودد إلى الزوجة من قبيل إكرامها، والإحسان إليها، لا من قبيل الإحساس بالخضوع والضعف والخنوع، الذي قد يرتد على النفس، فتستخفها العزة، وتميل بها الأنفة، فتستحيل الحياة الزوجية صخبا، ولغطا، وجدالا وخصاما. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم" متفق عليه.

قال الغزالي – رحمه الله –: "اعلم أن الرفق محمود، ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة". والذي غاب عنه الرفق، حل به العنف، والغلظة، وسوء الخلق، الذي يفسد كل شيء.

روى يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم قال: "السيئ الخُلُق، أشقى الناس به نفسُه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فَرَقًا منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه."

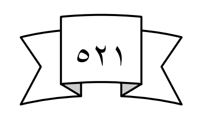
فأيهما أحب إلى الله – تعالى –؟: هذا الصنف العنيف المستكبر، أم الذين يدخلون بيوتهم، فتعمها البهجة، ويملؤها السرور؟

إن من مظاهر التحبب إلى الزوجة مشاركتَها في هواياتها، ومقاسمتَها ما يزرع دفء الزوجية في نفسها، إذا كان ذلك ضمن دائرة المباح.

تأمل فيما روته عائشة – رضي الله عنها – حين قالت: "خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا"، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ". فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقْتُهُ. فَسَكَتَ عَنِّى حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ، وَبَدُنْتُ، وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: "تَقَدَّمُوا"، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ"، فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: "هَذِهِ بِتِلْكَ" رواه أحمد وهو في الصحيحة.

ولقد شكا إليَّ – يوما – أحد الناس زوجته، قال لي: ظلمتني، حين أكثَرَتْ الشكوى من تعب أشغال البيت، فقلت له: هل أخرجتها – يوما – في نزهة؟ قال: ما أخرجتها ولا مرة واحدة، فقلت له: أخشى أن تكون أنت الذي ظلمتها. ثم انصرف الرجل مقتنعا بأن عليه أن يشتري هدية لزوجته، وأن يسألها أن تسامحه. وقد قالوا: "من يَظلِم يُخرَب بيته". وقالوا: "من لم يعدل، عَدَلَ الله فيه، ومن حَكم لنفسه، حَكم الله عليه"

تأمل – مرة أخرى – فيما ترويه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قَالَتْ: "وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُومُ عَلَى بَابِ حُجْرَتِي – وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – – يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ. فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ" متفق عليه.



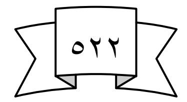
وأثر عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قوله: "ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي، فإن كان في القوم كان رجلًا."

ولما اندفعت عائشة – مرة – في وجه اليهود، الذين أتوا النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: "السام عليكم (وهو دعاء عليه بالموت)، فقالت: "وعليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم"، لم يعنفها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإنما نبهها بلطف إلى ما تحتاجه المرحلة من رفق وتأن، فقال لها: "مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش". فلما أرادت الدفاع عن موقفها، وتساءلت وقالت: "أو لم تسمع ما قالوا ؟" لم يخبرها بأنه نبي، وهو أعلم منها بما يفعل، بل قال لها:" أو لم تسمعي ما قلت؟"، وكان – صلى الله عليه وسلم – يرد عليه بقوله: "وعليكم". ثم بين وقال: "رَدَدْتُ عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيّ" البخاري.

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا" رواه الطبراني وقال في ص. الترغيب: حسن لغيره.

ومن مظاهر التحبب إلى الزوجة، التزين لها، والظهور أمامها بأحسن مظهر، فهي تحب منك ما تحب أنت منها، فلا تدخل بيتك بلباس المهنة، ولا برائحة غير طيبة، ولا تظهر الزهادة الزائدة التي قد تمنعها من حقوقها الضرورية عليك. فقد آخَى النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِى الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً (تاركة للبس ثياب الزينة)، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فلما جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، أمره سلمان أن ينام ويقوم، وأن يصوم ويفطر، ثم قال له:"إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم –، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم –:"صَدَقَ سَلْمَانُ" البخاري.

ومن مظاهر التحبب إلى الزوجة، مشاركتها في أعباء البيت كلما سنحت الفرصة. قال الأسود بن يزيد: "سألت عائشة ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم –



يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة" البخاري. وبينت – رضي الله عنها – بعضا من هذه الخدمة فقالت: "كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه" أحمد وهو في الصحيحة.

ومن مظاهر التحبب إلى الزوجة، الإقبال عليها بالوجه والكلام، كما كان يفعل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع سائر الناس. قال عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: "كان (أي: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت أني خير القوم" حسنه في مختصر الشمائل.

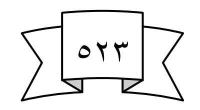
ومن مظاهر التحبب إلى الزوجة، نعتها بما فيها من جميل الأوصاف، ولقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لأشجِّ عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلم، والأناة" مسلم.

ولما جاء جبريلُ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – وقرأ السلام على عائشة، قال – صلى الله عليه وسلم – بأسلوب التلطف والترقق: "يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ" متفق عليه.

كما عليه ألا يذكر محاسن غيرها من النساء أمامها، لأن ذلك مظنة إغاظتها، والتقليل من شأنها.

ومن مظاهر التحبب إلى الزوجة، إكرام أهلها، والثناء عليهم أمامها، والإحسان إليهم، وصلتهم بالمعروف.

٦ . الصبر عليها : نختم بحق آخر، لا يقل أهمية عما سبق من الحقوق، بل هو أساسها الذي تركن إليه، وحجر الزاوية الذي تدور عليه، إنه ضرورة الصبر عليها، وتحمل ما قد يصدر عنها من أعمال وتصرفات قد تكون مجانبة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة، المدركة بدورها لحقوق الزوج عليها، وما تتطلبه من حسن المعاملة، وجميل المطاوعة.



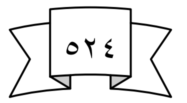
ولقد وصف لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الطبيعة التي جبلت عليها المرأة، التي لا تعد نقصا فيها، وإنما هي فطرة ركبت فيها، وجبلت عليها، وجب على الرجال أن يحسُبوا لها حسابها، فيعاملوا المرأة بحسبها.

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا" متفق عليه. ومعنى: "استوصوا": تواصوا فيما بينكم بالإحسان إليهن، وذهب بعضهم إلى أن المقصود بأعلى الضلع: اللسان، أو الخلق، أو الفكر، فلو حاولت أن تجعله مستقيما تاما وأصررت على ذلك كسرته، وكسره طلاقها كما في حديث صحيح مسلم: "إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا."

وهذا ما يجعلها إذا اشتد غضبها على زوجها، ربما نسيت كل فعل جميل قدمه لها، وغفلت لحظات السعادة، ومَثُلت أمامها لحظات التشنج والخصومة، وهذا ما بينه النبي– صلى الله عليه وسلم – بقوله، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ". قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟. قَالَ: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ (الزوج)، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ (يغطينه وينسينه)، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" متفق عليه.

والحديث على الغالب لا على التعميم. قال شارح عمدة الأحكام: "هذا وصف أغلب، وليس عاماً لهن كلِّهن، بل فيهن ذوات الإيمان، وذوات التقوى، وفيهن من تخاف الله وتراقبه وتعبده، والرجال أيضاً فيهم كثير ممن هو جاحد للإحسان، وجاحد للمعروف، ولكنَّ وصف إنكار المعروف في النساء أغلب."

فإذا كان حال المرأة هكذا، فلا بد من مداراتها، وتحملها، وإلا لما استقامت حياة زوجين أبدا. يقول النبي– صلى الله عليه وسلم –: "إن المرأة خلقت من ضِلَع،



فإن أقمتها كسرتها، فدارها تعش بها" صحيح الترغيب. قال المناوي: "أي: لاطفها، ولاينها، فإنك بذلك تبلغ ما تريده منها من الاستمتاع بها، وحسن العشرة معها."

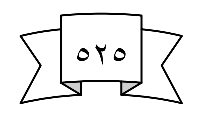
وإن من ظلم الزوج لزوجته، أن يعاملها بالطبيعة نفسها، وهو المطالب بحضور العقل في المنازعة، والاتزان عند المخاصمة، فيوازن بين الحسنات الكثيرة، وبين ما قد يعكر صفو الحياة الزوجية من مزايدات كلامية، أو تشنجات عابرة، تحتاج إلى مجرد غض الطرف عنها لإذابتها، والتنزه عن مناقشتها لوأدها في مهدها، ولذلك قال تعالى :﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾]النساء: ١٩[.

فمن ابتلي بشيء من ذلك فليصبر، وليحتسب ذلك قربة لله تعالى، فإن الصبر نصف الإيمان كما قال الإمام أحمد، وهو" تجرع المرارة من غير تعبس "كما قال الجنيد.

وليتأمل في نفسه هو، لعله يرتكب من الذنوب ما يسلط عليه زوجته، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "إني لأعصي الله، فأجد شؤم معصيتي في خلق دابتي وزوجتي."

وقال ابن الجوزي" :شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال: ما أقدر على فراقها لأمور، منها كثرة دينها علي وصبري قليل..". فقلت له: هذا لا ينفع، وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، فينبغي أن تخلو بنفسك، فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك، فتبالغ في الاعتذار والتوبة، فأما التضجر والأذى لها فما ينفع.. فعامل الله سبحانه بالصبر عليها، فإنك تثاب.. وقد روي عن بعض السلف، أن رجلاً شتمه، فوضع خده على الأرض وقال: اللهم اغفر لي الذنب الذي سَلَّطْتَ هذا به عليَّ."

ومن جميل ما ذكر في صبر الأزواج على زوجاتهم، قول ابن القيم رحمه الله: "تزوج رجل بامرأة، فلما دخلت عليه رأى بها الجدري، فقال: اشتكيتُ عيني، ثم قال:



عميثُ، فبعد عشرين سنة، ماتت ولم تعلم أنه بصير) أعمى(، فقيل له في ذلك، فقال: كرهت أن يحزنها رؤيتي لما بها. فقيل له: سبقت الفتيان."

وابتلي أحد الصالحين بامرأة ناشز، لم يعرف معها إلا النكد والكدر، فصبر عليها ثلاثين سنة، فقيل له: "ما ضرك لو طلقتها؟". قال: "أخشى إن طلقتها أن يبتلى بها غيري فتؤذيَه."

ورحم الله أبا سليمان الداراني الذي قال: "من صفَّى صُفِّيَ له، ومن كَدَّرَ كُدِّرَ عليه، ومن أحسن في ليله، كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره، كوفئ في ليله."

الخطبة الرابعة : حقوق الزوج على زوجته

أما بعد:عباد الله ، انتهينا في الجمعة الماضية من الحديث عن حقوق الزوجة على زوجها، ولقد تبين أن أساس الخلاف بين بعض الأزواج وزوجاتهم راجع إلى مجرد سوء فهم وتقدير لهذه الحقوق، التي تتحكم فيها عوامل اجتماعية، ومادية، ونفسية، غالبا ما نغفل عنها، مما يولد العناد والإصرار على الرأي، وردود الفعل العصبية، وحب السيطرة، والتسرع في اتخاذ القرارات، المفضية إلى الغضب، والخصام، والشجار، والصياح، والسباب، والعنف، ثم الافتراق والطلاق، لتكون النتيجة الصادمة هي أن ما يقارب ثلث حالات الزواج تنتهي إلى هذا المصير المؤلم.

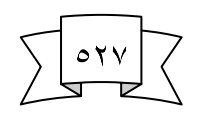
واليوم نتكلم عن حقوق الزوج على زوجته:

١ . طاعته في المعروف: قال تعالى :﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ النساء: ٣٤.

نقل ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس قال :﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ، يعني: أمراء عليهن، أي تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعتُه: أن تكون محسنة إلى أهله، حافظة لماله.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره" ثم تلا هذه الآية: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ صحيح الجامع.

ولم يجعل الإسلام على المرأة حقا بعد حق الله تعالى أعظم من حق زوجها عليها. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج ". بل إن حق الله تعالى عليها متوقف على أدائها حقَّ زوجها. قال –



صلى الله عليه وسلم –: "والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها" صحيح سنن ابن ماجة.

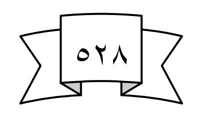
فالجنة موكولة إلى طاعة زوجها، متوقفة على القيام بخدمته، و حسن معاشرته، وجميل الصبر عليه، والعمل على إسعاده، وإشاعة السرور في بيته.

فعن الحصين بن محصن أن عمة له أَتَتِ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – فِي حَاجَةٍ، فقضى حاجتها، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أذات زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: "كيف أنت له؟". قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك" الصحيحة. أي: ارقبي تصرفاتك معه، واحفظي الود في علاقتك به، واجتهدي ما استطعت في تلبية أوامره، فإن ذلك جواز مرورك إلى الجنة. فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: "لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه" صحيح الترغيب.

وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – طاعة الزوج من حلاوة الإيمان، التي لن تتذوقها إلا بأن تتعبد الله تعالى بهذه الطاعة. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها."

ولذلك جعل – صلى الله عليه وسلم – هذه الطاعة مكنوفة بعبادة الصيم والصلاة. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" صحيح الجامع.

ويعظم الأمر، حتى تخصص المرأة بالسجود لزوجها لو كان السجود لغير الله مباحا. لما قدم معاذ من الشام، سجد للنبي – صلى الله عليه وسلم –. فقال له: "ما هذا يا معاذ؟". قال: أتيت الشام، فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في



نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمرا أحد أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" صحيح سنن ابن ماجة.

وأثر عن عائشة رضي الله عنها وصيتها للنساء بقولها: "يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها."

وضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – المثل الحسي لتقتنع المرأة بضرورة الاهتمام بهذا الخلق العظيم تجاه زوجها، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "حق الزوج على زوجته، أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه" صحيح الجامع.

فكان عصيان الزوج معصية لله تعالى، حتى أغلظ السلف في بيان خطورته. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم لكارهون" صحيح سنن الترمذي.

وقال عمرو بن الحارث بن المصطلق: "كان يقال: أشد الناس عذابا اثنان: امرأة تعصي زوجها، وإمام قوم وهم له كارهون."

ولقد رأينا بعض الأمهات يوصين بناتهن بأن لا يخضعن لأزواجهن، ويحرضنهن على مواجهتهم، وعدم إظهار الضعف أمامهم، وكأنهن مقبلات على معركة. تقول أم حميد: "كان نساء أهل المدينة إذا أردن أن يبنين بامرأة على زوجها، بدأن بعائشة، فأدخلنها عليها، فتضع يدها على رأسها تدعو لها، وتأمرها بتقوى الله وحق الزوج."

وأوصت أمامة بنت الحارث التغلبية ابنتها وهي تزفها إلى زوجها الحارث بن عمرو، فكان مما قالته: "بنية، إنك قد فارقت الحمى الذي منه خرجت، والعش الذي

فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه لكِ مليكاً، فكوني له أمة، يكن لك عبداً وشيكاً.. وأشد ما تكونين له إعظاماً، أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافِقة أطول ما يكون لك موافَقة، واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت أو كرهت."

وقالت امرأة سعيد بن المسيب" :ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم: أصلحك الله، عافاك الله."

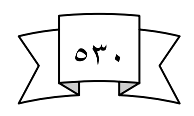
مظاهر الطاعة: نجمل منها ثلاثة مظاهر:

أ . حفظه في الشهادة والغيب:

لقوله تعالى :﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ﴾ النساء: ٣٤.

قال الفخر الرازي: "واعلم أن المرأة لا تكون صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها". ثم علق – رحمه الله – على الآية فقال: "قانتات، أي: مطيعات لله، حافظات لِلْغَيْبِ، أي: قائمات بحقوق الزوج. وقدم قضاء حق الله، ثم أتبع ذلك بقضاء حق الزوج. ثم قال: حال المرأة إما أن يعتبر عند حضور الزوج، أو عند غيبته، أما حالها عند حضور الزوج فقد وصفها الله بأنها قانتة، وأصل القنوت دوام الطاعة، فالمعنى أنهن قيمات بحقوق أزواجهن. وقال الواحدي – رحمه الله –: "لفظ القنوت يفيد الطاعة، وهو عام في طاعة الله وطاعة الأزواج. وأما حال المرأة عند غيبة الزوج، فقد وصفها الله – تعالى – بقوله ﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾، والغيب خلاف الشهادة". وذكر من وجوه ذلك:

أن تحفظ نفسها عن الخيانة – وأن تحفظ ماله عن الضياع – وأن تحفظ منزله عما لا ينبغي. ثم استدل بقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "خير النساء: امرأة



إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك" صححه أحمد شاكر.

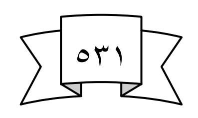
فالمرأة الصالحة، امرأة أمينة، فهي مستودع أسرار زوجها، وهي مستودع ماله أيضا، فلا تمتد يدها إلى شيء منه إلا بإذنه، ولا تقرأ رسائله الخاصة إلا بإذنه، ولا تفتش عن وثائقه الخاصة إلا بإذنه، إذا أرادت أن تكون – فعلا – قانتة، حافظة للغيب.

يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،.. وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ" متفق عليه.

ويعظم أمر الحفظ، حين يتعلق بالأسرار الداخلية، التي يجب أن تبقى في طي الكتمان. فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "هَلْ مِنْكُمُ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ سِتْرَهُ، وَاسْتَتَرَ بِسِتْرِ اللَّهِ ؟". قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: "ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا، فَعَلْتُ كَذَا ؟". فَسَكَتُوا. فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: "هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ ؟". فَسَكَتْنَ. فَجَثَتْ فَتَاةٌ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهَا وَتَطَاوَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لِيَرَاهَا وَيَسْمَعَ كَلاَمَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُنَّ لَيَتَحَدَّثْنَهْ. فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ ذَلِكَ ؟ إِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ، فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ" قوي بشواهده.

وهذا نهي عن مجرد الكلام، فكيف بالذين يستبيحون لزوجاتهم وبناتهم أن يخرجن كاسيات عاريات، ليس عليهن من الثياب إلا ما كشف وشف، فيطلع الناس على عوراتهن، وما أمرن بستره ؟.

ومن عجب، أن يبث التلفزيون الإسرائيلي تقريرًا مصورًا يثبت أن كثيرا من المومسات هناك سيدات مثقفات، حاصلات على شهادات جامعية، منهن من تعتبر الرذيلة" عملا نبيلا"، يمارسنها حفاظا – في زعمهن – على أسرهن التي تراكمت



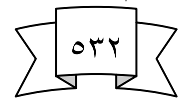
عليها الديون الكمالية، لهثا وراء العيش الرغيد، والارتشاف من ملذات الحياة، وعدم رضا بحياة العفاف والكفاف، علما بأن أزواجهن يعاملونهن باحترام، لأنهن يضحين من أجل العائلة.

ب . ومن حقه عليها – وهذا ما تغفل عنه بعض النساء، فيجعلنه ورقة ضغط عند الخصومة، وهو مما لا ينبغي – أن تطيعه في قضاء متعته إذا هو طلبها، ما لم يمنعها مانع شرعي، فإن أبت فقد وضعت نفسها موضعا خطيرا، يجليه قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح" وفي رواية: "حتى ترجع"، وفي أخرى: "حتى يرضى عنها" متفق عليه.

ذلك أن من أعظم مقاصد الزواج الإحصانَ والإعفافَ للطرفين معا، فلا يجوز لأحدهما أن يمتنع عن تحقيق هذا المقصد الشرعي، لما قد يترتب على ذلك من توترات، وعصبيات، وتعميق للمشاكل. ولذلك نبه النبي – صلى الله عليه وسلم – المرأة إلى المسارعة إلى تلبية حاجة الزوج من غير إبداء الاعتذارات والتلكؤات. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قَتَب) الرحل فوق السنام (لم تمنعه من نفسها" صحيح سنن ابن ماجة.

ويترتب على ذلك أن حق الزوج في الاستمتاع المشروع، مقدم على عبادة المرأة التطوعية، فلو كانت صائمة صيام نفل، ثم رغب فيها زوجها، قطعت صيامها، ولبت حاجته. ولذلك لم يجز لها أن تصوم للتطوع إلا بإذنه، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، غير رمضان" البخاري.

قال ابن حجر – رحمه الله –: "وفي الحديث أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير، لأن حقه واجب، والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع."



د . خدمته بالمعروف:

وهذا من الواجب عليها تجاه زوجها.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "يجب على الزوجة خدمة زوجها بالمعروف من مثلها لمثله، وأن تقوم بشؤون البيت من تنظيف، وطبخ، حسب ما يقضي به العرف وعادات الناس لمثلهما."

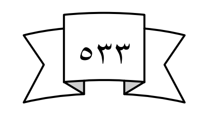
وقال أبو ثور: "عليها أن تخدم زوجها في كل شيء".

فقد أتت فاطمة – رضي الله عنها – النبي – صلى الله عليه وسلم – تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى، وسألته أن يأتيها بخادم، فقال لها: "ألا أخبرك ما هو خير لك منه ؟ تسبحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين، وتكبرين أربعًا وثلاثين" البخاري. فلم يحضر لها خادما، فدل على أن خدمة البيت واجبة على الزوجة.

ولذلك قال ابن حبيب: "حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – بين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وبين فاطمة – رضي الله عنها – حين اشتكيا إليه الخدمة، فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة، خدمة البيت، وحكم على عليٍّ بالخدمة الظاهرة".

وهذه أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – تقول: "كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس، وكنت أسوسه، وكنت أحتش له، وأقوم عليه" مسلم.

وفي رواية أخرى قالت: "تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ، وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ، وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ، وَأَسْتَقِي الْمَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ.. عَلَى رَأْسِي، وَهْيَ مِنِّى عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – وَمَعَهُ نَفَرٌ



مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي.. لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ.. فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَنِّى قَدِ اسْتَحْيَيْتُ، فَمَضَى.." متفق عليه.

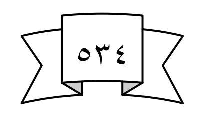
فقد رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – حالها، ولم يأمر الزبير بإحضار خادمة لها.

ومن الأدلة على ذلك – أيضا –، ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قَالَ: هَلَكَ أَبِي، وَتَرَكَ سَبْعَ بَنَاتٍ، أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ثَيِّبًا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: "تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ ؟". قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: "بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟". قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا. قَالَ: "فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ، وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ ؟". قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ (أباه) هَلَكَ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، وَتُصْلِحُهُنَّ. فَقَالَ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكَ".

فجابر إنما تزوج لتقوم زوجته بشؤون أخواته وبيته، ولم ينكر عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم.-

هـ– ألا تخرج من البيت إلا بإذنه:

فالزوج المسلم يغار على زوجته بطبعه، ويحب أن يعرف متى خرجت، وإلى أين خرجت، ولأي قصد خرجت، فقد يعلم من خبايا بعض الأمور ما لا تعلمه هي. غير أن عليه ان لا يمنعها مما هو ضروري لها، أو لها فيه مصلحة، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن" البخاري، وذلك كزيارة أبويها بالمعروف. وإنما قلنا: "بالمعروف"، تفاديا للمبالغة في زيارتهما، بسبب وبدون سبب، لأن كثيرا من الحالات الاجتماعية التي تقع اليوم، تفصح عن أن عددا هائلا من الخصومات بين الزوجين سببه إكثار الزوجة من الخروج لزيارة أبويها. ولذلك حدد المالكية هذه الزيارة بمرة في الأسبوع.



وكذا إذا خرجت لوظيفة مباحة، أو لمراجعة الطبيبة لمرض ألم بها، أو لقضاء بعض حاجاتها الضرورية، كشراء ما تحتاجه لضيوف طارئين، أو تَقَصِّي أمر وقع لابنها في الطريق أو في المدرسة، أو إنقاذ حياة إحدى جاراتها، أو ما شابه ذلك.

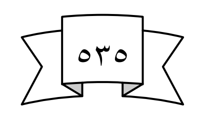
كذلك إذا استأذنت للذهاب إلى المسجد من أجل الصلاة، إذا كان ذلك بالمعروف، وبخاصة صلاةَ الجمعة والاستماعَ للخطبة. قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا" البخاري. ولحديث ابْنِ عُمَرَ عن رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أنه قَالَ: "لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ". فَقَالَ ابْنٌ لَهُ (بلال): إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ. فَغَضِبَ ابن عمر غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: "إِنِّي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ– صلى الله عليه وسلم –، وَإِنَّكَ تَقُولُ: إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ؟" ص. ابن ماجة.

وعلى الزوج أن يراعي حاجتها لذلك، وأن يتلطف بها، وأن يحسن عشرتها، فيأذن لها في الخروج المناسب، الذي ليس فيه منكر، أو إعانة على منكر.

ولتحذر الزوجة من العناد في أمر الخروج، وبخاصة إذا كانت تخرج بغير إذن زوجها، بدعوى أنه يرفض خروجها، فإن ذلك منغص لهذه العلاقة، جالب لسوء العشرة، مؤجج لشكوك الزوج في زوجته، فإن في صبر الزوجة على تشدد زوجها في هذا الأمر كمالَ عقلها، ودليلَ صلاحها. قال عبد الرحمن بن أبزى: "مَثَلُ المرأة الصالحة عند الرجل، كمثل التاج المتخوص بالذهب على رأس الملك. ومَثَلُ المرأة السوء عند الرجل الصالح، مَثَلُ الحِمل الثقيل على الشيخ الكبير".

و– ومن قبيل طاعة الزوج، أن لا تُدخلَ بيته أحدا يكرهه:

لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ" متفق عليه. ولقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ" مسلم. قال الإمام النووي:



"معناه أن لا يأذنَّ لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم، سواء كان المأذون له رجلا أجنبيا، أو امرأة، أو أحدا من محارم الزوجة، فالنهى يتناول جميع ذلك". ثم قال: "وهو محمول على ما لا تعلم رضا الزوج به، أما لو علمت رضا الزوج بذلك فلا حرج عليها".

فقد يتأذى الزوج ببعض أقارب الزوجة، أو صواحباتها، فيتحرج من دخولهم بيته، فعلى الزوجة الصالحة أن تراعي ما قد تكون مفسدته أكبر.

قال المرداوي – رحمه الله –: "إن عُرف بقرائن الحال أنه يَحدُث بزيارتهما أو أحدهما له ضرر، فله المنع، وإلا فلا". وقد سئل الإمام مالك عن الرجل يتهم خَتَنَتَهُ (أم زوجته) بإفساد أهله، فيريد أن يمنعها من الدخول عليها؟فقال: يُنظر في ذلك، فإن كانت متهمة، منعت بعض المنع، لا كلَّ ذلك، وإن كانت غير متهمة، لم تُمنع الدخولَ على ابنتها".

وعلى غير محارم الزوجة، كأخ الزوج، وعمه، وخاله، وزوج أخته، وأصدقائه.. أن لا يُحرجوا الأزواج بالدخول على زوجاتهم، ما لم يكن معهن محرم، لحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ" متفق عليه.

ولما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ"، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ (أخ الزوج)؟. قَالَ: "الْحَمْوُ: الْمَوْتُ" متفق عليه.

وقال تميم بن سلمة: "أقبل عمرو بن العاص إلى بيت علي بن أبي طالب في حاجة، فلم يجد عليا، فرجع، ثم عاد، فلم يجده مرتين أو ثلاثا، فجاء علي فقال له: أما استطعت إذْ كانت حاجتك إليها أن تدخل؟ قال: نُهينا أن ندخل عليهن إلا بإذن أزواجهن" الصحيحة.

فَلْتُعِنِ الزوجةُ زوجها على ما فيه صلاح أسرتها، ولتتلطف إلى أقاربها الذين لم يسمح الزوج بدخولهم بيته بأنواع الاعتذار؛ فلقد رأينا من بعض الأقارب من يؤلب الزوجة على زوجها، ويسعى بينهما بالفساد، أو تكون زيارته سببا لتكدير الحياة بين الزوجين، أو إسهاما في تلقيح أذهان الأبناء بأفكار معوجة فاسدة، فيكون منعه من دخول بيته - حينئذ - مقدما على مصلحة صلة الرحم، التي قد تتدارك في أية مناسبة أسرية أخرى.

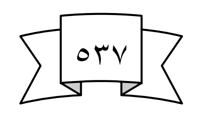
أما ما سوى ذلك من المحاذير، فإن على الزوج أن يفسح المجال لزيارة أقارب الزوجة، ومن تَعرف من صديقاتها، وأن يوصيَها بإكرامهم، والاعتناء بضيافتهم. وقد بلغ اعتناء النبي - صلى الله عليه وسلم - بأقرباء زوجته خديجة - رضي الله عنها - وصاحباتها مبلغا عظيما حتى بعد وفاتها.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءت عجوز إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - و هو عندي، فقال لها رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: "من أنتِ؟" قالت: أنا جَثَّامَةُ المزنية. فقال: "بل أنت حَسَّانَةُ المزنية. كيف أنتم؟ كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟". قالت: بخير بأبي أنت و أمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: "إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسْنَ العهد من الإيمان" الصحيحة.

وقد استأذنت هالةُ بنت خويلد - أختُ خديجة - على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فَعَرَف استئذان خديجة، فارتاع لذلك (تغير واهتز سرورا بذلك)، فقال: "اللهم هالة، (أي: اللهم اجعلها هالة)" متفق عليه.

وكان ربما ذبح الشاة، فأمر بشيء منها لصاحبات وأقران خديجة.

فالزوجة الصالحة، كما قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: "ليست من الدنيا، إنها تُفرِّغك للآخرة".



من جميل القصص في طاعة المرأة الصالحة لزوجها، قصة فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، وأختِ أربعة من الخلفاء، وزوجةِ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما يمكن أن تتزين به امرأة من الحلي والمجوهرات، فأمرها زوجها أمير المؤمنين بأن تبعث بكل حليها إلى بيت المال، فلم تتردد ولم ترد له مقالاً. ولما توفي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، لم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً، فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي، وإني اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك في إحضارها. فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، وقالت: "ما كنت لأطيعه حيا وأعصيَه ميتا".

وتستطيع المرأة الصالحة أن تكسب قلب زوجها بالكلمة الطيبة، والعبارة الرقيقة. فقد رأى رجل زوجته بدون كحل، فسألها: "لِمَ لَمْ تكتحلي؟". فقالت: "خشيت أن أَشغَل جزءاً من أجزاء عيني عن النظر إليك".

فكيف ستكون مكانة هذه المرأة في عين زوجها، هل سيرفض لها طلبا، هل سيمنعها من شيء فيه مصلحتها، هل سيقسو عليها في معاملة أو قول، هل سَيَحرمها حقا من حقوقها؟

بل إن طاعة المرأة في الحق لا تتعلق بالزوج، بل بكل ناصح يتوخى الخير. فقد روى الإمام مالك في موطئه، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مَجْذُومَةٍ، وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ لَهَا: "يَا أَمَةَ اللَّهِ، لاَ تُؤْذِى النَّاسَ، لَوْ جَلَسْتِ فِي بَيْتِكِ". فَجَلَسَتْ. فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهَا: "إِنَّ الَّذِى كَانَ قَدْ نَهَاكِ قَدْ مَاتَ فَاخْرُجِي". فَقَالَتْ: "مَا كُنْتُ لأُطِيعَهُ حَيًّا وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا".

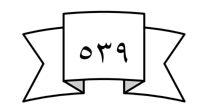
شهر ذى القعدة

الخطبة الأولى : الحقوق المشتركة بين الزوجين

الخطبة الثانية : مفاتيح الرزق ١

الخطبة الثالثة :مفاتيح الرزق ٢

الخطبة الرابعة : الاخلاص



الخطبة الأولى : الحقوق المشتركة بين الزوجين

أما بعد:عباد الله ، وننتقل – اليوم إن شاء الله تعالى – إلى الحقوق المشتركة بين الزوجين بعدما تكلمنا عن حقوق كل واحد منهم علي حدي، واول الحقوق المشتركة حق تتهم المجتمعات العربية والإسلامية بافتقاده، وعدم الاهتمام به، مع أن الإسلام أرسى دعائمه، ووضع أسسه، وحث على الاعتناء به، لما له من أهمية قصوى في زرع الدفء بين أركان الأسرة، وتحقيق الود بين أفرادها، ونشر السعادة في جنباتها. إنه حق الحب المتبادل بينهما، حق تعبير كل طرف عن رضاه بالآخر، والسكون إليه، الشعور بمحبته، وإكنان المودة له. وهذا – لعمري – من أعظم مقاصد الزواج في الإسلام. يقول تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١ .قال في البحر: "أي: جعل بينكم التوادد والتراحم بسبب الزواج". وقال في الوجيز: "يعني: الأُلفة بين الزَّوجين". وقال الشيخ الطنطاوي: "أي: محبة ورأفة، لم تكن بينكم قبل ذلك، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذى شرعه – سبحانه – بين الرجال والنساء، والذى وصفه – تعالى – بهذا الوصف الدقيق، في قوله – عز وجل :- ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾البقرة: ١٨٧.

وهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سأله عمرو بن العاص – رضي الله عنه :- أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ فقال: "عائشة" متفق عليه. وكان يقول لها: "كنت لكِ (أي: في المحبة والرعاية) كأبي زرع لأم زرعٍ" متفق عليه. فكانت – رضي الله عنها – أقرب الناس إلى قلبه، وأعظم من يكن له الود والمحبة من النساء، كما كان أبوها أبو بكر الصديق احب الرجال إليه.

وربما عبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن حبه لزوجته حتى بعد موتها، كما كان يفعل بخديجة – رضي الله عنها –. تقول عائشة – رضي الله عنها

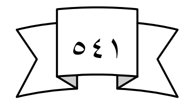
-:"ما غرت على أحد من نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول:"(إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد)" البخاري.

وكانت عائشة - رضي الله عنها - تبادل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الشعور نفسه، فتعتني بما يسعده، وتترك ما يحزنه، لا تسعى له في نكد، ولا تكون له سببا كرب، فتمكن حبها من قلبه، وعلم الصحابة ذلك، حتى إنهم إن كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -، أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ" البخاري.

حتى إذا غضبت هجرت اسمه، ولم تهجر محبته. يقول لها النبي - صلى الله عليه وسلم -:"إِنِّي لأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ". قَالَتْ: "وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قَالَ: "إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ". فقَالَتْ: "أَجَلْ، لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلاَّ اسْمَكَ" البخاري.

فقارن هذا بالذي يهجر زوجته الشهور ذوات العدد، وبالتي تتعمد هجران زوجها الشهور ذوات العدد، هي لا تكلمه، وهو لا يكلمها، إمعانا في الأنفة والأنانية، ومبالغة في العناد والندية.

إن المرأة الصالحة هي التي تعرف ما يغضب زوجها فتتركه، وما يفرحه فتفعله، لأنها تعلم أن سعادته سعادة للأسرة، وكآبته كآبة للأسرة. ولذلك لما أوصت أُمَامة بنت الحارث ابنتها عند زواجها، فبينت لها كيف تحظى بمحبة زوجها لها، وكيف تأخذ بلبه، وتستحوذ على قلبه، فقالت لها: "فلا تعصين له أمرًا، ولا تُفْشِين له سرًّا، وإياك والفرحَ بين يديه إن كان مهتمًّا، والكآبةَ بين يديه إن كان فرِحًا.. وإذا



قابلتِ زوجك، فقابليه فرِحة مستبشرة، فإن المودة جسمٌ، رُوحه بشاشةُ الوجه.. ولا تغفلي عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيء وجهَك، وتحبِّب فيك زوجَك.. فالمرأة التَّفِلة (كريهة الرائحة) تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع .

يقول الإمام أحمد بن حنبل في زوجته عباسة بنت المفضل :أقامت أم صالح معي عشرين سنة، فما اختلفت أنا وهي في كلمة.

وسأل الشعبي شيخه القاضي شريحا – يوما – عن حاله في بيته فقال : من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي

وذلك أنه من أول ليلة صلى ركعتين، وسلم، فوجدها بجنبه تصلي بصلاته، وتسلم بسلامه، ثم حمدتِ الله وأثنت عليه، وقالت له : أما بعد: فإني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيَه، وبين لي ما تكره فأتركَه " فقال لها شريح : لقد قلتِ كلاماً، إن ثَبَتِّ عليه يكنْ ذلك حظكِ، وإن تَدَعيه يكن حجةً عليكِ، فإني أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيتِ من حسنةٍ فانشريها، وما رأيت من سيئةٍ فاستريها ، فقالت له:كيف محبتك لزيارة أهلي؟ ، قال: ما أحب أن يَمَلني أصهاري ، قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذنَ له، ومن تكرهُ فأكرَه قال : بنو فلانٍ قوم صالحون، وبنو فلان قومُ سوء ، قال شريح:فَمَكَثَتْ معي عشرين عاماً، لم أعتب عليها في شيء، إلا مرة، وكنت لها ظالماً.

ومن نادر ما روي عن الحسن البصري – رحمه الله – أنه قال : وقفتُ على بَزَّاز (بائع الثياب) بمكة اشتري منه ثوبا، فجعل يمدح ويحلف، فتركته وقلت: لا ينبغي الشراء من مثله، واشتريت من غيره. ثم حججت بعد ذلك بسنتين، فوقفت عليه، فلم أسمعه يمدح ولا يحلف، فقلت له: وأي شيء أخرجك إلى ما أرى؟ ما أراك تمدح ولا تحلف. فقال: كانت لي امرأة، إن جئتها بقليل نَزَّرته، وإن جئتها بكثير قلَّلته، فنظر الله إلي فأماتها، فتزوجت امرأة بعدها، فإذا أردت الغُدُو الى السوق، أخذَتْ بمجامع

ثيابي ثم قالت :يا فلان، اتق الله، ولا تطعمنا إلا طيباً، وإن جئتنا بقليل كثرناه، وإن لم تأتنا بشيء، أعنَّاك بمغزلنا.

لهذا قلت مشاكلهم، وضعفت خصوماتهم، وندر التشنج بينهم، وسعدت حياتهم، وحسنت تربية أبنائهم، الذين كان منهم العلماء، والفقهاء، والقراء، وغيرهم.

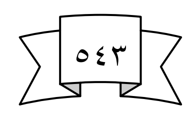
ومن علامات المحبة بين الزوجين، أن يتزين أحدهما للآخر، وأن يتجمل له بأحسن الثياب، ويكون على أفضل هيئة يرتاح لها الآخر، لقوله تعالى :﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨ ، فالزوجة تحب من زوجها ما يحبه هو منها، فلا يدخل عليها ورائحة الدخان تنبعث من فمه، أو آثار العرق تفوح من أطرافه، أو أوساخ العمل بارزة على ثيابه.

يقول يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي :أتيت محمد بن الحنفية، فخرج إلي في ملحفة حمراء، ولحيته تقطر من الغالية (خليط من أفضل الطيب). فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها علي امرأتي، ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهي منهن.

وفي حديث أم زرع في الصحيحين، تقول إحدى النسوة مادحة زوجها" :زوجي: المَسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زَرْنَب (نباتٌ طيِّب الرائحة)

ولم يكن السلف الصالح يجدون غضاضة في أن يتزينوا لزوجاتهم، ولم يكونوا يرون ذلك مذمة ونقصا، أو تذللا وضعفا. يقول ابن عباس – رضي الله عنه :إني لأحب أن أتزيَّن للمرأة، كما أحب أن تتزين لي، لأن الله – تعالى – يقول :﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨.

وكان مما يتزين به الرجال: ترجيل الشعر، واستعمال الطيب، والاكتحال، ونظافة الجسم، ولبس حسن الثياب، وتطهير الفم بالسواك. وفي الحديث الشريف: "إن



الله جميل يحب الجمال" مسلم. وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ" مسلم.

وكان – صلى الله عليه وسلم – يوصي الرجال أن لا يدخلوا على زوجاتهم ليلا إذا رجعوا من السفر ويقول: "إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ، فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً" البخاري.

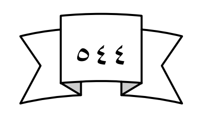
وحتى إذا اضطر لذلك، فليعلم زوجته، حتى لا يجدها متبذلة، ليس عليها من مظاهر الزينة شيء. فعن جابر – رضي الله عنه – قال: "كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في غزاة، فلما قدِمنا المدينة، ذهبنا لندخل، فقال – صلى الله عليه وسلم –: "أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً – يعني: عِشاءً – لكي تمتشط الشَّعِثَة، وتستحد المُغِيبة" متفق عليه.

٢ . غيرة أحدهما على الآخر

الغيرة لها أهميتها القصوى في الحفاظ على الأسرة متماسكة، سعيدة، مطمئنة، وهو غيرة أحدهما على الآخر، إذ المرأة السعيدة هي التي تشعر أن زوجها يغار عليها، ويصونها مما يخدش حياءها، ويحفظها مما يدنس شرفها، ويحميها مما يلوث دينها. كما أن الزوج السعيد هو الذي يحس أن زوجته تغار عليه، فلا تحب أن تراه في مواطن الشبه، ولا متلبسا بما يشين سمعته، أو يخدش كرامته. تحبه تقيا ورعا، عفيفا طاهرا، قنوعا صابرا.

قال المناوي في الفيض: "أشرف الناس وأعلاهم همة، أشدهم غيرة". وقال الإمام الذهبي: "لا خير فيمن لا غيرة له".

غير أن الغيرة المطلوبة ما كانت معتدلة، لا تجنح إلى المبالغة إلى حد التشكك في كل شيء، وإلا انقلبت غيرة مذمومة، تسيء إلى الطرفين أكثر مما تحسن إليهما.



والأزواج والزوجات أمام الغيرة ثلاثة أصناف:

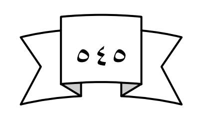
الصنف الأول :من لا غيرة له – أصلا –. وهذا قبيح في شرع الله، مذموم في الطبع البشري السوي، مرفوض في العقل السليم، ولذلك مُنع صاحبه من دخول الجنة. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:"ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الدَّيوث، والرَّجُلة من النساء، ومدمن الخمر". قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟. قال: "الذي لا يبالي من دخل على أهله". قلنا: فما الرجلة من النساء؟. قال: "التي تَشَبَّهُ بالرجال" ص. الترغيب.

والديُّوث هو الذي لا يغار على أهله، أو هو الذي يقر في أهله الخبث، ويخشى أن يكون منه من يستبيح لزوجته أن تخرج إلى الشارع متزينة بأنواع الزينة، متبهرجة بأجمل الثياب، مستعملة لأثمن العطور وأكثرها جاذبية، تظهر مفاتنها للناس، ينهشونها بأعينهم، ويلمسونها بأيديهم، بل ربما اصطحبها إلى المراقص والحفلات، ترقص معه أمام الملإ، وربما رقصت مع غيره، دون أن يحرك ساكنا، أو يبدي امتعاضا، وكأنها سلعة رخيصة مبذولة للناظرين.

فأين غيرتك أيها الزوج الكريم، الذي الأصل فيه أن ينتفض حرصا على عرض أهله، وطهر بناته، وعفاف بنيه، أم هي الحرية المزعومة، والمساواة المزيفة، والحضارة البراقة، والشعارات اللماعة؟.

وأين غيرتكِ أنت أيتها الزوجة الصالحة، التي الأصل فيها أن تنصح لزوجها أن يمتنع عن حضور مثل هذه المهرجانات الوضيعة، ويمنع أبناءه من هذه المراقص الخليعة، ويحجز بناته عن هذه الثقافات الممجوجة المائعة؟.

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مخاطبا الرجال الأزواج: "ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج (الأعاجم)" رواه أحمد، وقال شاكر: إسناده صحيح. هؤلاء يزاحمن الأجانب في



الطرقات والأسواق فقط، فكيف باللواتي يحضرن أماكن الشبه، ويختلطن اختلاطا فاحشا بالرجال، أو يترصدن القنوات الفاضحة، والمواقع الماجنة، وربما شاركهن أزواجهن في ذلك، بلا مزعة حياء، ولا مسكة أخلاق؟، والله تعالى يقول :﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ النور: ٣١ .ويقول تعالى :﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ النور: ٣١.

روى ابن القيم في كتابه" إغاثة اللهفان"، "أن الحطيئة نزل برجل من العرب، ومعه ابنته مليكة، فلما جنهُ الليل، سمع غناء، فقال لصاحب المنزل: كُفَّ هذا عني. فقال: وما تكره من ذلك؟ فقال: إن الغناء رائد من رادة الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه، يعني ابنته، فإن كففته وإلا خرجت عنك".

وقد يكون الزوج سيء الخلق، فَتُنزَع الغيرة من قلب زوجته، فتتركه يفعل ما يشاء، ويعبث بالأخلاق كيف يشاء. وهذا خلل واضح من هذه الزوجة التي أعانت زوجها على المنكر، ولم تستطع أن تكبح جماح سوء أخلاقه. فقد أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها: "إني سيِّئ الخلق". فقالت: "أسوأ منك خلقًا مَن أحوجك أن تكون سيئ الخلق". فقال: "إذًا أنت امرأتي.

الصنف الثاني :من يُفْرِطُ في الغَيرة، ويبالغ في التتبع والترقب، اللذين يستحيلان إلى شكوك زائدة، يصطلي بنارها أفراد الأسرة كلُّهم، فيعيشون في توتر واختلاف، وفقدان الثقة، كالرجل الذي ترتقي به الغيرة حتى يمنع زوجته من الخروج – تماما –، ومن المكالمات الهاتفية، ومن زيارة قريباتها وصديقاتها، ويغلق نوافذ البيت وأبوابه، ويتجسس على هاتفها، ويفتش حقيبتها وأوراقها، ويأتي البيت على حين غفلة منها، وقد يسيء الظن بها لأدنى شبهة، وهذه – لا شك – هي حياة الشك والنصب، والنكد والتعب، والهم والغم والعذاب.

وكم أدت هذه الغيرة إلى الخصومات والمشاحنات؟ وربما استفحلت، فأدت إلى الطلاق، وتفرق شمل الأسرة، أو على الأقل وضعت الزوجة موضع الريبة من الناس فرموها بالسوء ظلما، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :لا تكثر الغيرة على أهلك، فتُرمى بالسوء من أجلك.

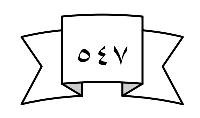
وقال سليمان لابنه: لا تكثر الغيرة على أهلك ولم تر منها سوءً، فتُرمى بالشر من أجلك.

وحذرنا النبي من هذه الغيرة المذمومة، التي تبنى على الظنون والتخيلات، لا على الحقيقة والبرهان، فقال – صلى الله عليه وسلم –:"من الغيرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله. فأما الغيرة التي يحبها الله، فالغيرة في الرِّيبة، وأما الغيرة التي يُبغضها الله، فالغيرة في غير ريبة" ص. أبي داود.

كما نجد بعض الزوجات يبالغن في التشكك في أزواجهن، فيترصدن هواتفهم، ويفتشن في حقائبهم وأغراضهم، ويتوجسن من علاقاتهم البريئة، التي قد تفرضها الوظيفة، أو التجارة، أو الأسفار المباحة، فتغلي قلوبهن بنار الغيرة الزائدة، فيعشن الضنك والقلق. ولقد أوصى عبد الله بن جعفر – رحمه الله – ابنته في ليلة زفافها قائلاً لها:"إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب؛ فإنه يورث البغضاء.

الصنف الثالث :صاحب الغيرة المعتدلة، وهي الوسط بين الطرفين، وهي مقتبسة من اتصاف الله تعالى بها. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:"إِنَّ اللَّـهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ" متفق عليه.

ويقول – صلى الله عليه وسلم –:"أَنَا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ، وَاللَّـهُ أَغْيَرُ مِنِّى، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ" متفق عليه.



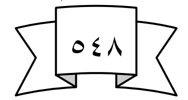
والمرأة تحب أن ترى من زوجها هذه الغَيْرة، فهي تريد أن تشعر بأن لها رجلاً يغار عليها ويحميها. وما أتعس المرأة إذا شعرت أن زوجها لا يبالي بها ولا يغار عليها.

فالمؤمن الغيور هو الذي يحرص على نشر الأخلاق الكريمة، والفضائل الرفيعة، ويحث أهله على الفضيلة، ويحجزهم عن الرذيلة. والمؤمنة الصالحة قد يدفعها حبها لزوجها أن تغار عليه ولو في المباح، ويبقى ذلك نزوعا فطريا معتدلا. فعن عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً. قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ. فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: "مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ؟ أَغِرْتِ؟". فَقُلْتُ: وَمَا لِي لاَ يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –:"أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟". قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ مَعِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ". قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: "نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ" مسلم.

وإذا كان شهر رجب يذكرنا بقصة الإسراء والمعراج، فإن الأولى بالمسلمين في هذا الظرف التاريخي الدقيق – الذي تكالبت فيه على المسلمين القوى الخارجية، والمكائد الداخلية لبعض أبناء قومنا – أن يعرجوا بأخلاقهم إلى ما يحقق رفعتهم، ويسترجع هيبتهم، ويجعلهم يدا واحدة على من سواهم.

٣ . الثقة المتبادلة بينهما

وحديثنا اليوم إن شاء الله تعالى عن حق آخر مشترك بينهما، يعتبر حضوره بين الطرفين ضروريا لاستمرار استقرار الأسرة، وطمأنينتها، وسلامتها من الخلافات الزوجية، والخصومات الأسرية. إنه حق الثقة التي يجب أن تكون متبادلة بينما، محيطة بعلاقتهما، حاكمة على تصرفاتهما، إذ فقدانها سبيل للتفكك، وطريق للتشرد، ومفتاح للقلق وسوء الظن، الذي يعتبر من أعظم مداخل الشيطان للتفريق بين الزوجين. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ،



ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ، فَيَلْتَزِمُهُ" مسلم.

وقد يكون الساعون للتفريق بينهما من الإنس، الذين يمكرون ويجتهدون ليل نهار في زرع الشكوك بين الزوجين، والإيقاع بينهما حسدا من عند أنفسهم. قال تعالى :﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة: ١٠٢ .

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "شرار عباد الله: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب" صحيح الأدب المفرد.

ومن أعظم ما يحافظ على الثقة المتبادلة بين الزوجين، الصدق في القول والفعل، أن تكون معاملة أحدهما للآخر مسيجة بالشفافية، ومحاطة بالوضوح، لا يخفي أحدهما عن الآخر شيئا، ولا يظهر أمامه بوجه، ويخفي وجها آخر. فإذا أخطأ أحدهما في حق الآخر، صارحه بالحقيقة، واعتذر عن خطئه، فذلك خير من التستر، والتحايل، وربما الكذب، حتى لا ينكشف أمره، ولا يفتضح سره، فإنه متى تسرب ذلك إلى الحياة الزوجية، دمرتها، وأشعلت وقود الغيرة والشك، وفتحت الباب أمام الظنون والتخرصات، مما يجعل الحياة قلقا محزنا، واضطرابا فاتكا، وشكا مدمرا. حتى وجنا في دولة عربية أزيد من ٨% من الخلافات مرجعها إلى شك الزوج في سلوك زوجته.

وقد أخبر زوج أن علاقته بزوجته ساءت، وأحاطها الشك القاتل، والظن الماحق، بسبب كذب زوجته. وأخبر آخر أن الكذب كان سبب طلاق امرأته.فهل يتقي الزوجانِ الله تعالى، فيكفان عن الظهور بوجهين، والكيل بمكيالين؟.

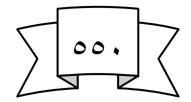
ولا بأس أن يخبر الزوج زوجته عن مكان خروجه، ومدته، وسببه، ويحدثَها عن ظروف عمله، وعن أفكاره، ومشروعاته، وما يشغل باله، فلربما وجد عند زوجته ما يجيب عن بعض أسئلته، ويبدد حيرته، ويزيل همه.

فهذه أم سلمة رضي الله عنها يجد عندها النبي – صلى الله عليه وسلم – حلا ليقنع الصحابة بضرورة قبول بنود صلح الحديبية. وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل ابنته حفصة عن المدة التي تصبر فيها عن غياب زوجها، وقال لها: "لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك". ثم خرج بقرار يسري على المسلمين كلهم، حيث وَقَّتَ للناس في مغازيهم ستة أشهر، لا يزيدون عنها.

قالت سُعدَى: "دخلت يوماً على طلحة بن عبيد الله) زوجها(، فرأيت منه ثقلاً)هماً(، فقلت له: ما لك؟ لعلك رابك منا شيء) لعله صدرت منا إليك إساءة (فَنَعْتِبَك)فنعتذر لك .(قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنتِ، ولكن اجتمع عندي مال، ولا أدري كيف أصنع به. قالت: وما يغمك منه؟ ادع قومك، فاقسمه بينهم. فقال: يا غلام، علي بقومي .قالت: فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف" ص. الترغيب. هكذا تكون الزوجة محط ثقة الزوج، يستشيرها ويعمل بمشورتها، ويشاركها همومه كما يشاركها أفراحه، فهما وجهان لعملة واحدة.

وعلى الزوجة أن تحافظ على ثقة زوجها بها، فلا تخرج إلا بإذنه، ولا تُدخِل أحدا بيته إلا بإذنه، ولا تأخذ من ماله قليلا أو كثيرا إلا بإذنه، ولا تُقدِم على عبادة من العبادات التطوعية إلا بإذنه، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: "لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ" متفق عليه. فإن ذلك مما يحافظ على جو الثقة المتبادلة بينهما، ويحقق سعادتهما، ويجعل حياة الأسرة مفعمة بالود والاحترام، والسلامة والاطمئنان.

فإذا وقع من أحد الطرفين خطأ من الأخطاء التي تجري على بني آدم، فعلى الآخر أن يحمله محمل حسن الظن، لا أن يجعله سبيلا لهدم كيان الأسرة، وتقويض



أركانها، فكل ابن آدم خطاء، ولكل جواد كبوة، ولكل امرئ هفوة، لم يُستثن من ذلك إلا الأنبياء .

إذا كُنتَ في كل الأمور مُعاتبًا صَديقَك لَم تلقَ الذي لا تُعاتِبه

فعِش واحدًا أو صِل أخاك فإنه مُقارِف ذنبٍ مرَّةً ومُجانبه

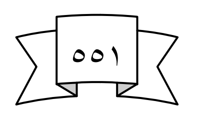
ومَن ذا الذي تُرضى سجايَاه كلُّها كفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ مَعايبه

واشتهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك على ما يغلبك عليه. ولا تظنن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملا".

وحتى لا نقع في الظن السيء، أمر شرعنا بعدم التجسس وتتبع العورات. قال تعالى :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ الحجرات: ١٢. وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً، يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ" مسلم. وقال – صلى الله عليه وسلم –:" إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا" متفق عليه.

ومن الأمراض القاتلة للحياة الزوجية، الموقدة لنار الاضطراب، وسوء العلاقة، أن ينبش أحد الزوجين في ماضي الآخر، فيذكر الأخطاء التي كان يقع فيها، ويبني عليها الأحكام الجائرة، أو يذكرها عند كل خصومة، مع أن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تمحو الخطيئة. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله" ص. الجامع. ويقول – صلى الله عليه وسلم –:"إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ" ص. أبي داود.

٤ . التعاون على العبادة

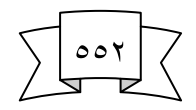


غير أن هذه الحقوق المشتركة كلها لا يستقيم أمرها، ولا يشتد عودها، إلا بأن تبنى العلاقة بين الزوجين على التعاون على عبادة الله، والتقرب إليه بشتى أنواع الطاعات. وهذا يقتضي أن يكون الزوجان على جانب من تقوى الله تعالى، تسيج علاقتهما منذ البداية حتى النهاية، انطلاقا من قول الله تعالى :﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾المائدة: ٢.

فالعلاقة مبنية – منذ البداية – على شعار التعاون على عبادة الله تعالى. قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:"إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ" صحيح سنن الترمذي. ويقول – صلى الله عليه وسلم –:"تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ" صحيح سنن ابن ماجة. ومن جهة النساء، يحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن ينساق الراغب في الزواج وراء البحث عن الجمال، أو النسب، أو المال، ويغفل ركيزة الدين التي عليها مدار صلاح الأسر. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:"تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ" متفق عليه. قال المناوي: "تربت يداك: أي: افتقرتا، أو لَصِقَتَا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل ".

وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – التزوج من المرأة الصالحة، العابدة الزكية، اكتسابا لنصف الدين، فما بقي عليه إلا أن يتقي الله في النصف الآخر. يقول – صلى الله عليه وسلم – من حديث أنس – رضي الله عنه –:"من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي" صحيح الترغيب.

ولقد تقرر عند أهل العلم، أن صلاح المرأة من صلاح زوجها، كما قال أحد المعاصرين: "فإن صورة أخلاق المرأة صورة نفس الرجل، لأنها مخلوقة منه، فعوجها من عوجه، واستقامتها من استقامته".



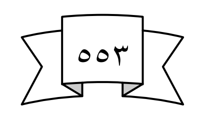
وابن الجوزي – رحمه الله – يقول: "وينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت زوجًا صالحًا يلائمها أن تجتهد في مرضاته، وتجتنب كل ما يؤذيه، فإنها متى آذته، أو تعرضت لما يكرهه، أوجب ذلك ملالته، وبقي ذلك في نفسه، فربما وجد فرصته فتركها، أو آثر غيرها".

فهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ينزل قول الله تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ التحريم: ٦ ، فيستيقظ ذات ليلة يتفقد زوجاته ويقول: "سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ؟ (أي: كم قُدِّر في هذه الليلة من الفتن؟)، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ؟ (أي: كم قَدَّرَ الله تعالى في هذه الليلة من الرحمة)، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ (زوجاته)، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ" البخاري.

ويوصي – صلى الله عليه وسلم – زوجته حفصة – رضي الله عنها – بتقوى الله ويقول لها: "اتقي الله يا حفصة" صحيح سنن الترمذي. وكَانَ – صلى الله عليه وسلم – يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ لعائشة – رضي الله عنها –: "قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ" مسلم.

قال ابن حجر – رحمه الله –: "ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: "وفيه نَدْبية إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة ".

وحتى إذا تقاعس الزوج عن العبادة وتكاسل، وجد من زوجته من يعينه على ذكر الله، ويذكره بطاعته. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" ص. أبي داود. ويقول – صلى الله عليه وسلم –: "إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ،



فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ، كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ" ص. أبي داود. وقد وعد الله تعالى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقوله: "أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا".

وهذا عائشة – رضي الله عنها – تبكي تعجبا من فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – ذات ليلة. فقد سألها عبدالله بن عمير فقال: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: "يا عائشة، ذريني أتعبدِ الليلة لربي". قالت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك. قالت: فقام، فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجرَه، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرضَ. وجاء بلال يُؤْذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غَفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبدا شكورا؟"، لقد نَزلت علي الليلةَ آياتٌ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: (إن في خلق السماوات والأرض)" صحيح الترغيب.

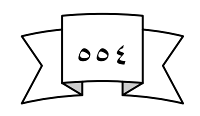
ولقد كان الصحابة والصالحون بعدهم مع نسائهم مضرب المثل في التعاون على العبادة، والإكثار من الحسنات.

فهذا أبو هريرة – رضي الله عنه – كان يقوم ثُلُث الليل، ثم يوقظ امرأته فتقوم ثلثه، ثم يوقظ ابنته لتقوم ثلثه.

وقال أبو عثمان النهدي – رحمه الله –: "تضيَّفت أبا هريرة سبع ليال، فكان هو، وخادمه، وامرأته، يعتقبون الليل أثلاثًا".

وعن الحسين بن عبدالرحمن قال: "انتبهت امرأة حبيب أبي محمد ليلةً وزوجها نائم، فأنبَهته في السَّحر، وقالت: قم يا رجل، فقد ذهب الليل، وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قُدَّامنا، ونحن قد بَقِينا".

وإذا كانت طاعة الزوج سبيلا لدخول الجنة، فإن صلاح الزوجة هو التجارة الرابحة. فبعد افتراض الزكاة، جاء عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى



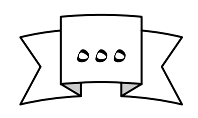
النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، أي المال نتخذ؟ فقال: "ليتخذْ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة" صحيح سنن ابن ماجة. قال المباركفوري: "أي: تعينه على دينه، بأن تُذكره الصلاة والصوم، وغيرهما من العبادات، وتمنعه من الزنا، وسائر المحرمات".

وقد تعين المرأة زوجها في الصدقة بالمال، وبخاصة إذا كان بخيلا، أو متهاونا في هذا الباب. فعن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ" متفق عليه.

وكانت المرأة المسلمة إذا خرج زوجها لطلب الرزق، توصيه وتقول له: "اتَّق الله فينا، ولا تُطعمنا إلا حلالاً، فإننا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على نار جهنم.

لقد انقلب حال كثير من الأسر في هذا الزمان، الذي أصبحت الماديات فيه أساس العلاقة الزوجية، وأصبحت قيمة بعض الأزواج في تجميل صورتهم أمام الناس، والظهور بمظهر الأناقة والحداثة، واتباع صيحات الموضة، وصرخات الزينة الظاهرية، وإن صحب كلَّ ذلك خواء روحي، وفقر إيماني، وضعف أخلاقي.

روى عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: "لما نزلت: (من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفَه له)، قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله – عز وجل – ليريد منا القرض؟ قال: "نعم يا أبا الدحداح". قال: أرني يدك يا رسول الله. فناوله يده. قال: فإني قد أقرضت ربي – عز و جل – حائطي". قال ابن مسعود: "وحائط له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك. قال: أخرجي، فقد أقرضته ربي – عز وجل –" صححه في تخريج أحاديث المشكاة. وفي رواية مشابهة، قالت له: "رَبِح البيع".



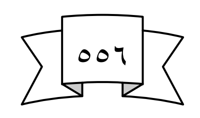
الخطبة الثانية : مفاتيح الرزق ١

أما بعد:عباد الله ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لو أن ابن آدم يهرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت)، رواه أبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني.

فهذا الحديث يدل على أن المرء يرزق رغم أنفه، وإذا كتب الله سبحانه وتعالى له الرزق فلن يفوته ولن يضيع عليه ما دام قد ضمنه الله سبحانه وتعالى، والله عز وجل قد ضمن لنا الرزق حين قال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الذاريات: ٢٢ ، ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم على ذلك فقال عز وجل: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذاريات: ٢٣ قال: الحسن البصري رحمه الله تعالى: لعن الله أقواماً أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه.

والموضوع الذي نتعرض له اليوم هو استعراض لرسالة مباركة نافعة من تصنيف الدكتور فضل إلهي كما سبق أن درسنا له أيضاً رسالة أخرى في محبة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الرسالة هي (مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة)، جمع فيها كثيراً من الأسباب التي هي أسباب حقيقية لاستجلاب الرزق والبركة فيه.

لقد ضمن الله سبحانه وتعالى الرزق وسبق به قلم المقادير، إلا أن كثيراً من المسلمين يشتغلون بهذا المضمون على حساب غير المضمون، فالرزق مضمون، وأما النجاة في الآخرة ودخول الجنة فليست مضمونة؛ لأنها متوقفة على سعي العبد، ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ النجم: ٣٩ ، فنعجب أن كثيراً من الناس إذا طلب منه بأن يكف عن اللهث وراء الدنيا التي تشغله عن الطاعة وعن العبادة؛ فإنه يتحدث عن الرزق والكسب، وضرورة أن يسعى الإنسان في طلب رزقه، مع أن الرزق مضمون، والنجاة في الآخرة غير مضمونة، بل النجاة متوقفة على الاجتهاد في العمل الصالح.



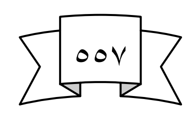
وبعض الناس يرون أن تمسكهم بدينهم قد ينقص من أرزاقهم، بل إن بعض الملتزمين الذين يحافظون على الفرائض الإسلامية ربما يظنون أيضاً أنه لا بد أن يغضوا الطرف عن بعض الأحكام الإسلامية من أجل المحافظة على الرخاء المالي، فينسون أو يتناسون أن الله سبحانه وتعالى حينما شرع دينه فإنما يريد إرشاد العباد إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، وليس في الآخرة فقط، فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار)، فالله سبحانه وتعالى لم يتركنا نتخبط في الظلام ونبقى في حيرة من أمرنا عندما نسعى إلى طلب المعيشة، بل شرعت أسباب الرزق وبينت، ولو فهمتها الأمة ووعتها وتمسكت بها وأحسنت استخدامها ليسر الله سبحانه وتعالى لها الرزق، والله هو الرزاق ذو القوة المتين.

أسباب سعة الرزق والبركة فيه

الاستغفار والتوبة

ونحن لن نتكلم عن الأسباب المادية الأخرى؛ لأنه يستوي في العمل بها المؤمن والكافر والبر والفاجر، بل فتنة الناس إلا ما رحم الله هي في انشغالهم بطلب الدنيا إلى حد يلهيهم عن الآخرة، فنحن لن نتكلم عن الأسباب الطبيعية؛ لأن الناس ليسوا محتاجين إلى من يحثهم على هذه الأسباب، وهي معلومة للجميع، ويحرص عليها الجميع، لكننا سنقف عند الأسباب الحقيقية القلبية والدينية التي يجهلها أكثر الناس، بل لا يعتقدون تأثيرها في باب طلب الرزق، فنحن هنا نثبت السبب أولاً ثم نذكر الأدلة على أنه مفتاح من مفاتيح الزرق.

يبدأ المصنف بعد المقدمة في ذكر أول أسباب الرزق، فمن أراد أن يستجلب الرزق الحلال المبارك فأول ما يستنزل به ذلك الاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى: فالاستغفار والتوبة من أسباب الرزق، وليس المراد مجرد الاستغفار والتوبة



باللسان كتوبة الكذابين، لكن الاستغفار والتوبة لا بد أن يكونا من القلب، وينعكس أثرهما بعد ذلك على الجوارح.

يقول الراغب الأصفهاني: التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزم على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل فرائض التوبة.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله -لا تتعلق بحق آدمي- فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية وألا يتمادى على الذنب، يعني: فمن لم يترك المعصية فأين التوبة وحاله يكذب مقاله؟! الثاني: أن يندم على فعلها.

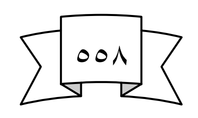
الثالث: أن يعزم -يعني: في المستقبل- على ألا يعود إليها.

فإذا فقد أحد هذه الثلاثة الشروط لم تصح هذه التوبة.

وإذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فيضاف إلى هذه الشروط شرط رابع، وهو أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان مالاً رده إليه، وإن كانت مظلمة ونحوها مكنه من القصاص أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلها منه.

أما الاستغفار فهو طلب المغفرة بالمقال والفعال، يقول تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ نوح: ١٠ ، فلم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل بالقول وبالقلب، قيل: الاستغفار باللسان من دون الفعال من فعل الكذابين، فاستغفار الكذاب أن يستغفر بلسانه وهو متماد في معصية الله تبارك وتعالى.

الأدلة على أن الاستغفار والتوبة من الأسباب التي يستنزل بها رزق الله سبحانه وتعالى كثيرة منها: قوله عز وجل حاكياً عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ



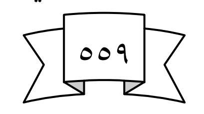
﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ نوح: ١٠ - ١٢ ، وهذه الأفعال كلها واقعة في جواب الأمر: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ نوح: ١٠ ، والمعنى: إن استغفرتم ربكم يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات، ويجعل لكم أنهاراً.

فلابد أولاً أن يتحقق الاستغفار، ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: اسألوه العفو والمغفرة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ ، فسوف يقبل توبتكم ويغفر لكم ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ نوح: ١١ ، أي: ينزل عليكم المطر يتبع بعضه بعضاً، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ نوح: ١٢ ، أي: يكثر لكم أموالكم وأولادكم، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ نوح: ١٢ ، أي: بساتين وأنهاراً.

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: في هذه الآية والتي في هود، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ هود: ٥٢ دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: إذا تبتم إلى الله تعالى واستغفرتموه وأطعتموه كثّر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأخرج لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين: أي: أعطاكم الأموال والبنين والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمر، وخللها بالأنهار الجارية بينها.

وقد تنفس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بما جاء في هذه الآيات حينما صلى بالمسلمين صلاة الاستسقاء، فقد روى مصرف عن الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: ما سمعناك استسقيت! -يعني: ما قلت: اللهم اسقنا، وهي صلاة



استسقاء، فلماذا اقتصرت على الاستغفار؟ - فقال: طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر).

المجاديح: أنواء معينة من النجوم كانوا يعتقدون أنها من الأنواء الدالة على المطر، فهو هنا يخاطبهم بما يعرفون، لا أنه يعتقد أن الأمطار تكون بالأنواء.

ثم قرأ عمر رضي الله تعالى عنه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ إلى آخر الآيات.

كذلك أمر الحسن البصري رحمه الله تعالى بالاستغفار كل من جاء إليه شاكياً الجدب أو الفقر أو قلة النسل أو جفاف البستان، قال الربيع بن صبيح: شكا رجل إلى الحسن القحط والجفاف، فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله! قال: فقلنا له في ذلك.

يعني: سألوه ما سر هذا؟! لماذا لا تنصح هؤلاء إلا بالاستغفار مع تنوع حاجاتهم؟! قال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أنواعاً من البلاء فأمرتهم كلهم بالاستغفار، فقال: ما قلت من عندي شيئاً، إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

ومثل هذه الآيات قوله تبارك وتعالى حينما قص علينا دعوة هود عليه السلام قومه: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ} [هود:٥٢] فأمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير ما مضى من الذنوب، والتوبة عما يستقبلون، فمن اتصف بهاتين الصفتين يسر الله سبحانه وتعالى

له رزقه، وسهل أمره، وحفظ فعله، ولهذا قال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢﴾ هود: ٥٢.

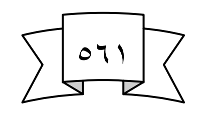
ومثلها أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾ هود: ٣ ، (يمتعكم متاعاً حسناً)، أي: يتفضل عليكم بسعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم.

وقد رتب الله هذا الجزاء على الاستغفار والتوبة.

ومما يدل أيضاً على كون الاستغفار والتوبة من مفاتيح الرزق: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أكثر الاستغفار، وفي رواية: من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) وهذا الحديث ضعفه بعض العلماء وحسنه بعضهم.

(من أكثر الاستغفار): من غلب عليه كثرة طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى عند صدور معصية أو ظهور بلية.

أو: (لزم الاستغفار): داوم عليه فإنه في كل وقت محتاج إليه، ولذا صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً) يعني في الآخرة، وكأنه عليه السلام لم يقل: طوبى لمن استغفر كثيراً؛ لأنه يشترط في الاستغفار حتى ينفع الإنسان أن يكون مخلصاً، ولا يثبت في الصحيفة إلا الاستغفار الذي صدر عن إخلاص وعن صدق وعن توافق بين القول والعمل، فلذلك قيده بأن يجد ذلك في صحيفته، وليس بمجرد صدور الاستغفار عنه، فقوله هنا: (من أكثر الاستغفار أو من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً)، أي: جعل له من كل غم يغمه خلاصاً، (ومن كل ضيق مخرجاً)، أي: من كل شدة ومحنة طريقاً واسعاً



يخرجه إلى سعة وفسحة، (ورزقه من حيث لا يحتسب) يعني: رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله.

التقوى

تقوى الله عز وجل من الأسباب التي يستنزل بها رزق الله سبحانه وتعالى، وقد كثرت تعاريف العلماء للتقوى، قال الراغب الأصفهاني: التقوى حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات.

وعرف الإمام النووي تقوى الله بقوله: امتثال أمره ونهيه، فهي الوقاية من سخطه وعذابه سبحانه وتعالى، وذلك بأن يفعل الإنسان أفعالاً تكون وقاية وحائلة بينه وبين النار.

أما الجرجاني فعرفها بقوله: الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك.

فمن لم يحفظ نفسه عما يؤثمه فليس بمستقيم، فمن شاهد بعينيه ما حرمه الله تعالى فمعنى ذلك أنه أزال الحجاب بينه وبين النار، واستحق عذاب الله؛ لأنه لم يتق الله، ولم يكف عينه عن ارتكاب الذنب الذي يسخط الله، فمن ارتكب المعصية فقد أزاح هذا الحجاب واقتحم بنفسه النار.

وهكذا من سمع بأذنيه ما يغضب الله تعالى، أو بطش بيديه فيما لا يرضى الله تعالى، أو مشى إلى ما يمقت الله تعالى، فهذا لم يعصم نفسه من الإثم ولم يتق الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك كانت التقوى وصية الله للأولين والآخرين، قال الله: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ النساء: ١٣١ ، حتى الأنبياء أمروا بالتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الأحزاب: ١.

أما كون التقوى من أسباب الرزق فدليل ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ الطلاق: ٢ - ٣.

فنريد أن نرسخ هذه المفاهيم في قلوبنا، فالناس الذين يهجمون على الحرام خشية أن يفوتهم الرزق أو يتعاطون الحرام خشية قلة المال، لم يعلموا أن الحرام ليس في الحقيقة سبباً من أسباب سعة الرزق، بل هو فتنة وبلاء.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ الطلاق: ٢ ، فمن أراد المخرج فليتق الله، وبالتالي ليسأل عن الطاعات والمحرمات والشبهات، فإذا اتقى الله سبحانه وتعالى وصدق في التقوى فإن الله وعده وعداً لا يخلف أن يجعلَ له مخرجاً ويرزقَه من حيث لا يحتسب، فإذا ادعى أنه اتقى الله ولم يجعل له مخرجاً فنقول له: راجع نفسك فإنك لم تتق الله حق تقاته، فعد إلى نفسك وصحح التوبة؛ فإن الله لا يخلف الميعاد.

وقوله تعالى: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ الطلاق: ٢ أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ الطلاق: ٣ يعني: من حيث لا يؤمل ولا يرجو.

ومن الأدلة قوله تبارك وتعالى:﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾ الأعراف: ٩٦ ، أي: لو أنهم اتقوا لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب.

والبركات جمع بركة، والبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، والخير الإلهي الذي يجعله الله سبحانه وتعالى في الشيء يبقى فيه فلا يمحق ولا يذهب عنه، فيستفاد من كلمة البركة أن الله سبحانه وتعالى يعطيهم بسبب الإيمان والتقوى الخير

المستمر الذي لا شر فيه ولا تبعة، وأحسن الأحوال أن يثبت النعيم الذي يرزقه الله سبحانه وتعالى العبد، ثم لا يجعل عليه تبعة في الآخرة، ولا يحاسبه عليه.

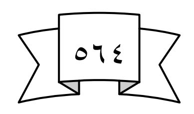
وقال تبارك وتعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأعراف: ٩٦ ولم يقل: بركة، فيدل على تعدد هذه البركات باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة، وبركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة؛ لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنهما تحصل جميع المنافع والخيرات لخلق الله تعالى.

ومن الآيات التي تدل على أن التقوى من أسباب استنزال الرزق قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ المائدة: ٦٦، فيخبر الله عز وجل عن أهل الكتاب أنهم لو عملوا بالتوراة والإنجيل، وعملوا أيضاً بالقرآن الكريم؛ لأكثر الله تعالى بذلك الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض، ولأسبغ عليهم نعم الدنيا إسباغاً.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ الجن: ١٦ ، يعني: لو استقاموا على الطريقة التي يرضاها الله لكافأهم على ذلك بأن يسقيهم ماءً غدقاً.

إذاً: التقوى من أسباب الرزق كما في هذه الآيات، ومن شكر نعمة الله عز وجل بطاعته، فقد تكفل الله له بالزيادة، كما قال الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ٧.

فمن يرغب في سعة الرزق ورغد العيش فليحفظ نفسه عما يؤثم، وليمتثل أوامر الله تعالى، وليجتنب نواهيه.



التوكل على الله

ومن أسباب الرزق: التوكل على الله سبحانه وتعالى.

قال الغزالي: التوكل هو اعتماد القلب على الله سبحانه وتعالى الذي يفوض المؤمن إليه أمره.

وقال: المناوي: التوكل إظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه.

فتظهر العجز والضعف لله سبحانه وتعالى، وتعتمد عليه وحده عز وجل، فتؤمن بأنه لا فاعل في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى، وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع، ونفع وضر، وفقر وغنى، ومرض وصحة، وموت وحياة، وكل ما يطلق عليه اسم الوجود فهو من الله سبحانه وتعالى.

ومن الأدلة على كون التوكل سبباً من أسباب إدرار الرزق ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً).

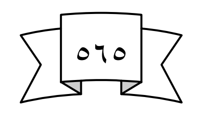
والطير جمع طائر يذكر ويؤنث.

(تغدو): تذهب أول النهار.

(خماصاً) جمع خميص، يعني جياعاً.

(وتروح): ترجع آخر النهار وقد امتلأت حواصلها (بطاناً): جمع بطين وهو عظيم البطن، والمراد شباعاً، فما بين ذلك تسعى والله سبحانه وتعالى هو الذي يتكفل برزقها.

ففي هذا الحديث يبين الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن المتوكل على الله حق التوكل مرزوق كما ترزق الطير؛ لأنه توكل على الحي الذي لا يموت، وأن من توكل على الله فهو حسبه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ



﴾ الطلاق: ٣ أي: فهو كافيه، فإذا توكلت واعتمدت على الله وحده، فإنه يكفيك، ولن تحتاج إلى وكيل غيره، فهو عز وجل يتولى كل أمرك، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ الطلاق: ٣.

ومن المقرر والمعلوم أن التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يستلزم ترك الكسب، كما يعتقد الجاهلون بحقيقة التوكل، وقد يستدل بعضهم بهذا الحديث، والحديث فيه ما يرد عليهم؛ لأن الرسول عليه السلام لما ضرب لنا هذا المثل، فينبغي أن نأخذ بكل أركانه، فقوله: (تغدو خماصاً وتروح بطاناً)، دليل على أنها تغدو وتروح، فعندها حركة وسعي مع التوكل على الله سبحانه وتعالى، فكذلك على الإنسان أن يسعى إلى الرزق احتراماً للشرع؛ لأن الشرع أمر بفعل الأسباب، لكن لا يتعلق بالأسباب بل بخالق الأسباب وهو الله سبحانه وتعالى، فإنه هو الرازق في الحقيقة.

فنحن نأخذ بالأسباب لأن الله أمرنا بالأخذ بالأسباب.

قال العلماء: ترك الأسباب قدح في الشرع، والتعلق بالأسباب قدح في التوحيد.

فنحن نأخذ بالأسباب لكن لا نعلق قلوبنا بالأسباب؛ لأنها مخلوقة، وإنما يجب أن تتعلق القلوب بالله عز وجل، فالطيور تخرج وتروح وتسعى وتتوكل على الله سبحانه وتعالى، فالله يكفيها أمرها مع أنها لا تعقل ولا تعي ولا تخطط ولا تفهم ولا تدبر، وإنما الله عز وجل هو الذي يرزقها.

يقول الإمام أحمد: ليس في الحديث ما يدل على ترك الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده، لم ينطلقوا إلا غانمين سالمين كالطير.

وقد سئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي! فقال: هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي).

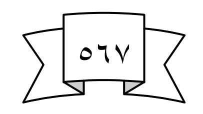
والأخذ بالأسباب أمر مشهور ومعروف في الشريعة، ومواطنه في القرآن الكريم كثيرة جداً منها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ مريم: ٢٥ ، كان يمكن أنها بمجرد أن ترفع رأسها يسقط الرطب بقدرة الله، لكن هذا إشارة إلى ضرورة الأخذ بالأسباب مع التعلق بخالق الأسباب وهو الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ القصص: ٢١ ، فموسى عليه السلام أخذ بأسباب النجاة من فرعون، فإنه لما علم أنهم يتآمرون على قتله خرج منها خائفاً يترقب.

وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأسباب في رحلة الهجرة، وهي مواقف مشهورة لا نحتاج إلى ذكرها.

والصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يتجرون ويعملون في نخيلهم.

قال الإمام أبو حامد: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، أو كلحمة على وضم، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكل، فيكف يُنالُ مقامٌ من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين؟! يعني أن التوكل محمود في الشريعة، وترك الأسباب محرم في الشريعة، فهؤلاء الذين يتركون الأسباب ويزعمون أن ذلك من التوكل آثمون، وهل يوصل إلى مقام من المقامات المحمودة في الدين بوسيلة محرمة؟! لا يمكن أن تكون الوسيلة إلى الواجب أو المستحب محرمة، فالوسائل والأسباب تأخذ حكم المقاصد، ليس عندنا مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة، بل لا بد أن تكون الوسيلة مشروعة والغاية مشروعة كذلك.



وقال القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة في الظاهر فلا تنافي التوكل في القلب؛ لأن التوكل عبادة قلبية مثل التوبة والإخلاص والإنابة واليقين.

وكل هذه العبادات تؤدى بالقلب، فالتوكل عبادة محلها القلب، أما الحركة في الظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يعتقد العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعثر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره، وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: (أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل فقال له: اعقلها وتوكل)، أما أن تترك الناقة مطلقة دون أن تربطها بخطام ولا زمام ثم تقول: أتوكل على الله؛ فهذا ليس بتوكل، وهكذا لا ينبغي لمن جاء المسجد ومعه متاع أن يتركه عند الباب ويقول: أتوكل على الله! خاصة وقد كثر الخونة الذين يخونون المصلين أثناء الصلاة، ويسرقون منهم المتاع، فهل خولك المسجد سيشفع لك إذا استحمقت وفرطت في الأسباب؟ لا، بل اعقلها وتوكل، ولا تتركها للصوص في الطريق ثم تقول: أتوكل، فخذ بالأسباب وتوكل.

بعضهم قد يترك السيارة مفتوحة ثم يسرق منها شيء، فهذا لم يعقل الناقة، بل تركها مفتوحة، وكان عليه أن يأخذ بالأسباب، ولا يتعلق بها، وهذا من التوكل على الله سبحانه وتعالى.

وفي رواية عند الإمام القضاعي أن عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه قال: (قلت: يا رسول الله! أقيد راحلتي وأتوكل على الله أو أرسلها وأتوكل؟ قال: قيدها وتوكل).

إذاً: التوكل لا يقتضي ترك التكسب، بل يكد الإنسان ويجد ويسعى في طلب العيش، لكنه لا يعتمد على كده وجده وسعيه، بل يعتقد أن الأمر كله لله، وأن الرزق من الله سبحانه وتعالى وحده.

الخطبة الثالثة :مفاتيح الرزق ٢

أما بعد:عباد الله ، التفرغ لطاعة الله

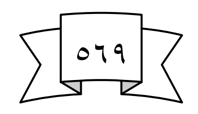
ومن أسباب الرزق التفرغ لطاعة الله سبحانه وتعالى: وليس المقصود من التفرغ لطاعة الله عز وجل أن يترك السعي لكسب العيش، ويمكث في المسجد ليل نهار، وإنما المقصود أن يظل قلبه موصولاً بالله سبحانه وتعالى في كل أحواله دون انقطاع، فالمؤمن لا يعرف: ساعة لربك وساعة لشيطانك وساعة لقلبك المريض؛ كما هو حال بعض الناس، حيث يصلي في المسجد ثم يرتكب المعاصي والمحرمات خارج المسجد، ويقول: ساعة لقلبك وساعة لربك، ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ النجم: ٢٢ ، لأن قلب المؤمن موصولٌ بالله عز وجل في كل أحواله، لا يقطع هذه الصلة أبداً، سئل بعض السلف: هل القلب يسجد؟ قال: يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها أبداً، أي: إذا تاب وأناب ثبت على الخضوع لله سبحانه وتعالى، ولا يزول عن صفة السجود، فيظل ساجداً دائماً، فقلب المؤمن في كل أحواله يكون موصولاً بالله عز وجل، حتى وهو يلهو اللهو المباح أو يعمل في الدنيا.

فمعنى التفرغ لطاعة الله سبحانه وتعالى: أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله عز وجل يراه.

والدليل على كون التفرغ لعبادة الله عز وجل من مفاتيح الرزق ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك).

(يا ابن آدم تفرغ لعبادتي) أي: بالغ في تفريغ قلبك لعبادتي.

(أملأ صدرك غنى) أي: أملأ قلبك الذي في صدرك غنى؛ لأن الغنى غنى النفس كما بين النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو أعلى درجات الغنى، يقول



الشاعر: غنيت بلا مال عن الناس كلهم وإن الغنى العالي عن الشيء لا به
واستغناؤك عن الشيء هو عين الغنى، وليس الغنى بما تملكه في يديك من عرض الدنيا، وإنما الغنى غنى النفس وغنى القلب.

وقوله: (وأسد فقرك) أي: أسد باب حاجتك إلى الناس، (وإلا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك) ذكر اليدين لأن الإنسان يزاول الاكتساب دائماً باليدين، وأغلب التصرفات تكون باليدين.

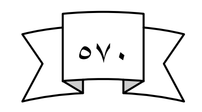
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقاً، يا ابن آدم! لا تباعد عني فأملأ قلبك فقراً، وأملأ يديك شغلاً).

المتابعة بين الحج والعمرة

ومن أسباب الرزق: المتابعة بين الحج والعمرة: ومعنى المتابعة أن يجعل أحدهما تابعاً للآخر وواقعاً عقبه، أي: إذا حججتم فاعتمروا وإذا اعتمرتم فحجوا، هذا معنى التتابع بين الحج وبين العمرة.

الإنسان الذي لا يلتفت إلى هذه الأسباب إيمانه ضعيف أو ناقص؛ لأن الذي يخبرنا بهذه الحقائق هو الوحي المعصوم، سواء في القرآن الكريم أم على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذه من بركات الوحي، فإن عقولنا لا تستقل لتوصلنا إليها، بل بعض هذه الأسباب قد يستغربها بعض الناس، فإنفاق المال في الحج والعمرة ينفي الفقر، هكذا يخبر الصادق صلى الله عليه وعلى آله وسلم.



والذي يخرج من ماله ويتصدق فقد فعل سبباً من أسباب سعة الرزق؛ لأنه هكذا أخبر من لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ٣ - ٤.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة).

الكير هو كير الحداد الذي ينفخ به النار، والظاهر أن المراد هنا نفخ النار.

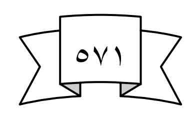
وخبث الحديد والذهب والفضة هو الشوائب التي تكون في الحديد والذهب والفضة.

والحجة المبرورة هي التي وفيت أحكامها، فوقع الحج موافقاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، هذا معنى الحج المبرور.

فهنا يبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من ثمرات المتابعة بين الحج والعمرة نفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، ولذلك ترجم الإمام ابن حبان لهذا الحديث فقال: ذكر نفي الحج والعمرة الذنوب والفقر عن المسلمين بهما.

وقال الإمام الطيبي في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: (فإنهما ينفيان الفقر والذنوب): إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال، أي: كما أن الصدقة تزيد المال ولا تنقصه، بل حلف النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك حينما قال: (ما نقصت صدقة من مال)، فكذلك النفقة التي تنفقها في الحج والعمرة تنفي عنك الفقر.

وروى الإمام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد).



صلة الرحم

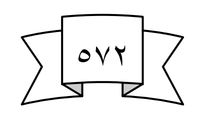
ومن أسباب استنزال رزق الله سبحانه وتعالى صلة الرحم: وقد كان السلف يحافظون على صلة الرحم، فيكافئون على ذلك بأن تنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما تجد أهل بيت يتواصلون فيحتاجون.

وصلة الرحم لا تنحصر في صلتهم بالمال، بل مفهومها أوسع من ذلك، فإنها تكون بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، والقول الجامع في معنى صلة الرحم: إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة.

والإسلام لا يمنع صلة الأرحام حتى مع الكافرين، فمن كان له أقارب كفار فإنه يؤمر بالإحسان إليهم، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ الممتحنة: ٨.

وسبب نزول هذه الآية أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما جاءتها أمها المشركة ترغب في صلتها، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك).

وهذه الصلة لا تعني مودة الكافر أو مداهنته؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾المجادلة: ٢٢ ، فلا يجتمع في قلب رجل الإيمان مع مودة أعداء الله؛ وذلك لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب مع ذلك عدوه، فلا يمكن حب المؤمنين مع حب أعداء الله عز وجل.



والإمام مالك استدل بهذه الآية الكريمة على معاداة المبتدعة وترك مجالستهم، وقال الإمام القرطبي معلقاً على ذلك: وفي معنى أهل البدع جميع أهل الظلم والعدوان.

يعني أنهم يستحقون المقاطعة أيضاً.

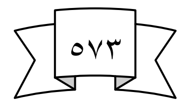
وقال ابن كثير: أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين.

فالإنسان يصل رحمه ولو كانوا كافرين أو عصاة، مع دعوتهم إلى الإنابة وإلى الطاعة بقدر استطاعته، ويبذل كل جهده في ذلك، فإن أصروا على ما هم عليه بعد النصيحة فمقاطعة أحدهم في الله هي صلته، بشرط بذل الجهد في نصحهم ثم إعلامهم بأنهم إن أصروا على ما هم عليه فإنه سيقاطعهم بسبب ذلك، ولا بد أن يعلمهم أن سبب المقاطعة ما هم عليه من محاربة الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لا يكف عن صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب عسى أن يعودوا إلى الطريقة المثلى.

الإنفاق في سبيل الله

ومن هذه الأسباب أيضاً: الإنفاق في سبيل الله تبارك وتعالى: فهذا أحد مفاتيح الرزق التي يستنزل بها رزق الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ سبأ: ٣٩ ، فالإنفاق المرغب فيه في الدين كالإنفاق على الفقراء، والإنفاق لنصرة دين الله عز وجل، والإنفاق في الطاعات وعلى العيال والضيوف.

والأدلة على كون النفقة في سبيل الله عز وجل من أسباب استنزال رزق الله عز وجل كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ سبأ: ٣٩ يعني: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث، ولا يقتصر



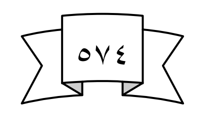
على الثواب في الآخرة، لكن يخلفه عليكم أيضاً في الدنيا، فالنفقة إذاً سبب لاستنزال الرزق.

ذبحت إحدى زوجات النبي عليه الصلاة والسلام شاة، (فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن الشاة فقالت: ذهبت كلها وبقي الذراع لك، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: بل بقيت كلها وذهب هذا الذراع) أي أن الذي تنفقه في سبيل الله باق لك، ومدخر ثوابه عند الله سبحانه وتعالى كما قال الله عز وجل: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ النحل: ٩٦.

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: (ثلاث أقسم عليهن أو أحلف عليهن: -وذكر- ما نقصت صدقة من مال)، فالصدقة سبب للبركة فيما بقي من مال، ويخلف الله على الإنسان بدلها في الدنيا بجانب الأجر الذي يبقى له في الآخرة، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ سبأ: ٣٩.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً).

الله عز وجل ملكٌ مليكٌ عليٌّ غنيٌّ، فإذا قال: أنفق وعلي بدله، فبحكم الوعد يوجب على نفسه أن يعطي هذا البدل، وقد وعد الله فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ سبأ: ٣٩ ، ووعد الله حق، فإذا كنت تتعامل مع غني من البشر، فقال لك مثلاً: ألق متاعك في البحر وعلي ضمانه، وأنت تعرف من خلقه أنه لا يخلف الميعاد، وأنه يفي بوعده، فإنك يكون على ثقة من أنه سوف يفي بما وعدبه من هذا الضمان، فهل تفعل ذلك ثقة بوعده سبحانه، ولله عز وجل المثل الأعلى؟! فمن أنفق فقد أتى بما هو سبب في حصول البدل، لأنه قد أتى بالشرط، والله عز وجل اشترط على نفسه فقال: (أنفق أنفق عليك)، وكما قال عليه الصلاة والسلام: (أنفق بلال ولا



تخش من ذي العرش إقلالاً)، فهذا وعد بالإخلاف وبالتعويض وبالبدل، فمن أتى بالشرط أتاه البدل.

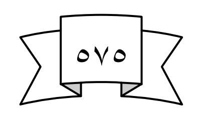
ومن بخل فالزوال لازم للمال، ولم يأت بما يستحق عليه البدل.

فقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ سبأ: ٣٩ يحقق معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً).

التاجر إذا علم أن مالاً من أمواله معرض للهلاك فإنه يبيعه نسيئة ولو على الفقراء، فلو افترضنا تاجراً يبيع فواكه أو خضروات، وهذا التاجر يحتاج إلى الربح الذي يجنيه من وراء هذه التجارة، وهو يشترط في البيع أن يكون حالاً، أي: لابد أن تدفع المال نقداً، ويرفض أن يبيع نسيئة، لكن إذا لم يشتر منه أحد، وكادت البضاعة تتلف، فإنه سيبيعها نسيئة إلى أجل، لأنه خير بين أن تتلف البضاعة وبين أن يبيعها نسيئة، فالعاقل يختار أن يبيعها نسيئة، ويقول: هذا أولى من أن أرميها في القمامة، وعندما يبيعها نسيئة سيحصل على المال ولو بعد حين، فإن لم يبع حتى يهلك نسب إلى الخطأ، ثم إن حصل على كفيل مليء ولم يبع له نسب إلى الجنون.

يعني أن هذا الرجل يريد أن يشتري منه إلى أجل، ولو لم يشتر البضاعة فسوف تهلك، وأتى رجل آخر مليء وقال للتاجر: أنا ضامن وكفيل على المشتري أنه إذا لم يسدد لك فأنا أسدد لك ثمن هذه البضاعة، وهذا الكفيل أو هذا الضامن غني ووفي، وفي الحديث: (من أحيل على مليء فليتبع)، فإذا حصل على كفيل مليء ولم يبع فينسب هذا الرجل إلى الجنون.

ثم إن كل واحد منا يفعل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من الجنون، فإن الله سبحانه وتعالى يتكفل بالخلف وبأنه سيعوض من أنفق في سبيل الله، ومع هذا نجد عامة الناس يسلكون مسلك ذلك الذي يوصف بالجنون، وشتان بين ضامن مليء من

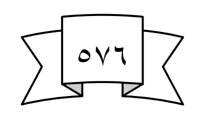


البشر وبين الله سبحانه وتعالى الذي هو رب العرش، والذي هو غني عن العباد، الرزاق ذو القوة المتين.

لماذا لا تثق في وعد الله سبحانه وتعالى وهو يخبرك في القرآن أنه سوف يخلف عليك، وأنت مع ذلك تصر على أن تتلف بضاعتك وتزول دون أن تثاب فيها، وبدون أن تنال عليها أي أجر أو ثمن؟ كل واحد منا يفعل هذا ولا يعلم أن ذلك قريب من الجنون، فإن أموالنا كلها في معرض الزوال المحقق، فالإنفاق على الأهل والولد إقراض، وقد حصل الضامن المليء وهو الله العليم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ سبأ: ٣٩ ، ثم رهن عند كل واحد إما أرضاً أو بستاناً أو طاحونة أو حماماً أو أي متاع، فالله سبحانه وتعالى أعطاك المبلغ الذي تأخذ منه رزقك، هذا المبلغ سواء كان سيارة أو آلة أو مصنعاً أو متجراً أو غيره وكأنه يقول: إذا كنت غير واثق من ضماني الذي أضمنه لك بأني سأخلف عليك فضع هذا الرهن أمام عينيك حتى تكون مطمئناً للضمان.

كل الحرف التي عند أي واحد منا ما هي إلا من فضل الله سبحانه وتعالى، فهل هذا ملك لنا أم ملك لله؟ نحن لا نملك شيئاً على الإطلاق، ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الحديد: ٧ ، ويقول: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ النور: ٣٣ ، فالمال الذي بأيدينا في الحقيقة ليس مالنا إنما هو عارية عندنا، وهو ملك لله سبحانه وتعالى، فمع الضمان يأمرك سبحانه وتعالى أن تنفق، ويعطيك رهناً حتى تكون أكثر اطمئناناً، ويكون معك هذا المصدر من مصادر الرزق.

الإنسان لا بد أن يكون له صنعة أو جهة يحصل له منها مال، وذلك ملك لله، وهو في يد الإنسان بحكم العارية، فكأنه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام، ومع هذا لا ينفق، ويترك ماله يتلف من غير أن يكون مأجوراً أو مشكوراً.



هذا وقد أكد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية وعده لمن ينفق بالخلف عليه بثلاث مؤكدات: الأول: صيغة الشرط ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ سبأ: ٣٩ ، الثاني: جعل جملة الجواب اسمية (فهو يخلفه)، الثالث: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي فقال: (فهو يخلفه) ولم يقل: فسأخلفه لك.

فوعد الله سبحانه وتعالى يقع حتى لو لم يقترن بهذه المؤكدات، فكيف وقد أكد بكل هذه المؤكدات.

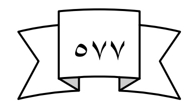
ومن الأدلة على أن النفقة سبب من أسباب الرزق قوله عز وجل: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٨.

(يعدكم) بمعنى: يخوفكم، يقول لك: إياك أن تنفق وإلا افتقرت.

(وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) أي: بالبخل، (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ) على هذه المعاصي (وفضلاً) أي: في الرزق، وقال ابن عطية: المغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة، والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيها والنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له.

يعني أن الشيطان عندما يقول لك: لا تنفق فسوف تفتقر، ليس مخلصاً لك في النصيحة ولا يريد لك الخير؛ لأنه عدو مبين، ولا حل مع الشيطان إلا أن تتخذه عدواً ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ فاطر: ٦ ، هو عدو لا تصلح معه المداهنة ولا الإحسان ولا التلطف، لا يوجد مخرج في التعامل مع الشيطان إلا أن تعامله على أنه عدو مبين، فلا تثق بأي وعد من وعوده، وحينما يقول لك: لا تنفق وإلا ستفتقر فلا تثق بخبره، فإنه ليس مشفقاً عليك ولا ناصحاً لك، وأما الله سبحانه وتعالى فإنه يعد



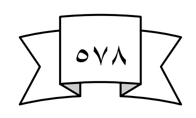
عبده مغفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا وإما في الدنيا والآخرة.

جاء في صحيح مسلم أن الله تبارك وتعالى قال: (يا ابن آدم! أنفق أنفق عليك)، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أنه قال: (إن لله تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها أخذها منهم ووضعها في غيرهم)، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

فالبخيل الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى من ماله ثم لا ينفق على نفسه وعلى أهله وأولاده وعلى الفقراء والمساكين، ويريد أن يحافظ عليه، فهو فقير، قال ابن القيم: البخيل فقير لا يؤجر على فقره، والفقير أفضل منه؛ لأن الفقير يؤجر على الفقر، أما هذا فهو فقير لكنه لا يؤجر على فقره، يقول الشاعر في وصف البخلاء: خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا رزقوا فما رزقوا فلاح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا وفي الحديث: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما، اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)، أي: تلفاً لماله حساً أو معنى، إما يضيع المال أو تمحق البركة منه أو يسلط على نفقته فيما لا يعود عليه بالنفع، أو في أشياء مما يغضب الله سبحانه و

الإنفاق على أهل الخير لا سيما طلبة العلم الشرعي

ومن أسباب استدرار واستنزال الرزق من الله سبحانه وتعالى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم -يعني: ليطلب العلم- والآخر يحترف -يعني: يكتسب الرزق لهما- فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لعلك ترزق به).



كأنه يقول: لعلك مرزوق ببركته، لا أنك مرزوق بجهدك، فلا تمنن عليه بصنعتك؛ لأنه متفرغ في سبيل الله، فكثير من أهل الخير لا يقدرون على التكسب بسبب التفرغ للعلم ونحو ذلك، فمن كان ينفق عليهم يأتيه الرزق لا ليأخذه وحده، بل حتى يعطي الآخرين، ويتصدق منه على إخوانه المستحقين، فهو عبارة عن وكيل موزع يعطيه الله الرزق حتى يعطي، فإذا منع الصدقة عليهم ليدخر المال لأجل أولاده مثلاً، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

(إن لله أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم).

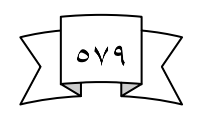
الإحسان إلى الفقراء والضعفاء

ومن مفاتيح الرزق الإحسان إلى الفقراء: فقد روى الإمام البخاري عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال: (رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم) يعني: هل ينصركم الله ويرزقكم إلا لأجل الضعفاء.

فالضعفاء هم أصحاب المنة وليس الذين يتصدقون عليهم ويعطونهم، فمن أراد أن ينصره الله على أعدائه وأن يوفر له الرزق؛ فليكرم الضعفاء وليحسن إليهم، وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أراد أن يرضيه فليرض الفقراء والمساكين، فقال في الحديث: (ابغوني في ضعفائكم –أي: من أراد أن يرضيني ويحسن إلي فليحسن إلى الضعفاء– ابغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم).

الدعاء والزواج

ومن الأسباب التي تؤدي إلى استنزال رزق الله تبارك وتعالى الدعاء، وهو سبب عظيم من أسباب جلب الرزق.



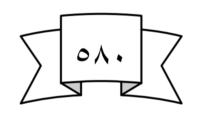
وكذلك الزواج، قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾﴾ النور: ٣٢ ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (حق على الله تعالى عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله) أو كما قال، وقوله: (ثلاثة حق على الله عونهم: وذكر الناكح يريد العفاف).

الهجرة في سبيل الله

ومن أسباب سعة الرزق الهجرة في سبيل الله عز وجل: والهجرة هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ﴾ النساء: ١٠٠ يعني: إذا هاجر من بلد إلى بلد يجد في هذه الأرض التي هاجر إليها من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته، وذلك أن من ترك بلده وذهب إلى بلدة أخرى واستقر أمره فيها، وصل ذلك الخبر إلى أهل بلدته فخجلوا من سوء معاملتهم معه، ورغمت أنوفهم بسبب ذلك، وقوله: (وَسَعَةً)، يعني: سعة في الرزق، أو سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى، وقال مالك: السعة سعة البلاد.

وقد شهد العالم بصدق هذا الوعد ولا يزال يشهد، وما أمر المهاجرين إلى المدينة المنورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاف على من له أدنى صلة بالتاريخ الإسلامي، فإنهم لما تركوا البيوت والأموال والمتاع للهجرة في سبيل الله تعالى عوضهم الله تعالى عنها أن أعطاهم مفاتيح الشام وفارس واليمن، وملكهم قصور الشام الحمراء، وقصر المدائن الأبيض، وفتح لهم أبواب صنعاء، وسخر لهم خزائن قيصر وكسرى.

فخلاصة تفسير هذه الآية كما قاله الرازي: كأنه قيل: يا أيها الإنسان! إن قلت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من أن تقع في المشقة والمحنة في السفر؛ فلا تخف

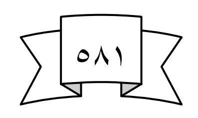


فإن الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة العظيمة في مهاجرتك ما يكون سبباً لرغم أنوف أعدائك فيكون سبباً لسعة عيشك.

فالحركة والسعي في الأرض لطلب الرزق الحلال ليس فيه حرج، وقد وعد الله من هاجر في سبيل الله سبحانه وتعالى بالرزق والإخلاف، لكن لا تكون هذه الهجرة محرمة، كالهجرة التي انعكس اتجاهها الآن، فبدلاً من أن تكون الهجرة من بلاد الكفر إلى دار الإسلام صارت الهجرة الآن من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار! فمن الذي يأمر بالهجرة إلى دار الكفار الله أم الشيطان؟ الشيطان، والذي يهاجر إلى بلد الكفار فإنه يطيع أمر الشيطان، ويعصي أمر الرحمن سبحانه وتعالى، إلا من كان معذوراً في حالات استثنائية، لكن أكثر الناس يريدون بذلك صلاح الدنيا فقط، فيعطون الدنيا هناك لكن لا يبارك لهم فيها، ويكون الرزق مشوباً بالشبهات أو المحرمات.

التفكير في السفر إلى بلاد الكفار تفكير مهلك، والذي يأمر بالهجرة من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر ابتغاء سعة الدنيا هو الشيطان، وهذا لا يجوز إلا لمن كان معذوراً، فإن الله سبحانه وتعالى يأمر من هم في بلاد الكفار أن يغادروها إلى بلاد المسلمين، فالمهاجر إن عانى في دنياه، لكن يسلم له دينه، أما هناك فمن يستطيع أن يزعم أن هناك سلامة في الدين؟ بل هي فتنة الدين، وضياع وانحراف عن هدي الإسلام كما هو معلوم.

خلاصة الكلام: ذكر المؤلف في هذا الكتيب المبارك عشرة أسباب مما يستنزل به رزق الله سبحانه وتعالى، وهي: الاستغفار والتوبة بالمقال والفعال، التقوى، التوكل، التفرغ لعبادة الله سبحانه وتعالى، والمتابعة بين الحج والعمرة، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله تعالى، والإنفاق على أهل الخير سيما طلبة العلم الشرعي، والإحسان إلى الضعفاء، والمهاجرة في سبيل الله عز وجل، وهي الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان، ابتغاء مرضاة الله تعالى وفق ما شرعه الله عز وجل.



ثم يقول المؤلف في نهاية البحث: وأوصي إخواني المسلمين في أرجاء المعمورة بالتمسك بتلك الأسباب لنيل الرزق، فإن الخير كله في التمسك بما شرع الخالق عز وجل، والشر كله في الإعراض عنه.

هذا؛ وما عند الله لا ينال بمعصيته، وإنما ينال بطاعته، يقول عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤ ، ويقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٦.

وصلى الله تعالى على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبارك وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

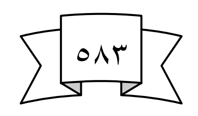
الخطبة الرابعة : الإخلاص

أمّـا بعـد:عِبـادَ الله، يقـول الله تعـالى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ الحج: ٢٦ - ٢٩.

فانظر كيف بدأ إبراهيم عليه السلام عمله كما أمره الله عز وجل بترك الشرك بالله أي أمره بإخلاص العمل لله تعالى، وكذلك أول ما حرص عليه رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم في هذا النسك هو الإخلاص، ففي حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم: «فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك»، فكل عمل لا بد أن يبنى على الإخلاص حتى يقبله الله تعالى، فما لم يبن على الإخلاص لا يقبل، وهو أول ما يعلن عنه الحاج: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك».

الاخلاص عباد الله درس اساسي من دروس الحج ، اعلَموا أنَّ الله غنيٌّ عن العالمينَ، لا تنفعُه طاعة الطائعِين، ولا تضرّه معصيةُ العاصينَ، وإنما نَفعُ الطّاعةِ لفاعلِها، وضرَرُ المعصيةِ لصاحبِها، قال الله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ الجاثية: ١٥.

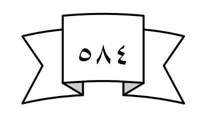
ولمّا كانَ العبدُ مخلوقًا لعِبادةِ الله تعالى ولاَ صَلاحَ له ولا فَلاحَ في الدّارَين إلاّ بتحقيقِ هذهِ العبوديّة بَيَّن الله له أنواعَ العِبادة، وفصّلها للخَلق في الكتابِ والسنّة، وبيَّن ما يُضادّ هذه العِبادةِ؛ ليتقرّبَ المسلِم إلى ربِّه بفعلِ كلِّ أمرٍ أمرَه الله به، وبِتركِ كلِّ نهيٍ نهاه الله عنه، قالَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا



وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الحج: ٧٧ ، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾الحشر: ٧ ، وقال : ((ما نهيتُكم عنه فاجتنِبوه، وما أَمرتكم بِه فأتوا مِنه ما استَطَعتم، فإنما أَهلَك مَن كان قبلَكم كَثرةُ مسائِلهم واختلافُهم على أنبيائِهم)) رواه البخاريّ ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والعِبادةُ تقرُّبٌ إلى الله عزّ وجلّ بما شرَع بحبٍّ وخُضوعٍ تامّ واستسلامٍ لربّ العالمين، قالَ الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الزمر: ٥٤ ، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ ، فلا يتَقرّب أحَدٌ إلى الله تعَالى ولا ينالُ رضوانَه إلاّ بأن يعمَلَ الطاعةَ على نورٍ مِنَ الله، ويترك المعصية على نور من الله، فلا يَبتدِعُ في دينِ الله، ولا ينحرِف عن شرعِ رسول الله ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله : ((مَن عمِل عملاً ليس عَليه أمرُنا فهو ردّ)) رواه مسلم ، و((من أحدَثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)) رواه البخاري ومسلم من حديثها.

وروحُ العبادةِ والقُرُبات وشرط قَبولها هو الإخلاص، فالإخلاص هو عمَلُ القلبِ الذي يحبّه الله ويرضاه، والإخلاص هو الذي يزكّي الأعمال ويطهِّرها وينمِّيها، فيبارك الله فيها وينفَع بها، ويجزِل الله به الثوابَ، والإخلاص هو الذي كلَّف الله بالتزامِه العباد، وهو الذي ابتَلاهم الله به ليحقِّقوه فيثابوا، أو يضيِّعوه فيعَاقَبوا، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ الملك: ٢ ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾هود: ٧ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ ﴾ الكهف: ٧ ، قال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى في تفسيره: "ولم



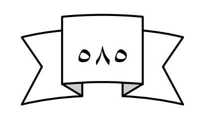
يقل: أكثر عملاً بل أحسن عملاً، ولا يكون العمَلُ حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجلّ على شريعةِ رسول الله ، فمتى فقَد العمل واحدًا من هذين الشّرطين حبط وبطل" ، وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه في تفسير لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً: "أَخلَصُه وأصوَبُه، فإذا كان العمل خالصًا ولم يكُن صوابًا لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبَل، فلا بدّ أن يكون خالصًا صوابًا".

وقد أمر الله بالإخلاص في الطاعاتِ والفرائض وفي كلِّ ما يأتي المسلم ويذَر مما أمر الله به أو نهى عنه، فقال تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ البينة: ٥ ، وقال تعالى: فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ [الزمر:٢، ٣]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمِعت رسولَ الله يقول: ((إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هِجرتُه لدنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكِحها فهِجرته إلى ما هاجَر إليه)) رواه البخاري ومسلم.

ومعنى الإخلاص أن تريد بطاعتك التقرب إلى الله دون أي شيء آخر من تصنّع لمخلوق أو اكتساب مال أو محمدة أو جاه أو محبة أو مدح من مخلوق.

الإخلاص أن تكون حركتك وسكونك في سرك وعلانيتك لله وحده كما قال جل وعلا: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) ، فالنّيةُ الصادِقة والعمَل المخلصُ كاللّبن الخالص الذي لم يختلِط بالفرثِ والدّم المذكور في قوله الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦ ﴾ النحل: ٦٦.

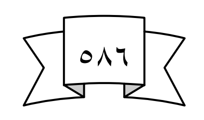
والعمَلُ يكونُ بصورةٍ واحدة، ويختلِف حكمه بحسَب النية الصادقة والإخلاصِ أو نيةِ السوء والمخادَعَة فيه، فالمخلِص في عَمَله من المقرَّبين، والمخادِع المدخولُ النية من المبعَدين المعذَّبين، فهؤلاء قومٌ يصلّون مع رسول الله ويجاهِدون معه



بإخلاصٍ فهم بأفضلِ المنازل رضي الله عنهم ورَضوا عنه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ المؤمنون: ٩ - ١١ ، وقال الله عن هؤلاء الصحابةِ رضي الله عنهم: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٨٩ ﴾ التوبة: ٨٨ - ٨٩.

وقَومٌ آخرون مِنَ المنافقين يُصلّون مع رسول الله ويجاهِدون، لكنّهم فقَدوا الإخلاصَ والإيمانَ، فهم بشَرِّ المنازل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ ﴾ النساء: ١٤٥ ، فصورةُ العملِ واحدة، ولكنّ المخلِصين مقرَّبون فائزون، والمرائِين مبعَدون خاسرون.

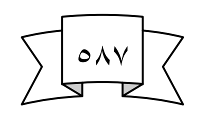
وهذا قتيلُ معركةِ الجِهاد في سبيلِ الله وقارِئ القرآن ومنفِقُ المال في سبيل الخير، جعَلهم الله تعالى فَريقَين: فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير، فمن أخلَصَ لله في عمَلِه رَفعَه الله درجات، ومن عمِل قُربةً رياءً وسمعة، وضَعَه الله دَرَكات، عن أنس رضي الله عنه أنَّ أمَّ حارثة بن سُراقة أتَت رسولَ الله فقالت: يا رسولَ الله، ألا تحدِّثني عن حارثَةَ؟ . وكان قُتل يوم بدر . فإن كان في الجنّة صَبرت، وإن كان في غَير ذلك اجتهَدتُ في البكاءِ عليه، فقال: ((يا أمَّ حارثة، إنها جِنَان في الجنّة، وإنّ ابنَك أصابَ الفردوسَ الأعلى)) رواه البخاري، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيِّ قال: ((يقال لصاحب القرآن: اقرَأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّل في الدنيا؛ فإنَّ منزلَتَك عند آخِرِ آيةٍ تقرؤها)) رواه أبو داود والترمذي وقال: "حديث حسن صحيح"، وعن أبي كبشة عمرو بن سعدٍ الأنماريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((إنما الدّنيا لأربعة نفَر: عبدٍ رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتّقي اللهَ ويصِل فيه رَحِمه ويَعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رَزَقه الله علمًا ولم يرزُقه مالاً، فهو



صادِق النية يقول: لو أنَّ لي مالاً لعمِلتُ بعمَل فلان، فهو نيّته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزَقَه الله مالا ولم يرزقه عِلمًا، فهو يخبِط في ماله بغيرِ عِلم، لا يتّقي فيه ربَّه ولا يصِل فيه رحِمه ولا يعلَم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبَثِ المنازِل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالاً لعمِلت فيه بعمل فلان، فهو نيّتُه فوِزرُهما سواء)) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن صحيح".

فتدبَّر . أيها المسلم . هذه الأعمالَ الصالحة التي أريد بها وجهُ الله والدار الآخرة وكان الإخلاص روحَها ومبناها كيف صارَ صاحبُها منَ الفائزين المقرَّبين، ثم تدبَّر هذه الأعمالَ نفسَها لمّا تجرَّدت من الإخلاص وخالَطَها الرّياء كيف صار صاحبُها من المطرودِينَ الخاسرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله يقول: ((إنّ أوّلَ الناس يُقضَى يومَ القيامة عليه رجلٌ استُشهِد، فأتِيَ به فعرَّفَه الله نعمَتَه فعرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: قاتَلتُ فيك يا ربِّ حتى استُشهِدتُ، قال: كذبتَ، ولكنّك قاتلتَ لأن يقال: جريء فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرَأَ القرآنَ، فأتِيَ به فعرَّفَه نعَمَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتَ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنّك تعلَّمتَ ليقال: عالم، وقرأتَ القرآنَ ليقال: قارئ فقد قيل، ثم أمِرَ به فسُحِب على وجهه في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصنافِ المال، فأتِيَ به فعرّفه نِعَمَه فعَرَفها، قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبّ أن تنفَقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنّك فعلت ليقال: جواد فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهِهِ حتى أُلقِيَ في النار)) رواه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعَد بشفاعتِك؟ قال: ((من قال: لا إلهَ إلا الله خالِصًا من قلبه)) رواه البخاري.

فأينَ هذا الذي يقولها عالمًا بمعناها عاملاً بمقتَضاها مخلصًا مجتهدًا ممن يقولها رياءً أو يقولها عادَةً وتقلِيدًا لا يعرفُ معناها ولا يعمَل بمقتضاها؟! ولو ذكَرنا



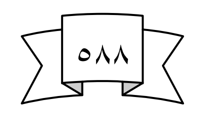
أنواعَ الأقوال والأفعال التي تتَّفِق في الصورةِ وتختلِف في الحقيقةِ والجزاءِ بالإخلاص أو عدَمه لطال الكلام.

فكونوا . عبادَ الله . من المخلِصين؛ فإنهم في كنَفِ الله وحِفظِه ورِعايتِه وعِصمتِه، قد نجّاهم الله من مكائِدِ الشيطانِ وحَسرَة الخسران، وآواهم إلى حِزبِه المفلِحين، قال الله تعالى عن إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحجر: ٣٩ - ٤٠ ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٨٢ - ٨٣ ، وقد قرأها ابنُ كثير وأبو عمرو البصرِي وابن عامر بكسر اللام إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ، ومَن قَرَأها بفتح اللام وهم نافع والكوفيّون فمعناه: مَن اختارَهم الله لاتِّصافهم بالإخلاصِ. وشرَط الله تعالى لتوبَةِ التائبين تحقيقَ الإخلاص في أعمالهم فقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ النساء: ١٤٦.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ: (من خلُصت نيّته كفاه الله ما بينه وما بين الناس) أبو نعيم في الحلية، وقال عليّ رضي الله عنه: (لا تهتمّوا لقِلّة العمل، واهتمّوا للقَبول) إحياء علوم الدين، وقال بعض العُبّاد: "إنَّ لله عبادًا عَقَلوا، فلمّا عَقَلوا عمِلوا، فلمّا عمِلوا أخلَصوا، فاستدعاهم الإخلاصُ إلى أبوابِ البرِّ جميعًا" إحياء علوم الدين.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي قال: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)).

أحبتي في الله: أن العمل الذي لا يقصد فاعله وجه الله أقسام: فتارة يكون رياءً خالصاً كحال المنافقين كما قال عنهم جل وعلا: (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) وهذا الرياء المحص هو أخطر وأغلظ

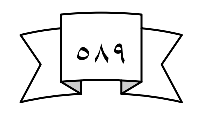


أقسام الرياء لأنه يقدح في أصل الإيمان وهو لايكاد يصدر من مؤمن في غرض الصلاة والصيام، وقد يكون كثيراً في الصدقة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز. ولا يشك مسلم في أن هذا القسم من الرياء محبط للعمل، وأن صاحبه يستحق المقت والعقوبة من الله، وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، هذا القسم دون الأول بكثير، كمن يحضر الجمعة أو الصلاة ولو لا خوف مذمة الناس له ما حضرها أو يصل رحمه أو يحسن الى والديه لا عن رغبة وحب، ولكن خوفاً من كلام الناس، أو يزكي أو يحج فيكون خوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله، وهذا غاية الجهل، وما أجدر صاحبه بالمقت.

وقسم يرائي بالنوافل يكسل عنها إذا كان خالياً ثم يبعثه الرياء على فعلها كحضور الجماعة وعيادة المريض واتباع الجنائز وصوم عرفة وعاشوراء طلباً للمدح والثناء، ويعلم الله تعالى أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض، وهذا القسم عظيم الخطورة كالذي قبله فقد روى البخاري ومسلم عن جندب بن عبدالله قال: قال النبي : ((من سمع سمّع الله به، ومن يرائي الله يرائي به)) أي من أظهر عمله الصالح للناس من أجل أن تعظم مكانته عندهم أظهر الله سريرته وفضحه على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

وعند أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((من تعلم علماً يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا – أي متاعاً وحطاماً من الدنيا – لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)) أي لم يجد ريحها، ليعلم أيضاً أن الله راءٍ مقصوده لا محالة. وإنما يرائي المرء حين يرائي ليدرك مالاً أو منزلة أو غرضاً من أغراض الدنيا وله درجات:

أشدها خطراً أن يكون مقصوده من إظهار العبادة التوصل إلى معصية الله، كالذي يظهر للناس التقوى والصلاح، لكن غرضه أن يعرف بالأمانة فيتولى منصباً



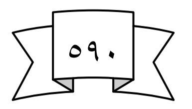
أو يسلم إليه تفرقة المال فيأخذ منه ماقدر عليه أو تترك عنده الودائع فيأخذها أو يتوصل إلى التحبب بإمرأة لفجور ونحوه فهؤلاء أبغض المرائين الى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلماً إلى معصيته.

وأما الدرجة الثانية أن يكون غرض المرائي نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال أو تزوج بإمرأة شريفة، كالذي يظهر العلم والعبادة ليرغب الناس في تزويجه أو إعطائه فهذا رياء ممقوت صاحبه، لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا.

وأما الدرجة الثالثة: أن لايقصد نيل حظ وإدراك مال، ولكن يظهر عبادته خوفاً من أن ينظر إليه الناس بعين النقص فلا يعدونه من الزهاد والعباد كالذي يكثر من الضحك والمزاح فإذا رأى الناس أظهر الحزن وأكثر الإستغفار، ولربما قال: ما أعظم غفلة بني آدم عن نفسه ويكثر هذا النوع في التطوع في الصيام فإنه قد يعطش يوم عرفة أو عاشوراء فلايشرب خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم، وقد لايصرح بقوله إني صائم ولكن يقول: لي عذر فإنه يري أنه صائم، ثم يري أنه مخلص، وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائياً، فيريد بذلك أن يقال عنه إنه ساتر لعبادته مخلص فيها، فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء.

أما المخلص فإنه لايبالي كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم، وقد علم الله ذلك منه فلايريد أن يلبس شيئاً على الخلق مما فيه خلاف علم الله وإن كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره، وقد يلبس الشيطان على المخلص في أن يعمل عملاً صالحاً يظهره ليقتدي غيره به فيحرك فيه رغبة الناس فيه فليحذر الإنسان من مكايد الشيطان وغروره، فهذه درجات الرياء ومراتب المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه ومن أشد المهلكات عافاني الله وإياكم من الرياء وجعلني وإياكم من المخلصين آمين

عباد الله إن للإخلاص ثمرات عظيمة



فالإخلاص مصدر رزق عظيم للأجر وكسب الحسنات قال صلى الله عليه وسلم ((إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليه حتى ما تجعل في فم امرأتك)) رواه البخاري.

الإخلاص ينجي من العذاب العظيم يوم الدين وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: ((إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال: جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به يعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من صنوف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ألا أنفقت فيها قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)) رواه مسلم.

وهذا الحديث حدث به أبو هريرة فكان يغشى عليه من هوله كلما أراد التحديث به، ويمسح وجهه بالماء حتى استطاع التحديث به. وقال صلى الله عليه وسلم : ((من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لم يتعلمه إلا ليصيب به عرض من عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة))، وقال: ((من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار)).

الإخلاص يريح الناس يوم يقول الله للمرائين اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.

الإخلاص ينجي الإنسان من حرمان الأجر و نقصانه ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل غزى يلتمس الأجر والذكر فقال لا شيء له"ثلاثاً" إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه.

وجاء رجل من أهل الشام قال : يارسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم : لا أجر له. فأعظم ذلك الناس فقالوا عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه فقال له لا أجر له.

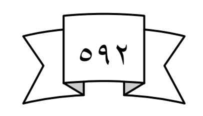
قال صلى الله عليه وسلم :قال الله تعالى ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)).

الإخلاص يعظم العمل الصغير حتى يصبح كالجبل ، كما أن الرياء يحقر العمل الكبير حتى لا يزن عند الله هباء

قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

وقال ابن المبارك: رب عمل صغير تكثره النية ورب عمل كبير تصغره النية.

وجاء في الحديث العظيم الذي أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صاى الله عليه وسلم : ((يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقال: أفلك عذر أو حسنة فيها؟ فيقول الرجل: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)) صححه الذهبي.



الإخلاص عباد الله أنه يقلب المباحات إلى عبادات وينال بها عالي الدرجات، قال أحد السلف: إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء .

الإخلاص ينقي القلب من الحقد والغل ويسبب قبول العمل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجه))

بالإخلاص عباد الله تنفس كروبنا ، والدليل على ذلك حديث الثلاثة الذين حبستهم صخرة ففرج الله همّهم ، وكان منهم الرجل الذي وفّى عاملاً أجره ونماه وصبر على ذلك سنين، وقد كان يقول كل واحد منهم اللهم إنك إن كنت تعلم أننا فعلنا ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه.

اللهم أخلص نياتنا وأجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهك خالصة يارب العالمين .

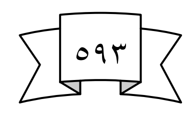
أخبار المخلصين

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ: من خلُصت نيّته كفاه الله ما بينه وما بين الناس .

وقال عليّ رضي الله عنه: لا تهتمّوا لقِلّة العمل، واهتمّوا للقَبول .

وقال بعض العُبّاد: إنَّ لله عبادًا عَقَلوا، فلمّا عَقَلوا عمِلوا، فلمّا عمِلوا أخلَصوا، فاستدعاهم الإخلاصُ إلى أبوابِ البرِّ جميعًا .

يقول الحسن البصري : إن كان الرجل جمع القرآن ولما يشعر به الناس، وإن كان الرجل لينفق النفقة الكثيرة ولما يشعر الناس به، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته ولم يشعر الناس به، ولقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملونه في السر فيكون علانية أبداً.



لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم

ومن عجائب المخلصين ما حصل لصاحب النفق

فقد حاصر المسلمون حصناً واشتد عليهم رمي الأعداء ، فقام أحد المسلمين وحفر نفقاً فانتصر المسلمون، ولا يُعرَف من هو هذا الرجل، وأراد مَسْلَمَة يريد أن يعرف الرجل لمكافأته،ولما لم يجده سأله بالله أن يأتيه، فأتاه طارق بليل وسأله شرطاً وهو أنه إذا أخبره من هو لا يبحث عنه بعد ذلك أبداً ، فعاهده، و كان يقول : اللهم احشرني مع صاحب النفق .

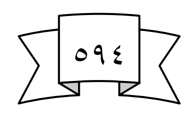
وقد كان عمل الخلوة كان أحب إلى السلف من عمل الجلوة.

يقول حماد بن زيد : كان أيوب ربما حدث في الحديث فيرقّ وتدمع عيناه، فيلتفت و ينتخط ويقول ما أشد الزكام!!، فيظهر الزكام لإخفاء البكاء .

قال الحسن البصري: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام وذهب وبكى في الخارج .

ديقول محمد بن واسع التابعي: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم .

للإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته لما دنت وفاته قال لشخص يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما إذا عاينت الموت و وقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء فاعمد إليها وألقها في دجلة بالليل وإذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني وأني ظفرت بما أرجوه من النية الخالصة، فلما حضرته الوفاة بسط يده ، فأظهرت كتبه بعد ذلك.



وكان علي بن الحسن يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين بالظلمة ، فالصدقة تطفيء غضب الرب، وكان أهل بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم ، فلما مات عرفوا، و رأوا على ظهره آثاراً مما كان ينقله من القرب والجرب بالليل فكان يعول ١٠٠ بيت.

تلك الأحوال والقصص أظهرها الله ليكون أصحابها أئمة ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ الفرقان: ٧٤

وهكذا كان أحدهم يدخل في فراش زوجته فيخادعها فينسل لقيام الليل وهكذا صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله فكان يأخذ إفطاره ويتصدق به على المساكين ويأتي على العشاء..

وهذا أعرابي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له أهاجر معك، فغنموا بعد خيبر وقسم للأعرابي وأصحابه وكان يرعى دوابهم فلما جاءوه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي وصلني؟ ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال صلى الله عليه وسلم : ((إن تصدق الله يصدقك))، فلبثوا قليلاً وهاجموا العدو وأثاب الله الأعرابي كما طلب فقيل أهو أهو قال صلى الله عليه وسلم : ((صدق الله فصدقه)) فكُفِّن في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ((اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك وقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك))

اللهم ارزقنا الإخلاص في أقوالنا وأعمالنا، واجعلها خالصة لك، صواباً على سنة رسولك صلى الله عليه وسلم آمين،هذا وصلوا . عباد الله . على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك في كتابه فقال ((ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين

امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما))اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

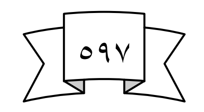
شهر ذى الحجة

الخطبـة الأولـى : فضـائل العشـر مـن ذي الحجة

الخطبـة الثانيـة : فضـل يـوم عرفـة وحـال السلف فيه

الخطبة الثالثة : الحج فضائل وعبر

الخطبة الرابعة : قيمة الوقت



الخطبة الأولى : فضائل العشر من ذي الحجة

أما بعد:عباد الله ، إخوانكم في هذه الأيام قد عقدوا الإحرام، وقصدوا البيت الحرام، وملأوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والإعظام.

تلبية لنداء إبراهيم عليه السلام:﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ الحج: ٢٧ - ٢٩.

سبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا، يترددون إليه ولا يرون أنهم قضوا منه وطرا، لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه، ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله إبراهيم: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ الحج: ٢٦ ، تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم، فكلما ذكر لهم ذلك البيت حنوا، كلما تذكروا بعدهم عنه أنوا.

يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى دار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

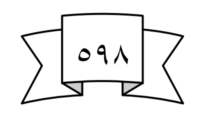
ألا قل لزوار دار الحبيـــب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش وأنـــتم ورود

لئن ساروا وقعدنا، وقربوا وبعدنا، فما يؤمننا أن نكون ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم، و قيل اقعدوا مع القاعدين.

لله در ركـــائب ســـارت بهم ... تطوي القفار الشاسعات على الدجى

رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا ... قلـــب المتـــيم منهم ما قد شجـا



نزلوا ببـــاب لا يخيـــب نزيلـه وقـــلوبـــهم بـين المـــخافة والرجـا

على أن المتخلف لعذر، شريك للسائر في الأجر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة وهو راجع من غزوة تبوك: " إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم خلفهم العذر".

يا سائرين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وقد راحوا ومن أقام على عذر كمن راحاو

فضائل العشر من ذي الحجة

أولاً: أن الله أقسم بها:

فقال في محكم التنزيل: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ الفجر: ١ - ٢ .

وقال ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره:

والليالي العشر المراد بها: عشر ذي الحجة

كما قال بذلك ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدى ومقاتل ومسروق، وغير واحد من السلف والخلف.

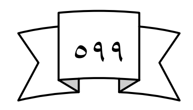
وقال ابن رجب . رحمه الله . كما في لطائف المعارف:

وأما الليالي العشر فهي عشر ذي الحجة، هذا هو الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم، وهو الصحيح عن ابن عباس . رضي الله عنهما . . أهـ

ومعلوم أن الله إذا أقسم بشيء دل ذلك على عظمته وأهميته.

أخي الحبيب...

فلتكن هذه الأيام فجراً جديداً في حياتك يبزغ على أنحاء قلبك؛ ليعلن بدء المسير إلى الله.



ثانياً: ومن فضلها أنها الأيام المعلومات التي شرع الله فيها ذكره عما رَزَقَ من بهيمة الأنعام:

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

قال ابن عباس . رضي الله عنهما . في قوله تعالي:

﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾ الحج: ٢٨ هي أيام العشر.

وقال ابن رجب . رحمه الله .:

وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة.

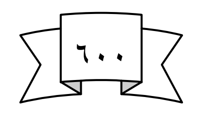
ثالثاً: ومن فضلها أنها من جملة الأربعين يوماً التي واعَدَهَا الله ﷻ موسي ﵇ قال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾الأعراف: ١٤٢.

قال ابن كثير . رحمه الله . في تفسير هذه الآية:

وقد اختلف المفسرون في هذه العشر، ما هي ؟ فالأكثرون على أن الثلاثين هي: ذو القعدة والعشر ـ عشر ذي الحجة . قال بذلك مجاهد، ومسروق، وابن جريج، وروي ذلك عن ابن عباس . رضي الله عنهما . وغيرهم.

روي أبو الزبير عن جابر ﵁ قال: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾الأعراف: ١٤٢ قال: عشر الأضحى .

وعن مجاهد . رحمه الله . قال:



ما من عمل من أيام السنة أفضل منه في العشر من ذي الحجة، قال: وهي العشر التي أتممها الله ﷻ لموسي عليه السلام.

رابعاً: أن الله أكمل لنبيه ﷺ دين الإسلام في يوم من أيامها وهو يوم عرفة

حين نزل على النبي ﷺ قوله تعالي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: ٣.

وكان رسول الله ﷺ قائماً بعرفة يوم الجمعة.

وكان أحبار اليهود يقولون: لو نزلت فينا معشر اليهود لاتخذناها عيداً.

أخي الحبيب...

فتِّش في نفسك عن النقص لتستكمله وتتمه كما أتم الله لك هذا الدين في هذه الأيام.

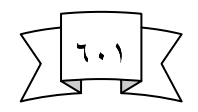
خامساً: ومن فضلها أنها خير أيام الدنيا على الإطلاق.

فقد أخرج البزار من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أفضل أيام الدنيا أيام العشر" (صحيح الجامع)

ولذلك فإن العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالي منه في بقية العام.

كما مرّ في الحديث: " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ﷻ من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله. ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء".

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره:



وبالجملة... فهذه العشر قد قيل عنها: إنها أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث، وفضلها كثير على عشر رمضان الأخيرة؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه.

وقيل: إن العشر الأواخر من رمضان أفضل لاشتمالها على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وتوسط آخرون فقالوا: "أيام هذا أفضل وليالي ذاك أفضل، وبهذا يجتمع شمل الأدلة " والله أعلم.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله .:

أيهما أفضل: عشر ذى الحجة أم العشر الأواخر من رمضان؟

فأجاب: أيام العشر من ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة .

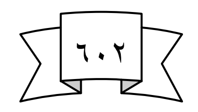
قال ابن القيم . رحمه الله .:

وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب وجده شافياً كافياً، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذى الحجة وفيها يوم عرفة ويوم النحر ويوم التروية. أما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التى كان رسول الله ﷺ يحييها كلها وفيها ليلة خير من ألف شهر.

وقال ابن حجر . رحمه الله . كما في فتح الباري:

والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذى الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتّي ذلك في غيرها.

فيا من أدركته العشر... اغتنم هذه الفرصة، فالعمل الصالح فيها أحب إلى الله مما في غيرها من الشهور، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله من الجهاد في سبيل



الله، والمحروم من ضيع هذه الفرصة، ومن جَدَّ وجد ويسر له سبل الخير، فجاهد نفسك في طاعة الله.

قال تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٦٩.

خامساً: ومن فضائل العشر من ذي الحجة أن فيها:

يتم الركن الخامس من أركان الإسلام، ألا وهو الحج، وما أدراك ما الحج !؟

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه".

وكذلك فيها يوم النحر . وهو يوم الحج الأكبر.

وقد قال النبي ﷺ كما عند الإمام أحمد وأبو داود وصححه الألباني:

" أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر" (صحيح الجامع:)

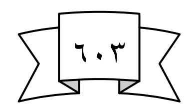
يوم القر: هو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، وسمي بذلك لأن الناس يقرّون فيه بمنيٍ.

قال ابن القيم . رحمه الله .:

خير الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر. كما جاء في الحديث

وقيل: يوم عرفة أفضل منه؛ لأن صيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة؛ لأنه سبحانه وتعالى يدنو فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف.

والصواب: القول الأول؛ لأن الحديث الدال على ذلك لا يعارضه شيء" أهـ



وسواء كان هو الأفضل أم يوم عرفة، فليحرص المسلم حاجاً كان أو مقيماً على إدراك فضله وانتهاز فرصته.

سادساً :وكذلك فيها يوم عرفة:

ويوم عرفة هو يوم عظيم يعتق الله فيه عباده من النار، ويتجاوز عن الذنوب والأوزار، ويباهي بأهل الموقف الملائكة.

أخرج الإمام مسلم من حديث عائشة . رضي الله عنها . أن النبي ﷺ قال:

" ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء".

قال ابن عبد البر . رحمه الله . كما في التمهيد:

وهذا الحديث يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي الملائكة بأهل الخطايا والذنوب إلا بعد التوبة والغفران. والله أعلم.

وأخرج مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

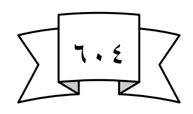
"ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب".

فيا من أدركته العشر... اعلم

أن الأعمال بالخواتيم، والعشر من ذي الحجة وهو آخر الشهور، فعما قليل ستطوى صحائف العام، فهيا أخي الكريم...

اختم أعمال العام بخاتم الطاعة والعبادة، ونسأل الله أن يرزقك الجنة والزيادة آمين.

ومع دخول مواسم الخيرات والتعرض للنفحات دائماً يُطْرَح هذا السؤال:



كيف نستقبل مواسم الطاعات؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول والله المستعان: ينبغي أن نستقبل هذه المواسم بما يلي:

بالتوبة الصادقة النصوح، وبالإقلاع عن الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب هي التي تحرم الإنسان فضل ربه وتحجب قلبه عن مولاه، والتوبة عامة تكون في جميع الأوقات، وتتأكد في مواسم الخيرات.

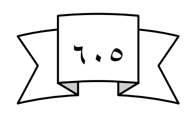
ـ كما نستقبل مواسم الخير عامة بالعزم الصادق الجاد على اغتنامها بما يرضي الله، فمن صدق الله صدق الله معه، قال تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ العنكبوت: ٦٩ .

كما نستقبل مواسم الطاعات بطلب العلم الشرعى المتضمن معرفة وظيفة الوقت أو المناسبة

أو الموسم، كتعلم أحكام العشر من ذي الحجة مثلاً، وأحكام الصيام عند دخول رمضان، وأحكام الحج عند دخول الحج؛ وذلك ليكون المسلم على بصيرة في عبادته، حتى لا يقع في البدع والمحدثات التي أُلْصِقَت ببعض المواسم والمناسبات الشرعية.

كما نستقبل مواسم الطاعات بطاعة الله وعبادته، وكثرة ذكره وتلاوة كتابه، وطلب الزُّلْفَى لديه ودعائه والتضرع إليه، والثناء عليه ومحبته ومحبة أوليائه، ونصرته ونصرة دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ وعباده الموحدين.

كما نستقبل مواسم الطاعات بالشكر لله ﷻ الذي هيأ للعبد فرصة جديدة للتزود من العمل الصالح، ومدَّ لَهُ في عمره لاكتساب مزيد من الأجور والأرباح، بينما حرم كثير من الناس من ذلك، فمات منهم من مات، ومرض منهم من مرض، وغفل منهم من غفل.



كما نستقبل مواسم الطاعات بالكرم والجود وبذل المعروف وسماحة النفس والإحسان إلى كل مسلم: من جار وصاحب وقريب وغريب، والإغضاء عن هفوات الإخوان، وإعانة ذوى الحاجات، والسعى في مصالح المسلمين، وصلة الرحم والتواضع لكل مسلم.

فيأيها المتحسر على ما فاتك في رمضان...

إن ذلك الزمان الذى قد بلغك زمان شريف، يضاعف الله ﷻ فيه حسنات العمل الصالح

ويبارك الله أوقاته لمن أصلح نيته وأخلص لله تعالي سريرته، وعزم على اتباع سنة النبي ﷺ والاقتداء بهديه ﷺ وهذا فضل من الله تعالي لعلك تتأهب لقبوله.

فهذه نعمة من الله... عساك أن تكون أهْلاً لها، وإحسان من الله تعالى لا يناله إلا المشمرون،

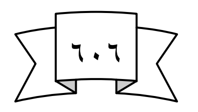
ولا يبلغ فضيلته إلا المجتهدون... فعساك أن تكون من أولئك المقبولين ... آمين.

ما يستحب فعله في هذه الأيام

أولاً: التوبة:

إلى الذين ذلّت أقدامهم وسقطوا في ذل المعصية وظلوا فيها زمناً طولاً، ها هو موسم الطاعات وها هو سوق الخيرات قد جاء بما فيه من المنح المباركات، فاغتنمه لتُضَاعَف لك فيه الحسنات ويمحي عنك فيه السيئات وترفع لك فيه الدرجات، ها هي أفضل أيام الدنيا أقبلت فلا تستحِ أن ترفع يديك إلى مولاك طالباً العفو والغفران والعتق من النيران، وأن يدخلك الجنان

واعلم أيها المذنب...



أن هذه الأمة لكرامتها على الله جعل توبتها الندم والإقلاع، فهي أسرع قبولاً وأسهل تناولاً.

فقد جاء في تفسير ابن المنذر . رحمه الله .:

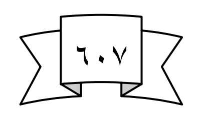
أن الصحابة . رضوان الله عليهم . كانوا مجتمعين عند ابن مسعود ﷺ فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: كان الرجل من بني إسرائيل إذا ما أذنب ذنباً كتب ذنبه على باب داره، وكتب معه كفارة ذلك الذنب، ليغفر ذلك الذنب. أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قولاً تقولونه بألسنتكم. ثم تلا قوله تعالي:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦

فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: والله ما أُحِبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس . رضي الله عنهما .:

أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزَنُوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذى تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل قوله تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان: ٦٨ ــ ٧٠.



ونـــــــزل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الزمر: ٥٣.

فقال ابن عباس . رضي الله عنهما .: فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء كفرحه بهذه الآية.

وصدق ربنا حيث قال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ النساء: ١١٠.

ومن رحمته بنا أنه يبسط يده بالليل والنهار للمذنبين، وبابه دائماً لا يغلق، ورحمته واسعة فيا له من إله رحيم ورب عظيم.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"إن الله تعالي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها".

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

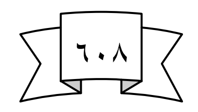
" قال إبليس: أي ربِّ. لا أزال أغوى بني أدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالي: لا أزال أغفر لهم ما استغفروني".

فهيا نستجيب لنداء رب العالمين ...

حيث قال في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ التحريم: ٨

يقول ابن القيم . رحمه الله . كما في مدارج السالكين:

والتوبة النصوح تتضمن ثلاثة أشياء: استغراق جميع الذنوب، وإجماع الندم والصدق، وتخليصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبة.



فهيا أخي الكريم ... ما عليك إلا أن ترفع يدك إلى السماء في ذل وخشوع وتقول: يا رب هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيِّدٌ سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، أدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، أسألك بعزك وذلي، إلا غفرت لي ورحمتني.

ثانياً: الحج والعمرة:

يستحب في هذه الأيام الإكثار من جميع الأعمال الصالحة، غير أنه ورد استحباب بعض العبادات بخصوصها ومنها الحج والعمرة. كما قال تعالى:﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

البقرة : ١٩٧ .

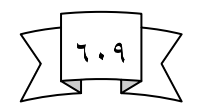
والحج والعمرة من أفضل الأعمال التي تفعل في هذه الأيام، ولقد رغب الشرع الحنيف في هاتين العبادتين العظيمتين وحث عليهما، وذلك لمن ملك زاداً وراحلة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله ؟ قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور".

وبين لنا الشرع الحكيم أن من حج أو اعتمر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه".

بل لم يرض الله له ثواباً دون الجنة.



فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة".

وعند الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكِيرُ خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة ".

بل خذ هذه الهدية من رسول الله ﷺ:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن طريق جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه".

كلمة لمن تقطع قلبه وذرفت عيناه شوقاً لبيت الله الحرام لكن يعجز عن ذلك:

أقول لهم: اعلموا أن من رحمة الله . تبارك وتعالي . بعباده أن جعل المتخلف عن الحج لعذر شريكاً لمن ذهب في الأجر، بل شرع الله لنا أعمالاً تعدل أجر الحج والعمرة منها:.

المكث في المسجد بعد صلاة الفجر حتى الشروق ثم صلاة ركعتين.

فقد أخرج الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في الصحيحة من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة" (وهو أيضاً في صحيح الترمذي: ٥٨٦)

حضور صلاة الجماعة والمشي إلى صلاة التطوع:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

"من مشي إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهى كحجة، ومن مشي إلى صلاة تطوع

- في رواية أبي داود . أي صلاة الضحى . فهي كعمرة تامة". (صحيح الجامع: ٦٥٥٦)

صلاة العشاء والغداة في جماعة:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا:

"يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال النبي ﷺ أوليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء في جماعة تعدل حجة، وصلاة الغداة في جماعة تعدل عمرة".

حضور مجالس العلم في المساجد:

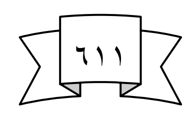
فقد أخرج الطبراني والحاكم عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يُعَلِّمه، كان كأجر حاج تاماً حجته".

الأذكار بعد الصلاة:

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال:

جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فَضْلٌ من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال: ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من



سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين".

عمرة في رمضان:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عباس . رضي الله عنهما . أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان:

"ما منعك أن تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان كان لأبي فلان . زوجها . حج هو وابنه على أحدهما وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: فعمرة في رمضان تقضي حجة . أو حجة معي".

برُّ الوالدين:

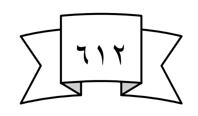
أخرج أبو يعلي بسند جيد: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: قابل الله في برها، فإن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد".

هدية:

من عجز أن يقدم الهدي هناك فلا يعجز أن يقدمه في بلده كل جمعة.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر".



وإن عجزت أن تكون ممن يباهي الله بهم الملائكة هناك على أرض عرفات، فلا تعجز أن تكون ممن يباهي الله بهم الملائكة هنا في بلدك، في مجالس الذكر.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

خرج معاوية على حلقة في مسجد فقال: ما أجلسكم؟، فقالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديث مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: آلله! ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة".

تنبيه:

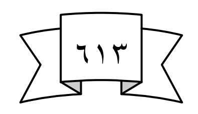
المقصود بمجالس الذكر: مجالس العلم، كما قال القرطبي . رحمه الله .: مجلس الذكر يعني مجلس علم وتذكير، وهي المجالس التي يُذكر فيها كلام الله وسنَّة رسوله ﷺ، وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة الزُّهاد المتقدمين المبرأة من التصنع والبدع، والمُنزَّهة عن المقاصد الردية والطمع.

وقال عطاء . رحمه الله .: إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تبيع وتشتري وتصلِّي وتنكح وتُطلِّق وتحج... وأشباه ذلك.

ثالثاً: الصيام:

فيستحب صيام هذه الأيام أو ما تيسر منها عدا يوم العيد (اليوم العاشر)

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح صححه الألباني عن هنيدة بن خالد



عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ (حفصة) قالت:

"كان رسول الله ﷺ يصوم تسعَ ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر: أولَ اثنين من الشهر، والخميس". (صححه الألباني في صحيح أبي داود:٢٤٣٧)

وفي رواية أخرى:

"أربع لمن يكن يدعهن رسول الله ﷺ صيام عاشوراء، والعشر- يعني من ذي الحجة . وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة".

قال النووي . رحمه الله . عن صوم أيام العشر: " إنه مُستحب استحباباً شديداً".

وكان ابن عمر . رضي الله عنهما . يصوم العشر

وممن قال بفضل صومه الحسن وابن سيرين وقتادة.

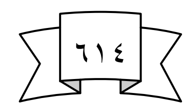
ملاحظة: البعض ينادي ويقول: إن الصيام في هذه الأيام لا يجوز، وإنه ممنوع غير مشروع،

ويستند للحديث الذي أخرجه مسلم أن عائشة . رضي الله عنها . قالت:

"ما رأيت رسول الله ﷺ صائماً في العشر قط"، وفي رواية: " لم يصم العشر"

قال العلماء: فهذا الحديث مما يوهم كراهة صوم العشر، والمراد بالعشر هنا: الأيام التسعة من أول ذي الحجة ، قالوا: وهذا مما يُتأوَّل، فليس في صوم هذه التسعة كراهة، بل هي مستحبة استحباباً شديداً، لاسيما التاسع، وهو يوم عرفة، وقد سبقت الأحاديث في فضله،

وثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال:



"ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" ـ يعني أيام العشر.

فيتأوّل قولها . رضي الله عنها .: " لم يصم العشر" أنه لم يصمهم لعارض مرضي أو سفر

أو غيرهما، أو أنها لم تره صائماً فيها، ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الأمر، ويدل على هذا التأويل حديث هنيدة بن خالد السابق ذكره. (انظر صحيح مسلم بشرح النووي" كتاب الاعتكاف").

وقد علل ابن حجر . رحمه الله . ترك الصوم في هذه الأيام لكون النبي ﷺ كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يُفْرَض على أمته. (الفتح: ٢/٥٣٤).

ويتَّضِح مما سبق استحباب صوم الأيام التسع من ذي الحجة. والله أعلم.

ويكفيك أن تعلم أخي الحبيب...

إنه بصوم يوم في سبيل الله يُبَاعد بين العبد وبين النار كما بين السماء والأرض، أو سبعين خريفاً كما أخبر الصادق المصدوق.

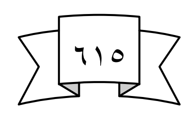
فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً"

أي مسيرة سبعين عاماً.

وعند البخاري ومسلم أيضاً: "من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض".

ومن المعلوم أن المسافة التي بين السماء والأرض خمسمائة عام كما أخبر الحبيب النبي ﷺ



سبحان الملك !!!

بصيام يوم واحد يباعد الله وجهك عن النار سبعين خريفاً

وفي رواية: "مائة عام"، وفي رواية: "خمسمائة عام"

في حين أن الله تعالي يقول في كتابة الكريم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ آل عمران: ١٨٥.

إنها منح وعطايا وهدايا ربانية للأمة المحمدية فهيا ... هيا اغتنمها قبل أن تأتيك المنية.

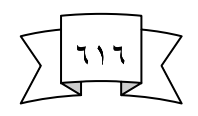
وقبل أن نغلق هذه الصفحة أُذَكِّرُك بصيام يوم عرفة (لغير الحاج) فإن الله يُكَفِّر به سنتين: سنة قبله، وسنة بعده. كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

" صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده"

فانظر أخي المسلم إلى سعة رحمة الله وفيض جوده وكرمه، أن جعل صيام يوم واحد سبباً لمغفرة ذنوب سنتين من الصغائر(أما الكبائر فتحتاج إلى توبة وندم وعزم على عدم العودة إليها أبداً وإقلاع عن المعصية)

فإن شق عليك أخي الحبيب صيام أيام التسع الأولى من ذي الحجة، فلا تحرم نفسك من صيام يوم عرفة لما فيه من عظيم الأجر وجزيل المثوبة.



الخطبة الثانية : فضل يوم عرفة وحال السلف فيه

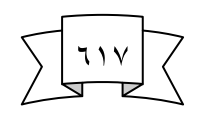
أما بعد:عباد الله ، يوم عرفة من الأيام الفاضلة، تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يوم عظَّم الله أمره، ورفع على الأيام قدره. وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران.

يوم عرفة يوم اللقاء الأكبر، بين العبد المنيب المشتاق، وبين ربه التواب الرحيم، فيوم عرفة يوم المعرفة، ويوم عرفة يوم المغفرة، ويوم عرفة يوم تتنزل فيه الرحمات على العباد من خالق الأرض والسماوات، ومن هنا قيل: من وقف في عرفات، ولم يغلب على ظنه أن الله قد غفر له، فلا حج له.

عن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ما من أيام عند الله افضل من عشر ذي الحجة، فقال رجل هن أفضل أم من عدتهن جهاداً في سبيل الله، قال: هن أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء يقول: انظروا عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاؤوني من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عذابي، فلم يُر يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة " قال المنذري رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان واللفظ له .

روى ابن المبارك عن سفيان الثورى عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال : يا بلال أنصت لى الناس ، فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصت الناس فقال : معشر الناس أتانى جبرائيل عليه السلام آنفا فأقرأنى من ربى السلام ، و قال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات و أهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول



الله هذا لنا خاصة ؟ قال: هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كثر خير الله و طاب.

ويوم كهذا –أخي الحبيب– حري بك أن تتعرف على فضائله، وما ميزه الله به على غيره من الأيام، وتعرف كيف كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيه؟

نسأل الله أن يعتق رقابنا من النار في هذا اليوم العظيم.

سبب تسمية يوم عرفة بهذا الاسم

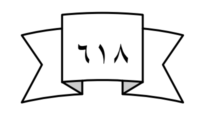
سُمِّي يوم عرفة بهذا الاسم لأن الناس يتعارفون به وقيل لأن جبريل عليه السلام طاف بإبراهيم– عليه السلام– وكان يريه المشاهد فيقول له: أَعَرَفْتَ؟ أَعَرَفْتَ؟ فيقول إبراهيم: عَرَفْتُ، عَرَفْتُ وقيل لأن آدم–عليه السلام– لما هبط من الجنة وافترق عن حواء فلقيها في ذلك الموضع؛ فعرفها وعرفته.

وكذلك عُرِفَ باسم عرفات، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ البقرة: ١٩٨ .

فضائل يوم عرفة

إن ليوم عرفة مزايا عديدة، وفضائل كثيرة، فهو يوم عظَّمه الله، ورفع قدره، وجعل الوقوف في ذلك اليوم ركناً من أركان الحج؛ بل الحج كله، وإليك بعضاً من فضائله:

١ . أن الله قد أقسم به: ومن المعلوم أن العظيم لا يقسم إلا بعظيم، وعلى أمر عظيم، قال الله – تعالى–: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾ الفجر: ٣ قال ابن عباس – رضي الله عنه –: "الوتر يوم عرفة، والشفع يوم الذبح"، وهو قول عكرمة والضحاك، وهو اليوم المشهود الذي قال الله فيه: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣﴾ البروج: ٣ ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (اليوم الموعود

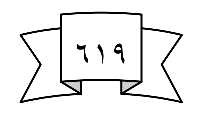


يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه؛ فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه) رواه الترمذي ، وحسنه الألباني.

٢ . أنه يوم عيد ؛ فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً!! قال: أي آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ المائدة: ٣. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو قائم بعرفة يوم جمعة" متفق عليه .

٣ . أن الله أخذ فيه الميثاق؛ فعن ابن عباس عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني يوم عرفة –، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبلاً قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣ رواه أحمد في المسند، والنسائي في السنن، والحاكم في المستدرك ، وصححه الألباني في صحيح الجامع..

٤ . أن الله يباهي بأهل عرفات ملائكته، ويعمهم بالرحمة والغفران؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثاً غبراً) أخرجه ابن خزيمة ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع.



وعن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة، وإنه يدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء) رواه مسلم.

٥ . أن الدعاء فيه مستجاب: فعن طلحة بن عبيد الله بن كريز أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك) أخرجه البيهقي ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

٦ . أن من صامه إيماناً واحتساباً فإن الله يكفر بذلك ذنوب سنتين؛ فعن أبي قتادة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفر السنة الماضية والباقية) رواه مسلم.

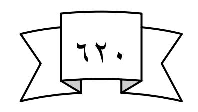
٧ . أن الله جعل الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج بل هو أهمهما فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: (الحج عرفة) رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد ، وصححه الشيخ الألباني .

قال ابن قدامة المقدسي: "والوقوف ركن لا يتم الحج إلا به إجماعاً".

٨ . أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار:

ففي صحيح مسلم عن عائشة _رضي الله عنها_ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدأ من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟

وينبغي على الحاج أن يحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة ومنها:



*حفظ جوارحه عن المحرمات في ذلك اليوم: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الفضل بن عباس رديف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة، فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه من خلفه، وجعل الفتى يلاحظ إليهن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ابن أخي، إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له) "رواه أحمد.

*الإكثار من التهليل والتسبيح والتكبير في هذا اليوم: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غداة عرفة، فمنّا المكبر ومنا المهلل...) رواه مسلم

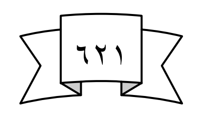
*الإكثار من الدعاء بالمعفرة والعتق في هذا اليوم، فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه: فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فعلى المسلم أن يتفرغ للذكر والدعاء والاستغفار في هذا اليوم العظيم، وليدع لنفسه ولِوالديْه ولأهله وللمسلمين، ولا يتعدى في عدائه، ولا يستبطئ الإجابة، ويلح في الدعاء، فطوبى لعبد فقه الدعاء في يوم الدعاء.

*ولتحذر _أخي الحاج _من الذنوب التي تمنع المغفرة في هذا اليوم، كالإصرار على الكبائر والاختيال والكذب والنميمة والغيبة وغيرها، إذ كيف تطمع في العتق من النار وأنت مصر على الكبائر والذنوب؟! وكيف ترجو المغفرة وأنت تبارز الله بالمعاصي في هذا اليوم العظيم؟!

٩ . أشد يوم على الشيطان

أخرج مالك رضي الله في الموطأ من مراسيل طلحة بن عبيد الله من كريز أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ، ولا أحقر ،



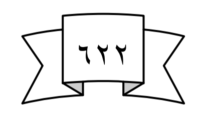
ولا أدحر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذلك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بدر . قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ فقال : أما أنه رأى جبريل يزع الملائكة هكذا.

أمور ينبغي فعلها للحاج وغيره في يوم عرفة:

١ . الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل دين الإسلام الذي أكمله الله – تعالى– في ذلك اليوم وأساسه، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا النبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير" أخرجه الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني ، وتحقيق التوحيد يوجب عتق الرقاب، وعتق الرقاب يوجب العتق من النار؛ كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير. في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) متفق عليه.

٢ . الإكثار من الدعاء بالمغفرة والعتق من النار: فقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن علي قال: ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار، وليس يوم أكثر فيه عتق للرقاب من يوم عرفة، فأكثر فيه أن تقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، وأوسع لي من الرزق الحلال، واصرف عني فسقة الجن والإنس، فإنه عامة دعائي اليوم.

٣ . التوبة الصادقة فإن الله – تعالى– يقول: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ النور: ٣١ ، ويقول – تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ



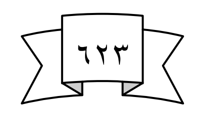
تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ التحريم: ٨ ، والتوبة واجبة في كل وقت إلا أنها في الأوقات الفاضلة آكد وأوجب، والإصرار على الذنب سبب للحرمان من الغفران ورضا الرحمن فقد روى ابن أبي الدنيا وغيره: أن رجلاً رأى في المنام أن الله قد غفر لأهل الموقف كلهم إلا رجلاً من أهل بلخ فسأل عنه حتى وقع عليه، فسأله عن حاله فذكر أنه كان مدمناً لشرب الخمر فجاء ليلة وهو سكران فعاتبته أمه وهي تسجر تنور، فاحتملها فألقاها فيه حتى احترقت.

٤ . الإكثار من فعل الخيرات، وبذل المعروف والإحسان إلى الناس، فإن العمل الصالح يضاعف أجره في الأوقات الفاضلة، وكذا العمل القبيح الفاسد يضاعف عقاب فاعله في الأيام الفاضلة.

أما من لم يكن حاجاً إضافة إلى ما سبق فإن له صيام يوم عرفة فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي قتادة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده) رواه مسلم ، وهذه خاصة بمن لم يوفق للحج، أما من كان حاجاً فالأفضل له الفطر وذلك ليتقوى على الدعاء وفعل الطاعات والقربات في ذلك اليوم الأغر.

أحوال الصالحين في يوم عرفة

• كان حكيم بن حزام يقف بعرفة ومعه مئة بدنة مقلدة، ومئة رقبة، فيعتق رقيقه، فيضج الناس بالبكاء والدعاء يقولون: "ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده، ونحن عبيدك فأعتقنا".



• وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة، قد حال البكاء بينه وبين الدعاء، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوءتاه منك وإن عفوت.

• و دعا بعض العارفين بعرفة فقال: " اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني".

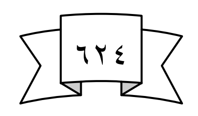
عبدالله بن الزبير

قال محمد بن عبدالله الثقفى : شهدت خطبة ابن الزبير رضي الله عنهما بالموسم ، خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم ، فلبّى بأحسن تلبية سمعتها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " أما بعد ، فإنكم جئتم من أفاق شتّى وفودا إلى الله عز وجل ، فحقٌ على الله أن يكرم وفده ، فمن كان منكم يطلب ما عند الله ، فإن طالب ما عند الله لا يخيب ، فصدقوا قولكم بفعل ؛ فإن ملاك القول الفعل ، والنية النية ، والقلوب القلوب ، الله الله فى أيامكم هذه ؛ فإنها أيام تغفر فيها الذنوب . جئتم من آفاق شتى ، فى غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجونها هاهنا " . ثم لبّى ولبّى الناس ، فما رأيت باكيا أكثر من يومئذ .

عبدالله بن عباس

عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما : " ما آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أني لم أحج ماشيا حتى أدركني الكبر أسمع الله تعالى يقول : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الحج: ٢٧ ، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه و ابن سعد في الطبقات ، وذكره البيهقي .

قال أبو وائل : " والله لقد رأيت ابن عباس يوم عرفة يشرح سورة البقرة آية آية ، من صلاة الظهر حتى صلاة المغرب ، لو سمعه اليهود والنصارى لأسلموا عن بكرة أبيهم " .



أنس بن مالك

قال الجريري : " أحرم أنس بن مالك رضي الله عنه من ذات عرق ، فما سمعناه متكلما إلا بذكر الله حتى حلّ ، قال : فقال له : يا ابن أخي ، هكذا الإحرام " .

سعيد بن جبير

عن هلال بن خبّاب قال : كان سعيد بن جبير يُحرم في كل سنة مرتين ؛ مرة للحج ، ومرّة للعمرة .

الفضيل بن عياض

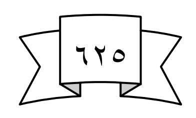
عن إسحاق بن إبراهيم الطبري قال :وقفت مع الفضيل بن عياض بعرفات ، فلم أسمع من دعائه شيئا إلا أنه واضع يده على خده ، واضع رأسه يبكي خفيّا ، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه منك وإن عفوت .

ورُوي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشيّة عرفة فقال : أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقا – والدانق هو سدس الدرهم – ، أكان يردّهم ؟ ، قالوا : لا ، فقال لهم : والله للمغفرة أهون من إجابة رجل لهم بدانق ثم أنشد بعدها:

وإني لأدعو الله أطلب عفوه ... وأعلم أن الله يعفو ويرحم

لئن أعظم الناس الذنوب فإنها ... وإن عظمت في رحمة الله تصغر

وخطب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – بعرفة، فقال: "إنكم قد جئتم من القريب والبعيد، وأضنيتم الظهر – أي: أتعبتم رواحلكم – وأخلقتم الثياب – أي: أبليتم ثيابكم – وليس السابق اليوم من سبقت دابته وراحلته، وإنما السابق اليوم من غُفر له".



وكان بعضهم أشد ما يكون جودا وبذلا في يوم عرفة.

فأحوال السلف الصالح بعرفة فقد كانت تتنوع فمنهم من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء: وقف مطرف بن عبدالله وبكر المزني بعرفة، فقال أحدهما: اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي. وقال الآخر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لإله لولا أني فيهم.!

ومنهم من كان يغلب عليه الرجاء: قال عبدالله بن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تذرفان فالتفت إلي، فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

العبد بين حالين إذا ظهر لك حال السلف الصالح في هذا اليوم، فاعلم أنه يجب أن يكون حالك بين خوف صادق ورجاء محمود كما كان حالهم.

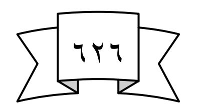
والخوف الصادق: هو الذي يحول بين صاحبه وبين حرمات الله تعالى، فإذا زاد عن ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود: هو رجاء عبد عمل بطاعة الله على نور وبصيرة من الله، فهو راج لثواب الله، أو عبد أذنب ذنباً ثم تاب منه ورجع إلى الله، فهو راج لمغفرته وعفوه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾ البقرة: ٢١٨ .

فينبغي عليك أخي الحاج أن تجمع في هذا الموقف العظيم وفي هذا اليوم المبارك بين الأمرين: الخوف والرجاء؛ فتخاف من عقاب الله وعذابه، وترجو مغفرته وثوابه.

هنيئاً لمن وقف بعرفة



فهنيئاً لك أخي الحاج، يا من رزقك الله الوقوف بعرفة بجوار قوم يجارون الله بقلوب محترقة ودموع مستبقة، فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدقه، وتائب أخلص الله من التوبة وصدقه، وهارب لجأ إلى باب الله وطرقه، فكم هنالك من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه، ومن أعسر الأوزار فكه وأطلقه وحينئذ يطلع عليهم أرحم الرحماء، ويباهي بجمعهم أهل السماء، ويدنو ثم يقول: ما أراد هؤلاء؟ لقد قطعنا عند وصولهم الحرمان، وأعطاهم نهاية سؤالهم الرحمن.

الخطبة الثالثة : الحج فضائل وعبر

أمّا بعد:عِبادَ الله ، يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٧.

فإن الحج من أفضل الطاعات عند رب العالمين، وأجل الأعمال الصالحة لمحو ذنوب المذنبين. فما هو الحج؟ وما منزلته في الدين، وما شروطه وأركانه؟

تعريف الحج:

قال في لسان العرب: الحج: القصد، حج إلينا فلان أي قدم.

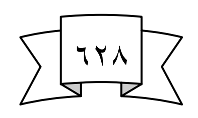
والحج: قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة.

وهو قصد الكعبة لأداء أفعال مخصوصة، أو هو زيارة مكان مخصوص في زمن مخصوص بفعل مخصوص والزيارة هي:الذهاب، والمكان المخصوص: الكعبة وعرفة. والزمن المخصوص: هو أشهر الحج، وهي: شوال وذو القعدة ، والعشر الأول من ذي الحجة. ولكل فعل زمن خاص، ، والفعل المخصوص: أن يأتي محرماً بنية الحج إلى أماكن معينة.

متى شرع الحج؟

فُرض الحج في أواخر سنة تسع من الهجرة، وآية فرضه قوله تعالى﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾آل عمران: ٩٧. نزلت عام الوفود أواخر سنة تسع وهو رأي أكثر العلماء.

منزلة الحج وفضائله:



ولقد أفاض القرآن والسنة في فضل الحج ووردت فيه النصوص الكثيرة التي ذكرنا طرفاً منها فيما سبق ونذكر هنا ما لم نذكره هناك مما يختص في فضل الحج فنقول:

١- الحج يهدم ما قبله:

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (.. فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إبسط يمينك لأبايعك فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: مالك يا عمرو؟ قال: قلت أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله" رواه مسلم .

٢- الحاج يعود بعد حجه كيوم ولدته أمه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)) البخاري.

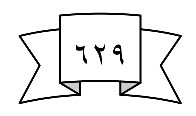
٣- الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((ثم جهاد في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((ثم حج مبرور)) البخاري.

٤- الحج أفضل الجهاد:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟ قال: ((لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور)) البخاري.

٥- ليس له جزاء إلا الجنة :



عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) رواه البخاري ومسلم.

٦- ومن فضائل الحج أن الحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم، ونفقتهم في سبيل الله، وهي مخلوفة عليهم، وهم معانون في أداء النسك.

إنهم وفد الله عز وجل:

فعن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:(الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم) رواه ابن ماجه ، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

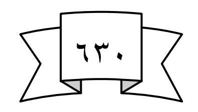
٧- الحج والعمرة ينفيان الفقر:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) رواه الترمذي ، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح.

٨ . إن الله يباهي بالحجاج ملائكته في صعيد عرفات ويتجلى لهم ويقول: انصرفوا مغفوراً لكم، إنه لفضل عظيم ونعمة كبرى أن ينصرف الحاج من هذا الموقف العظيم مغفوراً له وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اللهم إنا نسألك من فضلك.

الحج هجرة إلى الله تعالى، استجابة لدعوته، وموسم دوري يلتقي فيه المسلمون كل عام على أصفى العلاقات وأتقاها، ليشهدوا منافع لهم على أكرم بقعة شرفها الله.

حكم الحج:



اتفق العلماء على فرضية الحج مرة في العمر بدليل الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقول الله تعالى﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾آل عمران: ٩٧.

وأما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) متفق عليه.

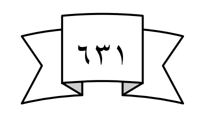
والدليل على فرضية الحج مرة واحدة في العمر هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم) رواه مسلم.

وقد يجب الحج أكثر من مرة لعارضٍ كنذر كأن يقول: لله علي حجة. وقد يحرم الحج كالحج بمال حرام، وقد يكره كالحج بلا إذن ممن يجب استئذانه. كأحد أبويه محتاج إلى خدمته، وكالدائن الغريم لمدين لا مال له يقضي به، وكالكفيل لصالح الدائن. إلا بالإذن.

حكم من أنكر فرضية الحج:

من أنكر فرضية الحج فهو كافر مرتد عن الإسلام إلا أن يكون جاهلاً وهو ممن يمكن جهله بهذا الحكم كحديث عهد بإسلام، وناشئ في بادية بعيده لا يعرف من أحكام الإسلام شيئاً، فهذا يُعذر بجهله ويُعرَّف، ويُبين له الحكم، فإن أصر على إنكاره حُكم بردته.

وأما من تركه متهاوناً مع اعترافه بفرضيته فهذا لا يكفر، ولكنه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم بكفره .



إحبتي في الله ، عبادات الإسلام وشعائره تهدف كلها إلى خير المسلمين في الدنيا والآخرة ، ومن هنا كان الحج عبادة يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم، فتصفو نفوسهم ويلتقون على المودة يربط بينهم الإيمان رغم تباعد الأقطار واختلاف الديار.

والمتأمل في نصوص الكتاب والسنة الخاصة بالحج إذا جمع معها ما يلمسه في الواقع المشاهد خلال أداء فريضة الحج تتجلى له الأهداف التالية:

١- الحج امتثال لأوامر الله واستجابة لندائه:

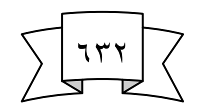
الحج امتثال لأوامر الله واستجابة لتعاليمه تتجلى فيه الطاعة الخالصة والإسلام الحق وصدق الله العظيم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ لقمان: ٢٢.

٢- الحج فيه تأسٍ بأبينا إبراهيم عليه السلام:

لقد أمر الله أبانا إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج وكتب الله لمن شاء من عباده أن يلبوا هذا النداء رجالاً أو ركباناً، ففي الحج اقتداء بالصالحين وتأسي بمن أمرنا الله أن نتأسى بهم ونجعلهم قدوة حسنة لنا، يقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الممتحنة: ٤ - ٦.

٣- الحج فيه ارتباط بمهبط الوحي:

الحج رحلة إلى الديار المقدسة مهبط الوحي ومتنزل التشريع، وكلما ارتبط المسلم بهذه البقاع الطاهرة كلما كان أقرب إلى الاقتداء بالرعيل الأول، الذين جاهدوا



في سبيل الله وبلغوا شرعه إلى أنحاء المعمورة، وشتان بين مسلم يرتبط قلبه بمهابط الوحي ومنازل التشريع ومسلم يتعلق قلبه هنا أو هناك خلف عرض زائل أو قزم يتطاول، فكما أن الفرق شاسع بين الوسيلتين فكذلك في النتيجة.

٤- في الحج إعلان عملي لمبدأ المساواة بين الناس:

تتجلى المساواة بأسمى صورها الواقعية في الحج، وذلك في صعيد عرفات حينما يقف الناس موقفاً واحداً لا تفاضل بينهم في أي عرض من أعراض الدنيا الزائلة بل التفاضل والفوز والفلاح بالتقى، يقول الحق تبارك وتعالى مؤكداً هذا المنهج السامي في الإسلام إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات:١٣]، ويقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ الحج: ٢٥.

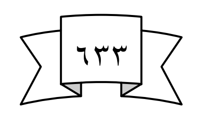
٥- الإحسان:

وفي آية سورة الحج: لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ، وفي سورة البقرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ البقرة: ١٩٥.

ومرتبة الإحسان هي أعلى مراتب الإيمان، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها في حديث جبريل المتفق عليه: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات وتنتهي عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته». [رواه مسلم ١٩٥٥]



٦- الوفاء:

يرشدنا الله تبارك وتعالى إلى الوفاء في قوله تعالى في سورة الحج: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ﴾ الحج: ٢٩.

والوفاء لغة يعني الإكمال والإتمام وضده الغدر. [لسان العرب]

وقد أمرنا الله تعالى بالوفاء في كل أمورنا.

٧- التقوى:

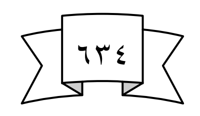
يقول الله تعالى في سياق الحديث عن الحج من سورة البقرة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧) ﴾ البقرة: ١٩٧ ، ويقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) ﴾ البقرة: ٢٠٣].

ويقول: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم [البقرة: ٢٠٦]، ويقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾ الحج: ٣٢ ، ويقول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ الحج: ٣٧.

ويقول ابن كثير في تفسيره: فإن خير الزاد التقوى لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال: قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى وذكر أنه خير من هذا وأنفع.

٨- الذكر والدعاء والاستغفار:

يقول الله تعالى مرشدًا لنا إلى الإكثار من ذكره: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم



مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ البقرة: ١٩٨ - ١٩٩.

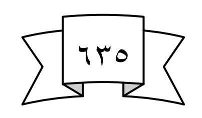
ويرشدنا أيضًا إلى آداب الدعاء؛ فلا ينبغي أن يدعو الداعي بأمور دنياه فقط وهو معرضٌ عن أخراه: قَالَ تَعَالَىٰ: فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢.

ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء؛ فقد روى البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وقال أحمد: عن عبد العزيز بن صهيب قال: سأل قتادة أنسًا أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

٩- تعظيم حرمات الله:

يقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ الحج: ٣٠.

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه فهو خير له عند ربه أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما أنه على فعل الطاعات ثواب كبير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات، قال ابن جريج قال مجاهد في قوله: ذلك ومن يعظم حرمات الله قال: الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى عنه من معاصيه كلها. وكذا قال ابن زيد.



١٠- الحج مؤتمر سنوي للمسلمين:

وأخيراً فالحج مؤتمر سنوي عام للمسلمين يتدارسون فيه شئونهم وتجتمع فيه كلمتهم ويحنو فيه غنيهم على فقيرهم وتظهر فيه الوحدة الكبرى للمسلمين.

والذي أدى فريضة الحج في السنوات الأخيرة يلمس هذه الأهداف ماثلة للعيان فكم من أموال بذلت في سبيل الله وكم من تجارب تمت الاستفادة منها وكم من لقاءات جانبية تداول فيها المجتمعون ما يهم المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، وإذا كان هذا تحقق فعلاً بفضل من الله فإننا نأمل المزيد وندعو المسلمين لاستثمار هذا المؤتمر السنوي ليحصل الخير الوفير لأمة الإسلام في جميع ديار المسلمين.

فرض الله سبحانه وتعالى العبادات على عباده امتحاناً لطاعتهم وإظهاراً لعبوديتهم وشكرهم وتحقيقاً لمصالحهم في الدنيا والآخرة وقد أشار سبحانه وتعالى في محكم كتابه إلى طرف من هذه المصالح والمنافع، فعند ذكر الحج مثلاً أشار إلى منافعه العظيمة التي يشهدها الحجاج يقول تعالى: لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مّن بَهِيمَةِ الأنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ [الحج:٢٨].

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: (منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات ...).

الخطبة الرابعة : مناسك الحج

أمـا بعـد:عبـاد الله ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ آل عمران: ٩٧

إن الحـج من أوَّلـه إلـى آخره، وفـي كل خطوة مـن خطواتـه، حافل بكثيـر مـن المناسـك والمواقـف التـي تشـعر الإنسـان بعظمـة الله وقدرتـه، وتتجلـى فيهـا الحكـم والأسـرار لمـن كـان لـه قلـب أو ألقـى السـمع وهـو شـهيد، وفـي كـل واحـدة مـن هـذه المناسك تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر.. وهذه بعض أسرار الحج وحكمه

وعلي الحاج ان يقف مع نفسه وقفة ولو لحظات قبل الحج:

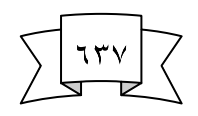
١ . التوبـة :عليـه أن يخلـص التوبـة إلـي الله سبحانه وتعـالي ويسئله غفران الذنوب ليبدأ عهداً جديداً مع ربه ويعقد معه صلحاً.

٢ . أن يطهر نفسه ويخلص رقبته من المظالم ، وحقوق الغير فيرد المظالم إلي اصحابها ويستغفر فيما عجز عن رده وهذا من تمام التوبة ، وان يصل رحمه ، ويرد الامانات الي اهلها .

٣ . اخلاص النيه :وليحذر الحاج ان تكون اعماله فاسده وذلك بسبب الرياء والسمعة فلاتنفعه الاعمال فهي كالرطب الفاسد لا قيمة لـه وهو يفسد ماحوله من الرطب لذلك يخبرنا المولي سبحانه ويقول : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧

احبتي في الله هيا بنا مع الحاج خطوة بخطوة نأخذ العظة والعبرة من الحج.

الإحرام



في الإحرام تظهر المساواة بين جميع المسلمين حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، ومظهر الحجاج في لباس الإحرام يمثل البعث في الحياة الآخرة، ويكشف عن أن الدنيا الزائلة لا يليق أن تصرف مفاتنها العاقل المؤمن عن الاستعداد للحياة الباقية

وهو في حقيقته تجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله وعلى التفكير في جلاله

وتذكرنا ملابس الإحرام بالكفن فهي شبيه بملابس الكفن ! فهى تذكرنا بموتنا حتى نكون أكثر استعداداً له .

فتذكرنا بالميلاد والوفاة فانت ولدت عريانا فلففت في خرقة وعند الموت تلف في الكفن

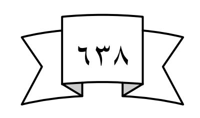
يا ابن آدم أنت الذي ولدتك أمك باكياً .. والناس حولك يضحكون سروراً فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا .. في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

وتذكرنا ببعثنا حفاة عراة لا رداء .. لا إزار .. لا كفن .

وتذكرنا بنعمة الله علينا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾الأعراف: ٢٦ هذا فى الدنيا ، فإذا جاء يوم البعث وكنا عراة فما الذى يسترنا ؟

والجواب فى قول ربنا : " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ الأعراف: ٢٦ وكما نتجرد من المخيط فى إحرامنا فينبغى أن نتجرد لله فى أعمالنا فنجعلها خالصة لوجهه الكريم ، ولا نشرك بربنا أحداً

التلبية



في التلبية إجابة نداء الله عز وجل، فارجُ أن تكون مقبولاً، واخش أن يقال لك: لا لبيك ولا سعديك. فكن بين الرجاء والخوف مترددًا، وعن حولك وقوتك متبرئًا، وعلى فضل الله –عز وجل– وكرمه متكلاً.

لفظها " لبيك اللهم لبيك .. " إلخ

ومعناها : ها أنا عبدك وأنا مقيم على طاعتك وأمرك ، فهى اعتراف بالعبودية ، وإقرار بالطاعة ، وإذعان وخضوع لله جل وعلا .

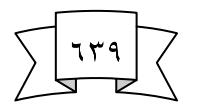
مقام إبراهيم عليه السلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٧

أي: واضحات، منها: مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومقام إبراهيم هو: صخرة كان إبراهيم عليه السلام يقف عليها ليبني عالي الكعبة بعد أن ارتفع البناء، فكان يقف عليها ويناوله إسماعيل الحجارة، وكان المقام ملصقاً بالكعبة، وكان فيه أثر قدم إبراهيم، وربنا على كل شيء قدير، فأثرت قدم إبراهيم في الحجر، ثم بقي هذا الأثر إلى زمن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أبوطالب يستشهد به على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ كانت قدم النبي محمد مماثلة تمام التماثل لقدم إبراهيم عليه السلام، فكان أبوطالب يستشهد بذلك على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلاة والسلام: (ورأيت إبراهيم فإذا أشبه الناس به صاحبكم) يعني: نفسه صلى الله عليه وسلم رواه احمد.

فلما جاء عمر أخر المقام أمتاراً عن الكعبة، وهي المسافة التي ترونها بين المقام وبين الكعبة الآن، فإذا ذهبنا إلى هذه الأماكن نصلي خلف المقام، ونتذكر نبي الله إبراهيم

الطواف



ينبغي أن يُحضر في قلبه التعظيم والخوف والرجاء والمحبة، والحاج في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش، الطائفين له، وليس المقصود هو طواف الجسم بالبيت فحسب، بل المقصود هو طواف القلب بذكر رب البيت، حتى لا يبتدئ الذكر إلا منه، ولا يختم إلا به، كما يبتدئ بالبيت ويختم به.

والطائفون في عملهم، كأنما يمثلون الدوران حول عقيدة التوحيد، والتمسك بها، وإخلاص العبودية لله، والاستجابة لندائه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام

كما يرمز إلى مشروعية الاقتداء بأبينا إبراهيم ورسولنا محمد عليهما الصلاة والسلام، وسائر أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين الذين لبوا دعوة الله في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ الحج: ٢٩

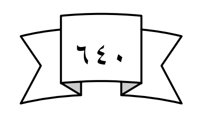
السعي

إنه يضاهي تردد العبد بفناء الملك جائيًا وذاهبًا مرة بعد أخرى؛ إظهارًا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة

وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات يوم القيامة، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرًا إلى الرجحان والنقصان مترددًا، وفي السعي شدة إلحاح المؤمن في استمطار رحمة الله عليه

وفيه شعور بالضراعة بين يدي الله القوي العزيز، وفيه اقتداء بما فعلته السيدة هاجر، إذ كانت حركتها تلك حركة مباركة، وسنة قائمة إلى يوم القيامة يتعبد بها الناس ربهم ويأخذون منها وجوب السعي وراء الرزق والحث على العمل والبعد عن الكسل

الوقوف بعرفة



يذكر الحاج به يوم القيامة واجتماع الأمم والعرض الأكبر على الله تعالى، وهو موقف يذكر بالموت الذي ينتقل به المرء إلى ربه بكفن شبيه بلباس الإحرام، كما أن فيه تجرد الإنسان في ذلك الوقت من ملاذ الدنيا، وشهوات النفس، وأن ذلك يدفع إلى الإقبال على الله تعالى، والاجتهاد في الأعمال الصالحة

كما يذكر ذلك التجمع بالبعث بعد الموت وما في يوم القيامة من أهوال، ليأخذ المسلم الاستعداد لها بأفعال الخير، وفيه من تذكير المسلمين الذين دفعوا إلى الخير، وفيه تذكير للمسلمين الذين دفعوا إلى الحج، بمشروعية الاتحاد والأخذ بالأسباب الداعية للوحدة والاجتماع

وما هو إلا بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية، وأيدٍ مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين

رمي الجمار

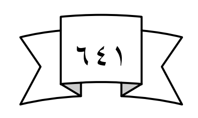
إنه رمز للاقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام، ومحاربة الشيطان ووسوسته وتضليله

كما يرمز إلى وجوب طاعة الله، وامتثال أوامره ليصبح المرء في عداد المحسنين، وهو عزم على الالتجاء إلى الله تعالى، ونبذ الأهواء، وهو رمز مقت واحتقار لعوامل البشر ونزعات عائد لصدق العزيمة في طرد الهوى المفسد للأفراد

ذبح الهدي

إنه إراقة لدماء الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة، إنه ذبح للنفس الأمارة بالسوء، وإخراجها من جسد الإنسان وإحلال روح الخير والفضيلة عليها

وهو إظهار لنعمة الله، بتوسعته على المسلمين بأن يوسعوا على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين في أيام العيد، وفيه تذكير بفعل إبراهيم عليه السلام حينما عزم



على قتل ابنه إسماعيل استجابة لأمر الله، ففداه الله بذبح عظيم، وأصبح الفداء بعدها سُنَّة متبعة تفعل كل عام؛ اقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ساق الهدي من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة.

خطبتى العيد

خطبة عيد الفطر

خطبة عيد الاضحى

خطبة عيد الفطر

الحمد لله، الحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والله أكبر كبيراً.

الحمد لله خلق كل شيء وقدره تقديراً.

الله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الله أكبر كلما صلى مؤمن وأناب.

الله أكبر كلما رجع مذنب وتاب.

الحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

الحمد لله على آلائه ونعمه التي لا تُعد ولا تحصى، حمداً كما يحب ربنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن نبينا وقائدنا وحبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: معاشر المؤمنين! العيد فرحة، والفرحة لا تكون إلا بالنعمة، والنعمة نعمتان: نعمة باطنة، وأخرى ظاهرة، نعمة معنوية وثانية حسية، نعمة روحية وأخرى بدنية، ولقد أتم الله علينا نعمته، وزادنا من فضله، فالحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً.

إن المتأمل من أهل الإيمان يستشعر عظمة نعمة الحق سبحانه وتعالى في نعمة الإيمان والإسلام، ونعمة الطاعة والعبادة، ونعمة الأمن والأمان، ونعمة الرزق ورغد العيش، ونعم أخبر الله جل وعلا أن أحداً لا يستطيع حصرها، ولا يمكن أن

يقدر قدرها، ولا أن يوفيها حق شكرها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ إبراهيم: ٣٤.

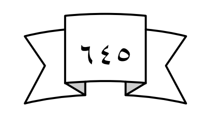
فالحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ النحل: ٥٣ .

الفرحة بالعيد

أحبتنا! إخواننا! أهل ملتنا وديننا! العيد فرحة عظمى؛ لكنها فرحة دين، لكنها فرحة طاعة، لكنها فرحة عبادة، قال عز وجل: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ يونس: ٥٨ ، فلا تخرج أفراحنا عن ديننا، بل إن ديننا هو سبب أفراحنا، فما من عيد إلا بعد ركن وطاعة وعبادة من العبادات العظمى التي تجمع أهل الإسلام والإيمان في كل الأقطار على صفة واحدة وهيئة واحدة، فما أجلها من نعمة! وما أعظمها!

أهمية التأمل في نعمة الإسلام والإيمان

تأمل أخي! هذه النعم: نعمة الإيمان والإسلام، قال عز وجل: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ التغابن: ١١ ، والله جل وعلا يسوق لنا النعم في سياق منته وفضله سبحانه وتعالى علينا، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الأنعام: ١٢٥ ، أليست نعمة الإيمان نشعر بها طمأنينة قلب، وسكينة نفس، وهدوء بال، واستقامة جوارح، وبركة رزق، ورغد عيش، وخيراً كثيراً ليس له أول ولا آخر؟ ألسنا نشعر بهذه النعم ونستحضر قول الحق جل وعلا: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ الحجرات: ١٧ ؟ إننا نستشعر هذه النعمة كلما رأينا قسوة القلوب، وظلمة النفوس، وضلال العقول، وانحراف السلوك فيما نراه في هذا العالم من



حولنا يموج بالكفر، ويفيض بالعهر والفسق نسأل الله عز وجل السلامة! فالحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾النحل: ٥٣ .

وجوب شكر النعم بالقول والفعل

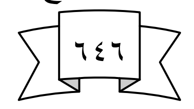
وحتى تستشعر هذه النعم تحتاج منك إلى ذكرها، وتحتاج منك إلى شكرها، قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾إبراهيم: ٧ ، فمن أراد هذه النعمة أن تبقى وأن تحفظ، وأن تزاد وأن تضاف؛ فإن طريق ذلك شكرها، وشكر النعم يكون في الباطن إقراراً واعترافاً ورضاً وتسليماً، ويكون شكر النعم في الظاهر قولاً وإظهاراً لها وإشهاراً لها وإعلاناً بها، فنحن نؤذن كل يوم، ونردد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل صلاة، ونذكر الشهادتين في كل الأحوال تحدثاً بنعمة الله وإظهاراً لها.

ثم بعد ذلك يجب شكر النعم بالأفعال، قال عز وجل:﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾سبأ: ١٣ ، فتلك هي ما ينبغي لنا أن نحرص عليها، وأن نتواصى بها، وأن يكون لنا حظ دائم منها؛ عل الله عز وجل أن يزيد لنا فضله، ويضاعف علينا نعمه، ويواصل بنا لطفه سبحانه وتعالى.

نعمة الاستقامة، وأهمية الاستمرار عليها

ونحن في هذه الديار قرب مهبط الرسالة العظيمة ومثوى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم نشعر بهذه النعمة، فلا نرى في جملة أحوالنا ما يناقضها ولا ما يعارضها، ولا ما يخالفها أو ينحرف بها عن مسارها، وتلك نعمة عظمى يعرفها من رأى غيرها في بلاد الإسلام المختلفة.

فالحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً، نحمد الله على نعمة الطاعة والعبادة، ففي رمضان كان القرآن يتلى في المحاريب، وكانت المساجد تغص بالمصلين، وكان الإنفاق في كل الأحوال وفي سائر الأوضاع، وكانت القلوب لله عز وجل خاشعة،

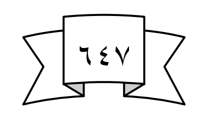


والعيون من خشيته سبحانه وتعالى باكية، والأيدي تسأل من عطائه ضارعة، فالله الله! في هذه النعمة أن نقدر قدرها، إنها نعمة يحرم منها كثير من الناس، فنعمة الطاعة والتوفيق لها، ونعمة العبادة والاستقامة عليها من أعظم نعم هذه الدنيا التي تنفعنا في الآخرة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ (٣٢)﴾ فصلت: ٣٠ - ٣٢.

ولما طلب بعض الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوجز خلاصة الإسلام كله قال: (قل: آمنت بالله، ثم استقم) ، فهي نعمة عظمى كما قال الحق جل وعــــلا: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ النساء: ١٦٢ كل هؤلاء في سياق واحد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا (١٦٢)﴾ النساء: ١٦٢ .

إنها نعمة عظيمة ينبغي أن نستشعرها إذا استشعرنا غيرها، إذا استشعرنا يوم مرض أقعدنا عن الطاعة، أو استشعرنا شبهة شوشت علينا الاستقامة، أو وقعنا أسرى لشهوة أغرقتنا في معصية.

فكم نرى من الناس أسارى شهواتهم! وكم نرى من الناس قاعدين مع ضعف نفوسهم وهممهم! وكم رأينا المساجد ممتلئة وكانت الأسواق بالناس غاصة! أليس أولئك محرومين من تلك النعمة؟! أليس الذين شغلوا بالأدنى عن الذي هو أسمى قد فقدوا خيراً كثيراً، وحرموا نعمة عظيمة؟! إنها نعمة ينبغي لنا أن نتدبرها، وأن نتأملها، وأن نذكرها، وأن نشكرها، وليس شكرها إلا بالاستقامة عليها، فينبغي ألا تعود المساجد خاوية بعد أن كانت ممتلئة، وألا تعود المصاحف مهجورة بعد أن كانت متلوة، وألا تعود الصلات منقطعة بعد أن كانت ممتدة، فلا ينبغي أن نرتد على



أعقابنا خاسرين، ولا ينبغي لنا أن نبدد ما أكرمنا الله عز وجل به من الخيرات وما ضاعف لنا من الحسنات فنمحقها بالمخالفات، ونبيدها ونضاعف أضعافها مما يعاكسها ويناقضها من السيئات، فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذكر نعمته وشكرها، والحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً!

نعمة الأمن والأمان

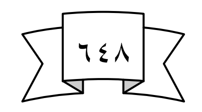
نحن أيضاً في نعمة أمن وأمان، نعمة نتفيأ فيها ظلال الطاعة والقلوب مطمئنة، والنفوس مستقرة، والأحوال هادئة، والأهل والأولاد محيطون، فتأمل هذه النعمة! لو رأيتها وحدها لرأيت أن كل ما في الدنيا لا يقدر مقدارها؛ بل لا يأتي عشر معشارها، فكيف بما هو سابق لها من تلك النعم كالإيمان والعبادة والطاعة؟! قال عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾العنكبوت: ٦٧ ، ألسنا نرى أحوال إخواننا في العراق؛ لا يأمن أحدهم على نفسه، لا يستطيع أن يجتمع بأهله، لا يدري إذا خرج هل يرجع إلى سربه؟! ألا نتذكر حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (من بات آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها) ، وذكر أهل العلم في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ المائدة: ٢٠ قالوا: من كان له سكن وخادم، وعنده قوت يومه فهو ملك.

فكلنا أو جلنا ملوك بفضل الله عز وجل.

التحذير من ازدراء نعم الله عز وجل والتذمر منها

يأتي من ينظر إلى شيء من تعسير أو قلة ذات يد فإذا به يجحد، وإذا به يتذمر، وإذا به يعترض على قسم الله عز وجل، وينسى النعم العظيمة الكثيرة التي عليه.

إننا نعرف وندرك أن أربعة وخمسين ألفاً في غضون أيام قلائل ماتوا في زلزال باكستان، ويتبعهم أكثر من سبعة وسبعين ألفاً من الجرحى، وما يقرب من أربعة



ملايين من المشردين، إننا نسمع التقارير عن أربعة ملايين ونصف مليون من الأيتام في بلد واحد! فأين هذا كله مما نحن فيه من نعم الله عز وجل؟ فكيف تجحد وتنسى؟ ألا نتذكر وننتبه لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم من رواية أبي هريرة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: (انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) .

قم بزيارة هذا اليوم إلى إحدى المستشفيات، فستحمد الله أنك تمشي على قدميك، وأنك تبصر بعينيك، وأنك تأكل الطعام فتستلذه، ولا يصيبك شيء مما لو قلت لأحدهم: ما تريد؟ لقال: عافية بدني وصحة جسدي.

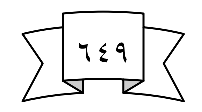
أفليست هذه نعماً؟! وقد روى هذا الحديث الترمذي بلفظ أكثر وضوحاً وجلاءً من رواية أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى من فُضل عليه في الخلق والرزق -كما نرى اليوم ونقول: هذا عنده السيارات، وعنده الفلل والقصور، وعنده الأموال- فلينظر إلى من أسفل منه -ممن فضل هو عليه- فإنه أجدر ألا يزدري نعمة الله عليه) .

فكم هذه النعم تحتاج منا إلى أن نتذكرها وأن نشكرها! وكم هي نعم الله سبحانه وتعالى وفيرة! فالحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

أهمية إظهار نعم الله عز وجل

إن نعم الله عز وجل الكثيرة تحتاج منا إلى أن نذكرها، وألا نضيق على أنفسنا، فنحن لا نقول ذلك لكي يكون هناك شيء من عدم إظهار نعمة الله؛ كلا، فقد روى أبو داود والنسائي في سننهما والإمام أحمد في مسنده: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل عليه رجل في ثوب دون -أي: غير حسن، وغير مناسب- فقال له صلى الله عليه وسلم: ألك مال؟ فقال الرجل: نعم؛ من كل المال.

فقال: ما هو مالك؟ قال: الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق.



فقال صلى الله عليه وسلم: إذا آتاك الله مالاً فلير عليك أثر نعمته وكرامته) .

تحريم استخدام نعم الله عز وجل في الحرام

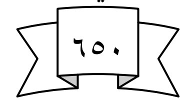
قال عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾الأعراف: ٣٢ ، لكن بطراً أو أشراً أو تبذيراً يحصل من الناس في مثل هذه الأيام؛ وكأنما هو عدم إقرار بهذه النعم، أو كأنما هو -والعياذ بالله- استجلاب لمحقها؛ إذ توضع في غير موضعها، وخاصة إذا استغلت النعمة فيما حرم الله، فمن أنفق مالاً ليقتني ما حرم الله، أو ليدخل إلى الأماكن التي فيها ما حرم الله، أو ليعين على شيء مما حرم الله فإنه قد جحد أعظم جحود لنعمة الله يوم جعلها في معصية الله التي آتاه الله إياها.

وعجباً لأمر الناس! خير الله إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد! يتحبب إليهم بالنعم، ويتبغضون إليه بالمعاصي! ونعمتنا أن أفراحنا دين وعبادة وطاعة، كما قال عز وجل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ البقرة: ١٨٥.

نعمة النصر على هوى النفس والشهوات

كم هي النعم عظيمة! فالله الله! في هذه النعم الكثيرة الوفيرة، ومنها نعمة النصر.

وقد يقول أحدنا: أين هو النصر؟ إنه النصر الأول، إنه النصر الذي لابد منه في كل معركة، إنه انتصار المرء على نفسه وشهوته وضعفه وهواه، لقد كنتم منتصرين حين أعلنتم الحرب على الشيطان، وأعلنتم المعارضة للهوى، وأعلنتم رفض كسل النفوس وميلها إلى الأرض وإخلادها إليها يوم قمتم إلى الله طاعين، يوم ظللتم على مدى شهر كامل صائمين، يوم قطعتم يومكم ونهاركم ذاكرين ضارعين داعين، لقد أعلنتم أنكم بالإيمان تقهرون كل شيء، وتزيلون كل عارض، وتستطيعون بإذن



الله عز وجل أن تنتصروا في كل معركة تواجهون فيها أعداءً حقراء من أولئك البشر الضعاف مهما كانت قوتهم، ومهما تسموا بالقوة العظمى أو الكبرى؛ فإن الله جل وعلا قد ذكر كل قوى الأرض في شطر كلمة فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ الزمر: ٣٦ ، فكلهم دون الله عز وجل، وكلهم لا يستحقون من أهل الإيمان إلا وقفة صدق مع الله عز وجل، و ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ البقرة: ٢٤٩ ، فالحمد لله على نعمة النصر على الهوى والشهوة، والحمد لله كثيراً، والله أكبر كبيراً.

وجوب الاستمرار في أعمال الخير بعد رمضان

إن ما وجدناه من الخير والشعور بالرحمة، والإحساس بالنعمة إنما هو لذلك الإيمان والإخلاص والتجرد لله، إنما هو لتلك العبادة والإقبال على الله، إنما هو لذلك الذل والانكسار بين يدي الله، إنما هو لذلك التعلق والتشوق إلى مرضات الله، إنما هو لأجل التضحية والفداء والبذل في سبيل الله؛ فإن أردنا دوام ما أكرمنا الله به في رمضان فليكن لنا كل عامنا رمضان، وليكن لنا كل دهرنا رمضان، فإن تجديد رمضان بتجديد أعمار رمضان، وإن تجديد الخيرات والنعم التي أفاضها الله في رمضان بفعل الأعمال التي استوجبنا بها تلك النعم.

وينبغي لنا أن نؤكد مرات ومرات على أن النعم عظيمة، وأن كل نعمة تستدعي تدبراً وتأملاً خاصاً بها.

خطبة عيد الاضحي

الله أكبر ما أشرقت شمس هذا اليوم الأغر.

الله أكبر ما أشتاق مسلم إلى الأرض الحجازية وحنَّ قلبه إلى الروضة النبوية.

الله أكبر ما أحرم الحجاج من الميقات، ورفعوا أصواتهم بالتلبيةِ في عرفات.

الله أكبر ما لبَّى الملبون، وطاف الطائفون وأهدى المضحون.

الله أكبر ما عنت الوجوه للحي القيوم.

الله أكبر ما سعت الأقدام لزيارة سيد الأنام.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا،الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي، ولا اعتصامي، ولا توكلي، إلا على الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق و البشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلِ وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين.

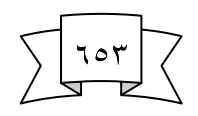
أما بعد:عباد الله ، فاليوم هو يوم عيد الأضحى المبارك، وهو اليوم الذي ابتلي الله تعالى فيه سيدنا ابراهيم بذبح ولده اسماعيل –عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام– يقول تعالى {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ ﴾ الصافات: ١٠٢ أي كان هذا الموقف العصيب و اسماعيل –عليه السلام– قد وصل الى السن الذي يسعي فيه مع أبيه، يعني بقي

يروح ويجيء مع أبيه، وهو أكثر سن يكون فيه الأب متعلقاً بإبنه، ويكون الإبن متعلقاً بأبيه

وقد ورد في تفسير هذه الآيات الكريمة أن ابراهيم عليه السلام رأي في الرؤيا الأمر بذبح ولده، لأن البعض يعتقد أنه رأي نفسه وهو يذبح ولده، ولكن الحقيقة أنه رأي الأمر بذبح ولده، لأن اسماعيل بعد ذلك يقول ((يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)) اذن كان هناك أمر بالذبح في الرؤيا، رأي ابراهيم في الرؤيا الأمر بذبح ولده اسماعيل، ورؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى، وكان ذلك في اليوم الثامن من ذي الحجة، فتروى ابراهيم ولذلك سميَّ هذا اليوم "يوم التروية" وفي اليوم التالي رأي ابراهيم نفس الرؤيا فتأكد وعرف أنه أمر من الله تعالى، وكان ذلك اليوم التاسع من ذي الحجة، فسميَّ ذلك اليوم "يوم عرفة"، وفي اليوم الثالث، وهو يوم العاشر من ذي الحجة، رأي نفس الرؤيا، فبادر في ذلك اليوم الى تنفيذ أمر الله تعالى

وقال ابراهيم –عليه السلام– لولده "انطلق فنقرّب قربانا إلى الله عز وجل" وأخذ معه سكينا وحبلا، ثم مضى مع ابنه حتى إذا كانا بين الجبال، قال له إسماعيل: يا أبت أين قربانك؟ قال: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، أي أنني أمرت بذلك في المنام، وقد كان ابراهيم يمكن أن يأخذ اسماعيل على غرة، ربما يكون هذا أهون عليه، ولكن ابراهيم عندما قال له ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ الصافات: ١٠٢ يريد أن يشرك معه ابنه اسماعيل في هذا الثواب العظيم، لا يريد أن يستأثر بالثواب وحده، ويجيبه اسماعيل، كما يذكر القرآن الكريم فيقول﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الصافات: ١٠٢.

وهنا دقة رد اسماعيل، لم يقل له (يا أبَتِ افعل ما ترى) أو (أفعل ما تريد) لأنه لو قال ذلك فكأنه يُحَمِّل أبيه مسئولية الذبح، ولكنه عندما يقول له ((يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)) يعني أنت تفعل ذلك تنفيذا وانقياداً لأوامر الله تعالى

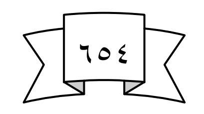


ويقول أصحاب السير أنَّ اسماعيل قال لوالده: يا أبت اشدد علي رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليك من دمي فتراه أمي فتحزن، وأسرع مَرَّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيتَ أمي فاقرأ عليها السلام مني.

فأقبل عليه ابراهيم يقبّلُه ويبكي ويقول: نِعْمَ العونُ أنت يا بني على أمر الله عز وجل.

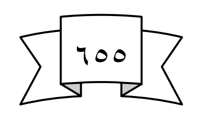
أيضاً يقول أصحاب السير أن ابراهيم عندما انطلق بابنه، قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم افتنهم أبدا، فذهب الى السيدة "هاجر" وقال لها: أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت: غدا به لبعض حاجته، فقال لها: فإنه لم يغد به لبعض حاجته، وإنما ذهب به ليذبحه، قالت: ولِمَ يذبحه ؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك، فقالت هاجر: فقد أحسن أن يطيع ربه، ثم رمت الشيطان بسبع حصوات لتطرده، وكان ذلك في موضع الجمرة الصغرى، ولذلك من مناسك الحج رجم الشيطان عند الجمرة الصغرى، ثم غدا الشيطان على اسماعيل، وقال له: إن أباك ذهب بك ليذبحك، فقال اسماعيل: ولِمَ يذبحنى، قال: يزعم أن ربه أمره بذلك، فيجيبه اسماعيل ويقول: لئن كان الله أمره بذلك فليفعل، ثم رماه بسبع حصوات يطرده، وكان ذلك في موضع الجمرة الوسطي، ولذلك من مناسك الحج أن يرمي الحجيج بسبع حصوات عند الجمرة الوسطي، ثم ذهب اخيرا الى ابراهيم، وأخذ يحاول أن يثنيه عن ذبح اسماعيل، فرماه ابراهيم بسبع حصوات عند موضع الجمرة الكبرى، فانصرف الشيطان ويئس أن يطاع

يقول تعالى ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ الصافات: ١٠٣ ومعنى ((أسلما)) أي استسلما ، و((تله للجبين)) أي جعل جبينه على الأرض، وقيل أن اسماعيل هو الذي طلب من ابيه أن يجعل جبينه الى الأرض، حتى لا يرى وجهه وهو يذبح، يعني اسماعيل –عليه السلام– كل همه في هذا الموقف، أولاً هو أخذ قراره بأن ينفذ امر الله تعالي، ويستسلم له استسلاماً كاملاً، ولكن كل همه الآن، كيف ستسقبل أمي



هذا الأمر، وكيف سيكون حزن أبي بعد ذلك عندما يتذكر وجهي أثناء الذبح، ولذلك يطلب اسماعيل من أبيه أن يجعل وجهه الى الأرض أثناء الذبح

ثم إنه أَمَرَّ السكين على حلقِه فلم يحْكِ شيئاً، لأن السكين لا تخلق القَطْعَ، كما أنَّ الأكل لا يخلقُ الشِبع، والشُربَ لا يخلقُ الرّي، والأسباب لا تخلق المسَبَّبات وكلٌ بخلق الله تعالى وعلمه ومشيئته ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٦ اختبار في منتهي الصعوبة ودائما يأتي الإبتلاء على درجة الإيمان، كلما كان ايمانك قوياً كلما كان الإختبار أكثر صعوبة، ولذلك لقوة ايمان ابراهيم، ابتلي في بداية حياته بالقذف النار، يعني أن يحرق حياً، اختبار في غاية الصعوبة، يوقدون له ناراً عظيمة، ويضعونه في منجنيق حتى يلقي في النار من بعيد لأنهم لا يستطيعون أن يقتربوا من النار لشدة لهيبها، ويأتيه جبريل –عليه السلام– ويقول له: ألك حاجة، فيجيبه ابراهيم بثبات عجيب، وصلابة مذهلة، ويقول له: أنا اليك فلا، وأما الى الله فعلمه بحالي يغني عن سؤالي، وينجح ابراهيم في هذا الإختبار نجاحاً عظيماً ثم يختبر الله تعالى ابراهيم بعد ذلك اختباراً أكثر صعوبة، لأن الإنسان عندما يرزق بولد يكون ولده أعز عليه من نفسه، ولذلك كان الإبتلاء ليس في نفسه كما اختبره بذلك أولاً، ولكن في ولده، والإختبار اختبار مركب، أول شيء أنه رزق بهذا الولد بعد أن وصل الى سن متقدمة جداً، كان عمره ستة وثمانون عاماً عندما رُزِقَ باسماعيل، والأمر الثاني أنه ليس فقد الولد فحسب، ولكن أن يذبحه بنفسه، ولذلك يقول تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الصافات: ١٠٦ وهكذا يمرر ابراهيم السكين على حلق اسماعيل فلا يقطع شيئاً ولا يحك شيئاً، ويأتيه جبريل عليه السلام، بكبش أبيض أملح من الجنة، قيل أنه رعي في الجنة أربعين عاماً، ومعنى كبش أملح، أي كبش جميل، والحق – سبحنه وتعالى– يصفه بأن"ذبح عظيم" فقال ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الصافات: ١٠٧



أرأيتم قلبا أبويا.................يتقبل أمرا يأباه

أرأيتم إبنا يتلقى ....أمرا بالذبح و يرضاه

فاضت بالعبرة عيناه ....أضناه الحلم وأشقاه

شيخ تتمزق مهجته..................تتندى بالدمع لحاه

ينتزع الخطوة مهموما.................والكون يناشد مسراه

وغلام جاء على كبر................يتعقب في السير أباه

والحيرة تثقل كاهله ....وتبعثر في الدرب خطاه

ويهم الشيخ لغايته ....ويشد الإبن بيمناه

بلغ في السعي نهايته ....والشيخ يكابد بلواه

لكن الرؤيا لنبي .... صدق وقرار يرضاه

والمشهد يبلغ ذروته ....وأشد الأمر وأقساه

إذ تمرق كلمات عدلى ....ويقص الوالد رؤياه

وأمرت بذبحك ياولدي ....فانظر في الأمر وعقباه

ويجيب الابن بلا فزع ....افعل ماتؤمر أبتاه

لن أعصي لإلهي أمرا................من يعصي يوما مولاه

واستل الوالد سكينا ....واستسلم الابن لرداه

ألقاه برفق لجبينٍ.................كي لا تتلقى عيناه

وتهز الكون ضراعات.................ودعاء يقبله الله

تتوسل للملأ الأعلى.................أرض وسماء ومياه

ويقول الحق ورحمته ....سبقت في فضل عطاياه

صدقت الرؤيا لا تحزن................ يا إبراهيم فديناه

الله اكبرما انطلق الحجيج إلى منى، لرمي جمرة العقبة وكأنهم بعد وقوفهم بعرفة، يعلنون برميهم الجمار عداوتهم للشيطان، ومحاربتهم له، فما له بعد هذا اليوم عليهم من سبيل لقد ملأت المعرفة أفئدتهم، أجلت أبصارهم، لقد تسلحوا بالعلم وتزودوا بالتقوى..

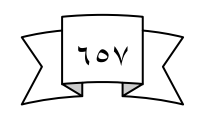
وما أن يفرغ الحجاج من الرمي حتى يتجهوا إلى نحر الأضاحي يتخيَّرونها، ويتخيَّرون أحسنها، وكأنهم بتضحيتهم هذه يعبرون عن ذبح شهواتهم، ونحرها، والتضحية بكل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة رب العالمين، ومن بيده الأمر كله، ويحيون بهذه الأضاحي سنة أبي الأنبياء، سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويذكرون ثباته على الحق وطاعته لربه.

عباد الله

الأضحية سنة مؤكدة ، وحكمتها التوسعة على العيال، والأقارب، وفقراء المسلمين، ووقتها من بعد صلاة العيد إلى غروب شمس ثالث يوم من أيام العيد ولا يجوز النحر قبل الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم: ((عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ))

(أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد)

والأضحية أفضل من التصدق بثمنها، وتجوز الأضحية من الغنم من ضأن أو معز، وبالإبل والبقر والغنم، يشترط أن يكون قد أتمَّ السنة ولا تصح التضحية بالعمياء ولا العجفاء، ولا العرجاء، ويستحب في الأضحية أسمنها وأحسنها لقوله صلى الله عليه وسلم:



((عظموا ضحاياكم، فإنها على الصراط مطاياكم))

والأضحية هدية العبد إلى ربه، وقربه إليه، فليحسن أحدكم الهدية إلى ربه فقد كان عليه الصلاة والسلام يختار الكبش الأبيض الأقرن، ويستحب للمضحي أن يأكل من أضحيته، وأن يهدي منها أقرباءه، وأصدقاءه، وجيرانه، وأن يتصدق بثلثها، أو أكثر لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الحج: ٣٦ ولا يجوز بيع جلدها، ويستحسن أن يحضر صاحب الأضحية الذبح فإن استطاع فليذبح بيده.

قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الحج: ٣٧ .

